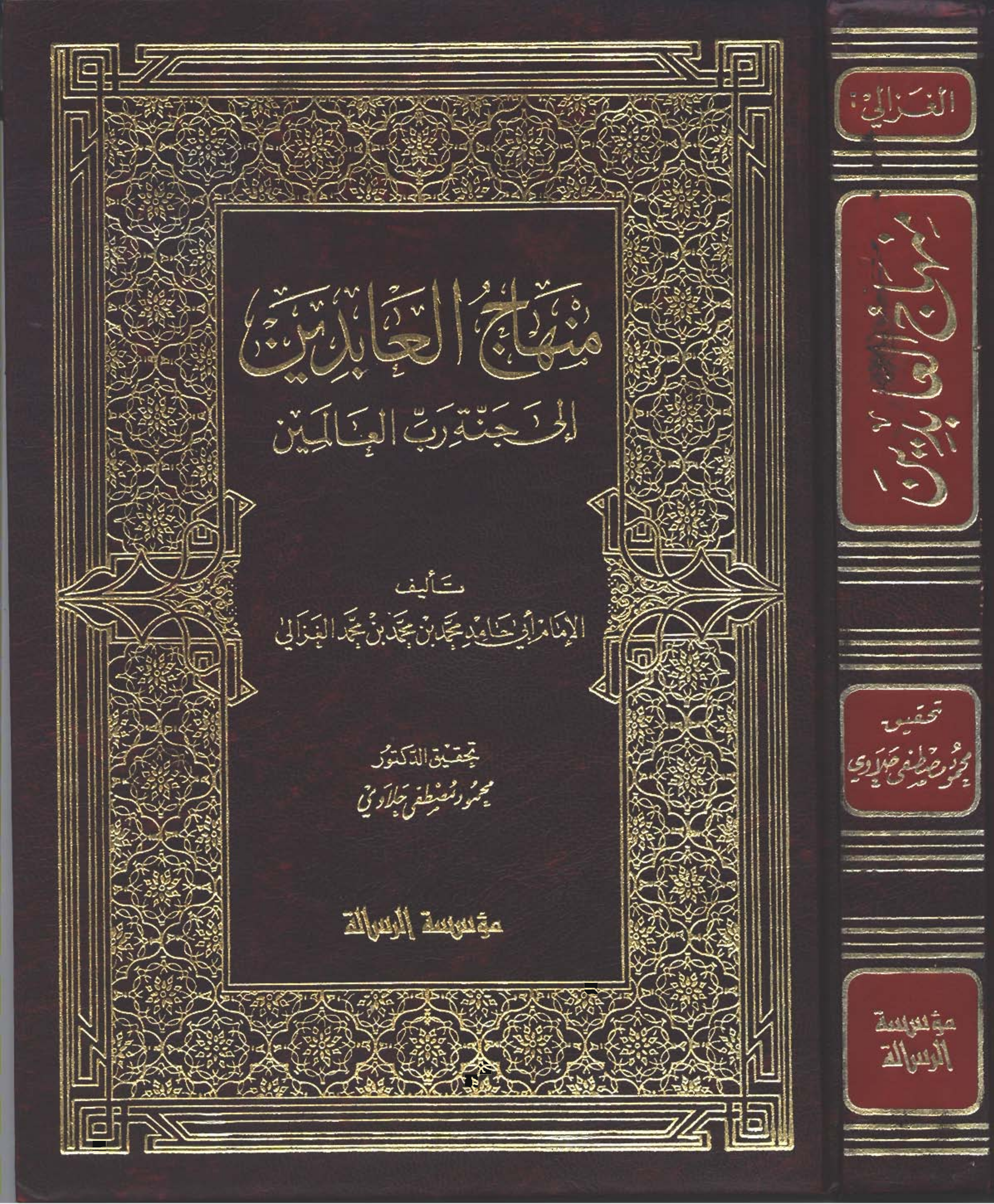


منهاج العابدين
إلى جنة رب العالمين
تأليف
الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
تحقيق الدكتور
محمود مصطفى حلاوي
مؤسسة الرسالة
الغزالي:
منهاج العابدين
تحقيق
محمود مصطفى حلاوي
مؤسسة الرسالة


مِنْهَاجُ العَابِدِينَ
إلى جنة ربّ العالمين

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م



مؤسسة الرسالة بيروت – شارع سوريا – بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ – ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

مِنْهَاجُ العَابِدِين

إلى جَنَّةِ رَبِّ العَالَمِين

تأليف
الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

تحقيق الدكتور
محمود مصطفى حلاوي

مؤسسة الرسالة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة التحقيـق

أولاً : الكاتب

ثانياً : الكتاب.

ثالثاً : التَّحقيق.

أولاً : الكاتب : الغَزَالي[1]

الإمام زين الدين، حجَّة الإسلام، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الفقيه الشافعي، أحد الأعلام[2]؛ لم يكن في آخر عصره مثله[3]. صاحب التصانيف والذكاء المفرط[4]؛ كان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه[5].

١ ـ ولادته ونشأته: طوس ـ جرجان: ٤٥٠ هـ ـ ٤٧٣ هـ

ولد الغزالي سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٩ م[6] بالطابَرَان، إحدى مدينتي طوس[7] من أعمال «خراسان»، من والد فقير صالح، كان يشتغل بغزل الصوف، ويحبُّ مجالسة الفقهاء والمتصوِّفة ويشاركهم في حلقاتهم ويتأثر

---

(١) قال الغزالي في بعض مصنفاته: ونسبني قوم إلى الغزَّال، وإنما أنا الغزالي، نسبة إلى قرية يقال لها غزالة بتخفيف الزاي (را. الوافي بالوفيات ١/٢٧٧).

(٢) شذرات الذهب ٤/١٠.

(٣) الوافي بالوفيات ١/٢٧٤، وكذلك وفيات الأعيان ٤/٢١٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٣.

(٥) البداية والنهاية ١٢/١٧٤.

(٦) في رواية أخرى قيل إنه ولد سنة ٤٥١ هـ (را. الوافي بالوفيات ١/٢٧٧).

(٧) معجم البلدان: مادة طابران (مجلد ٤ ص ٣) وفيه: أن طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والأخرى نوقان. وقد خرج من طابران جماعة من العلماء نُسبوا إلى طوس، وقد قيل لبعض من نُسب إليها الطبراني.

بأقوالهم ؛ وكان يتضرَّع إلى الله أن يرزقه ولداً صالحاً مثلهم . ويجعله فقيهاً واعظاً[١] .

لمَّا احتضر والده أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له صوفي صالح ، فعلَّمهما الخطَّ وأدَّبهما[٢]. وبعد أن فني ما خلَّف لهما أبوهما من رزق، وتعذَّر عليهما تحصيل قوتهما، إنتظما في سلك مدرسة، تُعَلِّمُ الفقه وتوفر لتلاميذها القوت[٣] .

اشتغل الغزالي في مبدأ أمره بطوس بالفقه[٤] على أحمد الراذكاني[٥]. ثم ارتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان[٦]، فأقام عنده[٧] إلى أن أخذ عنه التعليقة في الفقه[٨].

بعد ذلك، عاد الغزالي إلى طوس وأقام فيها ثلاث سنوات[٩].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٤ /١٠٢ .

(٢) شذرات الذهب ٤ /١١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٩ /٣٣٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٩ /٣٢٣ وشذرات الذهب ٤ /١١ .

(٥) الوافي بالوفيات ١ /٢٧٤ وكذلك وفيات الأعيان ٤ /٢١٧ .
والراذكاني نسبة إلى راذَكان، وهي بليدة بنواحي طوس. راجع: معجم البلدان مادة: راذكان، (مجلد ٣ ص ١٣).

(٦) شذرات الذهب ٤ /١١ .

(٧) انتقل الغزالي إلى جرجان وهو دون العشرين، ولا نعلم كم بقي فيها يدرس الفقه على أستاذه أبي نصر الإسماعيلي. (راجع: الغزالي، تيسير شيخ الأرض ص ٧).

(٨) سير أعلام النبلاء ١٩ /٣٣٥، والتعليقة كما ذكر الغزالي هي «كتب هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها». راجع خبر هذه التعليقة وما جرى للغزالي مع اللصوص الذين سطوا عليها في طريق عودته من جرجان إلى طوس في كتاب طبقات الشافعية الكبرى للسُّبكي.

(٩) الغزالي، تيسير شيخ الأرض ص ٧.

٢ ـ ملازمته إمام الحرمين: نيسابور: ٤٧٣ هـ ـ ٤٧٨ هـ

رغب الغزالي في زيادة تحصيله العلمي، فارتحل إلى إمام الحرمين بنيسابور أبي المعالي الجويني[١]، واشتغل عليه، وجدَّ في التحصيل حتى تخرَّج في مدَّة قريبة[٢] وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه[٣]، فكان أنظر أهل زمانه؛ وجلس للإقراء في حياة إمامه[٤] بعد أن برع في الفقه، ومهر في الكلام والجدل[٥]. وشرع في التصنيف في ذلك الوقت[٦]، وكان أستاذه يتبجَّح به[٧]؛ ولم يزل ملازماً له إلى حين وفاته[٨] عام ٤٧٨ هـ[٩].

والملاحظ أن الغزالي لم يدرس على أستاذ غير الإمام الجويني فيما بعد[١٠]؛ كذلك فإن أثر أستاذه الجويني كان قوياً إلى حدٍّ كبير، حتى يمكننا أن نعدَّه أثراً حاسماً في تطور الغزالي الفكري[١١].

٣ ـ إقامته عند نظام الملك: العسكر: ٤٧٨ هـ ـ ٤٨٤ هـ

لمَّا مات إمامه، خرج من نيسابور إلى العسكر[١٢] ـ المخيّم

(١) شذرات الذهب ٤/ ١١.

(٢) الوافي بالوفيات ١/ ٢٧٤.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٢١٧.

(٤) شذرات الذهب ٤/ ١١.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٣.

(٦) الوافي بالوفيات ١/ ٢٧٤، وشذرات الذهب ٤/ ١١، ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٧ وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٣.

(٧) وفيات الأعيان ٤/ ٢١٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٣.

(٨) الوافي بالوفيات ١/ ٢٧٤، وفيات الأعيان ٤/ ٢١٧.

(٩) راجع ترجمة الإمام الجويني وأخباره في ملحق تراجم الأعلام ضمن ملاحق هذا الكتاب.

(١٠) العقل في الإسلام، كريم عزقول، ص ٣٨.

(١١) الغزالي، تيسير شيخ الأرض ص ٨.

(١٢) عسكر نيسابور: المدينة المشهورة بخراسان، فيها محلّة تسمّى العسكر. والعسكر

السلطاني[1] - ولقي الوزير نظام الملك[2]. وكان مجلسه محطَّ رحال العلماء ومقصد الأئمة والفصحاء؛ فوقع للغزالي أمور تقتضي علوّ شأنه، من ملاقاة الأئمة ومناظرة الفحول ومناطحة الكبار[3]، وجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدّة مجالس[4]، وكان ذلك بحضرة نظام الملك[5]، فظهر الغزالي عليهم[6]، وانبهر له الوزير[7]، فأقبل عليه وحلَّ منه محلاً عظيماً، فعظمت منزلته وطار اسمه في الآفاق[8]، وسار بذكره الركبان[9]، فولّاه نظام الملك التدريس في نِظاميَّة بغداد سنة أربع وثمانين وأربعمائة[10]، وله أربع وثلاثون سنة[11].

٤ ـ التدريس في المدرسة النظامية: بغداد: ٤٨٤ هـ ـ ٤٨٨ هـ

قَدِمَ الغزالي مدينة بغداد للتدريس في نظاميتها، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة[12]، فأُعجب به أهل العراق

= مجتمع الجيش حين يأتي لدخول مدينة يعسكر خارجها أحياناً، أو بعد أن يفتحها يعسكر الجيش خارجها في ناحية من نواحيها، ومع مرور الزمن يصبح العسكر هذا مدينة أو بلدة أو محلَّة تابعة لمدينة. راجع: معجم البلدان، مادة عسكر، (المجلد الرابع ص ١٢٤).

(١) هكذا سمَّاه الذهبي، راجع: سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٣.

(٢) وفيات الأعيان ٤/٢١٧، والوافي بالوفيات ١/٢٧٥.

(٣) شذرات الذهب ٤/١١ ـ ١٢.

(٤) وفيات الأعيان ٤/٢١٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٣.

(٦) وفيات الأعيان ٤/٢١٧، والوافي بالوفيات ١/٢٧٥.

(٧) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٣.

(٨) شذرات الذهب ٤/١٢.

(٩) وفيات الأعيان ٤/٢١٧، والوافي بالوفيات ١/٢٧٥.

(١٠) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٣، وشذرات الذهب ٤/١٢.

(١١) البداية والنهاية ١٢/١٧٤، سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٩.

(١٢) وفيات الأعيان ٤/٢١٧.

وارتفعت عندهم منزلته[1]، ونفذت كلمته وعظمت حشمته[2]، حتى غلبت على حشمة الأمراء والوزراء، وضُرِبَ به المثل، وشُدَّت إليه الرحال[3]، وحضر عنده رؤوس العلماء فتعجبوا من فصاحته واطلاعه[4]، وقال القاضي أبو بكر بن العربي: رأيته ببغداد يحضر مجلسَ درسِه نحو أربعمائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم، يأخذون عنه العلم[5].

وكانت هذه الفترة من حياته فترة إنتاج خصب، فقد أخذ في تأليف الكتب في الأصول والفقه والكلام والحكمة[6].

٥ ـ تزهُّده وانقطاعه عن التدريس: دمشق ـ مكة: ٤٨٨ هـ ـ ٤٩٠ هـ

في ذي القعدة، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة[7]، شرفت نفس أبي حامد عن رذائل الدنيا فرفضها واطَّرحها وأقبل على العبادة والسياحة[8]، وسلك طريق الزهد والانقطاع عن الناس[9]، تاركاً جميع ما كان عليه في بغداد من شهرة وصيت ومركز، مظهراً العزم على الخروج لمكة لأداء فريضة الحجِّ؛ فتوجَّه إلى الشام واعتكف في زاوية بالمسجد الأموي، وظل في دمشق حتى ذي القعدة عام ٤٩٠ هـ[10]، حيث قصد الحج وزيارة رسول الله ﷺ[11].

---

(١) الوافي بالوفيات ١/٢٧٥.
(٢) شذرات الذهب ٤/١٢، والوافي بالوفيات ١/٢٧٥.
(٣) شذرات الذهب ٤/١٢.
(٤) البداية والنهاية ١٢/١٧٤.
(٥) شذرات الذهب ٤/١٣.
(٦) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٩.
(٧) وفيات الأعيان ٤/٢١٧، والوافي بالوفيات ١/٢٧٥.
(٨) شذرات الذهب ٤/١٢.
(٩) وفيات الأعيان ٤/٢١٧، والوافي بالوفيات ١/٢٧٥.
(١٠) طبقات الشافعية الكبرى ٤/١٠٤، والمنقذ من الضلال ص ١٣٠.
(١١) المنقذ من الضلال ص ١٣٠، سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٠.

٦ ـ اشتغاله بالعبادة وإيثاره للعزلة: دمشق: ٤٩٠ هـ ـ ٤٩٨ هـ

لمَّا رجع الغـزالي من أداء فريضـة الحج تـوجَّه إلى الشـام وأقام في مدينة دمشق يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه[١] وقد عرفت هذه الزاوية آنذاك به[٢]. وفي هذه الأثناء صنَّف كتباً عديدة يقال إن «الإحياء» منها[٣].

ويذكر العلماء الذين ترجموا للغزالي، أنَّ مدة إقامته في دمشق كانت عشر سنين[٤]، وهي تشمل زيارته الأولى لها بعد انقطاعه عن التدريس، ثم إقامته فيها بعد رجوعه من الحج[٥].

٧ ـ السياحة والاجتهاد في العبادة: بيت المقدس ـ مصر: ٤٩٨ هـ ـ ٥٠٠ هـ

تـوجَّه أبـو حامـد من دمشق إلى بيت المقدس، واجتهـد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظَّمة[٦]، فقد جاور بالقدس[٧]، ويروي أنه كان يدخل كل يوم الصخرة ويغلق بابها على نفسه. كذلك توجَّه إلى الخليل لزيارة مقام إبراهيم عليه السلام[٨]. .

ثم قصد مصر، وأقام مدَّة بالإسكندريَّة[٩]، ولعلَّه أراد زيارة مساجد مصر وأضرحة الأولياء فيها.

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٢١٧، والوافي بالوفيات ١/٢٧٥.
(٢) الوافي بالوفيات ١/٢٧٥.
(٣) شذرات الذهب ٤/١٢، البداية والنهاية ١٢/١٧٤، سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٣.
(٤) شذرات الذهب ٤/١٢، سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٤.
(٥) شذرات الذهب ٤/١٢.
(٦) وفيات الأعيان ٤/٢١٧، الوافي بالوفيات ١/٢٧٥.
(٧) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٠ و٣٣٤.
(٨) المقصد الأسنى ص ٨.
(٩) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٤، شذرات الذهب ٤/١٢، الوافي بالوفيات ١/٢٧٥.

ويقال: إنه عزم منها على ركوب البحر للاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين، صاحب مراكش لما بلغه منه من محبَّة أهل العلم والإقبال عليهم، فبلغه نعي المذكور ـ وكان ذلك عام خمسماية ـ فصرف عزمه عن تلك الناحية، وعاد إلى وطنه بطوس[٧].

٨ ـ العودة إلى الوطن والاشتغال بالعبادة: ٥٠٠ هـ ـ ٥٠٥ هـ

بعد أن بلغه نعي يوسف بن تاشفين عاد إلى وطنه بطوس، وصنَّف بها كتباً نافعة[٢] مفيدة في عدة فنون[٣]؛ وأقبل على العبادة وملازمة التلاوة ونشر العلم وعدم مخالطة الناس[٤].

ثم إن الوزير فخر الملك أبو المظفر علي بن نظام الملك، لما وَزَرَ على خراسان لسنجر حاكمها من قبل أخيه محمد بن ملكشاه، حضر إلى الغزالي والتمس منه القدوم إلى نيسابور والتدريس بنظاميَّتها[٥]. وتشير المصادر إلى أنَّ فخر الملك أَلحَّ عليه كل الإلحاح[٦]، وأن الغزالي أُلزِم بالتدريس في نظامية نيسابور[٧]، وأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات[٨]، لكنه ما لبث أن ترك التدريس فيها وعاد إلى بيته في وطنه.

ولا ندري كم هي المدَّة التي قضاها الغزالي في نيسابور يدرِّس في نظاميتها. لكننا نعلم أن وفاة يوسف بن تاشفين التي جعلته يعود من الإسكندرية إلى طوس، ووفاة فخر الملك الذي ألزمه بالتدريس في نظامية

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٤، الوافي بالوفيات ١/٢٧٥، وفيات الأعيان ٤/٢١٧.
(٢) الوافي بالوفيات ١/٢٧٥.
(٣) وفيات الأعيان ٤/٢١٧.
(٤) شذرات الذهب ٤/١٢.
(٥) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٤.
(٦) شذرات الذهب ٤/١٢.
(٧) وفيات الأعيان ٤/٢١٨، الوافي بالوفيات ١/٢٧٥، البداية والنهاية ١٢/١٧٤.
(٨) وفيات الأعيان ٤/٢١٨.

نيسابور، كانتا في العام ذاته، أي عام خمسماية للهجرة[1]، لذا يمكننا أن نرجِّح أن الغزالي استطاع أن يتخذ وفاة فخر الملك ذريعة لترك المدرسة النظامية، والعودة سريعاً إلى وطنه، والتخلُّص من الإلزام الذي مارسه عليه هذا الوزير.

لهذا لم نعتبر مدة بقائه في نيسابور للتدريس في المدرسة النظامية مرحلة مهمة من حياته يجب الوقوف عندها.

وهكذا عاد الغزالي إلى وطنه بطوس، وعاد إلى ما كان عليه من رغبة في كيفية قضاء أيامه الأخيرة، فأقام بها، واتخذ له داراً حسنة وغرس فيها بستاناً أنيقاً[2]، وابتنى إلى جوار داره خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم، ووزَّع أوقاته على وظائف الخير، من ختم للقرآن ومجالسة أهل القلوب[3]، بحيث لا يمضي لحظة منها إلاّ في طاعة من التلاوة والتدريس، والنظر في الأحاديث، وحفظ الأحاديث الصحاح[4]، وخصوصاً البخاري. ويروي الذهبي[5] أنَّ الغزالي سمع صحيح البخاري من أبي سهل الحفصي، وأنه سمع سنن أبي داود من القاضي أبي الفتح الحاكمي الطوسي، وأن خاتمة أمره كانت إقباله على طلب الحديث ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين.

ولعلَّ السبب في إقباله على طلب الحديث شدَّة نقد العلماء والمحدِّثين له ولكتابه «الإحياء» ففيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات

---

(١) راجع خبر وفاة فخر الملك في البداية والنهاية ١٢/١٦٧.

(٢) البداية والنهاية ١٢/١٧٤.

(٣) البداية والنهاية ١٢/١٧٤، وفيات الأعيان ٤/٢١٨ ـ ٢١٩

(٤) شذرات الذهب ٤/١٢.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٥ ـ ٣٢٦ و ٣٣٤.

وموضوعات[١]، ومن الأحاديث الباطلة جملة[٢]، ومن الواهيات كثير[٣] حتى قال أبو الفرج ابن الجوزي : صنَّف أبو حامد الإحياء، وملأه بالأحاديث الباطلة، ولم يعلم بطلانها[٤] .

ورغم هذا فالأحياء كما ذكر العلماء، من أنفس الكتب وأجملها[٥]، وهو الأعجوبة العظيم الشأن[٦]، وهو غاية في النفاسة[٧]،

قال الذهبي[٨] : ما زال الأئمة يخالف بعضهم بعضاً، ويردُّ هذا على هذا. وما زال العلماء يختلفون ، ويتكلَّم العالم في العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماع فهو مأزور، وإلى الله تُرجعُ الأمور[٩] .

وانتقل أبو حامد الغزالي إلى رحمة ربِّه، يوم الإثنين رابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابَران، وهي قصبة طوس[١٠]، بعد مقاساة لأنواع من القصد والمناوأة من الخصوم والسعي فيه إلى الملوك[١١] .

رحم الله الإمام أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله، ولكن لا ندَّعي عصمته من الغلط والخطأ[١٢] .

---

(١) البداية والنهاية ١٢/ ١٧٤ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٠ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤١ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٢ .
(٥) وفيات الأعيان ٤/ ٢١٧ .
(٦) شذرات الذهب ٤/ ١٣ .
(٧) الوافي بالوفيات ١/ ٢٧٥ .
(٨) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٢ .
(٩) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٧ .
(١٠) وفيات الأعيان ٤/ ٢١٩ .
(١١) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٥ .
(١٢) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٦ .

ثانياً: الكتاب: منهاج العابدين

منهاج العابدين[١]، أو منهاج العابدين إلى الجنَّة[٢]، أو منهاج العابدين إلى جنَّة ربِّ العالمين[٣]، للإمام أبي حامد الغزالي.

والعابد هو القائم بحق العبادة، التي هي ثمرة العلم... واختيار أولي الأبصار... وهي سبيل السعادة ومنهاج الجنَّة[٤].

والنَّهْجُ والمَنْهَجُ والمِنْهاج: الطريق الواضح البيِّن[٥]. وفي التنزيل: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُم شِرْعَةً وَمِنْهاجاً ﴾ (المائدة: ٤٨)، ولعلَّ العلماء أخذوا لفظة «منهاج» الواردة في الآية الكريمة واستعملوها حسب مقتضى الحاجة أو الفن الذي كتبوا فيه. فقد استعملت هذه اللفظة عند كثير من العلماء والمؤلفين في فنون مختلفة؛ وكما يبدو فالمنهاج هو الطريق الواضح البيِّن الذي يجب أن يسلكه طالب فنٍّ من الفنون أو علم من العلوم.

---

(١) كما ورد في المخطوطة (أ) وفي النسخة المطبوعة (هـ).

(٢) كما ورد في آخر المخطوطة (ب): تمَّ منهاج العابدين إلى الجنَّة.

(٣) كما ذكره الكديري في شرحه: سراج السالكين شرح منهاج العابدين إلى جنَّة ربِّ العالمين.

(٤) را. افتتاحية منهاج العابدين.

(٥) را. القاموس المحيط ولسان العرب.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره صاحب كشف الظنون[1]:

فمن كتب الحديث وشرحه: منهاج الابتهاج لشرح مسلم بن الحجاج.

ومن كتب الأصول: المنهاج في الأصول.

ومن كتب الفقه: منهاج الدراية في فروع الحنفية، وكذلك منهاج الطالبين.

ومن كتب البلاغة: منهاج البلاغة.

ومن كتب النحو: منهاج الأدب في التصريف.

ومن كتب التاريخ: منهاج السلوك.

ومن كتب الطب والدواء: منهاج البيان في ما يستعمله الإنسان.

ومن كتب الوعظ: منهاج الواعظين.

ومن كتب التربية الدينية: المنهاج في العبادة، منهاج القاصدين، منهاج العابدين

١ ـ صحة نسبة الكتاب للغزالي:

إن المخطوطات التي بين أيدينا تظهر بوضوح عند ذكر اسم الكتاب ومؤلفه أن صاحب الكتاب هو أبو حامد الغزالي، كذلك نقرأ في الأسطر الأولى من افتتاحية الكتاب ما نصّه: قال الشيخ الفقيه الصالح الزاهد عبد الملك بن عبد الله: أملى عليَّ شيخي ... أبو حامد الغزالي .... هذا الكتاب.

وذكر صاحب كشف الظنون عندما أورد اسم الكتاب[2]، أنه **للغزالي**.

وأورد الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه «مؤلفات الغزالي»[3]،

(١) كشف الظنون ٢/ ١٨٧٠ ـ ١٨٨٠.
(٢) كشف الظنون ٢/ ١٨٧٦.
(٣) مؤلفات الغزالي ص ٢٣٤.

«منهاج العابدين» في القسم الأول من الكتاب، أي ضمن الكتب المقطوع بصحة نسبتها إلى الغزالي، مرتبة حسب تاريخ تأليفها، فكان المنهاج آخر كتاب في هذا القسم.

وذكره فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ قسم التصوف ـ ونسبه إلى أبي حامد الغزالي أيضاً[1]؛ كما ذكره الزركلي في «الأعلام» من بين مؤلفات الغزالي[2].

هذا وقد أُثير كثير من الجدل حول صحة نسبة الكتاب إلى الغزالي؛ والسبب في هذا الجدل هو أن محيي الدين بن عربي في كتابه «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار»[3]. ينسبه إلى أبي الحسن علي المسفِّر السَّبتي[4]، وكان زاهداً مغموراً لقيه ابن عربي بسبتة وقال: أنه مؤلف منهاج العابدين ورسالة النفخ والتسوية، اللذين يُنسبان كلاهما للغزالي، بل والصحيح أنهما ليسا للغزالي بل لأبي الحسن على المسفِّر السبتي.

وأول من أشار إلى هذه الشبهة هو السيد محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، وذلك في كتابه «إتحاف السادة المتَّقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين»، الفصل التاسع عشر، في ذكر مصنفاته ـ أي الغزالي ـ التي سارت بها الركبان؛ الرقم (٧٥) يقول: «ومنها: منهاج العابدين إلى جنَّة ربِّ العالمين، قيل: هو آخر تآليفه، رتَّبه على سبع عقبات.

قلت (والكلام للزبيدي): ولم يذكره السُّبكي في تعداد مصنِّفاته. ورأيت في كتاب المسامرة للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ـ قدَّس الله

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ قسم التصوف ـ الجزء الثاني، ص ٧٨٠ ـ ٧٨٦.

(٢) الأعلام ٧/ ٢٢.

(٣) طبع هذا الكتاب في مجلدين، ونشرته دار اليقظة العربية ـ ١٩٦٨. را. ١/ ٢٢٤.

(٤) نسبة إلى سَبْتَة، بلدة مشهورة من بلاد المغرب، على البحر تقابل جزيرة الأندلس (را. معجم البلدان ٣/ ١٨٢)

سرَّه ـ ما نصَّه: أن الشيخ أبا الحسن علي بن خليل السبتي، كان عالماً بالحقيقة، عارفاً، مخمول الذكر، رأيته بسَبْتَة وتباحثت معه. ورأيت له تصانيف منها: منهاج العابدين الذي يُعزى لأبي حامد وليس له»(١).

ومن هنا، تلقَّف ماسينيون هذه الشبهة وذكرها في كتابه «عذاب الحلاَّج» (ج ٢ ص ٢٠ تعليق ١)، وفي إثره جرى بويج، فشكَّك في صحة نسبة المنهاج إلى الغزالي اعتماداً علىَ ما ذكره ابن عربي.

وعلى عكس هذا نرى جوشه، واسين بلاثيوس، وجاردنر، وباور، كلُّهم يقولون إن الكتاب للغزالي(٢).

ويبدو لنا أن الكتاب صحيح النسبة للغزالي لأسباب عدَّة أهمها:

١ ـ إن الذين ترجموا للغزالي وأشاروا إلى مؤلفاته عزوا هذا الكتاب له.

٢ ـ إن مقدمة الكتاب تشير بوضوح إلى أن مؤلفه الغزالي أملى هذا الكتاب المختصر على تلميذه عبد الملك بن عبد الله، وهو آخر كتاب صنَّفه.

٣ ـ إن الكتاب هو حلقة في سلسلة كتب الغزالي الوعظية التي كان يلقيها على تلاميذه، بل هو واسطة العقد فيها.

٤ ـ إن الإشارات الواردة داخل الكتاب والتي تعيد القارىء إلى مؤلفات سابقة للغزالي تدلُّ بوضوح على صحة نسبة الكتاب.

٥ ـ إن الأحاديث النبوية الواردة داخل الكتاب هي في معظمها من ضمن مجموعة الأحاديث الواردة في كتاب الأحياء.

٦ ـ إن الرجوع إلى الكلام الذي ساقه ابن عربي في كتابه «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» يُظهر أن هذا الكلام مقحم في سياق نص مأخوذ عن

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين لمرتضى الزبيدي ١/٢٧.
راجع: مؤلفات الغزالي ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥.
(٢) مؤلفات الغزالي ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ في باب المماجنات، يتحدث فيه الجاحظ عن أخبار عنان جارية الناطفي؛ وهذا مما يضعف صحة كلام ابن عربي وصحة نسبته إليه. (را. محاضرة الأبرار ١/٢٢٢).

٧ ـ إن اطلاعنا على القصيدة التي يوردها ابن عربي لأبي الحسن على المسفِّر، والذي يدَّعي نسبة كتاب المنهاج له، يُظهر لنا نزعتها الصوفية الحلولية[1] البعيدة كل البعد عن مضمون المنهاج، الخالي كليًّا من هذه النزعة، والمشتمْل على دعوة لتربية النفس على العبادة والطاعة، وللتغلُّب نوازع النفس الأمَّارة بالسوء.

٨ ـ إن خبر الواحد لا يقف أمام الأخبار العدَّة التي تذكر أن منهاج العابدين هو لأبي حامد الغزالي، وهو آخر ما صنَّفه.

٩ ـ قد يكون لأبي الحسن علي المسفًّر كتاب يحمل العنوان ذاته، وقد ظن ابن عربي عندما رأى كتاب أبي الحسن، أنه هو نفسه الكتاب المنسوب إلى الغزالي، ولعل ابن عربي كان يسمع بكتاب الغزالي دون أن يراه، فلما رأى كتاب أبي الحسن ظنه هو، وقال ما قال.

٢ ـ تاريخ تأليفه وموقعه من كتبه الأخرى:

عاد الغزالي إلى وطنه طوس عام خمسمائة للهجرة، وعاد إلى ما كان عليه من رغبة في كيفية قضاء أيامه الأخيرة، فأقام بها، واتخذ له داراً حسنة،

(١) من هذه القصيدة نختار الأبيات التالية:

قُلْ لإخوانٍ رأوني ميِّتاً	فبكوني إذ رأوني حزنا
لا تظنُّوا الموت موتاً إنَّه	لحياة هي غايات المنا
فاخلعوا الأجساد عن أنفسكم	تبصروا الحق جهاراً بيِّنا
فأنا اليوم أناجي ملأً	وأرى الحق جهاراً علنا
عاكف في اللوح أقرأ وأرى	كل ما كان ويأتي ودنا
ما أرى نفسي إلا أنتُمُ	واعتقادي أنكم أنتم أنا

وابتنى إلى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم، ووزَّع أوقاته على وظائف الخير، من ختم للقرآن، ومجالسة أهل القلوب[1]، بحيث لا يمضي لحظة منها إلَّا في طاعة من التلاوة والتدريس والنظر في الأحاديث، وحفظ الأحاديث الصحاح[2]، وخصوصاً البخاري[3].

في هذه المرحلة الأخيرة من عمر أبي حامد، صنَّف كتابه منهاج العابدين، وأرجّح أن الغزالي صنَّفه في آخر هذه المرحلة أي ما بين عامي ٥٠٤ هـ و ٥٠٥ هـ، وذلك للأسباب التالية:

١ ـ وجود إشارة واضحة صريحة في افتتاحية الكتاب أنه أملاه على تلميذه عبد الملك بن عبد الله، وأنه آخر كتاب صنَّفه، ولم يَسْتَمْلِ منه إلَّا خواص أصحابه.

٢ ـ أن الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب هي في معظمها أحاديث صحيحة وحسنة، فقد خلا الكتاب من تلك الأحاديث الموضوعة أو الباطلة أو الواهية التي وردت في الإحياء، والتي كانت سبباً أساسياً في مطاعن العلماء عليه[4]. وهذا ما يفسِّر سبب رجوعه إلى كتب الحديث في أيامه الأخيرة للنظر فيها، ولحفظ الأحاديث الصحاح وخصوصاً البخاري كما سبق وأشرنا.

ولا شك أن مثل هذه العملية تحتاج إلى وقت، فإذا عرفنا أنَّه بعد أن عاد عام ٥٠٠ هـ إلى طوس، اضطر للتدريس في نيسابور مدة، ثم رجع بعدها ثانية إلى طوس، ثم عكف على النظر في كتب الحديث وحفظ

---

(١) البداية والنهاية ١٢/١٧٤، وفيات الأعيان ٤/٢١٨ ـ ٢١٩.

(٢) شذرات الذهب ٤/١٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٥ ـ ٣٢٦، و ٣٣٤.

(٤) راجع ما أورده الذهبي من أقوال العلماء كابن الجوزي حول أحاديث الأحياء: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٠ ـ ٣٤٢.

الصحاح وخصوصاً البخاري وكل ذلك احتاج إلى وقت صُرف بعد عام ٥٠٠ هـ . وهذا ما يؤيد ترجيحنا أن الغزالي صنّف كتاب المنهاج في العامين الأخيرين من حياته.

٣ ـ هناك إشارات أخرى أقلُّ أهمية مما ذَكَرْت، لكنها تتفق مع الحالة النفسية الهادئة التى أراد أن يعيشها الغزالى بعيداً عن الصراع مع العلماء ومخاصمتهم والرد على افتراءاتهم ودعاويهم. فبعد أن صنّف في قطع هذه الطريق ـ أي الطريق المؤدي إلى الجنة ـ كتباً كإحياء علوم الدين، والقربة إلى الله تعالى، وأسرار المعاملات، واحتوت على دقائق من العلوم اعتاصت على أفهام العامة، فقدحوا فيها، وخاضوا فيما لم يحسنوه منها[1]، عاد الغزالي إلى نفسه التي هدأت وسكنت فرأى أن الحال ـ الجديدة ـ اقتضت النظر إلى كافة خلق الله تعالى ـ لا إلى جماعة خاصة منهم ـ «فابتهلْتُ إلى من بيده الخلق والأمر، أن يُوَفقني لتصنيف كتاب يقع عليه الإجماع»[2]. وطلب الإجماع دليل طلب الراحة والهدوء لا طلب الصراع والخصومات، وهذه هي حالة في آخر أيام عمره.

٣ ـ مضمون الكتاب وأهميته:

أراد الغزالي من هذا الكتاب شرح كيفية سلوك طريق الآخرة[3]، وذلك بالعبادة التي هي ثمرة العلم وطريق الأتقياء ومنهاج الجنَّة[4]، حتى ينتفع به المبتدىء والمنتهي، والقوي والضعيف[5]، فهو للعامة وليس للخاصة كما هو كتاب القربة إلى الله تعالى أو كتاب أسرار معاملات الدين،

---

(١) افتتاحية منهاج العابدين

(٢) م. س.

(٣) المنهاج: الورقة ٩٧/أ.

(٤) م. س: الورقة ٢/أ.

(٥) م. س: الورقة ٣٤/ب.

الذي لا ينتفع به إلَّا فحول العلماء الراسخون في العلم[1].

لذا يقول الغزالي: «فاقتصرت في هذا الكتاب الشريف على نكت وجيزة اللفظ، غزيرة المعنى، تقنع من تأملها، وتدعه على واضحة من الطريق، إن شاء الله تعالى[2].

ولعلَّ الغزالي تعب في آخر أيامه من الاختلاف مع العلماء والمحدِّثين فأراد أن يكتب كلاماً واضحاً سهلاً مفهوماً لا يعتاص على أحد. يقول: «فابتهلت إلى من بيده الخلق والأمر، أن يوفِّقني لتصنيف كتاب يقع عليه الإجماع[3]، ولا يعترض عليه معترض» .

من هنا تبرز أهمية كتاب منهاج العابدين من بين كتب الغزالي التي ألَّفها في الموضوع ذاته أو في مواضع أخرى.

كذلك فالكتاب يتناول النفس البشرية بالوصف والعلاج مما علق أو يعلق بها من شرور وآثام أو ميل نحوها. فقد «سألت الله أن يُطْلِعَني على سِرِّ معالجة النفس، وأنْ يُصْلِحَني ويُصلحَ بي»[4].

ويظهر الغزالي كرجل عالم بالأخلاق عظيم، قابضٍ على زمام موضوعه تماماً، دقيقٍ إلى الغاية، نفساني ذَرِب، مصنفٍ عجيب في ضروب الأخلاق، يُعرب عن أفكاره بفيضٍ وحرارة تفرضان على قارئه الإعجاب به.

إنه يقرر نظرية معتدلة عن التصوف الإسلامي الذي يُبعد مذهب وحدة الوجود والحلولية وغيرها مما أُخذ على بعض رجال الصوفية.

---

(١) م. س: الورقة ٣٤/ب.
(٢) م. س: الورقة ٤٤/أ.
(٣) م. س: الورقة ٣/أ.
(٤) م. س: الورقة ٤٤/أ.

فالغزالي يمسك التصوف ضمن حدود مرسومة بدقّة وعناية متناهيتين، ويجعل منه مدرسة رائعة لإيمان متواضع وقلب ملؤه النقاوة والصفاء، ينعكسان خلقاً إسلامياً مثالياً.

لم يخرج الغزالي عن جادَّة السنَّة، وإنما رغب في أن يجعل لتعاليمها وأحكامها تأثيراً مباشراً على حياة المسلم، أعظمَ نبلاً وأوثقَ اتصالاً بالقلب، وأن يقرِّب بينها وبين المثل الأعلى الذي يبغيه ويحبِّذه للفرد المسلم.

٤ ـ منهج الغزالي وأسلوبه في هذا الكتاب:

يقرُّ الغزالي أن المنهج الذي اتبعه في هذا الكتاب كان بالهام من الله تعالى، وهو ترتيب فريد لم يذكره في غير هذا الكتاب. يقول: «... وألهمني فيه ترتيباً عجيباً لم أذكره في المصنفات التي تقدَّمت»[(١)].

ثم يبيّن الغزالي هذا الترتيب الذي ألهمه إياه مولاه في طريق العبادة، فرأى أن فيها سبع عقبات هي: عقبة العلم، عقبة التوبة، عقبة العوائق، عقبة العوارض، عقبة البواعث، عقبة القوادح، عقبة الحمد والشكر، وبتمامها يتمُّ كتاب منهاج العابدين إلى الجنة[(٢)].

بعد ذلك يتتبَّع الغزالي هذه العقبات بشرح يقتصر على نكت وجيزة اللفظ، غزيرة المعنى، تقنع من تأملها وتدعه على واضحة من الطريق أن شاء الله[(٣)].

والكلمة عند الغزالي تجري من بين شفتيه من غير أن تجفَّ، لما

---

(١) م. س: الورقة ٣/أ.

(٢) م. س: الورقة ٥/ب. وقد ورد في معجم مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق أن منهاج العابدين يضم سبع عقبات وأربع موتات. والمعروف أن الغزالي لم يتكلم في المنهاج إلا على العقبات السبعة، ولعلَّ الناسخ أو غيره أضاف عبارة الموتات الأربعة هذه. والله أعلم.

(٣) م. س: الورقة ٤٤/أ.

يهبها من حياة وعاطفة صادقة، وتتدفق الكلمات والعبارات بغزارة لا تنافي الرقة واللطافة وسرعة الانسياب والتأثير في القلوب والنفوس.

٥ ـ مخطوطات الكتاب:

يورد الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه «مؤلفات الغزالي» أماكن وجود مخطوطات منهاج العابدين وأرقامها في مكتبات العالم؛ ولا نبالغ إذا قلنا أن مخطوطات هذا الكتاب تكاد تكون موجودة في معظم المكتبات العالمية المشهورة. ونودُّ أن نضيف إلى ما ذكره الدكتور بدوي أن هناك نسختين من المنهاج في صنعاء باليمن (ـ فهرست مخطوطات مكتبة الجامع الكبير ـ صنعاء):

ـ **النسخة الأولى**: أولها: حدثني الشيخ الفقيه الصالح الزاهد... وآخرها: كل خير وامة، وهي مرآة تريك الحسنات والسيئات.

الخط نسخي جيد، عدد أوراقها ٨١ ورقة، عدد الأسطر في الورقة ٢٥ سطراً، قياسها ٣٢ × ٢١. والملاحظ أنها تبدأ بحدثني وليس بأملي كغيرها من المخطوطات التي بين أيدينا ولعلّها ناقصة من آخرها. ورقم هذه النسخة (٤١٢).

ـ **النسخة الثانية**: خطها نسخي معتاد، وتاريخ نسخها هو محرّم ١٠٢٠ هـ. أوراقها ١٣٨، في الورقة الواحدة ١٧ سطراً وقياسها ٢٠ × ١٥، وقد كتبت بمصوّع، وهي من وقف محمد بن الحسن، ورقمها (٢٠٣٤).

أما النسخ التي استطعت الحصول عليها أو على صورة لها فهي:

أ ـ نسخه دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم: ٥٨٧٤ تصوُّف.

أوَّلها: الحمد لله الملك الحكيم، الجواد الكريم، العزيز الرحيم.... اعلموا إخواني أسعدكم الله وإيَّانا بمرضاته أن العبادة ثمرة العلم...

آخرها: فهذا ما أردنا أن نذكره في شرح كيفية سلوك طريق الآخرة، وقد وفَّينا بالمقصود، وصلَّى الله على خير مولود دعا إلى أفضل معبود، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

مواصفاتها:

الخط نسخي واضح، الحبر أسود، وبعض الكلمات بالأحمر. عدد أوراقها سبع وتسعون ورقة، في كل صفحة تسعة عشر سطراً، وعدد كلمات السطر الواحد ما بين ١٢ ـ ١٥ كلمة تقريباً.

قياس الورقة: ١٧,٥ × ١٣,٥ سم مع هامش ٣ سم. والنسخة مراجعة ومقابلة، وفي هوامشها تصويبات وتوضيحات. وفي آخرها ذكر لعدد من المقابلات والمطالعات.

ناسخها: محمد بن سالم الحسباني.

تاريخ النسخ: ١٦ ذي الحجة سنة ٨٧٧ هـ.

وقد رمزت إلى هذه النسخة ب (أ) واعتمدها أصلاً للتحقيق لأسباب عدة أهمها:

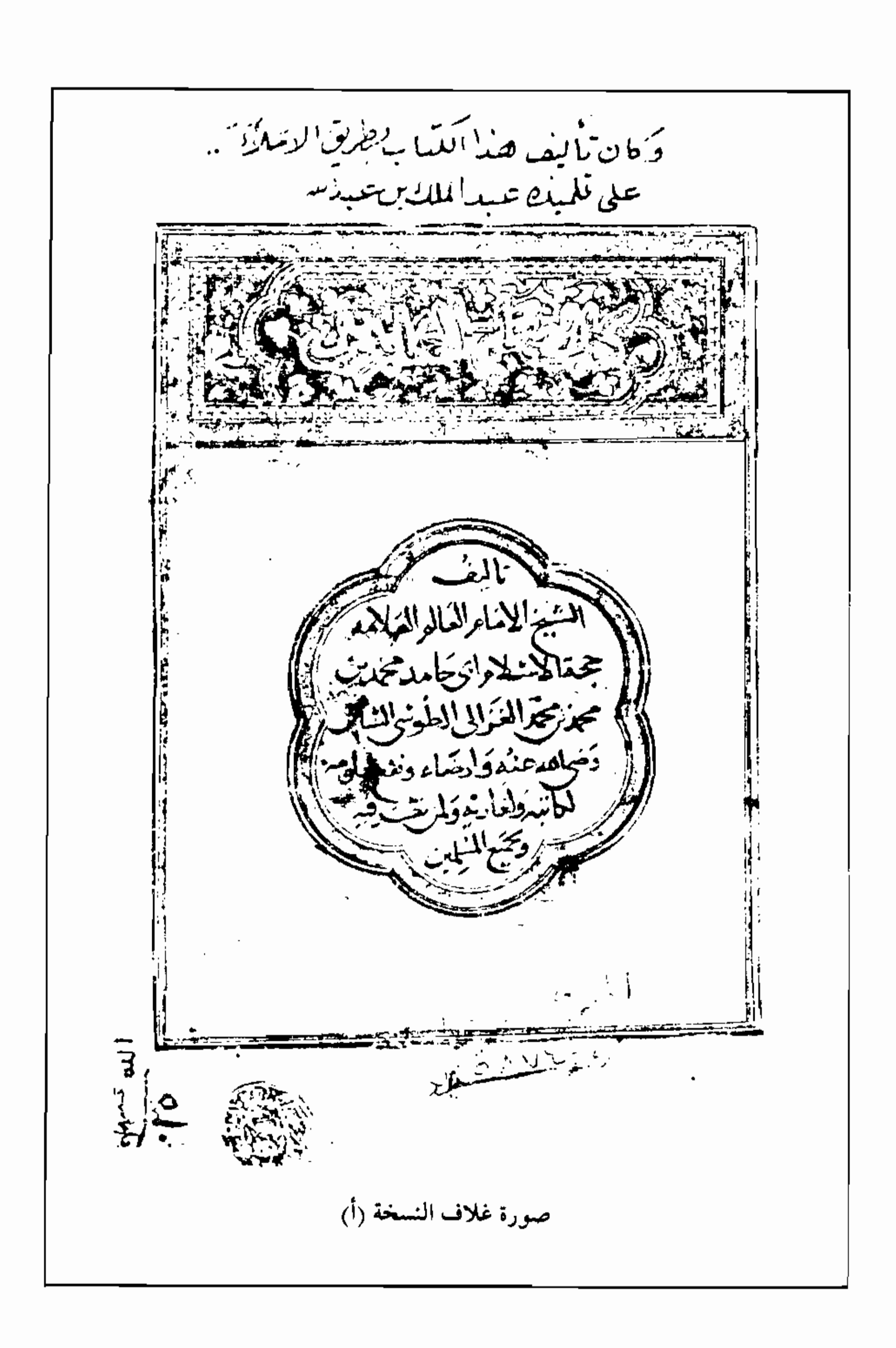
ـ إنها من أقدم النسخ التي بين يدي.
ـ إنها تامة كاملة من بدايتها حتى نهايتها.
ـ أن خطَّها هو أوضح الخطوط.

فحيثما ذكرت عبارة «في الأصل» فإنني أعني هذه النسخة (أ)

ب ـ نسخة ثانية في دار الكتب الظاهرية بدمشق: رقم ٨٢٤٥ تصوف.

أولها: في الدين والحكم، إذ لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة... وهذا يعني أنه سقط من أول هذه النسخة خمس وعشرون ورقة تقريباً تضم افتتاحية الكتاب والعقبة الأولى، والعقبة الثانية، ونصف العقبة الثالثة.

آخرها: كالنسخة السابقة.



وكان تأليف هذا الكتاب بطريق الإملاء..
على تلميذه عبد الملك بن عبد الله

تأليف
الشيخ الإمام العالم العلامة
حجة الإسلام أبي حامد محمد بن
محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي
رضي الله عنه وأرضاه ونفع بعلومه
لكاتبه ولقارئه ولمن نظر فيه
ولجميع المسلمين

صورة غلاف النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله الملك الحكيم ، الجواد الكريم ، العزيز الرحيم ، الذي فطر السموات
والارض بقدرته ، ودبر الامور في الدارين بحكمته ، وما خلق الجن والانس الا لعبادته
فالطريق اليه واضح للقاصدين ، والدليل عليه لائح للناظرين ، ولكن الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين ، والصلاة على محمد سيد المرسلين ،
وعلى اله الابرار الطيبين اجمعين ، وسلم وعظم الى يوم الدين اعلموا اخواني اسعدكم
الله وايانا بمرضاته ان العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبد وبضاعة
الاولياء ، وطريق الاقوياء ، وقسم الاعزة ومقصد ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة
الرجال واختيار اولي الابصار وهي سبيل السعادة ومنهاج الجنة قال الله تبارك
وتعالى وانا ربكم فاعبدون وقال تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم
مشكورا ثم انا نظرنا فيها وتاملنا طريقها من مباديها الى مقاصدها التي هي اماني
سالكيها فاذا هو طريق وعر وسبيل صعب كثير العقبات شديد المشقات
بعيد المسافات عظيم الافات كثير العوائق والموانع خفي المهالك والمقاطع
غزير الاعداء والقطاع عزيز الاشياع والاتباع وهكذا يجب ان يكون
لانه طريق الجنة فيصير هذا تصديقا لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات ، وقال صلى الله عليه وسلم
الا ان الجنة حزن بربوة الا ان النار سهل بسهوة ثم مع ذلك كله فان العبد
ضعيف والزمان صعب وامر الدين متراجع والفراغ قليل والشغل كثير و
العمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر بعيد

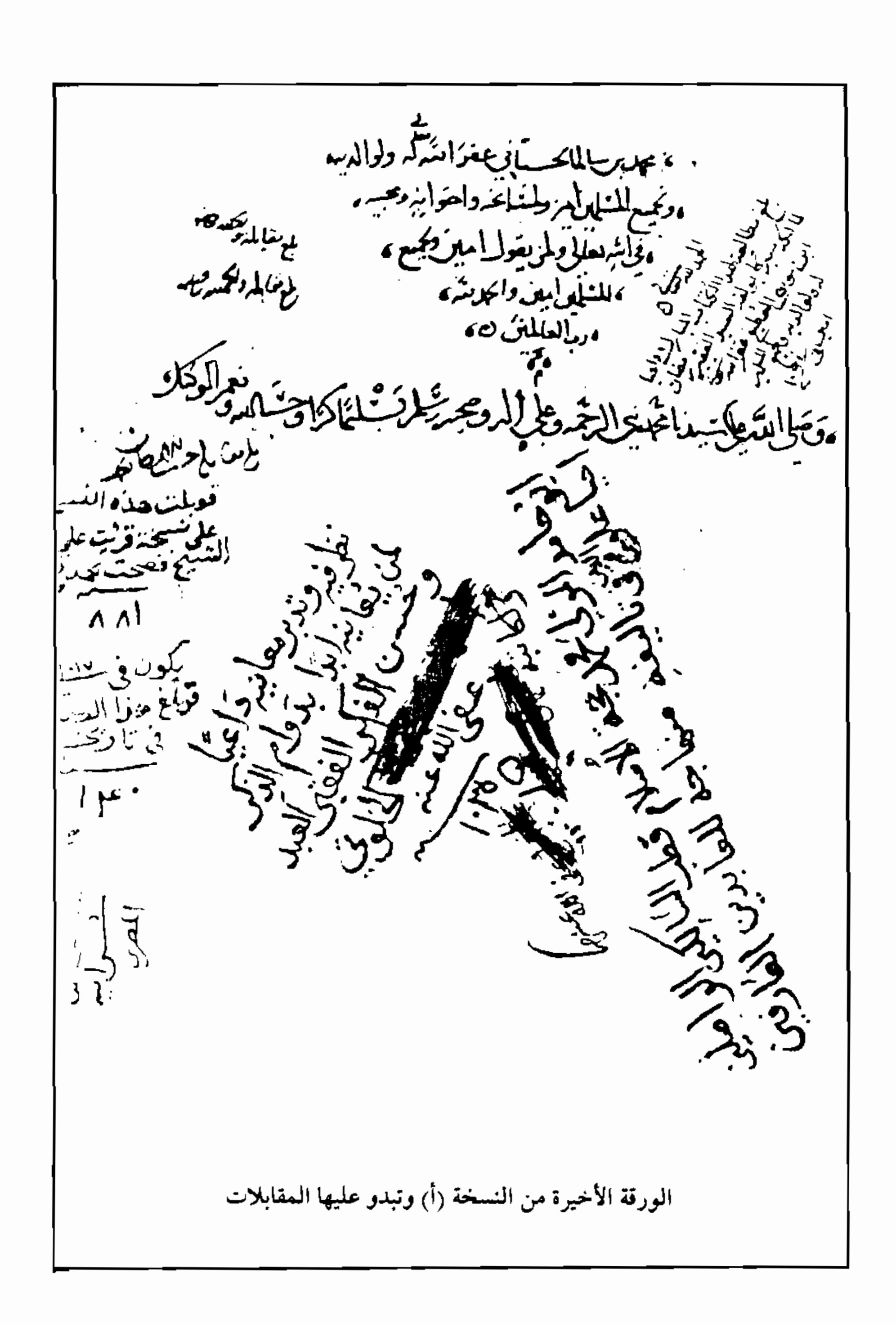
والقطاع

الورقة الأولى من النسخة (أ)

ولا يشرك بعبادة ربه أحدا والرابع من مخلص غير كاتب فلا ينظر إلى معاملاته حال خلائه
مع أصفيائه وأوليائه وخدمه الذين هم بيته ومن طمعه حتى يقول لأكرم الخلق محمد صلى
عليه وسلم ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت الآيات ونحوها حتى حكي أنه
عليه الصلاة والسلام يقول شيبتني هود وأخواتها لما حمله الأمر وتفصيله ما قاله رب
العالمين وأربع آيات من الكتاب العزيز قوله عز وجل أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم
إلينا لا ترجعون ثم قال عز وجل ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير
بما تعملون ثم قال جل من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين
ثم أجمل الكل فقال وهو أصدق القائلين ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني
عن العالمين ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم ونستغفره
من أقوالنا التي لا توافق أعمالنا ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم بدين
الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتزين
في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم معشر
الإخوان بما علمناه عاملين ولوجهه مريدين وأن لا يجعله وبالا علينا
وأن يضعه في ميزان الصالحات إذا ردت أعمالنا إلينا إنه جواد كريم وهذا
ما أردنا أن نذكره في شرح كيفية سلوك طريق الآخرة وقد وفينا بالمقصود وصلى
الله على خير مولود دعا إلى أفضل معبود محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا. تم كتاب منهاج العابدين بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه
في ليلة الخميس سادس عشر من شهر ذي الحجة من سنة سبع وتسعين وثمانمائة
على يد كاتبه لنفسه ولمن شاء الله عز وجل من بعده [illegible] العبد الفقير إلى الله

(هامش: سبلنا)

الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



الورقة الأخيرة من النسخة (أ) وتبدو عليها المقابلات

[illegible] الدين والحكم إذ لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة لخرق الإجماع لما
عليه جمهور الأمة والشرع وزعمهم باطل وضلالة وأما أن يعتزل
[illegible] فليس هذا من ذلك في شيء والثاني: عليكم بالجماعة بأن لا تنقطعوا عن
جملتهم وجماعاتهم ولحوقها فإن فيها قوة الدين وجمال الإسلام وغيظ للكفار
الملحدين ولا تخلوا ذلك من بركات ونظر من الله بالرحمة ولذلك يقول
[illegible] المنفرد أن يشارك الناس في الجموع العامة في الخير وأن يجانبهم
[illegible] والمراجعة في سائر الأمور لما فيها من ضروب الآفات وثالث [illegible]
[illegible] في زمان الفتنة للرجل الضعيف في أمر الدين وإذا [illegible]
[illegible] في أمر دينه إذا رأى زمان الفتنة الذي حذر عنه النبي صلى الله
عليه وسلم الأمة منه وأمرهم بالعزلة فالعزلة أولى لما في المخالطة من الفتن
[illegible] أن ينقطع من جموع الإسلام والجماعات العامة و [illegible]
[illegible] عن الناس مرة فيسكن بما هو جبل أو بطن فلاة لصلاح [illegible]
[illegible] دينه [illegible] ولا أرى مثل هذا الرجل إنما كان إلا ومكنه الله [illegible]
[illegible] والجماعات والجمعات وسائر جموع الإسلام من الله بمكان وإن
[illegible] فهذه وأكثر ما سمعنا من حال الأبدال أنهم يحضرون جموع
الإسلام أينما كانت ويسيرون من الأرض حيث شاؤوا وأن الأرض
[illegible] واحدة وفي الأخبار تطوى لهم وينادون بالمحبات ويتحفون
بأنواع البر والكرامات فهنيئاً لهم بما ظفروا به وأحسن الله عز وجل
[illegible] النظر في خلاص نفسه وأعان الطالب الذي لم يصل إلى المقصود
[illegible] لنا ولقد عرض لي في صفة حالي أبيات من الشعر في حالة
[illegible] الطالبون واتصل الوصل وفاز الأحباب بالأحباب

بداية النسخة (ب) ويلاحظ أنها ليست الورقة الأولى من الكتاب

جاهد [illegible]

القائلين ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني حميد والحمد

نستغفر الله من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم ونستغفره

من أقوالنا التي لا توافق أعمالنا ونستغفره مما ادعينا وأظهرناه

من العلم بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل ذنب

وخطرة دعتنا إلى التصنع والتزين في كتاب سطرناه أو كلام

نظمناه أو علم أفدناه ونسأله أن يجعلنا وإياكم معشر الإخوان

بما علمنا عاملين ولوجهه مريدين وأن لا يجعله وبالاً علينا

وأن يضعه في موازين الصالحات إذا ردت أعمالنا إلينا إنه

جواد كريم [illegible] ما أردنا ذكره في شرح لبغية سلوك طريق

الآخرة ودرك بغية المقصود وصلى الله على خير مولود دعا

إلى أفضل معبود محمد النبي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا إلى

يوم الدين تم كتاب منهاج العابدين إلى الجنة والحمد لله

وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين ورضي الله

عن الصحابة أجمعين وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تحرر في تاريخ يوم الخميس

المبارك خامس عشر من جمادى الأولى عام اثنين وأربعين

[illegible] أحسن الله تعالى ختامها على يد العبد الفقير

المعترف بالتقصير الراجي عفو ربه القدير أحمد بن [illegible]

علي الحلبي غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه ولمن دعا له

بالمغفرة والرحمة ولجميع المسلمين آمين

الورقة الأخيرة من النسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام عبد الملك بن عبد الله رضي الله عنه أملى علي شيخي الإمام حجة الإسلام زين الدين أبو حامد محمد بن
محمد بن محمد الغزالي رحمه الله عليه هذا الكتاب وهو آخر كتاب صنفه ولم يستمله منه غير الخواص
من أصحابه وهو هذا الحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم الذي فطر السماوات والأرض
بقدرته ودبر الأمور في الدارين بحكمته وما خلق الجن والإنس إلا لعبادته فالطريق إليه
واضح للقاصدين والدليل لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء و
هو أعلم بالمهتدين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الأبرار الطيبين أجمعين
وسلم وعظم إلى يوم الدين أما بعد فاعلموا إخواننا أسعدكم الله وإيانا بمرضاته أن العبادة ثمرة العلم
وفائدة العمر وحاصل العبد وبضاعة الأولياء وطريق الأقوياء وقسمة الأعزة ومقصد ذوي
الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار أولي الأبصار وهي سبيل السعادة ومنهاج الجنة
قال الله تعالى وأنا ربكم فاعبدون وقال الله تعالى إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا
ثم إنا نظرنا فيها وتأملنا طريقها من مباديها إلى غايات مقاصدها التي هي أماني سالكيها فإذا هي
طريق عسر ومكان وعر سبيل صعب كثيرة العقبات شديدة المشقات بعيدة المسافات
عظيمة الآفات كثيرة العوائق والموانع خفية المهالك والمقاطع غزيرة الأعداء والقطاع
عزيزة الأشياع والأتباع وهكذا يجب أن تكون لأنها طريق الجنة فيصير هذا تصديقا
لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الجنة حفت بالمكاره وإن النار حفت بالشهوات وقال
رسول الله ألا وإن الجنة حزن بربوة ألا وإن النار سهل بسهوة ثم مع ذلك كله فإن العبد ضعيف
والزمان صعب وأمر الدين متراجع والفراغ قليل والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل تقصير

الورقة الأولى من النسخة (ج)

ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ونحن نستغفر الله رب العالمين
من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم ونستغفره من أقوالنا التي لا توافق أعمالنا
ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره
من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتزين في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه
ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم معشر الإخوان بما علمناه عاملين ولوجهه به مريدين
ولا يجعله وبالا علينا وأن يضعه في ميزان الصالحات إذا ردت أعمالنا إلينا
إنه جواد كريم هذا ما أردنا ذكره في شرح كيفية سلوك الآخرة وقد وفينا بالمقصود
وصلى الله على خير مولود ودعا إلى أفضل معبود محمد النبي وعلى آله وأصحابه
وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين بلغ الرسالة وأوضح الدلالة وعبد ربه
حتى أتاه اليقين. وهو حسبنا ونعم الوكيل . ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم ... تم هذا الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
في يوم الخميس في صفر الخير المظفر ١١٤٢ سنة اثنين وأربعين
ومائة بعد الألف من هجرة النبوية من يد عثمان بن محمد
غفر الله له ولوالديه ولأستاذي
بحرمة الأنبياء والأولياء
والشهداء وعباده
الصالحين

الورقة الأخيرة من النسخة (ج)

مواصفاتهـا:

الخط نسخ معتاد، لكنه أقل إتقاناً من خط النسخـة السابقـة، الحبر أسود، وبعض الكلمات بالأحمر.

عدد أوراقها خمس وتسعون ورقة، والترقيم فيها متسلسـل من الرقم واحد إلى آخر المخطوطة، وهذا يعني أن الذي رقَّمها ليس ناسخها.

في كل ورقة منها واحد وعشرون سطراً، وعدد كلمات السطر الواحد ما بين ٩ ـ ١٢ كلمة تقريباً.

قيـاس الورقـة: ٢٣,٥ × ١٥,٥ سم مـع هـامش ١,٥ سم تقـريبـاً والنسخة مراجعة، وفي هوامشها بعض التصويبات.

ويلاحظ أنَّ الورقـة الأولى أُقحِمَت فيها، وتعـود إلى شرح مختصـر للرسالة المسمَّاة بذخيرة السلامة، وضعه حسين بن الشيـخ طعمة البيتمـاني الشافعي الدمشقي؛ وهو من وقف نقيب السادة الأشراف في الشام محمـد سعيد آل حمزة.

ناسخها: أحمد بن علي الحلبي.

تاريخ النسخ: ١٥ جمادي الأولى سنة ٨٤٢ هـ.

وقد رمزت إلى هذه النسخة بـ (ب)، ولم أعتمدها أصلاً لعملي مع أنها أقدم من النسخة الأولى، وذلك للنقص الواقع في أولها، لكنني اعتبرت نصَّها مرجِّحاً إذا اختلفت النُّسخ ولم يكن في النسخة الأصلية مـا يساعـد على الترجيح.

جـ ـ نسخة قونية (بتملُّك المحقق)

هذه النسخة كنت قد اشتريتها من دكان صغير يبيع الكتب القـديمة في أحـد أسواق قـونية وذلـك عام ١٩٧١، وهي ضمن مجمـوع مخـطوط يشتمـل: إضافـة إلى منهاج العـابدين، كتـاب الكشف والتبيين، وتفاسيـر

مجموعة من سور القرآن الكريم .

أولها: قال الشيخ الإمام عبد الملك بن عبد الله ، أملى علي شيخي الإمام حجة الإسلام، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمة الله عليه هذا الكتاب، وهو آخر كتاب صنَّفه . . . . وهو هذا، الحمد لله الملك الحكيم، الجواد الكريم، العزيز الرحيم . . .

آخرها: فهذا ما أردنا ذكره في شرح كيفية سلوك الآخرة ، وقد وفَّينا بالمقصود، وصلى الله على خير مولود، ودعاء إلى أفضل مبعوث محمد النبِّي ، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

مواصفاتها: الخط نسخي جيد، والحبر أسود .

عدد أوراقها تسع وثمانون ورقة، في كل ورقة منها واحد وعشرون سطراً، وعدد كلمات السطر الواحد ما بين ١٢ ـ ١٥ كلمة تقريباً .

قياس الورقة ١٠ × ١٦ سم مع هامش ٢ سم تقريباً .

النسخة مراجعة، وفي الهوامش تصويبات .

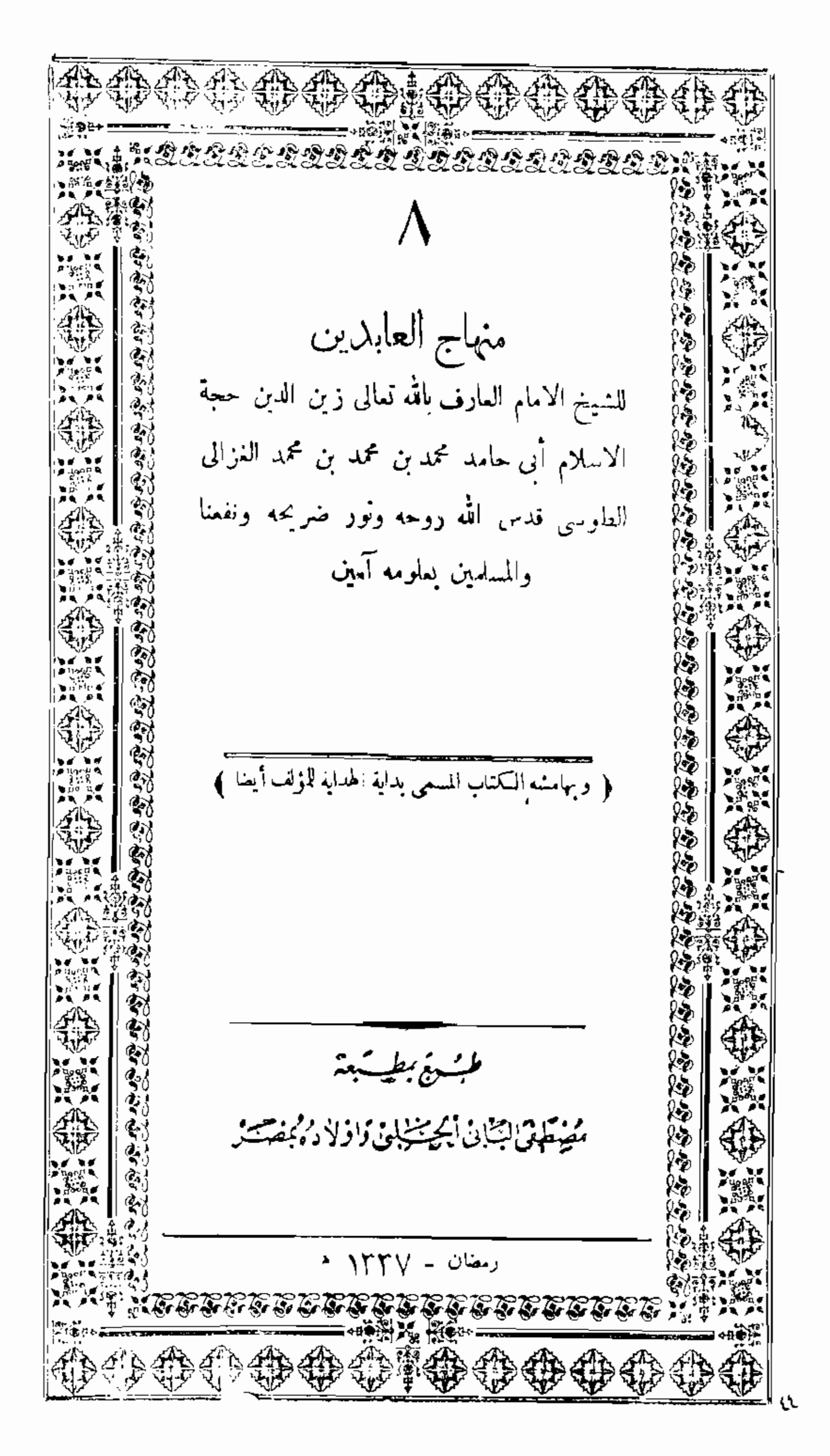
ناسخها: عثمان بن محمد، وهو مالكها أيضاً .

تاريخ النسخ: صفر ١١٤٢ هـ .

وقد رمزت إلى هذه المخطوطة بـ (ج)

٦ ـ طبعات الكتاب :

طبع كتاب منهاج العابدين أول مرة في القاهرة عام ١٢٨٨ هـ، ثم طبع ثانية عام ١٢٩١ هـ ثم ثالثة ١٣٠٥ هـ، وفي هذه الطبعات ظهر الكتاب منفرداً. وبعد ذلك أعيد طبع الكتاب وبهامشه بداية الهداية الذي هو للغزالي أيضاً، أو المنهاج بهامش البداية وذلك من عام ١٣٠٦ هـ حتى عام ١٣٥١ هـ، وذلك بمطبعة البابي الحلبي بمصر .



٨

منهاج العابدين

للشيخ الامام العارف بالله تعالى زين الدين حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى قدس الله روحه ونور ضريحه ونفعنا والمسلمين بعلومه آمين

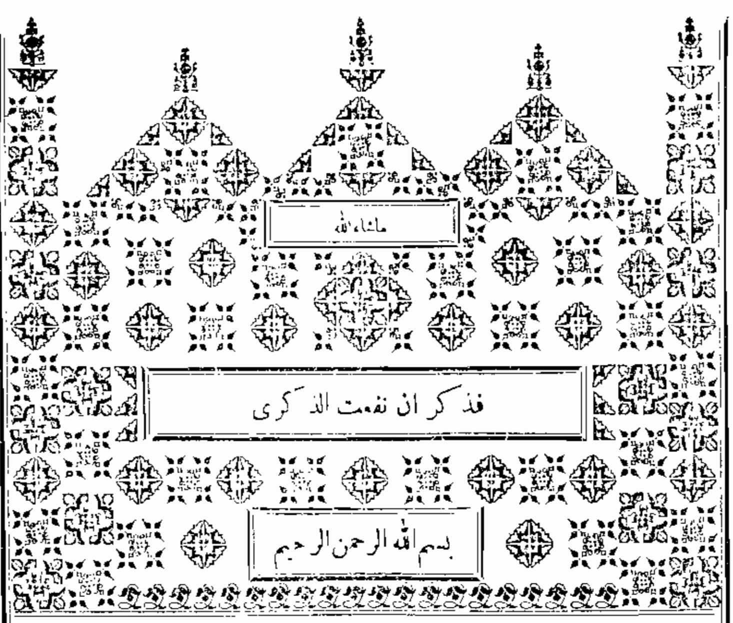
(وبهامشه الكتاب المسمى بداية الهداية للمؤلف أيضا)

طبع بمطبعة

مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

رمضان - ١٣٣٧ هـ

صورة غلاف النسخة المطبوعة



قال الشيخ الفقيه الصالح الزاهد عبد الملك بن عبد الله غفر الله له أملى على شيخي الأجل الامام الزاهد السعيد الموفق حجة الاسلام زين الدين شرف الامة أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدس الله روحه ورفع الله في الجنة درجته هذا الكتاب المختصر وهو آخر كتاب صنفه ولم يستمله منه الا خواص أصحابه وهو (الحمد لله) الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم الذي خلق الانسان في أحسن تقويم وفطر السموات والارض بقدرته ودبر الامور في الدارين بحكمته وما خلق الجن والانس الا لعبادته فالطريق اليه واضح للقاصدين والدليل عليه لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين والصلاة على سيد المرسلين وعلى آله الابرار الطيبين الطاهرين وسلم وعظم الى يوم الدين (اعلموا اخواني أسعدكم الله واياي بمرضاته) أن العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبيد الاقوياء وبضاعة الاولياء وطريق الاتقياء وقسمة الاعزة ومقصد ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار أولي الابصار وهي سبيل السعادة ومنهاج الجنة قال الله تعالى وأنا ربكم فاعبدون وقال تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا فيها وتأملنا طريقها من مباديها الى مقاصدها التي هي أماني سالكيها فاذا هي طريق وعر وسبيل صعب كثيرة العقبات شديدة المشقات بعيدة المسافات عظيمة الآفات كثيرة العوائق والموانع خفية المهالك والمقاطع غزيرة الاعداء والقطاع عزيزة الاشياع والاتباع وهكذا يجب أن تكون لانها طريق الجنة فيصير هذا تصديقا لما قاله صلى الله عليه وسلم ألا وان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات وقال صلى الله عليه وسلم ألا وان الجنة حزن بربوة ألا وان النار سهل بسهوة ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف والزمان صعب وأمر الدين متراجع والفراغ قليل والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر بعيد والطاعة هي الزاد فلابد منها وهي فائتة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز وسعد أبد الآبدين ودهر الداهرين ومن فاته ذلك خسر مع

(بسم الله الرحمن الرحيم)
• قال الشيخ الامام العالم العلامة حجة الاسلام وبركة الانام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي الطوسي قدس الله روحه ونور ضريحه آمين • الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه من بعده (أما بعد) فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم المظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش اليه أنك ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الأقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فأنت ساع في هدم دينك وهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك في خسرانك وهو كبائع سيف من قاطع طريق كما قال صلى الله عليه وسلم من أعان على معصية ولو بشطر كلمة كان شريكا له فيها وان كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية فأبشر فان

٤٥

الورقة الأولى من النسخة المطبوعة

وقد استطعت الحصول على إحدى هذه النسخ المطبوعة في مصر عام ١٣٣٧ هـ ورمزت إليها بـ (هـ). وعدد صفحات هذه النسخة خمس وتسعون صفحة.

٧ ـ شروح الكتاب ومختصره:

ذكر صاحب كشف الظنون[١]، أن شمس الدين البلاطنسي شرح المنهاج شرحين كبيراً وصغيراً؛ ثم اختصر المنهاج في جزء وسمَّاه بغية الطالبين، أوَّله: الحمد لله الذي وفَّق من شاء من عباده.

ويذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي في «مؤلفات الغزالي» (٢٣٦) أن البلطنسي توفي حوالي ٨٥٠ هـ/١٤٤٦ ، ومن مختصره مخطوط في برلين برقم ٣٢٦٧. وأن هناك شرحاً آخر لمصطفى البكري، منه مخطوط في برلين برقم ٣٢٦٩، وشرحاً لعبد الوهاب الشعراني سمَّاه مقاصد منهاج العابدين منه مخطوط في بنكيبور بالهند .

كذلك شرح المنهاج الشيخ إحسان بن محمد دحلان الجمفسي الكديري، أوله: هذا شرح وجيز منيف، وتحرير رائق شريف، على كتاب منهاج العابدين إلى جنَّة ربّ العالمين. . . سمَّيته: سراج الطالبين على منهاج العابدين إلى جنَّة ربِّ العالمين[٢].

وقد طبعته ونشرته شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م في جزأين: الأول: ٥٤٤ صفحة والثاني: ٥٥٤ صفحة أي ما مجموعة ١١٠٠ صفحة تقريباً.

ومع أهمية هذا الشرح إلَّا أنه شرح مفصَّل يبعد القارىء عن جمال النص وعمق تأثيره ويدخله في شروحات مستفيضة أحياناً، يمكن الاستغناء

---

(١) كشف الظنون ٢/١٨٧٦.

(٢) يذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي أن سراج السالكين لمحمد بن عبد الحق بن شاه محمد وأنه طبع بمصر سنة ١٣٣١ هـ وأن للزيني دحلان كتاب تنبيه الغافلين ولعلَّه =

عنها. وقد استعنت بهذا الشرح في عملي ورمزت إليه بحرف (د).

٨ ـ ترجمة الكتاب:

تُرجم منهاج العابدين إلى اللغتين التركية والفارسية حسب ما تشير المصادر التي بين أيدينا. فقد ذكر صاحب كشف الظنون أن إلياس بن عبد الله المعروف بنهاني نقله إلى التركية سنة ٩٢٥ هـ وألحق به مسائل العبادات الخمس[١]. ويذكر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق[٢]، ترجمة أخرى للمنهاج إلى التركية قام بها عناني المتوفي سنة ٩٢٥ هـ، منها نسخ في جوتا ٧٧، وأيا صوفيا ١٧٢٢، وفاتح ٢٨٧٦.

كذلك ترجم المنهاج إلى الفارسية شيخ يوسف يدهه ساكن أيرج، المتوفَّى سنة ٨٣٤ هـ، ومنه نسخ في بنكيبور ١٣٧٩، ليدن ٤/٣١٥، الديوان الهندي ١٨٦٥، الجمعية الآسيوية في البنغال ١١٦٥. كما أن هناك ترجمة فارسية للمنهاج طبعت ببومباي سنة ١٢٩٤ هـ في ١٠٧ صفحات[٣].

= تلخيص منهاج العابدين، طبع بمصر سنة ١٢٩٨ هـ.

(١) كشف الظنون ٢/١٨٧٦، ويذكره الدكتور بدوي ضمن تلخيصات المنهاج لا ضمن ترجماته ويذكر أن منه مخطوط في برلين برقم ٢٣٠٩.

(٢) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ تصوّف ـ ٢/٧٨٦.

(٣) م. س.

ثالثاً: التحقيق

١ ـ النُّسخ المعتمدة: اعتمدت في تحقيق كتاب منهاج العابدين على ثلاث نسخ خطيَّة[1]، ونسختين مطبوعتين[2]، أما النسخ الخطية فهي حسب أهميتها:

أ ـ نسخة خطية موجودة في دار الكتب الظاهرية (مكتبة الأسد) بدمشق، رقمها ٥٨٧٤ تصوّف، تاريخ نسخها عام ٨٧٧ هـ.

ب ـ نسخة خطية ثانية موجودة في دار الكتب الظاهرية (مكتبة الأسد) بدمشق، رقمها ٨٢٤٥ تصوُّف، تاريخ نسخها عام ٨٤٢ هـ.

جـ ـ نسخة خطية ثالثة مصدرها قونية بتركيا، وهي بتملُّك المحقق.

د ـ نسخة مطبوعة ضمن شرح للكتاب باسم: سراج الطالبين شرح منهاج العابدين إلى جنة ربِّ العالمين، للشيخ إحسان بن محمد دحلان الكديري. طبعت عام ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م بمصر في جزأين كبيرين.

هـ ـ نسخة مطبوعة وبهامشها بداية الهداية للمؤلف أيضاً، طبعت

---

(١) راجع ما ذكرناه عند الحديث على مخطوطات الكتاب.

(٢) راجع ما ذكرناه عند الحديث على طبعات الكتاب.

عام ١٣٣٧ هـ بمصر في خمس وتسعين صفحة.

٢ - المنهج المعتمد في التحقيق:

رغبة في إخراج النص إخراجاً علمياً جيداً يسهّل على القارىء مطالعته والاستفادة منه على أفضل وجه، رأينا أنه من المناسب اعتماد المنهج التالي:

أ : تقطيع الكتاب إلى أبواب وفصول تتفق مع مضمونه.

ب : إضافة عناوين في المتن وفي الهوامش حيث تدعو الحاجة.

جـ : شرح المفردات وإيضاح المشكل منها.

د : ضبط أوزان الأبيات الشعرية الواردة مع ذكر بحورها.

هـ : تخريج الآيات القرآنية الواردة.

و : تخريج الأحاديث النبوية وبيان درجة صحتها ومكان ورودها في الكتب الحديثية، مع إعطائها رقماً متسلسلاً من أول الكتاب إلى آخره.

ز : وضع فهرس أبجدي بالأحاديث النبوية الواردة، مرتب حسب بداية الحديث ومكان وروده تسهيلاً للعودة إليه.

حـ : التعريف بالأعلام الواردة أسماؤهم، مع إعطاء نبذة مختصرة عنهم وإرشاد الباحث والراغب في المزيد من المعلومات.

إلى المصادر والمراجع التي ترجمت لهم، وذلك ضمن ترتيب أبجدي.

ط : وضع فهرس أبجدي بالإعلام مع ذكر مكان ورودها في الكتاب. ويشكل هذا الفهرس مع الملحق الخاص بتراجم الاعلام وحدة موضوعية تقدم للباحث خدمة مرجعية مميزة.

ي : وضع فهرس بأسماء الكتب الواردة في متن الكتاب سواء أكانت للمؤلف أو لغيره .

ك : إن ما وضع ضمن هلالين هو زيادة من المحقق أو من النسخ الأخرى .

ل : إن الرقم المتسلسل ١ - ٢ - ٣ - يشير إلى هوامش التحقيق التي أفردت لها ملحقاً خاصاً مرتباً على صفحات الكتاب تسهيلاً للاطلاع عليها .

م : وضع فهرس بالأشعار الواردة مع ذكر قائلها ومكان ورودها وبحورها، مرتب على القوافي .

ن : وضع فهرس بأهم مصادر التحقيق .

وفي الختام، أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيبني على ما وفّقني إليه من خير وصواب، ويغفر لي ما اقترفت يداي من أخطاء، ويلهمني من لديه علماً ورشداً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

د. محمود حلاوي
بيروت في ٢٧ رمضان ١٤٠٨ هـ
الموافق ١٣ أيار ١٩٨٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم
وَحَسْبُنا اللَّهُ ونِعْمَ الوكيل

(إفتـتاحيّة الكتاب)

(قَالَ الشَّيْخُ الفَقِيهُ الصَّالِحُ الزَّاهِدُ ، عَبْدُ الملكِ بْنُ عَبْـدِ اللَّهِ ، غفرَ اللَّهُ لَهُ : أَمْلَى عَلَيَّ شَيْخِي الأَجَلُّ ، الإِمَامُ الزَّاهِدُ ، السَّعِيدُ المُوَفَّقُ ، حُجَّةُ الإِسْلَامِ ، زَيْنُ الدِّينِ ، شَرَفُ الأُمَّةِ ، أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحمدِ بنُ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيُّ الطُّوسِيُّ ، قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ ، وَرَفَـعَ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَتَـهُ ، هٰذَا الْكِتَـابَ المختصَرَ ، وهُـوَ آخِرُ كِتَـابٍ صَنَّفَهُ ولَمْ يَشْتَمِـلْ مِنْـهُ إلا خَـوَاصُّ أَصْحَـابِهِ وَهُـوَ)[أ] الحمدُ لِلَّهِ الْملِكِ الحَكِيمِ ، الجَـوَادِ الكريمِ ، الْعـزِيزِ الـرَّحِيمِ ، الَّذِي (خَلَقَ الإِنْسَـانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم، وَ)[1] فَـطَرَ السَّمٰـوَاتِ والأَرْضَ بِقُدْرَتِهِ ، وَدَبَّـرَ الأُمُورَ[2] في الـدَّارَيْنِ بِحِكْمَتِهِ ، وَمَـا خَلَقَ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِهِ ؛ فَالطَّرِيقُ إِلَيْهِ وَاضِحٌ لِلْقَاصِدِينَ ، وَالـدَّلِيلُ عَلَيْـهِ لَائِحٌ لِلنَّـاظِـرِينَ ، وَلٰكِنَّ اللَّهَ يُضِـلُّ مَن يَشَـاءُ وَيهـدِي مَنْ يَشَـاءُ وَهُـو أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . [٢/أ]

والصَّـلَاةُ عَلَى محمد سَيِّـدِ المُـرْسَلِينَ ، وَعَلَى آلِـهِ الأَبْـرَارِ الـطَّيِّبِينَ أجمعين ، وَسَلَّمْ وَعَظِّمْ إِلى يَوْمِ الدِّينِ .

(أ) المقدّمة من نسخة (د)، وقد خلت نسخـة (أ) منها . وجـاءت في نسخة (ج) مختصرة، وهي تتفق مع ما جاء في (هـ) .

[٣]

آعْلَمُوا إخْواني، أسْعَدَكُمُ اللَّهُ وَإِيَّانَا بِمَرْضَاتِهِ، أَنَّ الْعِبَادَةَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ وَفائِدَةُ الْعُمْرِ ، وَحاصِلُ العبد ، وَبِضَاعَةُ الأَوْلِيَاءِ ، وَطَرِيقُ الأقوياء[١] ، وَقِسْمَةُ[٢] الأَعِزَّةِ ، وَمَقْصِدُ ذَوِي الْهِمَّةِ ، وَشِعَارُ الْكِرَامِ ، وَحِرْفَةُ الرِّجالِ ، وَآخْتِيَارُ أُولِي الأَبْصَارِ ؛ وَهِيَ سَبِيلُ السَّعادَةِ وَمِنْهَاجُ الْجَنَّةِ ؛ قال اللَّهُ تبارك وتَعَالى : ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فاعْبُدُونِ ﴾ . [الأنبياء : ٩٢] وقالَ تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً ﴾ [الإنسان : ٢٢] ثُمَّ إِنَّا نَظَرْنَا فيهَا ، وَتَأَمَّلْنَا طَرِيقَهَا ، مِنْ مَبادِيهَا إلى مَقاصِدِهَا[٣] الَّتِي هِيَ أَمَانِي سَالِكِيهَا ، فَإِذَا هِيَ طَرِيقٌ وَعْرٌ ، وَسَبِيلٌ صَعْبٌ ، كَبِيرَةُ الْعَقَبَاتِ[٤] ، شَدِيدَةُ المَشَقَّاتِ ، بَعِيدَةُ المَسافَاتِ ، عَظِيمَةُ الآفاتِ ، كَثِيرَةُ الْعَوَائِقِ وَالمَوَانِعِ ، خَفِيَّةُ المَهالِكِ[٥] وَالمَقَاطِعِ ، غَزِيرَةُ الأَعْدَاءِ وَالْقُطَّاعِ ، عَزِيزَةُ الأَشْيَاعِ وَالأَتْباعِ ؛ وَهٰكَذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ ، لِأَنَّهَا طَرِيقُ الْجَنَّةِ ، فَيَصِيرُ هٰذَا تَصْدِيقاً لِما قَالَهُ رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ »[أ] وَقَالَ ﷺ : « أَلَا وَإِنَّ الْجَنَّةَ حَزْنٌ بِرُبْوَةٍ ، أَلَا وَإِنَّ النَّارَ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ »[ب] . ثُمَّ مَعَ ذٰلِكَ كُلِّهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ ضَعِيفٌ ، وَالزَّمَانُ صَعْبٌ ، وَأَمْرُ الدِّينِ مُتَرَاجِعٌ ، والمعين[٦] قَلِيلٌ ، وَالشُّغْلُ كَثِيرٌ ، وَالْعُمْرُ قَصِيرٌ ، وَفي الْعَمَلِ تَقْصِيرٌ ، وَالنَّاقِدُ بَصِيرٌ ، وَالأَجَلُ قَرِيبٌ ، وَالسَّفَرُ بَعِيدٌ / وَالطَّاعَةُ هِيَ الزَّادُ فَلَا بُدَّ مِنْهَا ، وَهِيَ فائِتَةٌ فَلَا مَرَدَّ لَهَا ؛ فَمَنْ ظَفِرَ بِهَا فَقَدْ فَازَ وَسَعِدَ أَبَدَ الآبِدِينَ (وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ) ،[٧] وَمَنْ فَاتَهُ ذٰلِكَ فقد خَسِرَ مَعَ الْخَاسِرِينَ ، وَهَلَكَ مَعَ الْهالِكِينَ ؛ فَصَارَ هٰذَا

/ب]

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ١ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٢ .

الْخَطْبُ إذن وَاللَّهِ مُعْضَلاً ، وَالْخَطَرُ عَظِيماً، وَلِذٰلِكَ عَزَّ مَنْ يَقْصِدُ هٰذَا الطَّرِيقَ وَقَلَّ كما قيل : « إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المُساعِدُ »[١] ثُمَّ عَزَّ مِنَ الْقاصِدِينَ مَنْ يَسْلُكُهُ ، ثُمَّ عَزَّ مِنَ السَّالِكِينَ مَنْ يَصِلُ إِلَى المَقْصُودِ وَيَظْفَرُ بِالْمَطْلُوبِ ، وَهُمُ الأعِزَّةُ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَل لِمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، وَسَدَّدَهُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَعِصْمَتِهِ ، ثُمَّ أَوْصَلَهُمْ بِفَضْلِهِ إلى رِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ . فَنَسْأَلُهُ ، جَلَّ ذِكْرُهُ ، أَنْ يَجْعَلَكُمْ وَإِيَّانَا مِنْ أُولئِكَ الْفَائِزِينَ بِرَحْمتِهِ .

نَعَمْ ، وَلَمَّا وَجَدْنَا هٰذِهِ الطَّرِيقَ عَلى هٰذِهِ الصِّفَةِ ، نَظَرْنا فأَمْعَنَّا النَّظَرَ في كَيفيَّةِ قَطْعِهَا ، ومَا يَحْتاجُ إلَيْهِ الْعَبْدُ مِنَ الأُهْبةِ والعُدَّةِ والآلةِ وَالْحِيلةِ مِنْ عِلْمٍ وعمَلٍ ، عَسَى أَنْ يَقْطَعَها بِحُسْنِ تَوْفيقِ اللَّهِ تَعَالى في سَلاَمَةٍ ، وَلا يَنْقَطِعُ[٢] في عَقباتِها المُهْلِكةِ ، فَيَهْلِكَ معَ الهالِكِينَ ، والعياذُ باللَّهِ .

فصنَّفْنا في قَطْعِ هٰذِهِ الطَّرِيقِ وسُلوكِها كُتباً كإحْيَاءِ عُلومِ الدِّينِ و (أسرار المعاملات والغاية القصوى)[٣] والقربةِ إلى اللَّهِ عزّ وجلّ[ج]، وغَيْرِ ذٰلِكَ ، واحْتَوَتْ عَلَى دَقائِقَ مِنَ العلُومِ ، اعْتاصَتْ عَلَى أفْهامِ العَامَّةِ ، فَقَدَحُوا فِيهَا ، وَخَاضُوا فِيما لَمْ يُحْسِنُوهُ مِنْهَا[٤] ، فأَيُّ كلامٍ أفْصَحُ مِنْ كلامِ رَبِّ الْعَالمينَ ، وقَدْ قَالُوا ﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [الفرقان : ٥] ، أَلَمْ تَسْمَعْ إلى قوْلِ زينِ الْعابِدِينَ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ بْنِ عليِّ بن أبي طالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنهم[٥] ، حيث يقول مضمِّناً : [البسيط]

إنِّي لأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرَهُ
كَيْ لا يَرَى الحقَّ ذُو جَهْلٍ فَيَفْتَتِنا
وقَدْ تَقَدَّمَ في هٰذَا أَبُو حَسَنٍ
إلى الْحُسَيْنِ وَأَوصَى قَبلهُ الحَسَنا

(ج) هذه أسماء كتب أربعة ألّفها الغزالي في هذا الموضوع .

يَـا رُبَّ جَـوْهَـرِ عِـلْمٍ لـوْ أُبُـوحُ بـهِ
لَـقِيـلَ لِـي أَنْـتَ مِـمَّـنْ يَـعْـبُـدُ الـوَثَـنَـا
وَلاَسْـتَـحَـلَّ رِجَـالٌ مُـسْـلِمُـونَ دَمِـي
يَـرَوْنَ أَقْـبَـحَ مـا يـأْتُـونَـهُ حَـسَـنَـا

وَٱقْتَضَتِ الحـالُ عِنْـدَ ذَوِي الـدِّينِ النَّـظَرَ إلى كَـافَّـةِ خَلْقِ اللَّهِ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ وَتَرْكِ المُماراةِ ، / فابْتَهَلْتُ إلى مَنْ بِيَدِهِ الخلْقُ وَالأَمْرُ ، أَنْ يُوَفِّقَنِي [٣/أ] لِتَصْنِيفِ كِتَابٍ يَقَعُ عَلَيْهِ الإِجْماعُ ، وَيَحْصُـلُ بِقِرَاءَتِـهِ الانتفَاعُ ، فـأجَابَني لِذٰلِكَ الَّذِي يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعاهُ ، وأَطْلَعَنِي بِفَضْلِهِ عَلَى أَسرَارِ ذٰلِكَ ، وَأَلْهَمني فِيـهِ تَرْتِيبـاً عَجِيباً، لَمْ أَذْكُـرْهُ فِي المُصَنَّفَـاتِ الَّتِي تَقَـدَّمَتْ فِي «أسـرَارِ مُعَامَلاتِ الدِّينِ» ، وهُوَ الَّذِي أَنَا لهُ وَاصِفٌ فأقُولُ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ :[أ]

(أ) إلى هنا تنتهي افتتاحية الكتاب ، ويبدأ التقديم للكتاب والتعريف بعمل المؤلف .

(تقديم)

(الهداية إلى طريق العبادة)

إنَّ أوَّلَ ما يتنبّه الْعَبْدُ لِلعِبَادَةِ وَيَتَحرَّكُ[1] لِسُلُوكِ طَرِيقِهَا بخَطْرَةٍ سَمَاوِيَّةٍ ، وَتَوْفِيقٍ خَاصٍّ إلٰهِيٍّ ، وَهُوَ المَعْنِيُّ بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿ أَفَمَنْ شرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [الزّمر : ٢٣] وإليه أشار صاحبُ الشَّرْعِ ﷺ فقالَ : « **إنَّ النُّورَ إذَا دَخَلَ الْقَلْبَ انْفَسَحَ وَانْشرَحَ** ، فقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِذٰلِكَ مِنْ عَلامَةٍ يُعْرَفُ بِهَا ؟ فقالَ : **نعم ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلودِ ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الموْتِ** »[ب] .

فإذَا خُطِرَ بِقَلْبِ الْعَبْدِ أَوَّلَ كلِّ شَيْءٍ أَنّي أَجِدُني مُنعَّماً بضرُوبٍ مِنَ النعَمِ ، كالحيَاةِ والقُدْرَةِ وَالْعَقْلِ وَالنُّطْقِ وسائرِ المَعانِي الشَّرِيفَةِ وَاللَّذَّاتِ ، ومَا يَنصرِفُ عَنِّي مِنْ ضُرُوبِ المَضَارِّ والآفاتِ ، وَإِنَّ لهٰذِهِ (النِّعَمِ)[2] مُنْعِماً يُطالِبُنِي بِشُكْرِهِ وَخِدْمَتِهِ ، فَإِنْ أغْفَلْتُ ذٰلِكَ فيُزِيلُ عَنِّي نعْمَتَهُ ، وَيُذِيقُنِي بَأْسَهُ ونِقْمَتَهُ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولاً أَيَّدَهُ بالمُعْجِزَاتِ الخارِقَةِ للعَادَاتِ الخارِجَةِ عَنْ مَقْدُورِ الْبشرِ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ لِي رَبّاً جَلَّ ذِكْرُهُ قادِراً عَالِماً حَيّاً (مُرِيداً)[3] مُتكلِّماً ، يَأْمُرُ وينْهَى ، قادِراً عَلَى أنْ يُعاقِبَ إنْ

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٣ .

عَصَيْتُهُ ، وَيُثِيبَ إنْ أَطَعْتُهُ ، عَالِماً بِأَسرَارِي وما يخْتَلِجُ في أَفْكارِي ، وَقَدْ وَعَدَ وَأَوْعَدَ ، وَأَمَرَ بِالْتِزَامِ قَوَانِينِ الشرْعِ ، فيقَعُ في قَلْبِهِ أَنَّهُ ممكِنٌ ، إذْ لَا اسْتِحَالةَ لِذٰلِكَ في العَقْلِ ، بأَوَّلِ الْبَدِيهةِ ، فَيَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ عِنْدَ ذٰلِكَ وَيَفْزَعُ .

فَهَذَا خاطِرُ الْفَزَعِ الَّذِي يُنَبِّهُ الْعَبْدَ وَيُلْزِمُهُ الْحُجَّةَ ، وَيقطَعُ عَنْهُ الْمَعْذِرَةَ ، وَيُزْعِجُهُ إلى النَّظَرِ وَالاِسْتِدْلَالِ ، فَيَهْتَاجُ[1] الْعَبْدُ عِنْدَ ذٰلِكَ، وَيَقْلَقُ وَيَنْظُرُ فِي طَرِيقِ الخَلَاصِ وَحُصُولِ الأَمَانِ لَهُ مِمَّا وَقَعَ بِقَلْبِهِ/ ، أَوْ سَمِعَ [٣/ب] (بِأُذُنِهِ)[2] ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ سَبِيلاً سِوَى النَّظَرِ بِعَقْلِهِ فِي الدَّلَائِلِ ، وَالاسْتِدْلَالِ بالصَّنْعَةِ عَلَى الصَّانِعِ ، لِيَحصلَ لَهُ العِلْمُ وَالْيَقِينُ[3] بِمَا هُوَ الغِيب ، وَيَعلَمَ أَنَّ لهُ رَبًّا كلَّفَهُ وأمَرَهُ وَنَهَاهُ .

عقبات طريق العبادة

فَهَذِهِ[4] **أَوَّلُ عَقَبَةٍ** اسْتَقْبَلَتْهُ في طَرِيقِ العِبَادَةِ ، وَهِيَ **عَقَبَةُ الْعِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ** ، لِيَكُونَ مِنَ الأمرِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، فَيَأْخُذَ في قَطْعِهَا مِنْ غَيْرِ بُدٍّ[5] ، بِحُسْنِ النَّظَرِ في الدَّلَائِلِ ، وَوُفُورِ التَّأَمُّلِ وَالتَّعلُّم ، وَالسُّؤَالِ مِنْ عُلَماءِ الآخِرَةِ الَّذين هم أَدِلَّاءُ الطَّرِيقِ، وسُرُجُ الأُمَّةِ، وَقَادَةُ الأَئِمَّةِ، والإسْتِفَادَةِ مِنْهُمْ ، وَٱسْتِهْدَاءِ الدُّعَاءِ الصَّالِحِ مِنهُمْ ، لِلتَّوْفِيقِ وَالإِعَانَةِ إلى أَنْ يَقْطَعَهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَيَحْصُلَ لَهُ العِلْمُ وَالْيَقِينِ بالْغَيْبِ[6] ، وهُوَ أَنَّ لهُ إلٰهاً وَاحِداً لَا شريكَ لهُ ، هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِكُلِّ هٰذِهِ النِّعَمِ ، وأَنَّهُ كلَّفَهُ بِشُكْرِهِ ، وأَمَرَهُ بِخِدْمَتِهِ وطَاعَتِهِ ، بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ ، وحَذَّرَهُ الْكُفْرَ وضُرُوبَ المَعاصِي ، وحكَمَ لهُ بالثَّوابِ الخَالِدِ إنْ أَطَاعَهُ ، وبالعِقَابِ الخالِدِ إنْ عَصَاهُ وَتوَلَّى عنْهُ . فعِنْدَ ذٰلِكَ تَبعَثُهُ[7] هٰذِهِ المَعْرِفَةُ وَالْيَقِينُ بالغَيْبِ عَلَى التَّشْمِيرِ لِلْخِدْمَةِ ، وَالإِقْبَالِ عَلَى الْعِبَادَةِ لهٰذَا السَّيِّدِ المُنعمِ الَّذي طلَبَهُ فَوَجَدَهُ ، وَعَرَفَهُ بَعْدَ مَا جهِلهُ، ولٰكِنَّهُ لَا يَدْرِي كَيْفَ يَعْبُدُهُ وَمَاذَا يَلْزَمُهُ من خِدْمَتِهِ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ . فَبَعْدَ حصول هٰذِهِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ ، سُبْحَانَهُ وَتعَالى ،

(جهِدَ حَتَّى يَتعلَّم)[١] مَا يَلْزَمُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ الشَّرْعِيةِ ظَاهِراً وَبَاطِناً .

عقبة التوبة

فلما آسْتَكْمَلَ الْعِلْمَ وَالمَعْرِفَةَ بِالْفَرَائِضِ ، انْبَعَثَ لِيَأْخُذَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَيَشْتَغِلَ بِهَا ؛ فَنَظَرَ فَإِذَا هُوَ صَاحِبُ جِنَايَاتٍ وَذُنُوبٍ ، وَهٰذَا حَالُ الأَكْثَرِ مِنَ النَّاسِ ؛ فَيَقُولُ : كَيْفَ أُقْبِلُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَأَنَا مُصِرٌّ عَلَى المَعْصِيةِ مُتَلَطِّخٌ بِهَا؟ فَيَجِبُ: (عَلَيَّ)[٢] أَوَّلاً أَنْ أَتُوبَ إِلَيْهِ، لِيَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، وَيُخَلِّصَنِي مِنْ أَسْرِهَا ، وَأَتَطَهَّرَ مِنْ أَقْذَارِها ، فَأَصْلُحَ لِلْخِدْمَةِ وَبِسَاطِ الْقُرْبَةِ ، فَتَسْتَقْبِلُهُ هٰهُنَا : عَقَبَةُ التَّوْبَةِ ، فَيَحْتَاجُ لاَ مَحَالَةَ إِلَى قَطْعِهَا ، لِيَصِلَ إِلَى مَا هُوَ المَقْصُودُ مِنهَا ، فَأَخَذَ فِي ذٰلِكَ بِإِقَامَةِ / التَّوْبَةِ[٣] في حُقُوقِها وَشَرَائِطِها إِلَى أَنْ قَطَعَهَا . [١/٤]

عقبة العوائق

فَلَمَّا حَصَلَتْ لَهُ التَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ ، وَفَرَغَ مِن قَطْعِ هٰذِهِ الْعَقَبَةِ ، حَنَّ إِلَى الْعِبادَةِ ، لِيَأْخُذَ فِيها ، فَنَظَرَ فَإِذَا حَوْلَهُ عَوَائِقُ مُحْدِقَةٌ بِهِ ، كُلُّ وَاحِدةٍ مِنْها تعُوقُهُ عَمَّا قَصَدَ مِنَ الْعِبادَةِ بِضَرْبٍ مِنَ التَّعْوِيقِ ، فَتَأَمَّلَ فَإِذَا هِيَ أَرْبَع : الدُّنْيا وَالْخَلْقُ وَالشَّيْطَانُ وَالنَّفْسُ ، فَاحْتاجَ لاَ مَحَالَةَ إِلَى دَفْعِ هٰذِهِ الْعَوَائِقِ وَإِزَاحَتِها عَنْهُ ، وَإِلاَّ فَلاَ يَتَأَتَّى لَهُ أمره مِنَ الْعِبادَةِ ؛ فَاسْتَقْبَلَتْهُ هٰهُنا : **عَقَبَةُ الْعَوَائِقِ** ، فَيَحْتاجُ إِلَى قَطْعِهَا بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ : التَّجَرُّدِ عَنِ الدُّنْيا، وَالتَّفَرُّدِ عَنِ الْخَلْقِ ، وَالمُحَارَبَةِ مَعَ الشَّيْطَانِ ومضادة النَّفْسِ[٤] .

فَأَمَّا النَّفْسُ فَأَشَدُّهَا ، إِذْ لاَ يُمْكِنُهُ التَّجَرُّد عَنْهَا وَلاَ أَنْ يَقْهَرَهَا بِمَرَّةٍ وَيَقْمَعَهَا (بالكلّية)[٥] كالشَّيْطَانِ ؛ إِذْ هِيَ المَطِيَّةُ وَالآلَةُ ، وَلاَ مَطْمَعَ أَيْضاً فِي مُوَافَقَتِهَا عَلَى مَا يَقْصِدُهُ الْعَبْدُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالإِقْبَالِ عَلَيْهَا ، إِذْ هِيَ مَجْبُولَةٌ عَلَى ضِدِّ الْخَيْرِ كَالهوى وَاتِّبَاعِهَا لَه ، فَاحْتَاجَ إِذاً إِلَى أَنْ يُلْجِمَهَا بِلِجَامِ التَّقْوَى ، لِتَبْقَى لَهُ فَلاَ تَنْقَطِعَ ، وَتَنْقَادَ لَهُ فَلاَ تَطْغَى ، فَيَسْتَعْمِلُها في المَصَالِحِ وَالمَرَاشِدِ ، وَيَمْنَعُها عن المَهَالِكِ وَالمَفَاسِدِ ، فَيَأْخُذُ إِذاً في قَطْعِ هٰذِهِ الْعَقَبَةِ ، وَيَسْتَعِينُ بِاللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَى ذٰلِكَ .

العوارض فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَطْعِهَا ، رَجَعَ إِلَى قَصْدِ الْعِبَادَةِ ، فَإِذَا عَوَارِضُ تَعْتَرِضُهُ ، فَتَشْغَلُهُ عَنِ الإِقْبَالِ عَلَى مَقْصُودِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ ، وَتَصُدُّهُ عَنِ التَّفَرُّغِ لِذٰلِكَ كَمَا يَنْبَغِي ؛ فَتَأَمَّلَ فَإِذَا هِيَ أَرْبَعَةٌ :

(**الأول**) : **الرِّزْقُ** تُطَالِبُهُ النَّفْسُ بِهِ وَتَقُولُ : لَا بُدَّ لِي مِنْ رِزْقٍ وَقِوَامٍ ، وَقَدْ تَجَرَّدْتُ من الدُّنْيَا ، وَتَفَرَّدْتُ أَيْضاً عَنِ الْخَلْقِ ، فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ قِوَامِي وَرِزْقِي ؟ .

(**وَالثَّانِي**) : **الأَخْطَارُ** مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تَخَافُهُ أَوْ تَرْجُوهُ أَوْ تُرِيدُهُ أَوْ تَكْرَهُهُ، وَلَا تَدْرِي صَلَاحَهُ في ذلك أَوْ فَسَادَهُ، فإِنَّ عَوَاقِبَ الأُمُورِ مُبْهَمَةٌ ، فَيَشْتَغِلُ قَلْبُهُ بها، فَإِنَّهُ رُبَّما يَقَعُ فِي فَسَادٍ أَوْ مَهْلَكَةٍ .

(**وَالثَّالِثُ**) : **الشَّدَائِدُ وَالمَصَائِبُ** ، تُنْصَبُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، لَا سِيَّمَا وَقَدِ انْتَصَبَ لِمُخَالَفَةِ الْخَلْقِ وَمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ وَمُضَادَّةِ النَّفْسِ ، فَكَمْ / مِنْ غُصَّةٍ يَتَجَرَّعُهَا، وَ[1] كَمْ (مِنْ)[1] شِدَّةٍ تَسْتَقْبِلُهُ ، وَكَمْ (مِنْ)[1] هَمٍّ وَحَزَنٍ يَعْتَرِضُهُ ، وَكَمْ (مِنْ)[1] مُصِيبَةٍ تَتَلَقَّاهُ ؟ . [٤/ب]

(**وَالرَّابِعُ**) : **أَنْوَاعُ الْقَضَاءِ** مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى ، بِالْحُلْوِ وَالمُرِّ ، تَرِدُ عَلَيْهِ حَالاً فَحَالاً ، وَالنَّفْسُ تُسَارِعُ إِلَى السُّخْطِ ، وَتُبَادِرُ إِلَى الْفِتْنَةِ ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ هٰهُنَا **عَقَبَةُ الْعَوَارِضِ** الأَرْبَعَةِ ، **فَاحْتَاجَ إِلَى قَطْعِهَا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاء** : **التَّوَكُّلِ** عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ في مَوْضِعِ الرِّزْقِ ، **وَالتَّفْوِيضِ** إلى الله في مَوَاضِعِ الْخَطَرِ، **وَالصَّبْرِ** عِنْدَ نُزُولِ الشَّدَائِدِ، **وَالرِّضَا** عِنْدَ نُزُولِ الْقَضَاءِ. فَأَخَذَ فِي قَطْعِ هٰذِهِ الْعَقَبَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَسْدِيدِهِ وَحُسْنِ تَأْيِيدِهِ[2].

عقبة البواعث فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَطْعِهَا وَعَادَ إِلَى قَصْدِ الْعِبَادَةِ ، نَظَرَ فَإِذَا النَّفْسُ فَاتِرَةٌ (ضَعِيفَةٌ)[3] كَسْلَى ، لا تَنْشَطُ وَلَا تَنْبَعِثُ لِخَيْرٍ كَمَا يَحِقُّ وَيَنْبَغِي ، وَإِنَّمَا مَيْلُهَا أَبَداً إِلَى غَفْلَةٍ وَدَعَةٍ وَرَاحَةٍ وَبَطَالَةٍ ، بَلْ إِلَى شَرٍّ وَفُضُولٍ وَبَلِيَّةٍ

وَجَهالَةٍ ، فَاحْتاجَ مَعَهَا هٰهُنا إِلَى سَائِقٍ يَسُوقُهَا إِلَى الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ ، وَيُنْشِطُهَا فيه[١] ، وَزاجِرٌ يَزْجُرُهَا عَنِ الشَّرِّ وَالمَعْصِيَةِ ، وَيُفَتِّرُهَا عَنْهُ وَهُما الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ ؛ فَالرَّجاءُ فِي عَظِيمِ ثَوَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَحُسْنِ مَا وَعَدَ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَةِ ، وَتَذَكُّرِ ذٰلِكَ ، سَائِقٌ يَسُوقُهَا فَيَبْعَثُهَا عَلَى الطَّاعَةِ ، وَيُحَرِّكُهَا لِذٰلِكَ وَيُنَشِّطُهَا ، وَالْخَوْفُ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصُعُوبَةِ مَا أَوْعَدَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُقُوبَةِ وَالإِهَانَةِ هنا زَاجِرٌ يَزْجُرُهَا عَنِ المَعْصِيَةِ، وَيُجَنِّبُهَا وَيُفَتِّرُهَا عَنْ ذٰلِكَ. فَهٰذِهِ **عَقَبَةُ الْبَوَاعِثِ** اسْتَقْبَلَتْهُ هٰهُنَا، فَاحْتَاجَ إِلَى قَطْعِهَا بِهٰذَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ[٢]، فَأَخَذَ فِيها بِحُسْنِ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، فَقَطَعَهَا.

عقبة القوادح

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْها ، رَجَعَ إِلَى الإِقْبَالِ عَلَى الْعِبَادَةِ ، فَلَمْ يَرَ عَائِقاً وَلَا شَاغِلاً ، وَوَجَدَ بَاعِثاً وَدَاعِياً ؛ فَنَشِطَ في الْعِبَادَةِ فَأَقَامَهَا ، وَعَانَقَهَا بِتَمَامِ الشَّوْقِ وَالرَّغْبَةِ فَأَدَامَهَا ، فَنَظَرَ فَإِذَا تَبْدُو لِهٰذِهِ الْعِبَادَةِ الَّتِي آحْتَمَلَ فِيهَا كُلَّ ذٰلِكَ آفَتَانِ عَظِيمَتَانِ وَهُمَا **الرِّيَاءُ وَالْعُجْبُ** ، تَارَةً يُرَائِي بِطَاعَتِهِ النَّاسَ فَيُفْسِدُهَا ، / وَأُخْرَى يَمْتَنِعُ عَنْ ذٰلِكَ وَيَلُومُ نَفْسَهُ ، فَيَعْجَبُ بِنَفْسِهِ فَيُحْبِطُ [٥/أ] الْعِبَادَةَ عَلَيْهِ وَيُتْلِفُهَا. فَاسْتَقْبَلَتْهُ هٰهُنَا **عقبةُ الْقَوادِحِ** ، فَاحتاجَ إِلَى قَطْعِها بِالإِخْلَاصِ وَذِكْرِ المِنَّةِ وَنَحْوِهَا، لِيَسْلَمَ لَهُ مَا يَعْمَلُ مِنْ خَيْرٍ ؛ فَأَخَذَ فِي قَطْعِ هٰذِهِ الْعَقَبَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، بِجِدٍّ وَاحْتِيَاطٍ ، وَتَيَقُّظٍ بِحُسْنِ عِصْمَةِ الْجَبَّارِ وَتَأْيِيدِهِ.

عقبة الحمد والشكر

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ هٰذا كُلِّه ، حَصَلَتْ لَهُ الْعِبَادَةُ كمَا يَحِقُّ وَيَنْبَغِي ، وَسَلِمَتْ مِنْ كُلِّ آفَةٍ ؛ وَلٰكِنَّهُ نَظَرَ ، فَإِذَا هُوَ غَرِيقٌ في بُحُورِ مِنَنِ اللَّهِ تَعالَى وَأَيَادِيهِ، مِنْ كَثْرَةِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ مِنْ إِمْدَادِ التَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ، وَأَنْوَاعِ التَّأْيِيدِ وَالْحِرَاسَةِ ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ إِغْفَالٌ لِلشُّكْرِ ، فَيَقَعُ فِي الْكُفْرَانِ ، فَيَنْحَطُّ عَنْ تِلْكَ المرْتَبَةِ آلرَّفِيعَةِ ، الَّتِي هِيَ مَرْتَبَةُ الْخَدَمِ[٣] الْخَالِصِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَزُولُ عَنْهُ تِلْكَ النِّعَمُ الْكَرِيمَةُ مِنْ ضُرُوبِ أَلْطَافِ اللَّهِ تَعَالَى

وَحُسْنِ نَظَرِهِ إِلَيْهِ ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ هٰهُنَا عقبةُ **الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ** فَأَخَذَ فِي قَطْعِهَا بِما أَمْكَنَهُ مِنْ كَثْرَةِ الْحَمْدِ وَ**الشُّكْرِ** عَلَى كَثِيرِ نِعَمِهِ .

ثمرة العبادة

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ (قَطْعِ)(١) هٰذِهِ الْعَقَبَةِ وَنَزَلَ(٢) ، فَإِذَا هُوَ بِمَقْصُودِهِ وَمُبْتَغَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمْ يَسِرْ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى وَقَعَ فِي سَهْلِ الْفَضْلِ وَصَحْرَاءِ الشَّوْقِ وَعَرَصَاتِ المَحَبَّةِ .

ثُمَّ يَقَعُ فِي رِيَاضِ الرِّضْوَانِ ، وَبَسَاتِينِ الْأُنْسِ إِلَى بِسَاطِ الإِنْبِسَاطِ ، وَمَرْتَبَةِ التَّقرِيبِ ، وَمَجْلِسِ الْمُنَاجَاةِ ، وَنَيْلِ الْخِلَعِ وَالْكَرَامَاتِ ، فَهُوَ يَتَنَعَّمُ فِي هٰذِهِ الْحَالَاتِ (٣) ، وَيَتَقَلَّبُ فِي طِيبِهَا أَيَّامَ بَقَائِهِ وَبَقِيَّةَ عُمْرِهِ ، بِشَخْصٍ فِي الدُّنْيَا وَقَلْبٍ فِي الْعُقْبَى ، يَنْتَظِرُ الْمَزِيدَ(٤) يَوْماً فَيَوْماً ، وَسَاعَةً فَسَاعة(٥) ، حَتَّى يَمَلَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ ، وَيَسْتَقْذِرَ الدُّنْيَا وَيَحِنَّ إِلَى الْمَوتِ . وَاسْتَكْمَلَ الشَّوْقَ إِلَى المَلَإِ الأَعْلَى ، فَإِذَا هُوَ بِرُسُلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ ، يَرِدُونَ عَلَيْهِ ، بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ ، بِالْبُشْرَى وَالرِّضْوَانِ ، مِنْ عِنْدِ رَبٍّ رَاضٍ غَيْرِ غَضْبانَ ، فَيَنْقُلُونَهُ فِي طِيبَةِ النَّفْسِ وَتَمَامِ الْبِشْرِ وَالأُنْسِ ، مِنْ هٰذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ الْمُفْتِنَةِ ، إِلَى الْحضْرَةِ الإِلٰهِيَّةِ ، وَمُسْتَقَرِّ رِيَاضِ الْجَنَّةِ / فَيَرَى لِنَفْسِهِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ ، نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً(٦) ، وَيَلْقَى هُنَاكَ مِنْ سَيِّدِهِ الرَّحِيمِ الْمُفْضِلِ الْكَرِيمِ ، جَلَّ ذِكْرُهُ مِنَ اللُّطْفِ وَالْعَطْفِ ، وَالتَّرْحِيبِ وَالتَّقْرِيبِ ، وَالإِنْعَامِ وَالإِكْرَامِ ، مَا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ ، وَلَا نَعْتُ النَّاعِتِين ؛ فَهُوَ كُلَّ يَوْمٍ فِي زِيَادَةٍ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ ، فَيَا لَهَا مِنْ سَعَادَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَيَا لَهَا مِنْ دَوْلَةٍ عَالِيَةٍ ، وَيَا لَهُ مِنْ عَبْدٍ مَسْعُودٍ ، وَامْرِئٍ مَغْبُوطٍ وَشَأْنٍ مَحْمُودٍ ، فَطُوبَى لَهُ وَحُسْنُ مَآبٍ ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْبَرَّ الرَّحِيمَ سُبْحَانَهُ ، أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِهٰذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ وَالمِنَّةِ الْجَسِيمَةِ ، وَمَا ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ، وَأَنْ لَا يَجْعَلَنَا مِنَ الَّذِينَ لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِي هٰذَا الأَمْرِ إِلا وَصْفٌ وَسَمَاعٌ وَتَمَنٍّ بِلَا انْتِفاعٍ ، وَأَنْ لَا يَجْعَلَ مَا تَعَلَّمْنَا مِنَ الْعِلْمِ حُجَّةً عَلَيْنَا يَوْمَ

[٥/ب]

الْقِيامَةِ ، وَأَنْ يُوَفِّقَنا جَمِيعاً لِلْعَمَلِ بِذٰلِكَ وَالْقِيامِ بِهِ كَما يُحِبُّ وَيَرْضَى ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَكْرَمُ الأَكْـرَمِينَ . (وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ)[1] . فَهٰذا هُوَ التَّرْتِيبُ الَّذِي أَلْهَمَنِي مَوْلَايَ في طَرِيقِ الْعِبَادَةِ .

خُطَّة الكتاب

وَاعْلَمِ الآن ، أَنَّ الْحَاصِلَ مِنَ الْجُمْلَةِ سَبْـعُ عَقَبَاتٍ : الأُولَى عَقَبَـةُ الْعِلْمِ ، الثَّـانِيَـةُ عَقَبَـةُ التَّـوْبَـةِ ، الثَّـالِثَـةُ عَقَبَـةُ الْعَـوَائِقِ ، الـرَّابِعَـةُ عَقَبَـةُ الْعَوَارِضِ ، الْخَامِسةُ[2] عَقَبَةُ الْبَوَاعِثِ ، السَّادِسَةُ عَقَبةُ الْقَوَادِحِ ، السَّابِعَةُ عَقْبَةُ الْحَمْدِ وَالشُّكْـرِ ، وَبِتَمَامِهَـا يَتِمُّ كِتَابُ مِنْهَـاجُ الْعَابِـدِينَ إِلَى جَنَّةِ رَبِّ العالمين .

وَنَحْنُ الآنَ نَتَتَبَّعُ هٰذِهِ الْعَقَباتِ ، بِشَرْحِ مُوجَزِ اللَّفْظِ ،مُشْتَمِـلٍ عَلَى النُّكَتِ الْمَقْصُـودَةِ مِنْ هٰذَا الشَّـأْنِ كُلٌّ مِنْهَـا فِي بَـابٍ مَفْـرَدٍ إِنْ شَـاءَ اللَّهُ تَعَالى .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ بِمَنِّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

العقبةُ الأُولى
وَهِيَ عَقَبةُ الْعِلم

أَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ :

يَا طَالِبَ الْخَلَاصِ وَالْعِبادَةِ عَلَيْكَ أَوَّلاً ، وَفَّقَكَ اللَّهُ ، بِالْعِلمَ فَإِنَّهُ الْقطْبُ وَعلَيْهِ المَدَارُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةَ جَوْهَرَانِ لِأَجْلِهِمَا كَانَ كُلُّ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِنْ تَصْنِيفِ المُصَنِّفينَ وَتَعْلِيمِ المُعَلِّمِينَ/ ووَعْظِ الوَاعِظِينَ وَنَظَرِ النَّاظِرِينَ؛ بَلْ [٦/أ] لِأَجْلِهِمَا أُنْزِلَتِ الْكُتُبُ وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ ، بَلْ لِأَجْلِهِمَا خُلِقَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا فِيهِما مِنَ الْخَلْقِ . فَتَأَمَّلْ آيَتَيْنِ في كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

إِحْدَاهُمَا : قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ، يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً** ﴾ [الطلاق : ١٢] وَكَفَى بِهٰذِهِ الآيَةِ دَلِيلاً عَلَى شَرَفِ الْعِلْمِ ، لَا سِيَّمَا عِلْمَ التَّوْحِيدِ .

والآيَةُ الثَّانِيَةُ قَوْلُهُ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات : ٥٦] . وَكَفَى بِهٰذِهِ الآيَةِ دَلِيلاً عَلَى شَرَفِ الْعِبَادَةِ وَلُزُومِ الإِقْبَالِ عَلَيْهَا ، فَأَعْظِمْ بِأَمْرَيْنِ هُمَا الْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِ الدَّارَيْنِ ، فَحَقٌّ لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يَشْتَغِلَ إِلاَّ بِهِمَا ، وَلَا يَتْعَبَ إِلاَّ لَهُما ، وَلَا يَنْظُرَ إِلاَّ فِيهِمَا .

فَاعْلَمْ أَنَّ مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْأُمُورِ بَاطِلٌ لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَلَغْوٌ لَا حَاصِلَ لَهُ .

فَإِذَا عَلِمْتَ ذٰلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ الْجَوْهَرَيْنِ وَأَفْضَلُهُمَا ، وَلِذٰلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى (أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ)[1] أُمَّتِي »[أ]. وَقَالَ ﷺ : «نَظْرَةٌ إِلَى الْعَالِمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا »[ب] . وَقَالَ ﷺ : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَشْرَفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : هُمْ عُلَمَاءُ أُمَّتِي »[ج] .

العلم شجرة والعبادة ثمرتها

فَبَانَ لَكَ أَنَّ **الْعِلْمَ أَشْرَفُ جَوْهَراً** مِنَ **الْعِبَادَةِ** ، وَلٰكِنْ لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنَ الْعِبَادَةِ مَعَ الْعِلْمِ ، وَإِلَّا كَانَ عِلْمُه هَبَاءً مَنْثُوراً . فَإِنَّ الْعِلْمَ بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرَةِ ، وَالْعِبَادَةَ بِمَنْزِلَةِ ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَرَاتِها ؛ فالشَّرَفُ لِلشَّجَرَةِ إِذْ هِيَ الْأَصْلُ[2] ، وَلٰكِنَّ الإِنْتِفَاعُ إِنَّما يَحْصُلُ بِثَمَرَتِهَا . فإِذاً لَا بدّ مِنَ الْعِبَادَةِ لِيَسْلَمَ شَرَفُ الْعِلْمِ[3] ، وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ كِلَا الْأَمْرَيْنِ حَظٌّ وَنَصِيبٌ . وَلِهٰذَا قَالَ الْحَسَنُ البصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : اطْلُبُوا هٰذَا الْعِلْمَ طَلَباً لَا يَضُرُّ بِالْعِبَادَةِ ، وَاطْلُبُوا هٰذِهِ الْعِبَادَةَ طَلَباً لَا يَضُرُّ بِالْعِلْمِ[4] .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْهُمَا جَمِيعاً ، **فَالْعِلْمُ أَوْلَى بِالتَّقْدِيمِ لَا مَحَالَةَ** ، لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَالدَّلِيلُ / وَلِذٰلِكَ قَالَ ﷺ : « الْعِلْمُ إِمَامُ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ »[د] . [٦/ب]

وَإِنَّما صَارَ الْعِلْمُ أَصْلاً مَتْبُوعاً ، يَلْزَمُكَ تَقْدِيمُهُ عَلَى الْعِبَادَةِ **لِأَمْرَيْنِ** :

أَحَدُهُمَا : لِتَحْصُلَ لَكَ الْعِبَادَةُ وَتَسْلَمَ ، فَإِنَّكَ أَوَّلاً يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٤ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٥ .

(ج) راجع تخريج الحديث رقم ٦ .

(د) راجع تخريج الحديث رقم ٧ .

تَعْرِفَ الْمَعْبُودَ ثُمَّ تَعْبُدَهُ ، وَكَيْفَ تَعْبُدُ مَنْ لاَ تَعْرِفُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفاتِ ذَاتِهِ ، وَمَا يَجِبُ لَهُ وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي نَعْتِهِ[1] ، فَرُبَّمَا تَعْتَقِدُ فِيهِ وَفِي صِفَاتِهِ شَيْئاً ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالى مِمَا يُخالِفُ الْحَقّ ، فَتَكُونَ عِبَادَتُكَ هَبَاءً مَنْثُوراً .

وَقَدْ شَرَحْنَا مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ فِي بيانِ مَعْنَى سُوءِ الْخَاتِمَةِ مِنْ كِتَابِ الْخَوفِ مِنْ جُمْلَةِ كُتُبِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » .

العلم بالواجبات الشرعية

ثُمَّ يَجِبُ أَنْ تَعلَمَ مَا يَلْزَمُكَ فِعْلُهُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى مَا أُمِرْتَ بِهِ لِتَفْعَلَ ذٰلِكَ وَما يَلْزَمُكَ تَرْكُهُ مِنَ الْمَنَاهِي لِتَتْرُكَ ذٰلِكَ ، وَإِلاَّ فَكَيْفَ تَقُومُ بِطَاعَاتٍ لاَ تَعْرِفُ مَا هِيَ ، وَكَيْفَ هِيَ ، وَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُفْعَلَ ، أَمْ كَيْفَ تَجْتَنِبُ مَعَاصِيَ لاَ تَعْلَمُ أَنَّها مَعَاصٍ ، حَتَّى لاَ تُوقِعَ نَفْسَكَ فِيهَا ، فَالْعِبَادَاتُ الشَّرْعِيَّةُ ، كَالطَّهَارَةِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَغَيْرِهَا ، يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَهَا بِأَحْكَامِها وَشَرَائِطِهَا ، حَتَّى تُقِيمَهَا . فَرُبَّما أَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى شَيْءٍ سِنِينَ وَأَزْمَاناً ، مِمَّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ طَهَارَتَكَ وَصَلَوَاتِكَ أَوْ تُخْرِجُهُمَا عَنْ كَوْنِهِما وَاقِعَتَيْنِ عَلَى وِفَاقِ السُّنَةِ ، وَأَنْتَ لاَ تَشْعُر بِذٰلِكَ ، وَرُبَّما يَعْتَرِضُ لَكَ مُشْكِل ، وَلاَ تَجِدُ مَنْ تَسْأَلُهُ[2] عَنْ ذٰلِكَ وَأَنْتَ مَا تَعَلَّمْتَهُ .

العبادات الباطنة

ثُمَّ مَدَارُ هذَا الشَّأْنِ أَيْضاً عَلَى الْعِبَادَاتِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي هِيَ مَسَاعِي الْقَلْبِ ، يَجِبُ أَنْ تَعْلَمها مِنَ التَّوَكُّلِ وَالتَّفْوِيضِ وَالرِّضَا وَالصَّبْرِ وَالتَّوْبَةِ وَالإِخْلاَصِ ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمّا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعالَى .

وَيَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ مَنَاهِيَها الَّتِي هِيَ أَضْدَادُ هٰذِهِ الأُمُورِ : كَالسُّخْطِ وَالأَمَلِ وَالرِّيَاءِ وَالْكِبْرِ (وَالْعُجْبِ)[3] لِتَجْتَنِبَ ذٰلِكَ ، فَإِنَّ هٰذِهِ فَرَائِضُ نَصَّ اللَّهُ تَعَالى عَلَى الأَمْرِ بِهَا ، وَالنَّهْيِ عَنْ أَضْدَادِهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالى : ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ / مُؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٣] ﴿ **وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [٧/أ]

[البقرة : ١٧٢] ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] وَقَوْلُهُ تَعَالى : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [المزّمل : ٨] أَيْ أَخْلِصْ إِلَيْهِ إِخْلَاصاً . وَنَحْوَ ذٰلِكَ مِنَ الآيَاتِ . كَمَا نَصَّ عَلَى الأَمْرِ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ ؛ فَمَا لَكَ أَقْبَلْتَ عَلَى الصَّلَاةِ والصَّوْمِ ، وَتَرَكْتَ هٰذِهِ الْفَرَائِضَ ، وَالأَمْرَ بِهَا مِنْ رَبٍّ وَاحِدٍ فِيْ كِتَابٍ وَاحِدٍ ؟ . بَلْ غَفَلْتَ عَنْهَا وَلاَ تَعْرِفُ شَيْئاً مِنْهَا ، أغرّكَ فَتْوَى مَنْ أَصْبَحَ بِعَاجِلِ حَظِّهِ مَشْغُوفاً ، حَتَّى صَيَّرَ المَعْرُوفَ مُنْكَراً وَالمُنْكَرَ مَعْرُوفاً ، وَمَنْ أَهْمَلَ الْعُلُومَ الَّتِي سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالى فِي كِتَابِهِ نُوراً وَحِكْمَةً وَهُدًى ، وَأَقْبَلَ عَلَى مَا بِهِ يَكْتَسِبُ الْحَرَامَ وَيكُونُ مَصِيدَةً لِلْحُطَامِ ؟ أَمَا تَخَافُ أَيُّهَا المُسْتَرْشِدُ أَنْ تَكُونَ مُضَيِّعاً لِشَيْءٍ مِنْ هٰذِهِ الْوَاجِبَاتِ بَلْ لأَكْثَرِهَا ، وَتَشْتَغِلُ بِصَلَاةِ التَّطَوُّعِ وَصَوْمِ النَّفْلِ فَتَكُونُ فِي لاَ شَيْءٍ ، وَرُبَّمَا أَنْتَ مُصِرٌّ عَلَى مَعْصِيَةٍ مِنْ هٰذِهِ المَعَاصِي التي تَسْتَوْجِبُ بها النَّار ، وَتَتْرُكُ مُبَاحاً مِنْ طَعامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ نَوْمٍ ، تَبْتَغِي بِه[1] قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَتَكُونُ فِي لاَ شَيْءٍ ؛ وَأَشَدُّ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ أَنَّكَ تَكُونُ فِي أَمْنِ[2] الأَمَلِ ، وَالأَمَلُ مَعْصِيَةٌ مَحْضَةٌ ، فَتَظُنُّهُ نِيَّةَ خَيْرٍ بِجَهْلِكَ بِالْفَرْقِ بَيْنَهُما وَتَقَارُبِهِما فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ .

وَكَذٰلِكَ تَكُونُ فِي جَزَعٍ وَسُخْطٍ وَتَظُنُّهُ تَضَرُّعاً وَابْتِهَالاً إِلَى اللَّهِ تَعَالى ، وَتَكُونُ فِي رِيَاءٍ مَحْضٍ ، وَتَحْسِبُهُ حَمْداً لِلَّهِ تَعَالَى ، أَوْ دَعْوَةً لِلنَّاسِ إلى الخَيْرِ فَتَأْخُذُ تَعُدُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى المَعَاصِيَ بِالطَّاعَاتِ ، وتَحْتَسِبُ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ في مَواضِعِ الْعُقُوبَاتِ ، فَتَكُونُ فِي غُرُورٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ قَبِيحَةٍ ، وهٰذِهِ وَاللَّهِ مُصِيبَةٌ فَظِيعَةٌ لِلْعَامِلِينَ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ .

ثُمَّ مَعَ ذٰلِكَ كُلِّهِ إنَّ لِلأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ عَلَائِقَ مِنَ المَسَاعِي الْبَاطِنَةِ تُصْلِحُهَا وَتُفْسِدُهَا : كَالإِخْلَاصِ وَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ وَذِكْرِ المِنَّةِ وَغَيْرِهِ ، فَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ هٰذِهِ المَسَاعِي الْبَاطِنَةَ ، وَوُجُوهَ[3] تَأْثِيرِهَا فِي الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ

وَكَيْفِيَّةَ الإِحْتِرَازِ مِنْهَا وَحِفْظَ الْعَمَلِ عَنْهَا ، / فَقَلَّمَا يَسْلَمُ لَهُ عَمَلُ الظَّاهِرِ أَيْضاً ، فَتَفُوتُهُ طاعَاتُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَلاَ يَبْقَى فِي يَدِهِ غَيْرِ الشَّقَاءِ وَالْكَدِّ[1] ؛ وَهٰذَا هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ . وَلِهٰذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ نَوْماً عَلَى عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاَةٍ عَلَى جَهْلٍ ، فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ »[أ] . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعِلْمِ « إِنَّهُ يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ ، وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِياءُ »[ب] فَالمَعْنَى ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، أَنَّ إِحْدَى شِقْوَتَيْهِ أَنْ لاَ يَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، ثُمَّ يَشْقَى وَيَتْعَبُ فِي الْعِبَادَةِ عَلَى خَبْطٍ ؛ فَمَا يَكُونُ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ إِلاَّ الْعَنَاءُ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لاَ يُرْفع[2] ، وَلِهٰذَا عَظُمَتْ عِنَايَةُ الْعُلَمَاءِ الزُّهَاد الْعَامِلِينَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، بِالْعِلْمِ خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ أفْنَاءِ[3] النَّاسِ ، فإِنّ مدَارَ أَمْرِ الْعُبُودِيَّةَ ، وَمِلاَكَ الْعِبَادَةِ وَالْخِدْمَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْعِلْمِ ، وَهٰكَذَا يَكُونُ نَظَرُ أُولي الأَبْصارِ وَأَهْلِ التَّأْيِيدِ وَالتوْفِيقِ .

[٧/ب]

فَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ بِهٰذِهِ الْجُمْلَةِ أَنَّ الطَّاعَةَ لاَ تَحْصُلُ لِلْعَبْدِ ، وَلاَ تَسْلَمَ لَهُ إِلاَّ بِالْعِلْمِ ، فَيَلْزَمُ إِذاً تَقْدِيمُهُ فِي شَأْنِ الْعِبَادَةِ .

الْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي تُوجِبُ تَقْدِيمَ الْعِلْمِ[ج] : إِنَّ الْعِلْمَ النَّافِعَ يُثْمِرُ خَشْيَةَ اللَّهِ تَعَالى وَمَهَابَتَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] **وَذٰلِكَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَمْ يَهَبْهُ حَقَّ مَهَابَتِهِ ، وَلَمْ يُعَظِّمْهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ وَحُرْمَتِهِ ، (فَبِالْعِلْمِ يَعْرِفُهُ وَيُعَظِّمُهُ**

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٨ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٩ .

(ج) ذكر المؤلف فيما سبق أنه يلزم تقديم العلم على العبادة لأمرين : أحدهما : لتحصل لك العبادة وتسلم ، والأمر الثاني هو هذه الخصلة الثانية .

وَيهابُهُ)(١) ، فَصارَ الْعِلْمُ يُثْمِرُ الطَّاعَةَ كُلَّهَا وَيَحْجُزُ عَنِ المَعْصِيَةِ كُلِّها بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تعالى .

وَلَيْسَ وَرَاءَ هَـٰذَيْنِ مَقْصِـدٌ لِلْعَبْـدِ فِي عِبَـادَةِ اللَّهِ سُبْحَـانَـهُ ، فَعَلَيْـكَ بِالْعِلْمِ ، أَرْشَدَكَ اللَّهُ ، يَا سَالِكَ طَرِيقَ الآخِرَةِ ، أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ بِفَضْلِهِ .

وَلَعَلَّكَ أَنْ تَقُولَ : قَدْ وَرَدَ في الْخَبَرِ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسلاَمُهُ أَنَّهُ قَـالَ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَـةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »(أ) . فَمَـا الْعِلْمُ الَّذِي طَلَبُهُ فَرْضٌ لاَزِمٌ ، وَمَا الْحَدُّ الَّذِي لاَ بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ تَحْصِيلِهِ فِي أَمْرِ الْعِبَادَةِ ؟ .

[٨/أ]

العلوم المفروضة

فَـاعْلَمْ أَنَّ الْعُلُومَ الَّتِي طَلَبُهَـا / فَـرْضٌ فِي الْجُمَلَةِ ثَـلاَثَـةٌ : **عِلْمُ التَّوْحِيدِ** ، وَ**عِلْمُ السِّرِّ** ، أَعْنِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْقَلْبِ وَمَساعِيهِ ، وَ**عِلْمُ الشَّرِيعَةِ** .

علم التوحيد

[١] ● وَأَمَّا حَدُّ مَا يَجِبُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، **فَالَّذِي يَتَعَيَّنُ فَـرْضُهُ مِنْ عِلْمِ التَّوْحِيدِ**، مِقْدَارُ مَا تَعْرِفُ بِهِ **أُصُولَ الدِّينِ**، وَهُوَ (أَن تَعْلَم)(٢) أَنَّ لَكَ إِلٰهاً عَالِماً قَادِراً حَيًّا مُرِيداً مُتَكَلِّماً سَمِيعاً بَصِيراً وَاحِداً لاَ شَرِيكَ لَهُ ، مُتَّصِفاً بِصِفَاتِ الْكَمالِ ، مُنَزَّهاً عَـن دَلاَلاَتِ الْحُدُوثِ(٣) مُـنْفَـرِداً بِالْقِدَمِ عَنْ كُلِّ مُحْدَثٍ ؛ وَأَنَّ مُحَمَّداً ﷺ عَبْـدُهُ وَرَسُولُـهُ ، الصَّادِقُ فِيمَـا جَاءَ بِـهِ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانه ، وَفِيمَا وَرَدَ عَلَى لِسانِـهِ مِنْ أُمُورِ الآخِـرَةِ . ثُمَّ مَسَائِـلُ فِي شَعَائِـرِ السُّنَّةِ تَجِبُ مَعْرِفَتُهَا ؛ وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْتَدِعَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى ، مَـا لَمْ يَأْتِ بِـهِ كِتابٌ وَلاَ أَثَرٌ ، فَتَكُونَ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى أَعْظَمِ خَطَرٍ .

وَجَمِيعُ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ مَوْجُودٌ أَصْلُهَا فِي كِتابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ ذَكَرَهَا شُيُوخُنَا رَحِمَهُم اللَّهُ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي صَنَّفُوها في أُصُولِ الدِّيَانَاتِ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ١٠ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ كُلُّ مَا لَا تَأْمَنُ الهَلَاكَ مَع جَهْلِهِ فَطَلَبُ عِلْمِهِ فَرْضٌ لَا يَسُوغُ لَكَ تَرْكُهُ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

علم السرّ

[٢] ● وَأَمَّا الَّذِي يَتَعَيَّنُ فَرْضُهُ مِنْ عِلْمِ السِّرِّ فَمَعْرِفَةُ مَوَاجِبِهِ وَمَنَاهِيهِ ، حَتَّى يَحْصُلَ لَكَ تَعْظِيمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَالإِخْلَاصُ (لَهُ)[١] وَالنِّيَّةُ وَسَلَامَةُ الْعَمَلِ ، وَعَامَةِ ذٰلِكَ يَأْتِي فِي أَثْنَاءِ كِتَابِنَا هٰذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

علم الشريعة

[٣] ● وَأَمَّا (مَا يَتَعَيَّنُ)[٢] مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ . فَكُلُّ مَا تَعَيَّنَ عَلَيْكَ فَرْضُ فِعْلِهِ ، وَجَبَ عَلَيْكَ مَعْرِفَتُهُ لِتُؤَدِّيَهُ ، كَالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ ؛ أَمَّا الْحَجُّ وَالْجِهَادُ ، وَالزَّكَاةُ إِنْ تَعَيَّنَ عَلَيْكَ ، وَجَبَ عَلَيْكَ عِلْمُهَا لِتُؤَدِّيَهَا وَإِلَّا فَلَا . فَهٰذَا حَدُّ مَا يَلْزَمُ الْعَبْدَ تَحْصِيلُهُ مِنَ الْعِلْمِ لَا مَحَالَةَ ، وَيَتَعَيَّنُ فَرْضُهُ بِحَيْثُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ .

ما يتعيّن معرفته من هذه العلوم

فَإِنْ قُلْتَ : فَهَلْ يَفْتَرِضُ عَلَيَّ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْ عِلْمِ التَّوْحِيدِ مَا أَنْقُضُ بِهِ جَمِيعَ مِلَلِ الْكُفْرِ وَأُلْزِمُهُمْ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْقُضُ (بِهِ)[٣] جَمِيعَ الْبِدَعِ وَأُلْزِمُهُمْ حُجَّةَ السُّنَّةِ ؟ .

فَاعْلَمْ أَنَّ هٰذَا فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ ، وَإِنَّمَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ مَا تُصَحِّحُ بِهِ اعْتِقَادَكَ / فِي أُصُولِ الدِّينِ لَا غَيْرُ .

[٨ /ب]

وَكَذٰلِكَ لَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ فُرُوعِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَدَقَائِقِهِ ، وَالإِتْيَانُ عَلَى جَمِيعِ مَسَائِلِهِ ، نَعَمْ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْكَ شُبْهَةٌ فِي أُصُولِ الدِّينِ ، تَخَافُ أَنْ تَقْدَحَ فِي اعْتِقَادِكَ ، فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ حَلُّ تِلْكَ الشُّبْهَةِ بِمَا أَمْكَنَ مِنَ الْكَلَامِ الْمُقْنِعِ . وَإِيَّاكَ وَالْمُمَارَاةَ وَالْمُجَادَلَةَ ، فَإِنَّهَا دَاءٌ مَحْضٌ لَا دَوَاءَ لَهُ ، فَاحْتَرِزْ مِنْهُ جُهْدَكَ ، فَإِنَّ مَنِ ارْتَدَاهُ لَمْ يُفْلِحْ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ وَلُطْفِهِ .

ثُمَّ آعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي كُلِّ قُطْرٍ دَاعٍ مِنْ دُعَاةِ أَهْلِ السُّنَّةِ يَحُلُّ الشُّبَهَ ، وَيَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ ، وَيَشْتَغِلُ بِهٰذَا الْعِلْمِ ، وَيُصَفِّي قُلُوبَ أَهْلِ الْحَقِّ عَنْ وساوس الْمُبْتَدِعَةِ، فَقَدْ سَقَطَ الْفَرْضُ عَمَّنْ سِوَاهُ.

وَكَذٰلِكَ لَا يَلْزَمُكَ (مِنْ)[1] مَعْرِفَةِ دَقَائِقِ عِلْمِ السِّرِّ ، وَجَمِيعِ شَرْحِ عَجَائِبِ الْقَلْبِ ، إِلَّا مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ عِبَادَتَكَ ؛ فَتَجِبُ مَعْرِفَتُهُ لِتَجْتَنِبَهُ .

وَمَا يَلْزَمُكَ فِعْلُهُ ، كَالإِخْلَاصِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ ، فَيَلْزَمُكَ مَعْرِفَتُهُ لِتُؤَدِّيَهُ ، وَأَمَّا مَا سِوَاهُ فَلَا .

وَكَذٰلِكَ لَا يَلْزَمُكَ مَعْرِفَةُ سَائِرِ أَبْوَابِ الْفِقْهِ ، مِنَ الْبُيُوعِ وَالإِجَارَاتِ وَالنِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ وَالجِنَايَاتِ، وَإِنَّمَا كُلُّ ذٰلِكَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ : هٰذَا الْقَدْرُ مِنَ عِلْمِ التَّوْحِيدِ ، هَلْ يَحْصُلُ بِنَظَرِ الإِنْسَانِ مِنْ غَيْرِ مُعَلِّمٍ ؟.

فَاعْلَمْ أَنَّ الأُسْتَاذَ فَاتِحٌ وَمُسَهِّلٌ ، وَالتَّحْصِيلُ مَعَهُ أَسْهَلُ وَأَرْوَحُ ، وَآللَّهُ تَعَالى بِفَضْلِهِ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، فَيَكُونُ هُوَ مُعَلِّمَهُمْ سُبْحَانهُ وَتَعَالى .

ثُمَّ آعْلَمْ أَنَّ هٰذِهِ الْعَقَبَةَ الَّتِي هِيَ عَقَبَةُ الْعِلْمِ ، عَقَبَةٌ كَؤُودٌ ، وَلٰكِنْ بِهَا يُنَالُ المَطْلُوبُ وَالْمَقصُودُ[2] ، وَنَفْعُها كَثِيرٌ ، وَقَطْعُهَا شَدِيدٌ ، وَخَطَرُهَا عَظِيمٌ ؛ كَمْ مَنْ عَدَلَ عَنْهَا فَضَلَّ ، وَكَمْ مَنْ سَلَكَهَا فَزَلَّ ، وَكَمْ مِن تَائِهٍ فِيهَا مُتَحَيِّرٌ، وَكَمْ مِنْ حائِرٍ مُنْقَطِعٍ ، وَكَمْ مِنْ سَالِكٍ قَطَعَهَا فِي مدَّةٍ يَسِيرَةٍ ، وَآخَرُ مُتَرَدِّدٌ فِيها سَبْعِينَ سَنَةً ، والأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ .

[٩/أ] أَمَّا نَفْعُهُ فَعَلَى / مَا ذَكَرْنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَاجَةِ لِلْعَبْدِ إِلَيْهِ ، وَبِنَاءِ أَمْرِ الْعِبَادَةِ كُلِّه عَلَيْهِ ، لَا سِيَّمَا عِلْمُ التَّوْحِيدِ وَعِلْمُ السِّرِّ .

العلم النافع

فَلَقَدْ رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالى أَوْحَى إلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا دَاوُدُ تَعَلَّمِ الْعِلْمَ النَّافِعَ ، قَالَ إلٰهِي : وَمَا الْعِلْمُ النَّافِعُ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْرِفَ جَلاَلِي وَعَظَمَتي وَكِبْرِيَائِي وَكَمَالَ قُدْرَتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِنَّ هٰذَا هُوَ الَّذِي يُقَرِّبُكَ إلَيَّ .

الغاية من طلب العلم

وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ : مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَوْ مِتُّ طِفْلاً وَأُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ وَلَمْ أَكْبَرْ فَأَعْرِفَ رَبِّي ، فَإِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً ، وَأَكْثَرُهُمْ عِبادَةً ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي اللَّهِ نَصِيحَةً .

وَأَمَّا شِدَّتَهَا[أ] ، فَابْذُلْ نَفْسَكَ فِي الْإِخْلَاصِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلْيَكُنِ الطَّلَبُ طَلَبَ دِرَايَةٍ لَا طَلَبَ رِوَايَةٍ . وَاعْلَمْ أَنَّ الخَطْرَ عَظِيمٌ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَمَنْ طَلَبَهُ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَيُجَالِسَ بِهِ الْأُمَرَاءَ ، وَيُبَاهِيَ بِهِ النُّظَرَاءَ ، أو يَتَصَيَّدَ بِهِ الْحُطَامَ فَتِجَارَتُهُ بَائِرَةٌ وَصَفْقَتُهُ خَاسِرَةٌ . (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُفَاخِرَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ »[ب])[١] .

قَالَ أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِي رَحِمَهُ اللَّهِ : عَمِلْتُ فِي الْمُجَاهَدَةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئاً أَشَدَّ عَلَيَّ مِنَ الْعِلْمِ وَخَطَرِهِ .

وَإِيَّاكَ أَنْ يُزَيِّنَ لَكَ الشَّيْطَانُ فَيَقُولَ لَكَ : إِذَا كَانَ قَدْ وَرَدَ هٰذَا الْخَطَرُ الْعَظِيمُ فِي الْعِلْمِ فَتَرْكُهُ أَوْلَى ، فَلَا تَظُنَّنَّ ذٰلِكَ . فَلَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « أُطْلِعْتُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ عَلَى النَّارِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ المَالِ ؟ قالَ لَا : مِنَ الْعِلْمِ »[ج] ، فَمَنْ لَا

(أ) شدّتها : تعود إلى شدّة الحاجة إلى العلم .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ١١ .

(ج) راجع تخريج الحديث رقم ١٢ .

يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ لاَ تَتَأَتَّى لَهُ أَحْكَامُ الْعِبَادَةِ وَالْقِيَامُ بِحُقُوقِها . وَلَوْ أَنَّ رَجُـلاً عَبَدَ اللَّهَ عِبادَةَ مَلاَئِكَةِ السَّماءِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، كَانَ مِنَ الخَاسِرِينَ . فَشَمِّرْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِالْبَحْثِ وَالتَّلْقِينِ وَالتَّدْرِيسِ ، وَآجْتَنِبِ الْكَسَلَ وَالمَلاَلَ ، وَإِلاَّ فَأَنْتَ فِي خَطَرِ الضَّلاَل ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

أصول العقيدة

ثُمَّ جُمْلَةُ الأَمْرِ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي دَلاَئِلِ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمْعَنْتَ النَّظَرَ ، عَلِمْتَ أَنَّ لها إِلٰهاً قَادِراً عَالِماً حَيّاً مُرِيداً سمِيعاً بَصِيراً مُتَكَلِّماً ، مُنَزَّهاً عَنْ حُدُوثِ الْكَلاَمِ / وَالْعِلْمِ وَالإِرَادَةِ ، مُقَدَّساً عَنْ كُلِّ نَقْص وَآفَةٍ ، لاَ يُوصَفُ بِصِفَاتِ المُحْدَثِينَ ، وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْمَحْدُودِين (أ) وَلاَ يُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ خَلْقِهِ وَلاَ يُشْبِهُهُ شَيْءٌ ، وَلاَ تَتَضَمَّنُهُ الأَمَاكِنُ وَالجِهَاتُ ، وَلاَ تَحُلُّهُ الْحَوادِثُ وَالآفاتُ .

[٩/ب]

وَنَظَرْتُ فِي مُعْجِزَاتِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَأَعْلاَمِ نُبُوّتِه ، فَعلِمْتُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَمَا كَانَ السَّلَفُ يَعْتَقِدُونَهُ ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرَى فِي الآخِرَةِ لأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَلَيْسَ في جِهَةٍ مَحْدُودَةٍ وَهُوَ غَيْرُ مَحْدُود ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كلاَمُ اللَّهِ تَعَالَى ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، وَلَيْسَ بِحُرُوفٍ مُقَطَّعَةٍ ، وَلاَ أَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ إِذْ لَوْ كَانَ كَذٰلِكَ ، لَكَان مِنْ جُمْلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ . وَأَنَّهُ لاَ يَكُونُ فِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ فَلْتَةُ خَاطِرٍ ، وَلاَ لَفْتَةُ نَاظِرٍ ، إِلاَّ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ ، وَإِرَادَتِـه وَمَشِيئَتِهِ ، فَمِنْـهُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ ، وَالنَّفْعُ وَالضُّرُّ ، وَالإِيمانُ وَالْكُفْرُ ، وَأَنَّهُ لاَ وَاجِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجلَّ لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ؛ مَنْ أَثَابَهُ فَبِفَضْلِهِ وَمَنْ عَاقَبَهُ فَبِعَدْلِهِ . وَمَا وَرَدَ عَلَى لِسَانِ صَاحِبِ الشَّرْعِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلاَمُهُ مِنْ أُمُورِ الآخِرَةِ ، كَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ (والشفاعة)[١] ، فَهٰذِهِ

(أ) أي : المخلوقين كما في النسخ الأخرى .

أُصُولُ دَرَجَ السَّلَفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى اعْتِقَادِهَا وَالتَّمَسُّكِ بِهَا ، وَوَقَعَ عَلَيْهَا الإِجْمَاعُ قَبْلَ تَنَوُّعِ الْبِدَعِ وَظُهُورِ الأَهْواءِ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى بِغَيْرِ دَلِيلٍ .

ثُمَّ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالمَوَاجِبِ الْبَاطِنَةِ ، وَالمَنَاهِي الَّتِي تَأْتِي فِي هٰذَا الْكِتَابِ ، لِيَحْصُلَ لَكَ عِلْمُهُ ، ثُمَّ تَعْرِفُ جُمَلَةَ مَا تَحْتَاجُ إِلَى آسْتِعْمَالِهِ ، كَالطَّهَارَةِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَنحوه ؛ فَإِذَا فَعَلْتَ ، فَقَدْ أَدَّيْتَ فَرْضَ اللَّهِ عَلَيْكَ الَّذِي تَعَبُّدُكَ به فِي بَابِ الْعِلْمِ ، وَلَقَدْ صِرْتَ مِنْ عُلَمَاءِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، الرَّاسِخِينَ في الْعِلْمِ ، إِنْ عَمِلْتَ بِعِلْمِكَ ، وَأَقْبَلْتَ عَلَى عِمَارَةِ مَعادِكَ ، وَكُنْتَ عَبْداً عَالِماً عَامِلاً لِلَّهِ تَعالَى عَلَى بَصِيرَةٍ غَيْرَ جَاهِلٍ ، وَلاَ مُقَلِّدٍ وَلاَ غَافِلٍ ، وَلَكَ الشَّرَفُ الْعَظِيمُ ، وَلِعِلْمِكَ القِيمَةُ الْكَثِيرَةُ وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ ، وَكُنْتَ قَدْ قَطَعْتَ / هٰذِهِ الْعَقَبَةَ ، وَخَلَّفْتَهَا وَرَاءَكَ ، [١٠/أ] وَقَضَيْتَ حَقَّهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعالَى ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ المَسْئُولُ أَنْ يُمِدَّكَ وَإِيَّانَا بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَتَيْسِيرِهِ ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

الْعَقَبَةُ الثَّانِيَةُ وَهِيَ عَقَبَةُ التَّوْبَةِ

وجوب التوبة

ثُمّ عَلَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِبَادَةِ ـ وَفَّقَكَ اللَّهُ لطاعته ـ بِالتَّوْبَةِ ، وَذٰلِكَ لِأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : لِيَحْصُلَ لَكَ تَوْفِيقُ الطَّاعَةِ ، فإنَّ شُؤمَ الذُّنوبِ يُورِثُ الْحِرْمَانَ ، وَيُعْقِبُ الْخِذْلَانَ ، وَإِنّ قَيْدَ الذُّنوبِ يَمْنَعُ مِن المشْيِ إلى طَاعَةِ اللَّهِ عزّ وَجَلّ ، وَالمُسَارَعةِ إلى خِدْمَتِهِ وإنَّ ثِقَلَ الذُّنُوبِ يَمْنَعُ مِنَ الْخِفَّةِ لِلْخَيْرَاتِ ، وَالنَّشَاطِ إلى الطَّاعَاتِ ، وَإِنّ الإِصْرَارَ عَلَى الذُّنُوبِ ، يُسَوِّدُ الْقُلُوبَ ، فَتجِدُها في ظُلْمَةٍ وَقَسَاوَةٍ وَلاَ خُلُوصَ فِيها وَلاَ صَفاوَة ، وَلا لَذَّةَ لطاعةٍ وَلاَ حَلاوَةَ ، وَإِنْ لَمْ يَرْحَمِ اللَّهُ عزّ وجلّ فَسَتَجُرُّ صَاحِبَهَا إِلَى الْكُفْرِ وَالشَّقَاوَةِ .

فَيَا عَجَباً ، كَيْفَ يُوَفَّقُ لِلطَّاعَةِ مَنْ هُوَ في شُؤمِ (معصية)[1] وَقَساوةٍ ؟ وَكَيْفَ يُدْعَى إلى الْخِدْمَةِ مَنْ هُوَ مُصرٌّ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْجَفْوَةِ ؟ وَكَيْفَ يُقَرَّبَ لِلمُنَاجَاةِ مَنْ هُوَ مُتَلَطِّخٌ بِالأَقْذَارِ وَالنَّجَاسَاتِ ؟ فَفِي الْخَبَرِ عَنِ الصَّادِقِ المُصَدَّقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّهُ قال[2]: « إذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَنَحَّى عَنْهُ المَلَكَانِ مِنْ نَتْنِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ»[أ] فَكَيْفَ يَصْلُحُ هٰذَا اللِّسانُ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ١٣ .

فَلاَ جَرَمَ لاَ يَكَادُ يَجِدُ المُصِرُّ عَلَى الْعِصْيانِ تَوْفِيقاً ، وَلاَ تَخِفُّ أَرْكَانُهُ لِلعِبَادَةِ ، وإِنِ آتّفقَ ، فَبِكَدٍّ لاَ حَلاَوَةَ مَعَهُ وَلاَ صَفْوَةَ ، وَكُلُّ ذٰلِكَ لِشُؤْمِ الذُّنُوبِ وَتَرْكِ التَّوْبَةِ . وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ(أ) : إذَا لَمْ تَقْوَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وصِيَامِ النَّهَارِ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَكْبُولٌ وَقَدْ كَبَّلَتْكَ خَطِيئَتُكَ . فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

وَالثَّانِي مِنَ الأَمْرَيْنِ : إِنَّما تَلْزَمُكَ التَّوْبَةُ لِتُقْبَلَ عِبادَتُكَ ، فَإِن رَبَّ الدَّيْنِ لاَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ ، وَذٰلِكَ أَنَّ التَّوْبَةَ عَنِ المَعاصِي وَإِرْضَاءُ الْخُصُومِ فَرْضٌ لاَزِمٌ، وَعَامَّةُ الْعِبَادَةِ الَّتِي تَقْصِدُهَا نَفْلٌ، فَكَيْفَ يُقْبَلُ تَبَرُّعُكَ وَالدَّيْنُ عَلَيْكَ حالٌّ لَمْ تَقْضِهِ ؟ أم كَيْفَ تَتْرُكُ لأَجْلِهِ الْحَلاَلَ وَالمُباحَ / وَأَنْتَ مُصِرٌّ عَلَى فِعْلِ المَحْظُورِ وَالْحَرَامِ ؟ وَكَيْفَ تُنَاجِيهِ وَتَدْعُوهُ وَتُثْنِي عَلَيْهِ ، وَهُوَ - وَالْعِياذُ بِاللَّهِ - عَلَيْكَ غَضْبانُ ؟ فَهٰذَا ظَاهِرُ حَالِ الْعُصَاةِ المُصِرِّينَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ . وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ . [١٠/ب]

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَعْنَى التَّوْبَةِ النَّصُوحِ وما حَدُّها ؟ وَمَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَفْعَلَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ آلذُّنُوبِ كُلِّهَا فَأَقُولُ :

معنى التوبة

أَمَّا التَّوْبَةُ فَإِنَّها سَعْيٌ مِنْ مَساعِي الْقَلْبِ ، وَهِيَ عِنْدَ التَّحْصِيلِ فِي قَوْلِ الْعُلَمَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، تَنْزِيهُ الْقَلْبِ عَنِ آلذَّنْبِ . قَالَ شَيْخُنَا(ب) رَحِمَهُ اللَّهُ في حَدِّ التَّوْبَةِ : إِنَّهُ تَرْكُ آخْتِيارِ ذَنْبٍ سَبَقَ مِثْلُهُ عَنْهُ ، مَنْزِلَةً لا صُورَةً ، تَعْظِيماً لِلَّهِ تَعَالى وَحَذَراً مِنْ سَخَطِهِ ؛ وَلَهَا إِذاً أَرْبَعُ شَرَائِطَ :

(أ) أخرج أبو نعيم في الحلية (٨/٩٦) من حديث محمد بن علي عن الفُضَيْل قوله : « إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار ، فاعلم انك محروم مكبّل كبّلتك خطيئتك » .

(ب) هو أبو بكر الطرطوسي كما في سراج السالكين ص ١٤٨ .

شروط التوبة

إِحْدَاهَا : تَرْكُ آخْتِيَارِ الذَّنْبِ ، وَهُوَ أَنْ يُوَطِّنَ قَلْبَهُ وَيُجَرِّدَ عَزْمَهُ عَلَى أَن لاَ يَعُودُ إلى آلذَّنْبِ أَلْبَتَّةَ ؛ فَأَمَّا إِنْ تَرَكَ الذَّنْبَ وَفِي نَفْسِه أَنَّهُ رُبَّمَا يَعُودُ إِلَيْهِ ، أَوْ لاَ يَعْزِمُ عَلَى ذٰلِكَ ، بَلْ يَتَرَدَّدُ ، فَإِنَّهُ رُبَّما يَقَعُ لَهُ الْعَوْدُ ، فَإِنَّهُ مُمْتَنِعٌ عَنِ الذَّنْبِ غَيْرُ تَائِبٍ عَنْهُ .

وَالثَّانِيةُ : **أنْ يَتُوب عنْ**[1] **ذَنْبٍ قَدْ سَبَقَ عَنْهُ مِثْلُهُ** ، إِذْ لَوْ لَمْ يَسْبِقْ عَنْهُ مِثْلُهُ لَكَانَ مُتَّقِياً غَيْرَ تَائِبٍ ، أَلاَ تَرَى أَنَّهُ يَصِحُّ الْقَوْلُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مُتَّقِياً عَنِ الْكُفْرِ ، وَلاَ يَصِحُّ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ كانَ تَائِباً عَنِ الْكُفْرِ ، إِذْ لَمْ يَسْبِقْ مِنْهُ كُفْرٌ بِحالٍ ، وَأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ تَائِباً عَنِ الْكُفْرِ لِمَا سَبَقَ عَنْهُ ذٰلِكَ .

وَالثَّالِثَةُ : **أنَّ الَّذِي سَبَقَ ، يَكُونُ مِثْلَ ما يَتْرُكُ آخْتِيَارَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالدَّرَجَة ، لاَ فِي الصُّورَةِ** ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ الشَّيْخَ الْهَرِمَ الفَانِيَ ، الَّذِي سَبَقَ مِنْهُ الزِّنَا وَقَطْعُ الطَّرِيقِ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتُوبَ عَنْ ذٰلِكَ ، تُمْكِنُهُ التَّوْبَةُ لاَ مَحالَةَ ، إِذْ لَمْ يُغْلَقْ عَنْهُ بَابُها ، وَلاَ يُمْكِنُهُ تَرْكُ آخْتِيَارِ الزِّنَا وَقَطْعُ الطَّرِيقِ ، إِذْ هُوَ لاَ يَقْدِرُ الآن عَلَى فِعْلِ ذٰلِكَ ، فَلاَ يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ آخْتِيَارِهِ ، فَلاَ يَصِحُّ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ تَارِكٌ لَهُ ، مُمْتَنِعٌ عَنْهُ ، وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ ، غَيْرُ / مُتَمَكِّنٍ ، لَكِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى (فِعْلِ)[2] مَا هُوَ مِثْلُ الزِّنا وَقَطْعِ الطَّرِيقِ ، فِي الْمَنْزِلَةِ وَالدَّرَجةِ (كَالْكَذِبِ)[3] وَالْقَذْفِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ ، إِذْ جَمِيعُ ذٰلِكَ مَعَاصٍ وَإِنْ كَانَ الإِثْمُ يَتَفَاوَتُ فِي حَق الآدَمِي ، فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ بِقَدْرِهَا . [١١/أ]

ولٰكِنْ جَمِيعُ هٰذِهِ المَعَاصِي الْفَرْعِيَّةِ ، كُلِّها بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ دُونَ مَنْزِلَةِ الْبِدْعَةِ ، ومَنْزِلَةُ الْبِدْعَةِ دُونَ (مَنْزِلَةِ)[4] الْكُفْرِ فَلِذٰلِكَ صَحَّ مِنْهُ التَّوْبَةُ عن الزِّنَا وَقَطْعِ الطَّرِيقِ وَسَائِرِ مَا مَضَى مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي هُوَ عَاجِزٌ عَنْ أَمْثَالِهَا الْيَوْمَ فِي الصُّورَةِ .

وَالرَّابِعَةُ : أَنْ يَكُونَ تَرْكُ ٱخْتِيَارِهِ ذٰلِكَ ، تَعْظِيماً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَحَذَراً مِنْ سَخَطِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ ، مُجَرَّداً لَا لِرَغْبَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ ، أَوْ رَهْبَةٍ مِنَ النَّاسِ ، أَوْ طَلَبِ ثناءٍ أو صِيتٍ ، أَوْ جَاهٍ أَوْ ضَعْفٍ فِي النَّفْسِ أَوْ فَقْرٍ أَوْ هوانٍ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ . فَهٰذِهِ شَرَائِطُ التَّوْبَةِ وَأَرْكَانُهَا ، فَإِذَا حَصَلَتْ وَٱسْتَكْمَلَتْ ، فَهِيَ تَوْبَةٌ حَقِيقِيَّةٌ صَادِقَةٌ .

مقدّمات التوبة

وَأَمَّا مُقَدِّمَاتُ التَّوْبَةِ فَثَلاثٌ :

إِحْدَاهَا : ذِكْرُ غَايَةِ قُبْحِ الذَّنبِ .

وَالثَّانِيَةُ : ذِكْرُ شِدَّةِ عُقُوبَةِ اللَّهِ تَعَالى ، وَأَلِيمِ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ الَّذِي لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ .

وَالثَّالِثَةُ : ذِكْرُ ضَعْفِكَ وَقِلَّةِ حِيلَتِكَ في ذٰلِكَ ، فَإِنَّ مَنْ لَا يَحْتَمِلُ حَرَّ شَمْسٍ وَلَطْمَةَ شُرْطِيٍّ وَقَرْصَ نَمْلَةٍ ، كَيْفَ يَحْتَمِلُ حَرَّ نَارِ جَهَنَّمَ ، وَضَرْبَ مَقَامِعِ[أ] الزَّبَانِيَةِ ، وَلَسْعَ حَيَّاتٍ كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[ب] ، وَعَقَارِبَ كَالْبِغَالِ ، خُلِقَتْ مِنَ النَّارِ في دَارِ الْغَضَبِ وَالْبَوَارِ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ ثُمَّ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ وَعَذَابِهِ .

فَإِذَا وَاظَبْتَ عَلَى هٰذِهِ الأَذْكَارِ ، وَعَاوَدْتَهَا آنَاءَ اللَّيْلِ وَأطراف النَّهارِ ، فَإِنَّهَا سَتَحْمِلُكَ عَلَى التَّوْبَةِ النَّصُوحِ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَٱللَّهُ المُوَفِّقُ بِفَضْلِهِ .

فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ قَدْ قالَ النَّبِيُّ ﷺ : « النَّدَمُ تَوْبَةٌ »[ج] وَلَمْ يَذْكُرْ مِمَّا ذَكَرْتُمْ مِنْ شَرَائِطِهَا وَشَدَّدْتُمْ شَيْئاً ؟ يُقالُ لَهُ :

(أ) المقامع : جمع مِقْمَعة ، وهي سياط من حديد رؤوسها معوَجّة . والزبانية : الملائكة الغِلاظ الشِّداد .

(ب) البخت : نوع من الإبل طِوال الأعناق .

(ج) راجع تخريج الحديث رقم ١٤ .

اَعْلَمْ أَوَّلاً أَنَّ النَّدمَ غيْرُ مَقْدُورٍ لِلْعَبْدِ، أَلاَ تَرَى أَنّهُ تَقَعُ النّدَامَـةُ عَنْ أُمُورٍ فِي قَلْبِهِ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ لاَ يَكونَ ذٰلِكَ، وَالتَّـوْبَةُ مَقْـدُورَةٌ/ لِلْعَبْدِ مَـأْمُورٌ بِهـا؟ ثُمَّ إنّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَوْ نَدِمَ عَلَى الذُّنُوبِ لَمَا ذَهَبَ بِذٰلِكَ جَاهُهُ عِنْدَ النَّـاسِ أَوْ مَالُهُ فِي النَّفَقَةِ فِيهَا ، فَإنّ ذٰلِكَ لاَ يَكُونُ تَوْبَةً بِلاَ رَيْبٍ ، فَعَلِمْتَ بِذٰلِكَ أَنّ فِي الْخَبَرِ مَعْنًى لَمْ تَفْهَمْهُ مِنْ ظَاهِرِهِ ، وَهُـوَ أَنّ النّدَمَ لِتَعْـظِيمِ اللّهِ سُبْحَانَـهُ ، وَخَـوْفِ عِقَابِـهِ ، مِمَّا يَبْعَثُ عَلَى التّـوْبَةِ النَّصُـوحِ ، فَإنّ ذٰلِـكَ مِنْ صِفاتِ التّائِبِينَ وَحَالِهِمْ ، فإنّهُ إذَا ذَكَرَ الأَذْكَارَ الثّلاثَةَ الّتِي هِيَ مُقَدّمَاتُ التّوْبَةِ يندمَ . فَحمَلَتْـهُ النّدَامَـةُ عَلَى تَـرْكِ آخْتِيَـارِ الـذّنبِ ، وَتَبْقَى نَـدَامَتُـهُ فِي قَلْبِـهِ في المُسْتَقْبَـلِ تَحْمِلُهُ عَلَى الإبْتِهَالِ وَالتَّضَـرُّعِ . فَلَمَّا كَـانَ ذٰلِـكَ مِنْ أَسْبَـابِ التَّوْبَةِ ، وَصِفاتِ التّائِبِ ، سَمّاهُ باسْمِ التّوْبَةِ ، فَافْهَمْ ذٰلِكَ مُـوَفَّقاً إنْ شَـاءَ اللّهُ تَعالى بِفَضْلِهِ .

[۱۱/ب]

الهدف من الندم

فَإنْ قُلْتَ كَيْفَ يُمْكِنُ الإنْسانُ أَنْ يَصِيرَ بِحَيْثُ لاَ يَقَعُ مِنْهُ ذَنْبٌ أَلْبَتّةَ مِنْ صَغِيـرٍ أَوْ كَبِيرٍ ؟ كَيْفَ وَأَنْبِيَـاءُ اللّهِ صَلَوَاتُ آللّهِ وَسَلاَمُـهُ عَلَيْهِـمُ الّـذِينَ هُمْ أَشْرَفُ خَلْقِ آللّهِ تَعَالَى ، قَدِ آخْتَلَفَ (فِيهِمْ)[1] أَهْلُ الْعِلْمِ : هَلْ نَالُوا هٰذِهِ الدّرَجَةَ أَمْ لاَ ؟

فَاعْلَمْ أَنّ هٰذَا الأَمْرَ مُمْكِنٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ ثُمَّ هُوَ هَيِّنٌ ، وَآللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ .

ثُمَّ مِنْ شَرْطِ التّوْبَةِ أَنْ لاَ يَتَعَمَّدَ ذَنْباً ، فَأَمَّا إنْ وَقَعَ مِنْهُ بِسَهْوٍ أَوْ خَطَإٍ فَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ بِفَضْلِ آللّهِ تعالَى ، وَهٰذَا هَيِّنٌ عَلَى مَنْ وَفّقَهُ اللّهُ تَعالَى .

فَإنْ قُلْتَ إنّمَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّـوْبَة أَنّي أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي أَنّي أَعُـودُ إلَى الذّنْبِ وَلاَ أَثْبُتُ عَلَى التّوْبَةِ فَلاَ فَائِدَةَ فِي ذَلِـكَ ، فَاعْلَمْ أَنّ هٰـذَا مِنْ غُرُورِ

الشَّيْطانِ ، وَمِنْ أَيْنَ لَكَ هٰذَا الْعِلْمُ ؟ فَعَسى أَنْ تَمُوتَ تَائِباً قَبْلَ أَنْ تَعُودَ إِلى الذَّنْبِ .

وَأَمَّا الْخَوْفُ مِنَ الْعَوْدِ ، فَعَلَيْكَ الْعَزْمُ وَالصِّدْقُ فِي ذٰلِكَ ، وَعَلَيْهِ الإِتْمامُ ، فَإِنْ أَتَمَّ فَذاكَ (مِنْ فَضْلِهِ)(١) وَإِنْ لَمْ يَتِمَّ ، فَقَدْ غُفِرَتْ ذُنُوبُكَ السَّالِفَةُ كُلُّهَا ، وَتَخَلَّصْتَ مِنْها ، وَتَطَهَّرْتَ ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا هٰذَا الحَدَثُ الَّذِي أَحْدَثْتَهُ الآن وَهٰذَا هُوَ الرِّبْحُ الْعَظِيمُ وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَة وَلا يَمْنَعْكَ خَوْفُ الْعَوْدَةِ عَنِ التَّوْبَةِ ، فَإِنَّكَ مِنَ التَّوْبَةِ أَبَداً بَيْنَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ / [١٢/أ] وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْهِدَايَةِ ؛ فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

أقسام الذنوب

وَأَمَّا الْخُرُوجُ عَنِ الذُّنُوبِ وَالتَّخَلُّصُ مِنْهَا ، فَاعْلَمْ أَنَّ الذُّنُوبَ فِي الْجُمْلَةِ ثَلاَثَةُ أَقْسامٍ :

أَحَدُهَا : تَرْكُ وَاجِباتِ اللَّهِ تَعَالى عَلَيْكَ ، مِنْ صَلاَةٍ أَوْ صِيَامٍ أَوْ زَكَاةٍ أَوْ كَفَّارَةٍ أَوْ غَيْرِها ، فَتَقْضِي مَا أَمْكَنَكَ مِنها .

وَالثَّانِي : ذُنُوبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالى ، كَشُرْبِ الْخَمْرِ وَضَرْبِ الْمَزامِيرِ وَأَكْلِ الرِّبَا وَنَحْوِ ذٰلِكَ ، فَتَنْدَمُ عَلَى ذٰلِكَ ، وَتُوَطِّنُ قَلْبَكَ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلى مِثْلِهَا أَبَداً .

وَالثَّالِثُ : ذُنُوبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعِبادِ ، فهٰذَا أَشْكَلُ وَأَصْعَبُ ، وَهِيَ أَقْسَامٌ ، قَدْ تَكُونُ في المَالِ أو في النَّفْسِ أَوَ فِي الْعِرْضِ ، أو فِي الْحُرْمَةِ ، أو فِي الدِّينِ .

الذنوب التي بين العباد

فَمَا كَانَ فِي المَالِ فَيَجِبُ أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيْهِ إِنْ أَمْكَنَكَ ، فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ ذٰلِكَ ، لِعَدَمٍ ، وَفَقْرٍ فَتَسْتَحِلَّ مِنْهُ ، وَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ ذٰلِكَ لِغَيْبَةِ الرَّجُلِ أَوْ مَوْتِهِ، وَأَمْكَنَ التَّصَدُّقُ عَنْهُ فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ ، فَعَلَيْكَ بِتَكْثِيرِ حَسَناتِكَ

وَالـرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَـالَى بِالتَّضَـرُّعِ وَالإِبْتِهَالِ إِلَيـه أَنْ يُرْضِيَـهُ عَنْكَ يَـوْمَ الْقِيامَةِ .

وَأَمَّـا مَا كَـانَ فِي **النَّفْسِ** ، فَتُمَكِّنُهُ مِنَ الْقِصَـاصِ أَوْ أَوْلِيَـاءَهُ ، حَتَّى يَقْتَصَّ مِنْكَ أَوْ تُجْعَل فِي حِلٍّ ، فَإِنْ عَجَزْتَ ، فَالـرُّجُوعُ إِلى اللَّهِ سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَىٰ وَالابْتِهَالُ إِلَيْهِ أَنْ يُرْضِيَهُ عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَأَمَّا الْعِرْضُ فَإِنِ آغْتَبْتَهُ أَوْ بَهَتَّهُ(أ) أَوْ شَتَمْتَهُ ، فَحَقُّكَ أَنْ تُكَذِّبَ نَفْسَكَ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ عِنْدهُ ، وَأَنْ تَسْتَحِلَّ مِنْ صاحِبِهِ إِنْ أَمْكَنَكَ ، هٰذَا إِنْ لَمْ تَخْشَ زِيَادَةَ غَيْظٍ وَهَيْجِ فِتْنَةٍ فِي أَظْهَارِ ذٰلِكَ وَتَجْدِيـدِهِ ، فَإِنْ خَشِيْتَ ذٰلِكَ فَالرُّجُوعُ إِلى اللَّهِ تَعَالَى لِيُرْضِيَهُ عَنْكَ وَالاسْتِغْفَارُ الْكَثِيرُ لِصاحِبِهِ .

وَأَمَّـا الْحُـرْمَـةُ بِـأَنْ خُنْتَـهُ فِي أَهْلِهِ أَوْ وَلَـدِهِ أَوْ نَحْـوِهِ ، فَـلاَ وَجْـهَ لِلإِسْتِحْلالِ وَالإِظْهار ، لأَنهُ يُولِّدُ فِتْنَةً وَغَيْظاً ، بَلْ تَتَضَرَّعُ إِلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لِيُرْضِيَهُ عَنْكَ ، وَيَجْعَلَ لَهُ خَيْراً كَثِيراً فِي مُقَابَلَتِهِ ، فَإِنْ أَمِنْتَ الْفِتْنَةَ وَالْهَيْجِ ، وَهُوَ نَادِرٌ ، فَتَسْتَحِلَّ مِنْهُ .

وَأَمَّا فِي الدِّينِ بِأَن كَفَّرْتَهُ أَوْ بَدَّعْتَهُ أَوْ ضَلَّلْتَهُ ، فَهُوَ أَصعَبُ الأُمُورِ(١) ، فَتَحْتَاجُ إِلَى تَكْذِيبِ / نَفْسِكَ عِنْدَ(٢) مَنْ قُلْتَ لَهُ (ذٰلِك)(٣) ، وَأَنْ تَسْتَحِلَّ [١٢/ب] مِنْ صَاحِبِكَ إِنْ أَمْكَنَكَ ، وَإِلاَّ فَالإِبْتِهَالُ إِلى اللَّه تَعالى جِدّاً ، وَالتَّنَدُّمُ عَلَى ذٰلِكَ لِيُرْضِيَهُ عَنْكَ .

وَجُمْلَةُ الأَمْرِ فَمَا أَمْكَنَكَ مِنْ إِرْضاءِ الْخُصُومِ عَمِلْتَ، وَمَا لَمْ يُمْكِنْـكَ رَاجَعْتَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّضَـرُّعِ وَالصِّدقِ ، لِيُـرْضِيَهُ عَنْـكَ ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعالى يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَالرَّجاءُ مِنْهُ بِفَضْلِهِ الْعَظِيمِ وَإِحْسَانِهِ

(أ) بهتّه : قذفته وافتريت عليه بالكذب .

الْعَمِيمِ ، أَنَّهُ إذَا عَلِمَ الصِّدْقَ مِنْ قَلْبِ الْعَبْدِ فإنَّهُ يُرْضِي خُصَمَاءَهُ مِنْ خِزَانَةِ فَضْلِهِ ، وَلاَ حكم ، فَاعْلم هٰذِهِ حَقَّها رَاشِداً . فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

فَإِذَا أَنْتَ عَمِلْتَ مَا وَصَفْنَاهُ ، وَبَرَّأْتَ الْقَلْبَ عَنِ آخْتِيَارِ مِثْلِهَا في الْمُسْتَقْبَلِ ، فَقَدْ خَرَجْتَ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا ، وَإِنْ حَصَلَتْ مِنْكَ تَبْرِئَةُ الْقَلْبِ ، وَلَمْ يَحْصُلْ مِنْكَ قَضَاءُ الْفَوَائِتِ ، وَإِرْضاءُ الْخُصُومِ ، فَالتَّبِعَاتُ لاَزِمَةٌ وَسَائِرُ الذُّنُوبِ مَغْفُورَةٌ .

وَلِهٰذَا الْبَابِ شَرْحٌ يطُولُ فَلاَ يَحْتَمِلُهُ هٰذَا الْمُخْتَصَرُ ، وَآنْظُرْ كِتَابَ التَّوْبَةِ مِنْ كُتبِ « إحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينَ » أَوَّلاً ، وَ « كِتَابَ الْقُرْبَةِ إلى اللَّهِ » ثانياً ، وَ « كِتابَ الْغَايَةِ الْقُصْوَى » ثالثاً ، تَجِدْ فَوَائِدَ كَثِيرَةً وَشَرْحاً جَمّاً ، وَالَّذِي ذَكَرْنَاهُ ها هُنا هُوَ الأَصْلُ الَّذِي لاَ بُدّ مِنْهُ وَباللَّهِ التَّوْفِيقُ .

صعوبة اجتياز عقبة التوبة

(**فصل**) ثُمّ آعْلَمْ يَقِيناً أَنَّ هٰذِه الْعَقَبَةَ ، عقَبَةٌ صَعْبَةٌ ، أَمْرُهَا مُهِمٌّ وَضَرَرُهَا عَظِيمٌ . فَلَقَدْ بَلَغَنَا عَنِ الأُسْتاذ أَبِي إِسْحٰقَ الإِسْفَرَايِنِي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ، وَكَانَ مِنَ الرَّاسِخِينَ في الْعِلْمِ ، الْعَامِلِينَ ، أَنَّهُ قَالَ : دَعَوْتُ آللَّهَ سُبْحَانَهُ ثلاثِينَ سَنَةً أَنْ يَرْزُقَنِي تَوْبَةً نَصُوحاً ، ثُمَّ تَعَجَّبْتُ في نَفْسِي وقلتُ : سُبْحانَ اللَّهِ ، حَاجَةٌ دَعَوْتُ اللَّهَ فِيهَا ثَلاثِينَ سَنَةً فَمَا قُضِيَتْ إِلَى الآنَ ، فرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ، كَأَنَّ قَائِلاً يَقُولُ لِي : أَتَتَعَجَّبُ مِنْ ذٰلِكَ ؟ أَتَدْرِي مَاذَا تَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَه وَتعالى ؟ إِنَّما تَسْأَلُ اللَّهُ عزَّ وجلّ أَنْ يُحِبَّكَ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢]، أَفَهٰذِهِ حَاجَةٌ هَيِّنَةٌ ؟ فَانْظُرْ إِلَى هٰؤُلاَءِ الأَئِمَّةِ ، وَآهْتِمَامِهِمْ وَمُوَاظَبَتِهِمْ عَلَى صَلاَحِ قُلُوبِهِمْ ، وَالتَّزَوُّدِ لِمَعَادِهِمْ .

[١٣/أ] الضرر في تأخير التوبة

وَأَمَّا الضَّرَرُ/ المَخُوف (في تأخير التوبة)(١) فَإِنَّ أَوَّلَ الذَّنْبِ قَسْوَةٌ، وَآخِرَهُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تعالى شُؤْمٌ وَشِقْوَةٌ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْسَى أَمْرَ إِبْلِيسَ وَبَلْعامَ بْنِ

بَاعُورَاءَ ، كَانَ مَبْدَأُ أَمْرِهِمَا ذَنْباً وَآخِرُهُ كُفْراً فَهَلَكَا مَعَ الْهَالِكِينَ أَبَدَ الآبِدِينَ .
فَعلَيْكَ يَرحَمُكَ اللَّهُ بالتَّيَقُّظِ وَالْجهْد ، عَسَى أَنْ تَقْلَعَ مِنْ قَلْبِكَ عِرْقَ هٰذَا الإِضْرَارِ ، وَتُخلِّص رَقَبتكَ مِنْ هٰذِهِ الأَوْزَارِ ، وَلاَ تَأْمَنْ قَسَاوَةَ الْقَلْبِ وَتَأمَّلْ حَالَكَ ؛ فَلَقدْ قال بَعْضُ الصَّالِحينَ : إنَّ سَوَادَ الْقَلْبِ مِنَ الذُّنُوبِ[أ] .

وَعَلاَمَةُ سَوادِ الْقلْبِ أَنْ لاَ تَجِدَ مِنَ الذُّنُوبِ مَفْزَعاً ، وَلاَ لِلطَّاعَةِ مَوْقِعاً ، وَلاَ لِلْمَوْعِظَةِ مَنْجَعاً ، وَلا تَسْتَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ شَيْئاً فتَحْسِبَ نفْسَكَ تَائِباً وَأَنْتَ مُصِرٌّ عَلَى الْكَبَائِرِ .

وانظر في ما قاله الشاعر : [الكامل]

لا تحقِرَنّ من الذنوب أقلّها   إن القليل من الدوام كثير[١]

فَلَقْد بَلَغَنَا عَنْ كَهْمَس بْنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قالَ : أَذْنَبْتُ ذَنْباً أَنَا أَبْكِي عَلَيْهِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ ، قِيلَ ما هُوَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ قالَ : زَارَنِي أَخٌ لِي في اللَّهِ ، فَاشْتَرَيْتُ لَهُ سَمَكاً ، فَأَكَلَ ، ثُمَّ قُمْتُ إِلَى حَائِطِ جَارِي ، فَأَخَذْتُ مِنْهُ قِطْعَة طِينٍ فَغَسَلَ بِها يَدَهُ . فَنَاقِشْ نَفْسَكَ وَحَاسِبْها ، وَسارِعْ إِلى التَّوْبَةِ ، وَبَادِرْ ، فَإِنَّ الأَجَلَ مَكْتُومٌ ، وَالدُّنْيَا غُرُورٌ ، وَتَضَرَّعَ إِلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالى وَابْتَهِلْ (إليه)[٢] ، وَاذْكُرْ حَالَ أَبِينَا آدَمَ عليه السلام الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وجلّ بِيَدِهِ ، وَنفخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَحَمَلَهُ إِلى جَنَّتِهِ عَلَى أَعْنَاقِ المَلاَئِكَةِ ، لَمْ يُذْنِبْ إِلاّ ذَنْباً وَاحِداً ، نَزَلَ بِهِ ما نَزَلَ حَتَّى يُرْوَى أَنّ اللَّهَ تعالى قالَ لَهُ : يَا آدَمُ أَيَّ جَارٍ كُنْتُ لَكَ ، قَالَ نِعْمَ الْجَارُ يَا رَبِّ ، قَالَ يَا آدَمُ اخْرُجْ مِنْ جِوَارِي ، وَضَعْ عَنْ رَأْسِكَ تاجَ كَرَامَتِي ، فَإِنَّهُ لاَ يُجاوِرُنِي مَنْ عَصَانِي .

(أ) مصداق هذا القول ما جاء في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر ، صُقِلَ قلبُه ، فإن زاد زادت » رواه ابن ماجه ٢/١٤١٨ الحديث رقم ٤٢٤٤ .

حَتَّى أَنَّهُ فِيمَا رُوِيَ ، بَكَى عَلَى ذَنْبِهِ مِائَتَيْ سَنَةٍ ، حَتَّى قَبِلَ تَوْبَتَه وَغَفَرَ ذَنْبَهُ الْوَاحِدَ .

هٰـذَا حَالُـه مَعَ نَبِيِّـهِ وَصَفِيِّهِ فِي ذَنْبٍ وَاحِـدٍ، فَكَيْفَ حَـالُ الْغَيْـرِ فِي ذُنُـوبٍ لاَ تُحْصَى ؟ وَهٰـذَا تَضَـرُّعُ التَّـائِبِ وَابْتِهَـالُـهُ ، فَكَيْفَ بِـالْمُصِـرِّ الْمُتَعَسِّفِ ؟

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قالَ : [المتقارب] :

يَـخَـافُ عَـلَى نَـفْـسِـهِ مَـنْ يَـتُـوبُ
فَـكَـيْـفَ تَـرَى حَـالَ مَـنْ لاَ يَـتُـوبُ

[١٣/ب] / فَإِنْ تُبْتَ ثمَّ نَقَضْتَ (التَّوْبَةَ)[١] وَعُدْتَ إِلَى الذَّنْبِ ثَانِياً ، فَعُدْ إِلى التَّوْبَةِ مُبَادِراً ، وَقُلْ لِنفْسِـكَ : لَعَلِّي أَمُوتُ قَبْـلَ أَنْ أَعُودَ إِلى الـذَّنْبِ هٰذِهِ المَرَّةَ ، وَكَذٰلِكَ ثَالِثاً وَرَابِعاً . وَكمَا اتَّخَذْتَ الذَّنْبَ وَالْعَوْدَ إِلَيْهِ حِرْفَةً ، فَاتَّخِذِ التَّوْبَةَ وَالْعَوْدَ إِلَيْهَا حِرْفَةً ؛ فَلاَ تَكُنْ في التَّوْبَةِ أَعْجَزَ مِنْـكَ في الذَّنْبِ ، وَلاَ تَيْأَسْ ، وَلاَ يَمْنَعْكَ الشَّيْطَانُ مِنَ التَّوْبَةِ بِسَبَبِ ذٰلِكَ ، فَإِنَّهُ دِلالَةُ الْخَيْرِ ؛ أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ ﷺ : « خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفتنٍ تَوَّابٍ »[أ] أَيْ كَبِيرُ الإِبْتِلاَءِ بِـالذَّنْبِ ، كَثِيرُ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَالـرُّجُوعِ إِلى اللَّهِ سبحـانه وتعـالى بِالنَّـدَامَةِ وَالاسْتِغْفَـارِ ؛ وَتَذَكَّرْ قَوْلَهُ سُبْحَانُه وتَعَالى : ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ آللَّهَ يَجِدِ آللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾ [النساء : ١١٠] فهٰذِهِ هٰذِهِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

إجراءات التوبة

(**فصـل**) وَجُمْلَةُ الأَمْرِ أَنَّـكَ إِذَا آبْتَدَأْتَ فَـبَرَأْتَ قَلْبَكَ عَنِ الـذُّنُوبِ كُلِّهَا ، بِأَنْ تُوَطِّنَهُ عَلَى أَنْ لاَ تَعُودَ إِلى الذَّنْبِ أَبَداً أَلْبَتَّةَ ، فليكن مَا كَانَ مِنْكَ عَلَى وَجْهٍ عَلِمَ آللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ، صِدْقَ عَزْمِكَ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ ، وَتُرْضِي

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ١٥ .

الْخُصُومَ بِما أَمْكَنَكَ ، وَتَقْضِي الْفَوائِتَ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَتَرْجِعَ في الباقي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانهُ وَتَعالَى بِالإِبْتِهَالِ وَالتَّضَرُّعِ لِيَكْفِيَكَ ذٰلِكَ .

ثمَّ تَذْهَبَ فَتَغْتَسِلَ ، وَتَغْسِلَ ثِيابَكَ ، وَتُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ كَمَا يَجِبُ ، وَتَضَعَ وَجْهَكَ بِالأَرْضِ في مَكَانٍ خَالٍ حيث لا يَرَاكَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، ثُمَّ تَجْعَلَ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِكَ ، وَتُمَرِّغَ وَجْهَكَ ، الَّذِي هُوَ أَعَزُّ أَعْضائِكَ ، في التُّرَابِ بِدَمْعٍ جَارٍ وَقَلْبٍ حَزِينٍ وَصَوْتٍ عَالٍ ونداءٍ خفي ، وَتَذْكُرَ ذُنُوبَكَ وَاحِداً وَاحِداً ، مَا أَمْكَنَكَ ، وَتَلُومَ نَفْسَكَ الْعَاصِيَةَ على فعلها[1] ، وَتُوَبِّخَهَا وَتقُول : يَا نَفْسُ ، أَمَا تَسْتَحِي ، أَمَا آنَ لَكِ أَنْ تَتُوبِي وترجعي ؟ أَلَكِ طَاقَةٌ بِعَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؟ أَلَكِ حَاجَةٌ بِسَخْطِ اللَّهِ سُبْحَانهُ ؟ وَتَذْكُرُ مِنْ هٰذَا / كَثِيراً وَتَبْكِي . [١٤/أ]

ثُمَّ تَرْفَعُ يَدَيْكَ إِلى الرَّبِّ الرَّحِيمِ سُبْحَانهُ وتعالى وَتقُولُ : إِلٰهِي عَبْدُكَ الآبِقُ رَجَعَ إِلى بَابِكَ ، عَبْدُكَ الْعَاصِي ، رَجَعَ إِلى الصُّلْحِ ، عَبْدُكَ المُذْنِبُ أَتَاكَ بِالْعُذْرِ فَاعْفُ عَنِّي بِجُودِكَ وَتَقَبَّلْنِي بِفَضْلِكَ ، وَانْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَتِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا سَلَفَ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَاعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِنَ الأَجَلِ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِيَدِكَ ، وَأَنْتَ بِنَا رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

ثمَّ تَدْعُو دُعَاءَ **الشِّدَّةِ** وَهُوَ : يَا مُجلِّي عَظائِمَ الأُمُورِ يَا مُنْتَهِي هِمَّةِ الْمَهْمُومِينَ ، يَا مَنْ إِذا أَرَادَ شَيئاً إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ؛ أَحَاطَتْ بِنَا ذُنُوبُنا أَنْتَ الْمَذْخُورُ لهَا يَا مَذْخُور لِكُلِّ شِدّةٍ ، كُنْتُ أَدَّخِرُكَ لِهٰذِهِ السَّاعَةِ ، فَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

ثُمَّ أَكْثِرْ مِنَ الْبُكاءِ وَالتَّذَلُّلِ وَقُلْ : يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ ، يَا مَنْ لَا تُغَلِّطُهُ المَسَائِلِ ، يَا مَنْ لَا يَبْرَمُهُ إِلْحاحُ المُلِحِّينَ ، أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ

وَحلاَوَةَ مَغْفِرَتِك ، (بِرَحْمَتِك يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ)[1] إِنَّك عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ثُمَّ تُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَتَسْتَغْفِرُ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ ، وَتَرْجِعُ إِلَى طاعَةِ آللَّهِ جلّ جَلالُهُ ، فَتَكُونُ قد تُبْتَ تَوْبَةً نَصُوحاً ، وَقَدْ خَرَجْتَ مِنَ الذُّنُوبِ طَاهِراً كَيَوْمِ وَلَدَتْك أُمُّك ، وَأَحَبَّك اللَّهُ عزّ وجلّ وَلَك مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ ، وَعلَيْك مِنَ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ ، ما لاَ يُحِيطُ بِهِ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ ، وَحَصَلَ لَك الأَمْنُ وَالْخَلاَصُ وَنجَوْتَ مِنْ غُصَّةِ المَعَاصِي وَبَلِيَّتِها في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ . وَكُنْتَ قَدْ قَطَعْتَ هٰذِهِ الْعَقَبَةَ، بِإِذْنِ آللَّهِ تعالى ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْهِدَايَةِ والتوفيق بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ ، كما هو أهله .

العقبة الثَّالِثَةُ وَهِيَ عَقبةُ العَوَائِقِ

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِبَادَةِ ـ وَفَّقكَ آللَّهُ ـ بِدَفْعِ الْعَوَائِقِ ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ عِبادَتُكَ . وَقدْ ذَكَرْنا أَنَّ **الْعَوَائق أَرْبَعةٌ** :

العائق الأوَّل : الدُّنْيا

أحَدُها : الدُّنْيا ؛ وَدَفْعُهَا (إنَّما هُوَ)[1] بِالتَّجَرُّدِ عَنْهَا وَالزُّهْدِ فِيها .

وَإنَّمَا لَزِمَكَ هٰذا التَّجَرُّدُ وَالزُّهْدُ لأَمْرَيْنِ :

أَحَـدُهُمَا : لِتَسْتَقِيمَ لَـكَ الْعِبَادَةُ / وَتكثُـر ، فَإنَّ الـرَّغْبَـةَ في الـدُّنْيـا [١٤/ب] تَشْغَلُكَ (ظاهراً وباطناً)[2] ؛ أَمَّا ظَاهِرُكَ فَبِالطَّلَبِ ، وَأَمَّا بَاطِنُكَ فَبِـالإرَادَةِ وَحَدِيثِ النَّفْسِ ، وَكِلاَهُمَا يَمْنَعُ عنْ الْعِبَادَةِ ، فإنَّ النَّفْسَ وَاحِدَةٌ ، وَالقَلْبَ وَاحِدٌ ، فَإذَا آشْتَغَلَ بِشَيْءٍ آنْقَطَعَ عَنْ ضِـدِّهِ . وَإنَّ مَثَلَ الـدُّنْيَا وَالآخِـرَةِ ، كَمَثَلِ الضَّـرَّتَيْنِ ، إنْ أَرْضَيْتَ إحْـدَاهُمَـا أَسْخَـطْتَ الأُخْـرَى ؛ وَأَنَّهُمَـا كَالمَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ، بِقَدْرِ مَا تَمِيلُ إلى أَحَدِهِمَا ، أَعْرَضْتَ عَنِ الآخَرِ .

وأَمَّا شَغْلُهَـا فِي الظاهِرِ فَقَدْ رَوَيْنا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ آللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : حاوَلْتُ أَنْ أَجْمَـعَ بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالتِّجَـارَةِ فَلَمْ يَجْتَمِعَا ، فَـأَقْبَلْتُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَتَرَكْتُ التِّجَارَةَ .

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ آللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ : « لَوْ كَانَتَا مُجْتَمِعَيْنِ لأَحَدٍ غَيْرِي لاَجْتَمَعَتَا لِي لِمَا أَعْطَانِي آللَّهُ تعالى مِنَ الْقُوَّةِ وَآللِّينِ » وإذَا كَانَ الْحَـدِيثُ

كذلِكَ فَالضِرُّ بِالفَانِيَةِ أولى ، والسَّلاَمُ .

وَأَمَّا شَغْلُهَا لِلْقَلْبِ ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لِمَكَانِ الإِرَادَةِ ، فَلَما رُوِيَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ :

«مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ ؛ فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى »[أ] فَبَانَ لَكَ أَنَّهُ إِذَا آشْتَغَلَ ظَاهِرُكَ بِالدُّنْيَا ، وَبَاطِنُكَ بِإِرَادَتِها[١] ، فَلاَ تَتَيَسَّرُ لَكَ الْعِبَادَةُ بِحَقِّهَا ، وَأَمَّا إِذَا زَهِدْتَ فِيها ، فَتَفَرَّغْتَ بِظاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ ، فَتَتَيَسَّرُ لَكَ الْعِبَادَةُ ، بَلْ تُعَاوِنُكَ أَعْضَاؤُكَ .

وَلَقَدْ رُوِيَ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا زَهِدَ في الدُّنْيَا آسْتَنَارَ قَلْبُهُ بِالحِكْمَةِ ، وَتَعَاوَنَتْ أَعْضَاؤُهُ في الْعِبَادَةِ » فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

وَالثَّانِي مِنَ الأَمْرَيْنِ : أَنَّهُ يُكثِرُ قِيمَةَ عَمَلِكَ ، وَيُعَظِّمُ قَدْرَهُ وَشَرَفَهُ ؛ فَلَقَدْ قَالَ ﷺ : « رَكْعَتَانِ مِنْ رَجُلٍ زَاهِدٍ قَلْبُهُ ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِبَادَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ إِلَى آخِرِ ٱلدَّهْرِ ، أَبَداً سَرْمَداً »[ب] .

فَإِذَا كَانَتِ الْعِبَادَةُ تَشْرُفُ وَتَكْثُر بِذٰلِكَ ، فَحَقٌّ لِمَنْ طَلَبَ الْعِبَادَةَ أَنْ يَزْهَدَ فِي الدُّنيَا وَيَتَجَرَّدَ عَنْهَا .

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَعْنَى الزُّهْدِ وَ (مَا)[٢] حَقِيقته ؟ .

[١٥/أ] معنى الزهد — الزهد زهدان زهد مقدور وزهد غير مقدور

فاعْلَمْ أولاً / إِنَّ الزُّهْدَ عِنْد عُلَمَائِنا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعالَى زُهْدَانِ : زُهْدٌ مَقْدُورٌ لِلْعَبْدِ ، وَزُهْدٌ غَيْرُ مَقْدُورٍ ؛ فَالَّذِي هُوَ مَقْدُورٌ ثَلاَثَةُ أَشْيَاءَ :

(١) تَرْكُ طَلَبِ الْمَفْقُودِ مِنَ ٱلدُّنْيَا، (٢) وَتَفْرِيقُ الْمَجْمُوعِ مِنْها، (٣) وَتَرْكُ إِرَادَتِهَا وَآخْتِيَارِها .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ١٦ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ١٧ .

وَأَمَّا الزُّهْدُ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مَقْدُورٍ لِلْعَبْدِ ، فَهُوَ بُرُودَةُ الشَّيْءِ عَلَى قَلْبِ الزَّاهِدِ .

ثُمَّ الزُّهْدُ الَّذِي هُوَ مَقْدُورٌ ، مُقَدِّمَاتٌ لِلزُّهْدِ الـذِي هُوَ غَيْـرُ مَقْدُورٍ ؛ فَإِذَا أَتَى بِهِ الْعَبْدُ بِأَنْ لاَ يَطْلُبَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَن[1] يُفَرِّقَ مَا عِنْدَهُ مِنْهَـا ، وَيَتْـرُكَ بِـالْقَلْبِ إِرَادَتَهَـا وَاخْتِيَـارَهَـا (لأَجْـلِ اللَّهِ وَعَـظِيمِ ثَـوَابِـهِ بِتَذَكُّرِهِ)[2] لآفاتِها ، أَوْرَثَتْهُ هذه بُرُودَةَ الدُّنْيَا عَلَى قَلْبِهِ . وَهٰـذَا عِنْدِي هُـوَ الزُّهْدُ الْحَقِيقِيُّ .

تَرْك إرادة الدنيا

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَصْعَبَ الأُمُورِ الثَّلاَثَةِ إِنَّمَا هُوَ تَرْكُ الإِرَادَةِ بِالْقَلْبِ ، إِذْ كَمْ تَارِكٍ لَهَا بِظَاهِرِهِ ، مُـحِبٍّ مُرِيدٍ لَهَا بِبَاطِنِهِ ، فَهُوَ فِي مُكَـافَحَة وَمُقَـاساةٍ مِنْ نَفْسِهِ شَدِيدَةٍ ، وَالشَّأْنُ كُلُّهُ فِي هٰذَا . أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ تعـالى : ﴿ **تِلْكَ الـدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَـا لِلَّذِينَ لاَ يُـرِيـدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَـاداً** ﴾ [القصص : ٨٣] عَلَّقَ الحُكْمَ بِنَفْيِ الإِرَادَةِ دُونَ الطَّلَبِ وَالْفِعْلِ لِلْمُرَادِ . وَقَوْلِهِ تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُـرِيـدُ حَـرْثَ الـدُّنْيَـا نُؤْتِـهِ مِنْهـا ، وَمَـا لَـهُ فِي الآخِـرَةِ مِنْ نَصِيبٍ** ﴾ [الشورى : ٢٠] وَقَوْلِهِ تَعَالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُرِيد** ﴾ [الإسراء : ١٨] وقال : ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا** ﴾ [الإسراء : ١٩] أَمَا تَرَى الإِشَارَاتِ كُلَّهَا إِلَى الإِرَادَةِ ، فَأَمْرُهَا هُوَ المُهِمُّ إِذَنْ ؛ لٰكِنِ الْعَبْـدُ إِذَا وَاظَبَ وَاسْتَقَـامَ عَلَى الأَوَّلَيْنِ ، أَعْنِي التَّـرْكَ وَالتَّفْرِيقَ ، فَمَأْمُولٌ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، أَنْ يُـوفِّقَهُ لِـدَفْعِ هٰـذِهِ الإِرَادَةِ وَالاخْتِيَارِ عَنْ قَلْبِهِ ، فَإِنَّهُ المُفْضِلُ الْكَرِيمُ عَزَّ وَجَلَّ .

ثُمَّ الَّـذِي يَبْعَثُ عَلَى التَّرْكِ وَالتَّفْـرِيقِ ، وَيُهَوِّنُ عَلَيْـكَ ذٰلِكَ ، ذِكْـرُ آفَاتِ الدُّنْيَـا وَعُيُوبِهَـا ، وَقَدْ أَكْثَـرَ النَّاسُ الْقَـوْلَ فِي ذٰلِكَ ، فَمِنْـهُ فِي قَوْلِ

بَعْضِهِمْ[أ] : « تَرَكْتُ الدُّنْيا لِقِلَّةِ غَنَائِهَا وَكَثْرَةِ عَنَائِهـا ، وَسُرْعَةِ فَنائِهَا وَخِسَّةِ شُرَكَائِها » .

[١٥/ب] قالَ شَيْخِي / الإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(لٰكِنْ يَجِيءُ)[١] مِنْ هَـذا رَائِحَـةُ الـرَّغْبَـةِ[ب] ، لأَنَّ مَنْ شَكَـا فِـرَاقَ أَحَـدٍ[٢] أَحَبَّ وِصَـالَـهُ ، وَمَنْ تَـرَكَ شَيْئـاً لِمَكَـانِ الشُّـرَكَـاءِ فِيـهِ[٣] أَحَبَّ[٤] لَو ٱنْفَـرَدَ بِـهِ . فَـالْقَـوْلُ الْبَـالِـغُ فِيـهِ، مَـا قَـالَـهُ شَيْخُنَـا[ج] رَحِمَـهُ اللَّهُ : « إِنَّ الـدُّنْيَـا عَـدُوَّةٌ لِلَّهِ عَـزَّ وَجَـلَّ ، وَأَنْتَ مُحِبُّـهُ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَحَداً أَبْغَضَ عَدُوَّهُ » . قالَ : وَلأَنَّهَا فِي أَصْلِهَا وَسِخَةٌ جِيفَةٌ ، أَلاَ تَرَى أَنَّ الدنيا عدوّةٌ ، آخِر أمرها إلى الْقَذَرِ وَالْفَسَادِ ، وَالتَّـلاَشِي وَالاضْمِحْلاَلِ لٰكِنَّهَا جِيفَةٌ ضُمِّخَتْ بِطِيبٍ وَطُلِيَتْ بِزِينَةٍ ،فَاغْتَرَّ بِظاهِرِها الْغَافِلُونَ ، وَزَهَدَ فِيها الْعَاقِلُونَ .

حكم الزهد في الدنيا

فَإِنْ قُلت : فَما حُكْمُ الزُّهْدِ في الدُّنْيَا ، أَهُوَ فَرْضٌ أَمْ نَفْلٌ ؟

فاعْلَمْ : أَنَّ الزُّهْدَ يَقَعُ عِنْدَنا في الحَلاَلِ وَالحَرَامِ ، فَهُوَ في الحَرَامِ فَرْضٌ ، وَفِي الْحَلاَلِ نَفْلٌ .

ثُمَّ مَنْزِلَةُ هٰذَا الْحَرَامِ لِمُسْتَقِيمِي الطَّاعَةِ ، بِمَنْزِلَةِ الْمَيْتَةِ الْمُسْتَقْذَرَةِ ، لاَ يَقْدُمُ عَلَيْهَا إِلاَّ عِنْدَ الضَّرُورَةِ بِمِقْدَارِ دَفْعِ الضَّرورَة .

وَأَمَّا الزُّهْدُ في الحَلاَلِ فَإِنَّمَا يَكُونُ للأَبْـدَالِ[د] ، يَكُونُ عِنْـدَهُم في

(أ) وهو قول يحيى بن معاذ الرازي، كما قاله ابن علوي الحداد في رسالته . (راجع سراج السالكين، ص ٢٠٢) .

(ب) أي يجيء من قول بعضهم هذا . وهو ما سبق ذكره .

(ج) هو أبو بكر الورّاق ، كما في سراج السالكين ص ٢٠٣ .

(د) الأبدال : قوم يقيم الله بهم الأرض ، لا يموت أحدهم إلا قام مقامه آخر من الناس=

الْحَلَالَ بِمَنْزِلَةِ الْمَيْتَةِ ، لَا يَتَنَاوَلُونَ مِنْهَا إِلَّا قَدْراً لَا بُدَّ مِنْهُ .

وَالْحَرَامُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ النَّارِ، لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ قَصْدُ تَنَاوُلِهَا بِحَالٍ ، فَهٰذَا مَعْنَى الْبُرُودَةِ عَلَى الْقَلْبِ بِأَنْ تَنقطعَ هِمَّتُهُ عَنْها وَيَسْتَقْذِرَهَا وَيَسْتَنْكِرَهَا جِدًّا ، فَلَا يَبْقَى لَها في قَلْبِهِ اخْتِيَارٌ وَلَا إِرَادَةٌ .

مَثَلُ الدنيا

فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَصِيرَ ٱلدُّنْيا في شَهَوَاتِها وَلَذَّاتِها الْعَجِيبَةِ الْمَطْلُوبَةِ عِنْدَ إِنْسانٍ بِمَنْزِلَةِ النَّارِ أَوْ بِمَنْزِلَةِ الجِيفَةِ الْمُسْتَحِيلَةِ ، وَالْبِنْيَةُ بِنْيَتُنَا[أ] ، والطَّبْعُ طَبْعُنَا[ب] ؟

فاعْلَمْ : أَنَّ مَنْ وُفِّقَ التَّوْفِيقَ الخَاصَّ ، وَعَلِمَ آفَاتِها وَقَذَرَها في أَصلِها ، تَصِيرُ عِنْدَهُ كَذٰلِكَ ؛ وَإِنَّمَا يَتَعَجَّبُ مِنْ هٰذَا الرَّاغِبُونَ الْعُمْيَانُ عَنْ عُيبِ الدُّنْيَا وَآفَاتِهَا ، الْمُغْتَرُّونَ بظاهِرِهَا وَزِينَتِهَا . وَسَأَضْرِبُ لَكَ مَثَلاً لِذٰلِكَ :

= قال ابن دريد : الواحد بديل . راجع ما روي عن الابدال في مسند الإمام أحمد ابن حنبل : « الابدال في هذه الأمة ثلاثون » (ج ٥ ص ٣٢٢)، وحديث « الابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً » (١١٢/١).

وقال أبو الدرداء « إعلم أن لله عباداً يقال لهم الأبدال، خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض ، فلما انقضت النبوّة أبدل الله مكانهم قوماً من أمّة محمد ﷺ لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حلية، ولكن بصدق الورع وحسن النيّة وسلامة الصدر لجميع المسلمين، والنصيحة لهم إبتغاء مرضاة الله، بصبر من غير تجبّن ، وتواضع من غير مذلّة ، وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه » (سراج السالكين ص ٢٥٩). وقد أورد الترمذي حديث الأبدال في نوادر الأصول من قول أبي الدرداء، كما رُوي حديث الأبدال عن جماعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً .

(أ) البنْية بنيتنا : أي أننا خلقنا ضعفاء والبنية هي الفطرة .

(ب) والطبع طبعنا : أي ان من طبعنا شدة الحرص على الدنيا وملذاتها وشهواتها.

فَـاعْلَمْ أَنَّ هٰذَا يُمَثَّـلُ بِإِنْسَـانٍ صَنَعَ خَبِيصـاً(ح) بِشَرَائِـطِهِ مِنَ السُّكَّـرِ وَغَيْرِهِ ، ثُمَّ طَرَحَ فِيـهِ قِطْعَـةَ سُمٍّ قَاتِـلٍ ، فَأَبْصَـرَ ذٰلِكَ رَجُـلٌ ، وَلَمْ يُبْصِرْهُ آخَرُ ، وَوَضَعَ / الْخَبِيصَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا مُزَيَّناً مُزَخْرَفاً ، فَالرَّجُلُ الَّذِي أَبْصَرَ مَا جُعِـلَ فِيـهِ مِنَ السُّمِّ يَكُونُ زَاهِداً فِي ذٰلِـكَ الخَبِيصِ ، لاَ يَخْطُرُ بِبَالِهِ أَنْ يَتَنَاوَلَ مِنْهُ بِحَـالٍ أَلْبَتَّةَ ، وَيَكُـونُ ذٰلِكَ عِنْـدَهُ بِمَنْزِلَـةِ النَّارِ ، بَـلْ أَصْعَبُ ، لِمَكَانِ مَا يَعْلَمُ مِنْ آفتِهِ وَلاَ يَغْتَرُّ بِظاهِرِهِ وَزِينَتِهِ ؛ وَأَمَّا الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْ مَا جُعِلَ فِيهِ ، اغْتَرَّ بِظاهِرِهِ المُزَخْرفِ ، وَحَرَصَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ ، وَأَخَذَ يَتَعَجَّبُ مِنْ صَاحِبِهِ الزَّاهِدِ فِيهِ ، وَرُبَّمَا يُسَفِّهُهُ فِي ذٰلِكَ .

[١٦/أ]

فَهٰذَا مَثَلُ حَرَامِ الدُّنْيَا مَعَ الْبُصَرَاءِ الْمُسْتَقِيمِينَ ، وَالجُهَّالِ الرَّاغِبِينَ .

وأمـا حلال الـدنيـا ، وإِنْ لَمْ يَـطْرَحْ فِيـهِ السُّمَّ ، لٰكِنْ بَصَقَ فِيـهِ أَوِ امْتَخَطَ، ثُمَّ ضَمَّخَهُ(١) وَزَيَّنَهُ . فَالرَّجُلُ الَّذِي شَاهَدَ مِنْهُ ذٰلِكَ الْفِعْلَ، يَكُونُ مُسْتَقْذِراً لِذٰلِكَ الْخَبِيصِ ، نَافِراً عَنْهُ لاَ يَكَادُ يَقْدُمُ عَلَيْـهِ إِلاَّ عِنْدَ الضَّـرُورَةِ وَشِـدَّةِ الحَاجَـةِ ، وَالَّذِي لَمْ يُشَـاهِدْ ذٰلِـكَ فَهُوَ جـاهِلٌ بِمَـا فِيهِ(٢) ، مُغْتَـرٌّ بِظاهِرِهِ ، حَرِيصٌ عَلَيْهِ ، مُكِبٌّ مُعْجِبٌ مُحِبٌّ . فَهٰذَا مَثَلُ حَلاَلِ الدُّنْيَا مَعَ الْفَرِيقَيْنِ : أَهْلِ الْبَصِيرَةِ وَالاسْتِقَامَةِ ، وَأَهْلِ الرَّغْبَةِ وَالْغَفْلَةِ . وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ حَالُ الرَّجُلَيْنِ مَعَ تَسَاوِيهِمَا فِي الطَّبْعِ وَالْبِنْيَةِ لموضع النَّظر ، بِبَصَارَةٍ وَعِلْمٍ كَـانَ لأَحَدِهِمَـا ، وَجَهْلٍ وَغفلةٍ وَجفـاءٍ كَانَ لِـلآخَرِ ، فَلَوْ عَلِمَ الـرَّاغِبُ ، وَأَبْصَرَ مَا عَلِمَهُ الزَّاهِدُ ، لَكَانَ زَاهِداً مِثْلَهُ ، وَلَوْ جَهِلَ الزَّاهِدُ ، وَعَمِيَ عَمَّا عَمِيَ عَنْهُ الرَّاغِبُ ، لَكَانَ رَاغِباً مِثْلَهُ ؛ فَعَلِمْتُ بِذٰلِكَ أَنَّ هٰذَا التَّمْيِيزَ لِمَكَانِ

(ح) الخبيص : نوع من الحلوى تعمله العـرب من التمر والسمن والأرز والـدبس ، وهو مأخوذ من الخبص بمعنى الخلط .

الْبَصائِرِ دُونَ الطَّبَائِعِ ، وَهٰذا أَصْلٌ مُفِيدٌ وَكَلامٌ بَيِّنٌ سَدِيدٌ ، آعْتَرفَ بِهِ مَنْ عَقَلَ وَأَنْصَفَ ، وَآللَّهُ تَعالى وَلِيُّ الهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ بِفَضْلِه .

القدر المطلوب من الدنيا

فَإِنْ قِيلَ : فَلاَ بُدَّ مِنْ قَدْرٍ مِنَ الدُّنْيا لِيَكُونَ قِوَاماً لنَا ، فكَيْفَ نَزْهَدُ فِيهَا ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ الزُّهْدَ في الْفُضُولِ مِمَّا لاَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ في قِوَامِ الْبِنْيَةِ ، فَالْمَقْصُودُ الْقِوَامُ وَالْقُوَّةُ حَتَّى تَعْبُدَ آللَّهَ سُبْحَانَهُ ، لاَ الأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالتَّلَذُّذُ ، وَاللَّهُ تَعَالى إِنْ شَاءَ أَقَامَهَا / بِشَيْءٍ وَسَبَبٍ ، وَإِنْ شَاءَ أَقَامَهَا بِغَيْرِ سَبَبٍ كَالْمَلاَئِكَةِ . ثُمَّ إِنَّ كانَ بِشَيْءٍ[1] فإِنْ شاءَ فَبِشَيْءٍ حاصِلٍ عِنْدَكَ ، أَوْ بِطَلَبِكَ وَكَسْبِكَ ، وَإِنْ شَاءَ فَبِشَيْءٍ غَيْرِهِ يُسَبِّبُهُ لَكَ مِنْ حَيْثُ لاَ تَحْتَسِبُ ، مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْكَ وَلاَ كَسْبٍ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق : ٢] فَإِذاً لاَ تَحْتَاجُ بِحَالٍ إِلى طَلَبٍ وَإِرادَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَقْوَ عَلَى ذٰلِكَ (الزُّهْدِ)[1] وطَلَبْتَ وَأَرَدْتَ ، فَانْوِ بِذٰلِكَ الْعُدَّةَ وَالقوَّةَ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ دُونَ الشهْوَةِ وَاللَّذَّةِ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا نَوَيْتَ ذٰلِكَ ، كَانَ الطَّلَبُ وَالإِرَادَةُ مِنْكَ خَيْراً وَطَلَباً لِلآخِرَةِ بِالْحَقِيقَةِ لاَ لِلدُّنْيا ، وَلاَ يَقْدَحُ فِي زُهْدِكَ وَتَجَرُّدِكَ ؛ فَاعْلَمْ هٰذِهِ الْجُمْلَةَ رَاشِداً إن شاء الله ، وَبِاللّٰهِ التَّوْفِيقُ .

[١٦/ب]

الْعَائِقُ الثَّانِي : الْخَلْق :

ثُمَّ عَلَيكَ ، وَفَّقَكَ اللَّهُ ـ وَإِيَّانَا لِطَاعَتِهِ ، بِالتَّفَرُّدِ عَنِ الْخَلْقِ وَذٰلِكَ لأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : **أَنَّهُمْ يَشْغَلُونَكَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعالى** ، عَلَى ما حُكِيَ عَنْ

(أ) إن كان بشيء : أي إن كان أقامها الله تعالى بشيء .

بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ : مَرَرْتُ بِجَمَاعَةٍ يَتَرَامَوْنَ(أ) وَوَاحِدُ جَالِسٌ بَعِيداً مِنْهُمْ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُكَلِّمَهُ فَقالَ : ذِكْرُ آللَّهِ تعالى أَشْهَى إِلَيَّ مِنْ كَلَامِكَ ، فَقُلْتُ أَنْتَ وَحْدَكَ ؟ قَالَ مَعِي رَبِّي وَمَلَكَايَ ، فَقُلْتُ : مَنْ سَبَقَ مِنْ هٰؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ : مَنْ غَفَرَ آللَّهُ لَهُ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ الطَّرِيقُ ؟ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إلى السَّمَاءِ ، وَقامَ وَتَرَكَنِي وَقَالَ : أَكْثَرُ خَلْقِكَ عَنْكَ شَاغِلٌ . فَالخَلْقُ إِذاً يَشْغَلُونَكَ عَنِ الْعِبَادَةِ بَلْ يَمْنَعُونَكَ مِنْها ، بَلْ يُوقِعُونَكَ في الشَّرِّ وَالْهَلَاكِ عَلى مَا قَالَ حَاتِمٌ الأَصَمُّ رَحِمَةُ اللَّهُ عَلَيْهِ :

طَلَبْتُ مِنْ هٰذا الْخَلْقِ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ فَلَمْ أَجِدْ(هَا) (١) : طَلَبْتُ مِنْهُمُ الطَّاعَةَ وَالزَّهَادَةَ فَلَمْ يَفْعَلُوا ، فَقُلْتُ : أَعِينُونِي عَلَيْهِمَا إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَلَمْ يَفْعَلُوا، فَقُلْتُ: ارْضُوا عَنِّي إِنْ فعلتُ فلم يفعلُوا؛ فَقُلْتُ: لا تَمْنَعُونِي عَنْهُمَا إِذاً، فَمَنَعُونِي ؛ فَقُلْتُ: لَا تَدْعُونِي إِلَى مَا لَا يُرْضِي اللَّهُ العَظِيمَ ، ولَا تُعَادُونِي عَلَيْهَا إِنْ لَمْ أُتَابِعْكُمْ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ؛ فَتَرَكْتُهُمْ وَاشْتَغَلْتُ بِخَاصَّةِ نَفْسِي / . [١٧/أ]

ثمَ آعْلَمْ أَيُّهَا الأَخُ في الدِّينِ ، أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ ، وَصَفَ زَمَانَ الْعُزْلَةِ ، وَبَيَّنَ نَعْتَهُ وَنَعْتَ أَهْلِهِ ، وَأَمَرَ فِيهِ بِالتَّفَرُّدِ ، وَكَانَ لَا مَحَالَةَ أَعْلَمَ بِالمصالِحِ ، وَأَنْصَحَ لَنَا مِنَّا لأَنْفُسِنَا ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ زَمَانَكَ عَلَى مَا وَصَفَ وَبَيَّنَ فَامْتَثِلْ أَمْرَهُ ﷺ ، وَآقْبَلْ نَصِيحَتَهُ ، وَلَا تَشُكَّ ؛ فإِنَّهُ ﷺ ، كَانَ أَعْرَفَ بِمَا يَصْلُحُ لَكَ في زَمَانِكَ ، وَلَا تَتَعَلَّلْ بِالْعِلَلِ الْكَاذِبَةِ ، وَلَا تُخَادِعْ نَفْسَكَ ، وَإِلَّا فَأَنْتَ هَالِكٌ وَلَا عُذْرَ لَكَ .

وَالْوَصْفُ الَّذِي ذَكَرْنَا هُوَ فِي الخَبَرِ الْمَشْهُورِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢) أَنَّهُ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ

(أ) يترامون : أي يرمون السهام ويتسابقون فيها .

حَـوْلَ رسول الله ﷺ ، إذْ ذَكَـرَ الْفِتْنَةَ ، فَقَـالَ : « إذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ مَـرَجَتْ عُهُودُهُمْ ، وَخفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ ، وكَانُوا هٰكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، قُلْتُ : مَا أَصْنَـعُ عِنْدَ ذٰلِـكَ جَعَلَنِي ٱللَّهُ فِدَاءَكَ ؟ قَـالَ : إلْزَمْ بَيْتَـكَ ، وَأَمْلِكْ عَلَيْـكَ لِسَانَكَ ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ الْخَاصَّةِ ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ العامَّةِ »[أ] .

وذكـر في خَبَـرٍ آخَـرَ أَنَّـهُ عَلَيْـهِ الصـلاة وَالسَّـلاَمُ قـالَ : « ذَاكَ أَيَّـامَ الْهَرْجِ ، قِيلَ : وَمَا أَيَّامُ الْهَرْجِ ؟ قالَ : حِينَ لاَ يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ »[ب] .

وَذَكَرَ آبْنُ مَسْعُودٍ في خَبَرٍ آخَرَ لِلْحَـارِثِ بْنِ عَمِيرَةَ ، أَنَّـهُ قالَ : « إنْ يُدْفَعْ عَنْ عُمْرِكَ ، فَسَيَأْتِي عَلَيْكَ زَمَانٌ كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ ، قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ ، كَثِيرٌ سُؤَّالُهُ ، قَلِيلٌ مُعْطُوهُ ، الْهَوَى فِيهِ قَائِدُ الْعِلْمِ ، قالَ : وَمَتَى ذٰلِكَ؟ قَالَ: إذَا أُمِيتَتِ الصَّلاَةُ ، وَقُبِلَتِ الرِّشَـا ، وَبُيَاعُ الـدِّينُ بِعَرَضٍ يَسِيـرٍ مِنَ الدُّنْيَـا ، فَالنَّجَاءَ وَيْحَكَ ثُمَّ النَّجَاءَ »[ج] .

قُلْتُ : وَجَمِيعُ مَا ذُكِرَ في هٰذِهِ الأَخْبَارِ تَرَاهُ بِعَيْنِكَ في زَمَانِكَ وَأَهْلِهِ ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ .

ثُمَّ إنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ رَضِي اللَّهِ عَنهم ، أَجْمَعُوا عَلَى التَّحْذِيـرِ مِنْ زَمَانِهِمْ وَأَهْلِهِ ، وَآثَرُوا الْعُزْلَةَ ، وَأَمَرُوا بِذٰلِكَ وَتَوَاصَـوْا بِهِ ، وَلاَ شَـكَّ أَنَّهُمْ كَانُوا أَبْصَرَ وَأَنْصَحَ ، وَأَنَّ الزَّمَانَ لَمْ يَصِرْ / بَعْدَهُمْ خَيْراً مِمَّا كَـانَ بَلْ أَشَـرُّ وَأَمَرُّ ، وَهُو مَا ذُكِرَ عنْ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ رحمه الله أَنَّهُ قَالَ : [١٧/ب]

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ١٨ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ١٩ .

(ج) راجع تخريج الحديث رقم ٢٠ .

سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، لَقَدْ حَلَّتِ الْعُـزْلَةَ فِي هٰذَا الزَّمَانِ .

قُلْتُ أَنَا : وَلَئِنْ حَلَّتْ فِي زَمَانِهِ ، فَفِي زَمَانِنَا هٰذا وَجَبَتْ وَافْتُرِضَتْ .

وَعَنْ سُفْيَانَ أَيْضاً أَنَّـهُ كَتَبَ إِلَى عَبَّادِ الخَوَّاصِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ : أَمَّـا بَعْدُ : فَإِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ ورضي عنهم يَتَعَوَّذُونَ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يُدْرِكُوهُ ، فِيمَا بَلَغنا ، وَلَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَيْسَ لَنَا ، فَكَيْفَ بِنَا حِينَ أَدْرَكْنَاهُ عَلَى قِلَّةِ عِلْمٍ ، وَقِلَّةِ صَبْرٍ ، وَقِلَّةِ أَعْوَانٍ عَلَى خَيْرٍ ، وَكَدَرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَفَسَادٍ مِنَ النَّاسِ ؟ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : «فِي الْعُزْلَةِ رَاحَةٌ مِنْ خُلَطَاءِ السُّوءِ » .

وَفِي مِثْلِ هٰذَا قِيلَ : [البسيط] :

هٰـذَا الـزَّمَـانُ الَّـذِي كُـنَّـا نُـحَـاذِرُهُ
فِي قَـوْلِ كَعْـبٍ وَفِي قَـوْلِ ٱبْـنِ مَـسْـعُـودِ

دَهْـرٌ بِـهِ الْـحَـقُّ مَـرْدُودٌ بِـأَجْـمَـعِـهِ
وَالـظُّلْمُ وَالْـبَـغْـيُ فِـيـهِ غَـيْـرُ مَـرْدُودِ

(أَعْـمَـى أَصَـمُّ مِـنَ الأَزْمَـانِ مُـلْتَـبِسٌ
فِـيـهِ لإِبْـلِيسَ تَـصْـوِيـبٌ وَتَـصْعِيـدُ) (١)

إِنْ دَامَ هـٰذَا وَلَـمْ يَـحْـدُثْ لَـهُ حَـدَثٌ(٢)
لَـمْ يُبْـكَ مَـيْـتٌ وَلَـمْ يُـفْـرَحْ بِـمَـوْلُـودِ

وَلَقَدْ وَجَدْتُ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ : قُلْتُ لِلثَّـوْرِيِّ أَوْصِنِي ، فَقالَ : أَقْلِلْ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ ، قُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، أَلَيْسَ قَـدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ : « أَكْثِرُوا مِن مَعْرِفَةِ المؤمنينِ فَـإِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَفَـاعَةً »(أ) قـالَ : لَا

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٢١ .

أَحْسِبُكَ رَأَيْتَ قَطُّ مَا تَكْرَهُ إِلاّ مِمَّنْ تَعْرِفُ ، قُلْتُ أَجَلْ . ثُمَّ مَاتَ ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي المَنَامِ بِحُجَجٍ ، فَقُلْتُ : أَبَا عَبْدَ اللَّهِ أَوْصِنِي ، فَقالَ : « أَقْلِلْ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ مَا آسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّ المُخْلِصَ(١) مِنْهُمْ شَدِيدٌ »(أ) .

وَقَدْ قِيلَ فِي مَعْنَى هٰذَا الْخَبَرِ : [الطويل] :

وَمَا زِلْتُ مُذْ لاَحَ المشِيبُ بِمَفْرَقِي
أُفَتِّشُ عَنْ هٰذَا الْوَرَى وَأُكَشِّفُ
فَمَا أنْ عَرَفْتُ النَّاس إلاَّ ذَمَمْتُهُمْ
جَزَى آللَّهُ خَيْراً كُلَّ مَنْ لَسْتُ أعْرِفُ(٢)
وَمَا لِيَ ذَنْبٌ أَسْتَحِقُّ بِهِ الْجَفَا
سِوَى أَنَّنِي أَحْبَبْتُ مَنْ لَيْسَ يُنْصِفُ

قَالَ(ب) : وَقِيلَ كُتِبَ عَلَى بَابِهِ(ج): جَزَى آللَّهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُنَا خَيْراً ، وَلاَ جَزَى بِذٰلِكَ أَصْدِقَاءَنَا ، فَمَا أُوذِينَا قَطُّ إلاَّ مِنْهُمْ ، وَأَنْشَدُوا في ذلك : [الطويل] :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْخَيْرَ مَنْ لَيْسَ بَيْنَنَا
وَلاَ بَيْنَهُ وُدٌّ وَلاَ نَتَعَارَفُ
فَمَا صَابَنَا هَمٌّ وَلاَ نَالَنَا أَذًى
مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَنْ نَوَدُّ وَنَعْرِفُ

وقالَ الْفُضَيْلُ رَحِمَهُ آللَّهُ : هٰذَا زَمَانٌ آحْفَظْ فِيهِ لِسَانَكَ ، وَآخْفِ

(أ) ذكره أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٨٩) .

(ب) أي سفيان بن عيينة .

(ج) بابه : أي باب دار سفيان الثوري .

مَكَانَكَ ، وَعَالِجْ قَلْبَكَ ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ . وَقَالَ الثَّوْرِيُّ رحمه الله : هٰذَا زَمَانُ السُّكُوتِ وَلُزُومُ الْبُيُوتِ وَالرِّضَا بِالْقُوتِ / إِلَى أَنْ تَمُوتَ . [١٨/أ]

وَعَنْ دَاوُدَ الطَّائِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : صُمْ عَنِ الدُّنْيَا ، وَاجْعَلْ فِطْرَكَ الآخِرَةَ ، وَفِرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ .

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ(أ) : مَا رَأَيْتُ حَكِيماً قَطُّ إِلاَّ قَالَ فِي عَقِبِ كَلاَمِهِ : إِنْ أَحْبَبْتَ أن لا تُعْرَفَ ، فَأَنْتَ مِنَ اللَّهِ عَلَى بَالٍ .

وَالأَخْبَارُ فِي هٰذَا الْبَابِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَمِلَه هٰذَا الْكِتَابُ ؛ وَقَدْ صَنفْنَا فِيهِ كِتَاباً مُفْرَداً سَمَّيْنَاهُ : « كِتَابَ أَخْلاَقِ الأَبْرَارِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الأَشْرَارِ »(ب) فَقِفْ عَلَيْهِ تَرَى الْعَجَبَ الْعُجَابَ ، وَالْعَاقِلُ تُكْفِيهِ إِشَارَةٌ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ، وَالْهِدَايَةُ بِفَضْلِهِ .

وَأَمَّا **الْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ**(ج) الَّتِي تَقْتَضِي التَّفَرُّدَ عَنِ النَّاسِ فِي هٰذَا الشَّأْنِ : **فَإِنَّ النَّاسَ يُفْسِدُونَ عَلَيْكَ مَا يَحْصُلُ لَكَ** مِنَ الْعِبَادَةِ ، إِنْ لَمْ يَعْصِمِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعالى بِسَبَبِ ما يَعْرِضُ مِنْ قِبَلِهِمْ مِنْ دَوَاعِي الرِّيَاءِ وَالتَّزَيُّنِ . وَلَقَدْ صَدَقَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ حَيْثُ قَالَ : « رُؤْيَةُ النَّاسِ بِسَاطُ الرِّيَاءِ». وَهٰؤُلاَءِ الزُّهَّادُ قَدْ خَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ هٰذَا الْمَعْنَى حَتَّى تَرَكُوا الْمُلاَقَاةَ وَالتَّزَاوُرَ .

(أ) في الأصل : عبيدة ، وفي (ج) : أبي عبيدة ، وفي حاشية الأصل : داود .

(ب) في الأصل : النجاة من النار ، والتصحيح في باقي النسخ ، ومن كتاب كشف الظنون .

(ج) وردت الخصلة الأولى ص ٨٩ .

وَلَقَدْ ذُكِرَ عنْ هَرِمَ بْنِ حَيَّان أنَّه قَالَ لأُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ : يَا أُوَيْسُ ، صِلْنَا بِالزِّيَارَةِ وَاللِّقَاءِ ، فَقَالَ أُوَيْسٌ قَدْ وَصَلْتُكَ بِمَا هُوَ أَنْفَعُ لَكَ مِنْهُمَا ، وَهُوَ الدُّعَاءُ عَلَى ظَهْرِ الْغَيْبِ ، لأَنَّ الزِّيَارَةَ وَاللِّقَاءَ يَعْرِضُ فِيهِمَا التَّزَيُّنُ وَالرِّيَاءُ .

وَقِيلَ لِسُلَيْمَانَ الْخَوَّاصِ : قَدِمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَم أَفَلا تَأْتِيهِ ؟ فَقَالَ : لأَنْ أَلْقَى شَيْطَاناً مَارِداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِقَائِهِ ؛ فَاسْتَنْكَرُوا ذٰلِكَ مِنْ قَوْلِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي إِذَا لَقِيتُهُ أَخَافُ أَنْ أَتَزَيَّنَ ، وَإِذَا لَقِيتُ شَيْطَاناً أَمْتَنِع مِنْهُ .

وَلَقَدْ لَقِيَ شَيْخِي الإِمَامُ[أ] بَعْضَ الْعَارِفِينَ ، فَتَذَاكَرَا مَلِيًّا ثُمَّ دَعَوا في آخِرِ حَدِيثِهِمَا ، فَقَالَ شَيْخِي للعارِفِ : ما أَظُنَّني جَلَسْتُ مَجْلِساً أَنَا له أَرْجَى مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا ، فَقَالَ لَهُ الْعَارِفُ : لَكِنِّي مَا جَلَسْتُ مَجْلِساً أَنَا لَهُ أَخْوَفُ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا ، أَلَسْتَ تَعْمِدُ إِلَى أَحْسَنِ حَدِيثِكَ وَعُلُومِكَ فَتُحَدِّثُنِي بِهَا وَتُظْهِرُهَا بَيْنَ يَدَيَّ ؟ وَأَنَا كَذٰلِكَ ، فَقَدْ وَقَعَ الرِّيَاءُ والتزيّن ؛ فَبَكَى شَيْخِي الإِمَامُ مَلِيّاً ، ثُمَّ غُشِيَ عَلَيْهِ . وَكَانَ بَعْدَ ذٰلِكَ يَتَمَثَّلُ (بِهٰذِهِ)[1] الأَبْيَاتِ : / [السريع] [١٨/ب]

يَا وَيْلَتَا مِنْ مُوقِفٍ مَا بِهِ ... أَخْوَفُ مَن أن يَعْدِلَ الْحَاكِمُ
أُبَارِزُ اللَّهَ بِعِصْيَانِهِ ... وَلَيْسَ لِي مِنْ دُونه رَاحِمُ
يَا رَبِّ عَفْواً مِنْكَ عَنْ مُذْنِبٍ ... أَسْرَفَ إِلَّا أَنَّهُ نَادِمُ
(يَقُولُ في اللَّيْلِ إِذَا مَا دَجَى ... آهاً لِذَنْبٍ سَتَرَ الْعَالِمُ)[2]

فَهٰذِهِ حَالُ أَهْلِ الزُّهْدِ وَالرِّيَاضَةِ في مُلاَقَاتِهِمْ ، فَكَيْفَ حَالُ أَهْلِ الرَّغْبَةِ وَالْبَطَالَةِ ، بَلْ حَالُ أَهْلِ الشَّرِّ وَالْجَهَالَةِ ؟

(أ) هو أبو بكر الورّاق .

وآعْلم أَنَّ الزَّمَانَ قَدْ أَصْبَحَ في فَسَادٍ عَظِيم ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي ضُرٍّ كَثِيرٍ ، فَإِنَّهُمْ يُشْغِلُونَكَ عَنْ عِبَادِةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ حَتَّى لَا يَكَادُ يَحْصُلُ لَكَ مِنْهَا شَيْءٌ ؛ ثُمَّ يُفْسِدُونَ عَلَيْكَ مَا حَصلَ لَكَ ، حَتَّى لَا يَكَادُ يَسْلَم لَكَ مِنْهَا شَيْءٌ . فَلَزِمَتْكَ آلْعُزْلَةُ وَالتَفَرُّدُ عَنِ النَّاسِ ، وَالإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هٰذَا الزَّمَانِ وَأَهْلِه ، وَاللَّهُ تَعَالَى الحَافِظُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ .

حكم العزلة

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا حُكْمُ الْعُزْلَةِ وَالتَّفَرُّدِ عَنِ النَّاسِ ؟ فَبَيِّنْ لَنَا ، يرحمك الله ، حَالَ طَبَقَاتِ الْخَلقِ فِيهَا ، وَالْحَدّ الَّذِي يَجِبُ مِنْهَا

فَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ وَإِيَّانَا أَنَّ النَّاسَ فِي هٰذَا الْبَابِ[1] رَجُلَانِ : ـ

طُرق العُزْلة

رَجُلٌ لَا حَاجَةَ بِالْخَلْقِ إِلَيْهِ فِي عِلْمٍ وَبَيَانِ حُكْمٍ ، فَالأَوْلَى بِهٰذَا الرَّجُلِ التَّفَرُّدُ عَنِ النَّاسِ ، فَلَا يُخَالِطُهُمْ إِلَّا في جُمْعَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ عِيدٍ أَوْ حجٍّ أَوْ مَجْلِسِ عِلْم بِالسُّنَّةِ ، أَوْ حَاجَةٍ في مَعِيشَةٍ لَا بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ ولا يُعرف ، وَإِلَّا فَيُوَارِي شَخْصَهُ ، وَيَلْزَمُ مسكنه ، لَا يَعْرِفُ وَلَا يُعْرَفُ . فَأَمَّا إِنْ أَحَبَّ هٰذَا الرَّجُلُ أَنْ يَنْقَطِعَ عَنِ النَّاسِ ، فَلَا يُخَالِطْهُمْ في أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ أَلْبَتَّةَ ، مِنْ دِينٍ ودُنْيَا وَجَمَاعَةٍ وَجُمُعَةٍ وغَيْرِهَا ، لِمَا يَرَى لَهُ فِي ذٰلِكَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ وَفَرَاغِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَسَعُهُ ذٰلِكَ إِلَّا بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ :

ـ إما أن يصير إلى مَوْضِعٍ لا يَلْزَمُهُ هُنَالِكَ هٰذِهِ الْفرائضُ ، كَرُءُوسِ الْجِبَالِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَنَحْوِها ؛ وَلَعَلَّ هٰذَا أَحَدُ الْوُجُوهِ الَّتِي دَعَتِ العُبَّادَ إِلَى تِلْكَ المَوَاضِعِ الْبَعِيدَةِ عَنِ النَّاسِ .

ـ وَإِمَّا أَنْ يَتَيَقَّنَ بِالْحَقِيقَةِ أَنَّ الضَّرَرَ الَّذِي يَلْحَقُهُ في مُخَالَطَةِ النَّاسِ بِسَبَبِ هٰذِهِ الْفُرُوضِ أَعْظَمُ مِنْ تَرْكِهَا ؛ فَحِينَئِذٍ يَكُونَ لَهُ عُذْرٌ في ذلك .

[١٩/أ] وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا بِمَكَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ تعالى / بَعْضَ المَشَايِخِ ،

الْمُنْفَرِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَهُوَ لاَ يَحْضُرُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فِي الْجماعة ، مَعَ قُرْبِهِ مِنْهُ وَسَلاَمَةِ حَالِهِ ، فَحَاوَرْتُهُ في ذٰلِكَ يَوْماً في حَالِ تَرَدُّدِي إِلَيْهِ فذَكَرَ مِنْ عُذْرِهِ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَنَّ مَا يجده مِنَ الثَّوَابِ لاَ يَفِي بِما يَلْحَقُهُ مِنَ الآثَامِ وَالتَّبِعَاتِ في الْخُرُوجِ إلى الْمَسْجِدِ وَلِقاءِ النَّاسِ .

قُلْتُ أَنَا : وَجُمْلَةُ الأُمُورِ فَلا عُتْبَ عَلَى الْمَعْذُورِ ، وَٱللَّهُ تَعالى أولى بِالْعُذْرِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَلٰكِنَّ الطَّرِيقَ الْعَدْلَ فِيهِ هُوَ الأَوَّلُ ؛ بِأَنْ يُشارِكَ النَّاسَ في الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْخَيْرَاتِ ، وَيُبَايِنَهُمْ فِيمَا سِوَى ذٰلِكَ .

فَإِنْ أَحَبَّ الطَّرِيقَ الثَّانِيَ ، بِأَنْ يَنْقَطِعَ عَنِ النَّاسِ بِمَرَّةٍ ، فَسَبِيلُهُ الْخُرُوجُ إلى مَوَاضِعَ لاَ تَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ هٰذِهِ الْفُرُوضُ فيها .

ثم إِنَّ الطَّرِيقَ الثَّالِثَ أَنْ يَكُونَ مَعَ النَّاسِ فِي مِصْرٍ وَاحِدٍ . وَلاَ يَحْضُر جُمُعَةً وَلا جَمَاعَةً ، لِعُذْرٍ يَرَاهُ فِي ذٰلِكَ ، مِنْ وِزْرٍ أَوْ تَبِعَةٍ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ دَقِيقٍ وَعَوَارِضَ عَظِيمَةٍ ، حَتَّى يَسْقُطَ ذٰلِكَ عَنْهُ ، وَفِيهِ خَطَرٌ مِنَ الْغَلَطِ ، فَالأَوَّلاَنِ أَسْلَمُ وَأَحْفَظُ لَهُ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْهِدَايَةِ بِفَضْلِهِ .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الثَّانِي : فَرَجُلٌ يَكُونُ قُدْوَةً فِي الْعِلْمِ ، بِحَيْثُ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ ، لِبَيَانِ حَقٍّ أَوْ رَدٍّ عَلَى مُبْتَدِعٍ ، أَوْ دَعْوَةٍ إِلَى خَيْرٍ بِفِعْلٍ أَوْ بِقَوْلٍ أَوْ نَحْوِ ذٰلِكَ ، فَلاَ يَسَعُ هٰذَا **الرَّجُل** الإِعْتِزَالُ عَنِ النَّاسِ بَلْ يَنْصِبُ نَفْسَهُ بَيْنَهُمْ نَاصِحاً ، لِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالى ، ذَابّاً عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالى ، مُبَيِّناً لأَحْكَامِ اللَّهِ تعالى ، فَلَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

« إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ وَسَكَتَ الْعَالِمُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ »(أ) هٰذَا إِذَا كَانَ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٢٢ .

بَيْنَهُمْ ، وإِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَيْضاً الإِعْتِزَالُ[1].

فَلَقَدْ حُكِيَ أَنَّ الأُسْتَاذَ أَبَا بَكْرِ بْنَ فَوْرَكَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَصَدَ أَنْ يَنْفَرِدَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعالى عَنِ الخلق ، فَبَيْنَمَا هُوَ في بَعْضِ الْجِبالِ ، إِذْ سَمِعَ صَوْتاً يُنادِي : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِذْ صِرْتَ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، تَرَكْتَ عِبادَ اللَّهِ تعالى : فَرَجَعَ . وَكَانَ هٰذَا سَبَبَ صُحْبَتِه لِلْخَلْقِ .

[١٩/ب] وَذَكَرَ لِي مَأْمُونُ بْنُ / أَحْمَدَ أَنَّ الأُسْتاذ أَبَا إِسْحَاقَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ قَالَ لِعُبَّادِ جَبَلِ لُبْنَانَ : يَا أَكَلَةَ الْحَشِيشِ ، تَرَكْتُمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ في أَيْدِي الْمُبْتَدِعَةِ وَاشْتَغَلْتُمْ هَا هُنَا بِأَكْلِ الْحَشِيشِ ؟ قَالُوا له :

لَا نَقْوَى عَلَى صُحْبَةِ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا أَعْطاكَ اللَّهُ قُوَّةً فَلَزِمَكَ ذٰلِكَ . فَصَنَّفَ بَعْدَ ذٰلِكَ كِتَابَهُ : « الْجَامِعَ لِلْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ » . وَكَانَ لَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَ غَزَارَةِ العلم ، الْعَمَلُ الْجَمُّ ، وَالنَّظَرُ الدَّقِيقُ فِي سُلُوكِ طَرِيقِ الآخِرَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مِثْلَ هٰذَا الرَّجُلِ الْمُحْتاجِ إِلَيْهِ النَّاسُ في طَرْقِ بَابِ الدِّينِ[2] ، يَحْتَاجُ في صُحْبَةِ الْخَلْقِ إِلَى أَمْرَيْنِ شَدِيدَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : صَبْرٌ طَوِيلٌ وَحِلْمٌ عَظِيمٌ وَنَظَرٌ لَطِيفٌ وَآسْتِعَانَةٌ بِاللَّهِ تَعَالى دَائِمَةٌ .

وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ في هٰذَا الْمَعْنَى مُنْفَرِداً عَنْهُمْ[أ] وَإِنْ كَانَ بِالشَّخْصِ مَعَهُمْ[ب] ، فَإِنْ كَلَّمُوهُ كَلَّمَهُمْ ، وَإِنْ زَارُوهُ عَظَّمَهُمْ عَلَى

(أ) أي منفرداً بقلبه عن الناس .

(ب) أي : وإن كان بالجسد معهم .

قَدْرِهِمْ[1] وَشَكَرَهُمْ ، وَإِنْ سَكَتُوا عَنْهُ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ ٱسْتَغْنَمَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَقٍّ وَخَيْرٍ سَاعَدَهُمْ ، وَإِنْ صَارُوا إِلَى لَغْوٍ وَشَرٍّ خَالَفَهُمْ وَهَجَرَهُمْ ، بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ وَهَجَرَهُمْ إِنْ رَجَا قُبُولَهُمْ ؛ ثُمَّ يَقُومُ بِجَمِيعِ حُقُوقِهِمْ مِنَ الزِّيَارَاتِ وَالْعِيَادَاتِ وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ ، الَّتِي تُرْفَعُ إِلَيْهِ ، مَا أَمْكَنَهُ ، وَلَا يُطَالِبُهُمْ بِالْمُكَافَآتِ ، وَلَا يَرْجُو ذٰلِكَ مِنْهُمْ ، وَلَا يُرِيهِمْ مِنْ نَفْسِهِ اسْتِيحَاشاً لِذٰلِكَ ، وَيُبَاسِطُهُمْ بِالْبَذْلِ إِذَا قَدَرَ ، وَيَنْقَبِضُ عَنْهُمْ فِي الْأَخْذِ إِنْ أُعْطِيَ ، وَيَتَحَمَّلُ مِنْهُمُ الْأَذَى ، وَيُظْهِرُ لَهُمُ الْبِشْرَ ، وَيَتَجَمَّلُ لَهُمْ بِظَاهِرِهِ ، وَيَكْتُمُ حَاجَاتِهِ عَنْهُمْ ، فَيُقَاسِيهَا بِنَفْسِهِ ، وَيُعَالِجُهَا فِي سِرِّهِ وَبَاطِنِهِ ؛ ثُمَّ يَحْتَاجُ مَعَ ذٰلِكَ أَنْ يَنْظُرَ لِنَفْسِهِ خَاصَّةً ، فَيَجْعَلَ لَهَا حَظّاً مِنَ الْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ ، كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ نِمْتُ ٱللَّيْلَ لَأُضَيِّعَنَّ نَفْسِي ، وَإِنْ نِمْتُ النَّهَارَ لَأُضَيِّعَنَّ الرَّعِيَّةَ ، فَكَيْفَ لِي بِالنَّوْمِ بَيْنَ هَاتَيْنِ ؟» .

وَفِي هٰذَا الْمَعْنَى عُرِضَ لِي أَبْيَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ ، وَهِيَ : [الطويل] :

فَإِنْ كُنْتَ فِي هَدْيِ الْأَئِمَّةِ رَاغِباً
فَوَطِّنْ عَلَى أَنْ تَرتَكِيكَ[2] الْوَقَائِعُ [أ]
بِنَفْسٍ وَقُورٍ عِنْدَ كُلِّ كَرِيهَةٍ
وَقَلْبٍ صَبُورٍ وَهْوَ فِي الصَّدْرِ مَائِعُ[3] / [٢٠/أ]
لِسَانُكَ مَخْزُونٌ وَطَرْفُكَ مُلْجَمٌ
وَسِرُّكَ مَكْتُومٌ لَدَى الرَّبِّ ذَائِعُ

(أ) أي : هَيِّىءْ نفسك واستعدّ لاستقبال المصائب والمصاعب .

وَذِكْرُكَ مَغْمُورٌ وَبَابُكَ مُغْلَقٌ
وَثَغْرُكَ بَسَّامٌ ، وَبَطْنُكَ جَائِعُ
وَقَلْبُكَ مَجْرُوحٌ وَسُوقُكَ كَاسِدٌ
وَفَضْلُكَ مَدْفُونٌ وَطَعْنُكَ شَائِعُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ جَارِعُ غُصَّةٍ
مِنَ آلدَّهْرِ والإِخْوَانِ وَالْقَلْبُ طَائِعُ
نَهَارُكَ شُغْلُ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ مِنَّةٍ
وَلَيْلُكَ شَوْقٌ غَابَ عَنْهُ الطَّلائِعُ
فَدُونَكَ هٰذَا اللَّيْلَ خُذْهُ ذَرِيعَةً
لِيَوْمٍ عَبُوسٍ عَزَّ فِيهِ الذَّرائِعُ

نَعَمْ يَكُونُ بِالنَّفْسِ مَعَهُمْ ، وَبِالْقَلْبِ مَا أَبْعَدَهُ عَنْهُمْ(١) ! وَذٰلِكَ لَعَمْرِي أَمْرٌ شَدِيدٌ وَعَيْشٌ نَكِدٌ ، وَفِيهِ يَقُولُ شَيْخُنَا رَحِمَةُ اللَّهُ عليه في وَصِيَّتِهِ :

يَا بُنَيَّ ، عِشْ في أَهْلِ زَمَانِكَ وَلَا تَقْتَدِ بِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : مَا أَشَدَّ هٰذَا الْعَيْشَ مَعَ الأَحْيَاءِ وَالاقْتِدَاءِ بِالأَمْوَاتِ .

وَعَنِ آبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « خَالِطِ النَّاسَ وَزَايِلْهُمْ (بالقلوب) ،(٢) وَدِينُكَ لَا تَكْلُمَنَّهُ »(أ) فَهٰذِهِ نُكْتَةٌ مُقْنِعَةٌ إن شاء الله تعالى .

حكم العزلة

ثُمَّ أَقُولُ : إِذَا مَاجَ الْفِتَنُ بَعْضُهَا في بَعْضٍ ، وَتَرَاجَعَ الأَمْرُ ، وَوَلَّى

(أ) أي خالط الناس دون أن يحصل في دينك خلل من ذلك . وهذا الأثر رواه الطبراني في الكبير بلفظ : « خالطوا الناس وصافوهم بما يشتهون ، ودينكم فلا تَكْلُمُنَّهُ » .

النَّاسُ عَنْ أَمْرِ الدِّينِ مُدْبِرينَ ، لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً ، وَلاَ يَطْلُبُونَ عَالِماً ، وَلاَ يَرْمُقُونَ مُفِيداً ، وَلاَ يَعْنِيهِمْ أَمْرُ دِينِهِمْ أَلْبَتَّة ، وَتَرَى الْفِتْنَةَ قائمَة تَعُمُّ الْعَامَّةَ ، وَتَدِبُّ إِلَى الْخَاصَّةِ ، فَلِلْعَالِمِ الْعُذْرُ في الْعِزْلَةِ وَالتَّفَرُّدِ وَدَفْنِ الْعِلْمِ . وَأَخَافُ أَنْ يكون مَا ذَكَرْنَاهُ هُوَ هٰذَا الزَّمَانُ النَّكِدُ الصَّعْبُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَعَلَيْهِ التُّكلاَنُ ، فَهٰذَا حُكْمُ الْعُزْلَةِ وَالتَّفَرُّدِ عَنِ النَّاسِ ، فَافْهَمْهُ ، فَإِنَّ الْغَلَطَ فِيه عَظِيمٌ ، وَضَرَرُهُ كَثِيرٌ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ . .

مناقشة هذا الحكم

فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ النَّبِيُّ ﷺ يقول : « عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّ يَدَ اَللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»[أ] ، « وَإِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ ، يَأْخُذُ الشَّاذَّة وَالْفَاذَّةَ ، وَالنَّاحِيَةَ وَالْقَاصِيَةَ »[ب] وَقَالَ عليه الصلاةَ والسلام : « إِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ ، وَهُوَ مِنَ الإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ »[ج] .

[٢٠/ب]

فَاعْلَمْ أَنّ هٰذِهِ وَرَدَتْ ، وَوَرَدَ أَيْضاً « الْزَمْ بَيْتَك ، وَعَلَيْكَ / بِالْخَاصَّةِ (وَدَعْ أَمْرَ الْعَامَّةِ)»[١][د] وَأَمرَ بِالْعُزْلَةِ وَالتَّفَرُّدِ فِي الزَّمَانِ السُّوءِ ، وَلاَ تَناقُضَ في قَوْلِهِ عليه الصلاة والسلام ، وَلاَ بُدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ بِحَوْلِ آللَّهِ وَقوّته .

معنى الجماعة

فَأَقُولُ : قَوْلُهُ ﷺ : « عَلَيْكُم بِالْجَمَاعَةِ » يَحْتَمِلَ ثَلاثَةَ أَوْجُهٍ :

أَحَدُهَا : أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ في الدِّينِ وَالْحُكْم ، إِذْ لاَ تَجْتَمِعُ هٰذِهِ الأُمَّةُ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٢٣ .
(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٢٤ .
(ج) راجع تخريج الحديث رقم ٢٥ .
(د) راجع تخريج الحديث رقم ٢٦ .

عَلَى ضَلاَلَةٍ ، فَخَرْقُ الإجْمَاعِ وَالْحُكْمُ بِخِلاَفِ مَا عَلَيْـهِ جُمْهُورُ الأُمَّـةِ ، وَالشُّـذُوذُ عَنْهُمْ بَاطِـلٌ وَضَلاَلٌ ؛ وَإِمَّـا أَنْ يَعْتَزِلَ عَنْهُمْ لِصَـلاَحٍ في دِينِهِ ، فَلَيْسَ هٰذَا مِنْ ذٰلِكَ في شَيْءٍ .

وَالثَّـانِي : عَلَيْكُمْ بالجَمَـاعَةِ، يعني بِـأَلَّا تَنْقَطِعُـوا عَنْهُمْ فِي جُمَعِهِمْ وَجَمَاعَاتِهِمْ وَنَحْوِهَا ، فَـإِنَّ فِيها قُـوَّةَ الدِّينِ ، وَجمـالَ[1] الإِسْلاَمِ ، وَغَيْظَ الْكُفَّارِ وَالمُلْحِدِينَ ؛ وَلاَ يَخْلُو ذٰلِكَ مِنْ بَرَكَاتٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَظَرٍ مِنـهُ بالرَّحْمَةِ[2] ؛ وَكَذٰلِكَ نَقُولُ : إِنَّ حَقَّ الْمُنْفَرِدِ أَنْ يُشَارِكَ النَّاسَ في الْجُمُوعِ الْعَامَّةِ في الْخَيْرِ ، وَأَنْ يُجَانِبَهُمْ في الصُّحْبَةِ وَالمُزَاحَمَةِ في سَائِرِ الأُمُورِ ، لِمَا فِيها مِنْ ضُرُوبِ الآفاتِ .

وَالثَّـالِثُ : أَنَّ ذٰلِكَ فِي غَيْـرِ زَمَانِ الْفِتْنَـةِ لِلرَّجُلِ الضَّعِيفِ في أَمْـرِ الدِّينِ ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْبَصِيرُ الْقَوِيُّ فِي أَمْرِ اللَّهِ تَعالى ، إِذَا رَأَى زَمَانَ الْفِتْنَةِ الَّذِي حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الأُمَّةَ مِنْهُ وَأَمَرَهُمْ بِالْعُزْلَةِ فِيهِ ، فَالْعُزْلَةُ أَوْلَى ، لِمَا في الخُلْطَةِ مِنَ الْفَسَـادِ وَالآفـة ؛ وَلاَ يَنْقَـطِعَ مِنْ جُمُـوعِ الإِسْـلاَمِ وَالْخَيْـرَاتِ الْعَامَّةِ ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْفَرِدَ عَنِ النَّاسِ بِمَرَّةٍ ، فَلْيَسْكُنْ[3] بِشَاهِقِ جَبَلٍ ، أَوْ بَطْنِ فَلاَةٍ ، لِصَلاَحٍ يَرَاهُ في دِينِهِ .

رأي الغزالي

ثُمَّ قُلْتُ : وَلاَ أَرَى مِثْلَ هٰذَا الرَّجُلِ أَيْنَمَا كَانَ ، إلاَّ وَيُمَكِّنُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حُضُورِ الْجَمَاعَاتِ وَالجُمُعَاتِ وَسَائِرِ جُمُوعِ الإِسْـلاَمِ ، فَيَحْضُرُ لِئَلاَّ يَفُوتَهُ الْحَظُّ مِنْها أَيْضاً ، فَإِنَّ جُمُوعَ الإِسْلاَمِ مِنَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ بِمَكَانٍ ، وَإِنْ تَغَيَّرَ النَّاسُ وَفَسَدُوا .

كَذَا سَمِعْنَا مِنْ حَالِ الأَبْدَالِ[أ] ، أنهُمْ يَحْضُـرُونَ جُمُوعَ الإِسْـلاَمِ

(أ) راجع تخريج حديث الأبدال رقم (٢٧) .

أَيْنَمَا كَانَتْ ، وَيَسِيرُونَ مِنَ الأَرْضِ حَيْثُ شَاءُوا ، وَأَنَّ الأَرْضَ لَهُمْ قَدَمٌ وَاحِدٌ بإذن اللَّهِ عزَّ وجلَّ .

وَفِي الأَخْبَارِ أَنَّ الأَرْضَ تُطْوَى لَهُمْ ، وَيُنَادَوْنَ بِالتَّحِيَّاتِ وَيُتْحَفُونَ بِأَنْوَاعِ الْبِرِّ / وَالْكَرَامَاتِ ، فَهَنِيئاً لهم بِمَا ظَفِرُوا بِهِ ، وَأَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَ مَنْ غَفَلَ عَنِ النَّظَرِ فِي خَلاَصِ نَفْسِهِ ، وَأَعَانَ الطَّالِبَ الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَى الْمَقْصُودِ كَأَمْثَالِنَا . وَلَقَدْ عُرِضَ لِي فِي صِفَةِ حَالِي أَبْيَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ ، وَهِيَ : [الخفيف] : [٢١/أ]

ظَفِرَ الطَّالِبُونَ وَاتَّصَلَ الْوَصْـ ـلُ وَفَازَ الأَحْبَابُ بِالأَحْبَابِ
وَبَقِينَا مُذَبْذَبِينَ حَيَارَى بَيْنَ حَدِّ الْوِصَالِ وَالاجْتِنَابِ
نَرْتَجِي الْقُرْبَ بِالْبِعَادِ وَهٰذَا نَفْسُ حَالِ الْمُحَالِ لِلأَلْبَابِ
فَاسْقِنَا مِنْكَ شَرْبَةً تُذْهِبُ الْغَمْـ ـمَ وَتَهْدِي إِلى طَرِيقِ الصَّوَابِ
يَا طَبِيبَ السَّقَامِ يَا مَرْهَمَ الْجَرْ حِ وَيَا مُنْقِذِي مِنَ الأَوْصَابِ
لَسْتُ أَدْرِي بِمَا أُدَاوِي سِقَامِي أَوْ بِمَاذَا أَفُوزُ يَوْمَ الْحِسَابِ[1]

وَلْنَقْبِضِ الآن عِنَانَ الْبَنَانِ ، وَنَرْجِعْ إِلى الْمَقْصُودِ مِنْ شَأْنِ الْعُزْلَةِ فَقَدْ خَرَجْنَا عَنْ شَرْطِ الْبَابِ .

فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي الْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ »[1] وَفِيهِ زَجْرٌ عَنِ التَّفَرُّدِ .

فَاعْلَمْ أَنَّ ذٰلِكَ فِي غَيْرِ زَمَنِ الْفِتْنَةِ ، كَما ذَكَرْنَا ، وَأَيْضاً فَإِنَّهُ يَجْلِسُ فِي الْمَسْجِدِ وَلاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يُدَاخِلُهُمْ ، فَيَكُونُ بِالشَّخْصِ مَعَهُمْ ،

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٢٨ .

وَفِي الْمَعْنَى مُنْفَرِداً (عَنْهُمْ)(١) ، وَهٰذَا هُوَ الْمَعْنِيُّ فِي التَّفَرُّدِ وَالْعُزْلَةِ الَّذِي نَحْنُ فِي شَرْحِهِ ، لَا التَّفَرُّدُ بِالشَّخْصِ وَالمَكَانِ ، فَافْهَمْ ذٰلِكَ رَحِمَكَ آللَّهُ ، وَفِيهِ يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ رَحِمَهُ آللَّهُ : « كُنْ وَاحِداً جَامِعِيّاً ، وَمِنْ رَبِّكَ ذَا أُنْسٍ ، وَمِنَ النَّاسِ وَحْشِيّاً »(أ) .

الرباطات

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا تَقُولُ فِي مَدَارِسِ عُلَماءِ الآخِرَةِ ، وَرِبَاطَاتِ الصُّوفِيَّةِ ، سَالِكِي طَرِيقِ الآخِرَةِ وَالكَوْنِ فِيها ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ تِلْكَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَى في هٰذَا الشَّأْنِ لِعَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالاجْتِهادِ ، وَذٰلِكَ أَنَّها جَمَعَتِ المَعْنَيَيْنِ وَالْفَائِدَتَيْنِ اللَّتَيْنِ إِحْدَاهُمَا : الْعُزْلَةُ عَنِ النَّاسِ ، وَالتَّفَرُّدُ عَنْهُمْ بِالصُّحْبَةِ وَالمُخَالَطَةِ وَالمُزاحَمَةِ في أُمُورِهِمْ ؛ وَالثَّانِيَةُ : المُشَارَكَةُ مَعَهُمْ فِي جُمَعِهِمْ وَجَمَاعَاتِهِمْ وَتَكْثِيرِ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ ، فَتَحْصُلُ السَّلَامَةُ الَّتِي هِيَ لِلْمُنْفَرِدِينَ ، وَالْخَيْرُ الْكَثِيرُ / الَّذِي هُوَ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ مَا لِلنَّاسِ فِيهِمْ مِنَ العِدَّةِ وَالْبَرَكَةِ وَالنَّصِيحَةِ ، فَصَارَ الكَوْنُ فِيهَا أَعْدَلَ طَرِيقٍ ، وَأَحْسَنَ حالٍ ، وَأَسْلَمَ سَبِيلٍ ، وَلِهٰذَا الشَّأْنِ أَقَامَ أَكْثَرُ الْعَارِفِينَ بَيْنَ النَّاسِ لِنَفْعِهِمْ لِعِبَادِ آللَّهِ تَعَالى في بَابِ آلدِّينِ ، وَقِلَّةِ أَذَاهُمْ ، وَمُشَاهَدَةِ الْخَلْقِ لآدَابِهِمْ وَحُسْنِ رُسُومِهِمْ ، لِيَقْتَدُوا بِهِمْ ، فَإِنَّ لِسانَ الْحَالِ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ ، فَصَارَ ذٰلِكَ أَحْسَنَ تَدْبِيرٍ في أَمْرِ الدِّينِ لِلْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَأَحْكَمَ رَأْيٍ .

[٢١/ب]

مخالطة المريد للمجتهدين

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا حَالُ الْمُرِيدِ مَعَ المُجْتَهِدِينَ وَالمُرْتَاضِينَ ، أَيَصْحَبُهُمْ أَمْ يَعْتَزِلُهُمْ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا ثَابِتِينَ عَلَى رُسُومِهِمُ الأُولى ، وَسِيرَتِهِمُ

(أ) واحداً جامعياً : أي واحداً بالقلب ، جامعياً بالنفس ، نفسك مع الجماعة وقلبك مع الله وحده .

الْمَوْرُوثَةِ عَنْ أسلافهم ، فَهُمْ أَجَلُّ إخْوَانٍ في اللَّهِ تعالى وَأَصْحَابٍ وَأَعْوَان عَلَى عِبادَةِ آللَّهِ تَعَالى ، فَلاَ يَشْغُلَنْك عنهم عُزْلَةٌ وَتَفَرُّدٌ ، وَإِنَّمَا مَثَلُهُمْ مَثَلُ من تَسْمَعُ مِنْ زُهَّادِ لُبْنَانَ وَغَيْرِهِمْ ، أَنَّ مِنْهُمْ جَمَاعَاتٍ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى ، وَيَتَوَاصَوْنَ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ ، وَأَمَّا إن تَغَيَّرُوا وَتَرَكُوا رُسُومَهُمْ وأَخَلُّوا بِطَرَائِقِهِمُ الْمَوْرُوثَةِ عَنْ أَسْلاَفِهِمْ الصَّالِحِين ، فَحُكْمُ هٰذا الْمُجْتَهِدِ الْمُرْتَاضِ مَعَهُمْ كَحُكْمِهِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ ، يَلْزَمُ زَاوِيَتَهُ وَيَكُفُّ لِسانَهُ ، وَيُشَارِكُهُمْ في خَيْرَاتِهِمْ ، وَيُجَانِبُهُمْ في سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ وَآفَاتِهِمْ ، فَيَكُونُ هُوَ فِي عُزْلَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعُزْلَةِ مُنْفَرِداً عَنِ الْمُنْفَرِدِينَ .

خروج المريد إلى الناس

فَإِنْ قُلْتَ : فَإِنِ آخْتَارَ هٰذَا الْمُرْتَاضُ الْمُجْتَهِدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْنِهِمْ إلى مَكَانٍ آخَرَ ، لِصَلاحٍ يَرَاهُ في نَفْسِهِ ، وَتَجَنُّبِ آفَةٍ تَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي صُحْبَتِهِمْ ، فَاعْلَمْ أَنَّ هٰذِهِ المَدَارِسَ وَالرِّبَاطَاتِ ، بِمَنْزِلَةِ حِصْنٍ حَصِينٍ يَتَحَصَّنُ بِهَا الْمُجْتَهِدُونَ عَنِ الْقُطَّاعِ وَالسُّرَّاقِ، وَأَنَّ الْخَارِجَ بِمَنْزِلَةِ الصَّحْرَاءِ ، تَدُورُ فِيه فُرْسَانُ الشَّيَاطِينِ ، عَسْكَراً عَسْكَراً ، فَتَسْلُبُهُ أَوْ تَسْتَأْسِرُهُ ، فَكَيْفَ حَالُهُ إذَا خَرَجَ إلى الصَّحْرَاءِ ، وَتَمَكَّنَ الْعَدُوُّ مِنْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، يَعْمَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ ؟ فَإِذاً لَيْسَ لِهٰذَا الضَّعِيفِ إلاَّ لُزُومُ الْحِصْنِ .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الْبَصِيرُ الَّذِي لاَ تَغْلِبُهُ الأَعْدَاءُ، وَآسْتَوَى عِنْدَهُ الْحِصْنُ وَالصَّحْرَاءُ ، فَلاَ عَلَيْهِ إذَا خَرَجَ ؛ غير أَنَّ / الْكَوْنَ في الْحِصْنِ أَحْوَطُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، إذْ لاَ تُؤْمَنُ الآفَاتُ والْفَلَتَاتُ وَالاتِّفَاقَاتُ (مَعَ قُرَنَاءِ)[1] السُّوءِ ، وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ بِهٰذِهِ الجملة ، فَالكَوْنُ مَعَ رِجَالِ اللَّهِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَشَقَّةِ الصُّحْبَةِ أَوْلى لِلْمُرْتَاضِ وَطالِبِ الْخَيْرِ بِكُلِّ حَالٍ ، وَأَنْ لاَ مَانِعَ لِلْقَوِيِّ الْبَالِغِ مَبْلَغَ الإسْتِقَامَةِ عَنِ التَّفَرُّدِ ، فَاعْلَمْ هٰذِهِ الْجُمْلَةِ وَتَأَمَّلْهَا تَغْنَمْ وَتَسْلَمْ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعالى .

[٢٢/أ]

زيارة الإخوان

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا تَقُولُ فِي زِيَارَةِ الإِخْوَانِ فِي اللَّهِ تعالى ، وَمُوَاصَلَةِ الأَحْبَابِ بِالتَّلَاقِي وَالتَّذَكُّرِ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ زِيَارَةَ الإِخْوَانِ فِي اللَّهِ تعالى مِنْ جَوَاهِرِ عِبادَةِ ٱللَّهِ تَعالى ، وَفِيها الزُّلْفَةُ الْكَرِيمة إِلَى ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ ضُرُوبِ الْفَوَائِدِ وَصَلَاحِ القلوب ، وَلَكِنْ بِشَرْطَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ لا يَخْرُجَ فِي ذٰلِكَ إِلى الإِكْثَارِ وَالإِفْرَاطِ ؛ قالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا »[1] .

وَالثَّانِي : أَنْ تَحْفَظَ حَقَّ ذٰلِكَ بِالتَّجَنُّبِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالتَّزَيُّنِ ، وَقَوْلِ اللَّغْوِ وَالْغِيبَةِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ ، فَيَعُودُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَخِيكَ الْوَبَالُ . فَلَقَدْ حُكِيَ أَنَّ الْفُضَيْلَ وَسُفْيَانَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَذَاكَرَا فَبَكَيَا ، فَقَالَ سُفْيَانُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ أَرْجُو أَنَّا مَا جَلَسْنا مَجْلِساً أَرْجَى لَنَا مِنْ هٰذَا ، فَقَالَ الْفُضَيْل : مَا جَلَسْتُ مَجْلِساً أَخْوَفُ عَلَيَّ مِنْ هٰذَا ، قَالَ : وَكَيْفَ يَا أَبَا عَلِيٍّ ؟ فقالَ : أَلَسْتَ تَعْمَدُ إِلى أَحْسَنِ حَدِيثِكَ فَتُحَدِّثُنِي بِهِ ، وَأَنَا أَعْمَدُ إِلى أَحْسَنِ مَا عِنْدِي ، فَأُحَدِّثُكَ بِهِ ، فَتَزَيَّنْتَ لِي ، وَتَزَيَّنْتُ لَكَ ، فَبَكَى سُفْيَانُ .

فَيَجِبُ أَنْ تَكُون مُجَالَسَتُكَ لِلإِخْوَانِ ، وَمُلَاقَاتِهِمْ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدٍ فِي ٱحْتِيَاطٍ وَنَظَرٍ لَطِيفٍ ، فَلَا يَقْدَحُ ذٰلِكَ حِينَئِذٍ فِي عُزْلَتِكَ وَتَفَرُّدِكَ عَنِ النَّاسِ ، وَلا يَعُودُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَخِيكَ بِضَرَرٍ وَآفَةٍ ، بَلْ بِخَيْرٍ كَثِيرٍ وَنَفْعٍ عَظِيمٍ ، وَٱللَّهُ الْمُوَفِّقُ .

الباعث على العزلة

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا يَبْعَثُنِي عَلَى الْعُزْلَةِ عَنِ النَّاسِ وَالتَّفَرُّدِ وَيُهَوِّنُ عَلَيَّ ذٰلِكَ ؟

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٢٩ .

فَاعْلمْ أنَّ ٱلَّذِي يُهَوِّنُ عَلَيْكَ ذٰلِكَ ثَلاثَةُ أُمورٍ :

أَحَدُهَا : / ٱسْتِغْرَاقُ أَوْقَاتِكَ في الْعِبَادَةِ ؛ فإنَّ فِي الْعِبَادَةِ شُغْلاً ؛ وَإِنَّ الاسْتِئْنَاسَ بالنَّاسِ مِنْ عَلاَمَاتِ الإفْلاَسِ . فَإذَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَتَطَلَّعُ إلى مُلاقاةِ النَّاسِ وَكلاَمِهِمْ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ولاَ ضَرُورَةٍ ، فَاعْلَمْ أنَّ ذٰلِكَ فُضُولٌ سَاقَهُ الْفَرَاغُ وَالْبَطَرُ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ في (هٰذا)[1] المَعْنَى : [٢٢/ب]

[الكامل].

إنَّ الفَرَاغَ إلى سَلاَمِكَ قَادَني   وَلَرُبَّما عَمِلَ الْفُضُولَ الْفَارِغُ[أ]

فَأَنْتَ إذَا أعطيت الْعِبَادَةَ حَقَّها[2] وَجَدْتَ حلاَوَةَ الْمُنَاجَاةِ ، وَاسْتَأْنَسْتَ بِكِتَابِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ، وَاشْتَغَلْتَ عَنِ الْخَلْقِ ، وَاسْتَوحَشْتَ مِنْ صُحْبَتِهِمْ وَكلاَمِهِمْ . وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَم ، كانَ إذَا رَجَعَ عن الْمُنَاجَاةِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ يَجْعَلُ أُصْبَعَيْهِ في أُذُنَيْهِ ، لِئَلاَّ يَسْمَعَ كلاَمَهُمْ ، وَكَانَ كلاَمَهُمْ عِنْدَهُ فِي النُّفورِ وَالْوحْشَةِ في ذٰلِكَ الْوَقْتِ ، كأصْوَاتِ الحميرِ ، فَعَلَيْكَ بِمَا قَالَهُ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللّهُ : [الخفيف المجزوء] :

آرْضَ بِاللّهِ صَاحِباً   وَذَرِ النَّاسَ جَانِبا[3]
(صَادِقَ الْوُدِّ شَاهِداً   كُنْتَ فِيهِمْ وَغَائِبا
قَلِّبِ النَّاسَ كَيْفَ شِئْـ   ـتَ تَجِدْهُمْ عَقَارِبَا)[4]

وَالثَّانِي : قَطْعُ الطَّمعِ عَنْهُمْ بمرَّة ، فَيَهُونُ عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ ، لأنّ مَنْ لاَ تَرْجُو نَفْعَهُ وَلاَ تَخَافُ ضَرَّهُ فَوُجُودُهُ وَعَدَمُهُ سَوَاءَ .

(أ) الفضول : العمل الذي لا حاجة لنا به ، والفارغ : الإنسان التارك لعبادة الله والواقع في الفراغ . أي : ربّما عمل الإنسان الفارغ عن عبادة الله أعمالاً لا تعنيه ولا حاجة له بها فهي لذلك من الفضول الذي لا ينبغي له .

وَالثَّالِثُ : تُبْصِرُ آفَاتِهِمْ وَتَذْكُرُ ذٰلِكَ وَتُكَرِّرُهُ عَلَى قَلْبِكَ ، لأَنَّ هٰـذِهِ الأَذكار الثَّلاَثَـةَ إِذَا لَزِمْتَهَـا ، طَرحت بِـكَ عَنْ صُحْبَةِ الْخَلْقِ إِلَى بَـابِ اللّٰهِ تَعَـالَى ، وَالتَّفَرُّدِ لِعِبَـادَتِهِ وَحَبَّبَتْـهُ إِلَيْكَ ، وَأَلْـزَمَتْكَ بَـابَهُ ، وَبِـاللَّهِ التَّـوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ .

الْعَائِقُ الثَّالِثُ : الشَّيْطَانُ

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ وَقَهْرِهِ ، وَذٰلِكَ لِخَصْلَتَيْنِ :

إِحْدَاهُما : أَنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، لاَ مَطْمَعَ فِيـهِ بمصَـالَحَةٍ وَاتقـاء غيلةٍ[1] ، بَلْ لاَ يُقْنِعُهُ إِلاَّ هَلاَكُكَ أَصْلاً ، فَلاَ وَجْهَ إِذاً لِلأَمْنِ مِنْ مِثْـلِ هٰذَا الْعَـدوِّ وَالْغَفْلَةِ عَنْهُ ، وَتَـأَمَّلْ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَـابِ اللَّهِ تَعَالَى ، إِحْـدَاهُمَا قَـوْلُـهُ تَعَالَى :

﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [يسۤ : ٦٠]. والثَّانِيَةُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً** ﴾ [فاطر : ٦]. وَهٰذَا أَقْصَى التَّحْذِيرِ وَغَايَتُهُ .

وَالْخَصْلَةُ الثَّـانِيـةُ : أَنَّـهُ مَجْبُـولٌ عَلَى عَـدَاوَتِـكَ ، وَمُنْتَصِبٌ أَبَـداً لِمُحارَبَتِكَ ، فَهُوَ آنَاءَ اللَّيْلِ / وَأَطْرَافِ النَّهَارَ يَرْمِيكَ بِسِهَامِهِ ، وَأَنْتَ غَافِلٌ [٢٣/أ] فَكَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ ؟

ثُمَّ وَقَعَتْ مَعَكَ نُكْتَةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ أَنَّكَ في عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى بَـابِ اللَّهِ تعالى بِفِعْلِكَ وَقَـوْلِكَ ، وَهٰـذَا ضِدُّ صَنِيـعِ الشَّيْـطَانِ وَهِمَّتِهِ ، وَمُرَادِهِ وَحِرْفَتِهِ ؛ فَصِرْتَ كَأَنَّـكَ قُمْتَ وَشَدَدْتَ وَسَـطَكَ ، لِتُغَايِظَ الشَّيْـطَانَ وَتُكَايِـدَهُ[2] وَتُنَاقِضَـهُ ، فَهُوَ أَيْضـاً يَشدُّ وَسَـطَهُ لِيُعَادِيَـكَ وَيُقَاتِلَكَ وَيُمَاكِرَكَ ، حَتَّى يُفْسِدَ عَليك وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ شَأْنَكَ ، بَلْ حَتَّى يُهْلِكَكَ رَأْساً ،

إذْ لاَ يَأْمَنُ مِنْ جَانِبِكَ بَعْدُ ؛ فَإنَّهُ الَّـذِي يُسِيءُ وَيَقْصِدُ بِـالْهَلاَكِ إلَى مَنْ لاَ يُغَايظُهُ وَلاَ يُنَاقِضُهُ ، بَلْ يُصَادِقُهُ وَيُوَافِقُـهُ ، كالْكُفَّـارِ وأهلِ الضَّـلاَلِ وَأَهْلِ الرَّغْبَةِ في بَعْضِ الأَحْـوَالِ ؛ فَكَيْفَ يُظَنُّ قَصْدُهُ لِمَنْ قَامَ يُغَايظه ، وَتَجَرَّدَ لِمُنَاقَضَتِهِ ؟ فَلَهُ إذَنْ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ عَدَاوَةٌ عَامَّةٌ ، وَمَعَكَ أيُّهَا الْمُجْتَهِدُ فِي الْعِبَـادَةِ وَالْعِلْمِ عَدَاوَةٌ خَـاصَّةٌ ، وَإنْ أَمْـرَكَ لَهُ لَمُهِـمٌ وَمَعَـهُ عَلَيْكَ أَعْـوَانٌ ، أَشَدُّهَا عَلَيْكَ نَفْسُكَ وَهَوَاكَ ، وَلَهُ أَسْبَابٌ وَمَدَاخِلُ وَأَبْوَابٌ أَنْتَ عَنْهَا غَافِلٌ .

وَلَقَدْ صَدَقَ يَحْيَـى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِي رحمه الله حَيْثُ قَالَ : « الشَّيْطَانُ فَارِغٌ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ وَهُو يَرَاكَ وَأَنْتَ لاَ تَرَاهُ ، وَأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهُـوَ لاَ يَنْسَاكَ ، وَمِنْ نَفْسِكَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْكَ عَوْنٌ» . فَإذَنْ لاَ بُدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِ وَقَهْرِهِ ، وَإلاَّ فَلا تَأْمَنِ الْفَسَادَ وَالْهَلاَكَ .

محاربة الشيطان

فَإنْ قُلْتَ : فَبِأَيِّ شَيْءٍ أُحَارِبُ الشَّيْطَانَ وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَقْهَرُهُ وَأَدْفَعُهُ ؟

فَاعْلَمْ أنَّ لأَهْلِ هٰذِهِ الصِّنَاعَةِ(أ) في هٰذِهِ المَسْأَلَةِ طَرِيقَيْنِ :

أَحَدُهُمَا مَا قَالَ بَعْضُهُمْ : إنَّ التَّدْبِيرَ فِي دَفْعِ الشَّيْطَانِ الإسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ لاَ غَيْرُ ، فَـإنَّ الشَّيْـطَانَ كَلْبٌ سَلَّطَهُ اللَّهُ تَعَـالَى عَـلَيْـكَ ؛ إنِ اشْتَـغَلْتَ بِمُحَارَبَتِهِ وَمُعَالَجَتِهِ تَعِبْتَ ، وَضَـاعَ عَلَيْكَ وَقْتُكَ، وربّما يَـظْفَرُ بِكَ فَيَعْقِرُكَ وَيَجْرَحُكَ ، فإنَّ الرُّجُوعَ إلى رَبِّ الْكَلْبِ لِيَصْرِفَهُ عَنْكَ أَوْلَى .

وَالثَّـانِي: مَا قَالَ آخَرُونَ : الطَّرِيقُ المُجَاهَدَةُ ، وَالقِيَامُ عَلَيْهِ بِالدَّفْعِ وَالرَّدِّ وَالمُخَالَفَةِ .

[٢٣/ب]

قُلْتُ : وَالَّـذِي عِنْدِي أَنَّ الطَّرِيق الْعَدْلَ / الْجَـامِعَ فِي أَمْـرِهِ ، أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ الطَّرِيقَينِ ، فَتَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ أَوَّلاً كمَا أَمَرَنَا ، وَهُـوَ الْكَافِي

(أ) أي لأهل التصوّف .

شَرَّهُ ؛ ثُمَّ إنْ رَأَيْنَاهُ يَتَغَلَّبُ عَلَيْنَا ، عَلِمْنَا أَنَّهُ ٱبْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ سبحانه وتعالى ، لِيَرَى صِدْقَ مُجَاهَدَتِنَا وَقُوَّتِنَا فِي أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَبْرَنَا ، كَمَا أَنَّهُ سَلَّطَ الْكُفَّارَ عَلَيْنَا مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى كِفَايَةِ أَمْرِهِمْ وَشَرِّهِمْ ، لِيَكُونَ لَنَا حَظٌّ مِنَ الْجِهَادِ وَالصَّبْرِ وَالتَّمحِيصِ وَالشَّهَادَةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٠] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٢] فَكَذَٰلِكَ هَٰذَا .

طرق محاربة الشيطان

ثُمَّ إِنَّ مُحَارَبَتَهُ وَقَهْرَهُ ، فِيمَا قَالَهُ عُلَمَاؤُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ :

أَحَدُهَا : أَنْ تَتَعَرَّفَ وَتَتَعَلَّمَ مَكَايِدَهُ وَحِيَلَهُ ، فَلَا يَتَجَاسَرُ حِينَئِذٍ عَلَيْكَ ، كَاللِّصِّ إِذَا عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَ الدَّارِ قَدْ أَحَسَّ فِيهِ فَرَّ .

وَالثَّانِي : أَنْ تَسْتَخِفَّ بِدَعْوَتِهِ فَلَا تُعَلِّقُ قَلْبَكَ بِذَٰلِكَ ، وَتَتْبَعُهُ ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلْبِ النَّابِحِ ، إِنْ أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ ولِعَ بِكَ وَلَجّ ، وَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ سَكَتَ .

وَالثَّالِثُ : أَنْ تُدِيمَ ذِكْرَ اللَّهِ تعالى بِلِسَانِكَ وَقَلْبِكَ ؛ فَلَقَدْ قَالَ النَّبِيّ ﷺ :

« إِنَّ ذِكْرَ ٱللَّهِ فِي جَنْبِ الشَّيْطَانِ كَالْآكِلَةِ فِي جَنْبِ ٱبْنِ آدَمَ »[أ] .

مكايد الشيطان

فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ تَعْلَمُ مَكَايِدَهُ ، وَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَٰلِكَ ؟

فَاعْلَمْ (أمرين : **الأول**)[١] : أَنَّ لَهُ وَسَاوِسَ هِيَ بِمَنْزِلَةِ السِّهَامِ الَّتِي يَرْمِيهَا ؛ وَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَتَبَيَّنُ لَكَ بِمَعْرِفَةِ الْخَوَاطِرِ وَأَقْسَامِهَا .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٣٠ .

وَالثَّانِي : أَنّ لَهُ حِيَلاً بِمَنْزِلَةِ الشَّبَكَاتِ الَّتِي يَنْصِبُهَا (الصيَّاد)[1] ، وذٰلِكَ يَتَبَيَّنُ لَكَ بِمَعْرِفَةِ المَكَايِدِ وَأَوْضَاعِها وَمَجَارِيها .

وَلَقَدْ ذَكَرَ عُلَماؤُنَا أَبْوَاباً في الْخَواطِرِ ، وَقَدْ صَنَّفْنا كِتاباً سَمَّيْنَاهُ « تَلْبِيس إِبْلِيسَ » ، وَكِتَابُنَا هٰذَا لاَ يَحْتَمِلُ الإكْثَارَ ، وَلٰكِنَّا نَـذْكُرُ لَـكَ ، إنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى ، مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَصْلاً كَافِياً إِذَا آعْتَصَمْتَ بِهِ .

الإلهام والوسواس

فَأَمَّا أَصْلُ الْخَواطِرِ فَاعْلَمْ أَنّ اللَّهَ تَعالى ، وَكَّلَ بِقَلْبِ آبْنِ آدَمَ مَلَكاً ، يَدْعُوهُ إِلَى الْخَيْرِ ، يُقَالُ لَهُ الْمُلْهِمُ ، وَلِدَعْـوَتِهِ إِلْهَـامٌ ، وَسَلَّطَ فِي مُقَابَلَتِـهِ شَيْطَاناً يَدْعُو الْعَبْدَ إِلَى الشَّرِّ ، يُقَـالُ لَهُ : وَسْـوَاسٌ ، وَلِدَعْـوَتِهِ وَسْـوَسَةٌ ، فَالْمُلْهِمُ لاَ يَدْعُو إِلا إِلَى الْخَيْرِ ، وَالْوَسْوَاسُ لاَ يَدْعُو إِلا إِلَى الشَّرِّ / [٢٤/أ] فِي قَوْلِ أَكْثَرِ عُلَمَائِنَا .

وَقَدْ حُكِيَ عَنْ شَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ ، انّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا يَدْعُو إِلى الْخَيْرِ وَقَصْدُهُ فِي ذٰلِكَ الشَّرُّ ، بِأَنْ يَدْعُوَهُ إِلَى المَفْضُولِ لِيَمْنَعَهُ عَنِ الْفَاضِلِ ، أَوْ يَدْعُوَهُ إِلَى خَيْرٍ ، لِيَجُرَّهُ إِلى ذَنْبٍ عَـظِيمٍ ، لاَ يَفِي خَيْرُهُ بِـذٰلِكَ الشَّـرِّ مِنْ عُجْبٍ أَوْ غَيْرِهِ .

فَهٰذَانِ دَاعِيانِ قَائِمانِ عَلَى قَلْبِهِ ، يَدْعُوَانِهِ ، وَهُـوَ يَسْمَعُ قَلْبُـهُ يُحِسُّ بِذٰلِكَ ، عَلَى مَـا رُوِيَ فِي الأَخْبَارِ أَنَّـهُ « إذا وُلِدَ لاِبْنِ آدَمَ مَـوْلُودٌ قَـرَنَ اللَّهُ تعالى بِهِ مَلَكاً وَقَرَنَ الشَّيْطَانُ بِهِ شَيْطَاناً »[أ]. فَالشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى أُذُنِ قَلْبِ آبْنِ آدَمَ اليسرى وَالمَلَكُ جَاثِمٌ عَلَى أُذُنِ قَلْبِهِ اليمنى ، فَهُمَا يَدْعُوَانِهِ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لِلشَّيْطَانِ لَمَّةٌ بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةٌ »[ب] يَعْنِي نَزْلَةً

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٣١ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٣٢ .

بِالدَّعْوَةِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : لَمَّ بِالْمَكَانِ وَأَلَمَّ بِهِ إِذَا نَزَلَ (بِهِ)[1] .

ثُمَّ رَكَّبَ اللَّهُ تعالَى في بِنْيَةِ الإنْسانِ طَبِيعَةً مَائِلَةً إلى الشَّهَوَاتِ وَنَيْلِ اللَّذَّاتِ كَيْفَ كَانَتْ ، مِنْ حُسْنٍ أَوْ قُبْحٍ ، فَذٰلِكَ هَوَى النَّفْسِ الصَّارِفَةِ إلى الآفَاتِ ، فَهٰذِهِ ثَلاث دُعَاةٍ[أ] .

ثُمَّ آعْلَمْ بَعْدَ هٰذِهِ المُقَدِّمَةِ ، أَنَّ الْخَوَاطِرَ هِيَ آثَارٌ تَحْدُثُ في قَلْبِ الْعَبْدِ ، تَبْعَثُهُ عَلَى الأَفْعالِ وَالتُّرُوكِ ، وَتَدْعُوهُ إِلَيْهَا ، وَسُمِّيَتْ خَوَاطِرَ ، لِاضْطِرَابِهَا مِنْ خَطَرَاتِ الرِّيحِ وَنَحْوِه وَحُدُوثِها جَمِيعاً في قَلبِ الْعَبْدِ بِالْحَقِيقَةِ (مِنَ اللَّهِ)[2] سُبْحَانَهُ وَتَعالى لٰكِنَّها أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ :

أقسام الخواطر

● مِنْها مَا يُحْدِثُهُ اللَّهُ تَعالى في الْقَلْبِ ابْتِدَاءً ، فَيُقالُ لَهُ الْخَاطِرُ فَقَط .

● وَقِسْمٌ يُحْدِثُهُ مُوَافِقاً لِطَبْعِ الإنْسَانِ ، فَيُقَالُ لَهُ هَوَى النَّفْسِ وَيُنْسَبُ إليه .

● وَقِسْمٌ يُحْدِثُهُ عَقِيبَ دَعْوَةِ المُلْهِمِ ، فَيُنْسَبُ إِلَيْهِ وَيُقَالُ لَهُ الإِلْهَامُ .

● وَقِسْمٌ يُحْدِثُهُ عَقِيبَ دَعْوَةِ الشَّيْطَانِ ، فَيُنْسَبُ إِلَيْهِ وَيُقَالُ لَهُ الْوَسْوَسَةُ ، وَتُنْسَبُ إِلَيْهِ بِأَنَّهَا خَوَاطِرُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّما هِيَ في الْحَقِيقَةِ حَادِثَةٌ عِنْدَ دَعْوَتِهِ ، فَهُوَ كالسَّبَبِ في ذٰلِكَ ، وَلٰكِنّها تُنْسَبُ إِلَيْهِ ، فَهٰذِهِ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ مِنَ الْخَوَاطِرِ .

أنواع الخواطر

ثُمَّ آعْلَمْ بَعْدَ هٰذَا التَّقْسِيمِ ، أَنَّ الْخَاطِرَ الَّذِي مِنْ قِبَلِ اللَّهِ آبْتِداءً قَدْ يَكُونُ بِخَيْرٍ إِكْرَاماً وَإِلْزَاماً لِلْحُجَّةِ ، وَقَدْ يَكُونُ بِشَرٍّ آمْتِحَاناً وَتَغْلِيظاً لِلْمِحْنَةِ .

(أ) وهم : المَلك الذي يدعو إلى الخير ، والشيطان الذي يدعو إلى الشرّ ، والنفس المائلة إلى الشهوات .

وَالْخَـاطِرُ الَّـذِي يَكُونُ مِنْ قِبَـلِ الْمُلْهِمِ ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِخَيْـرٍ إِذْ هُوَ نَاصِحٌ مُرْشِدٌ لَمْ يُرْسَلْ إِلَّا لِذٰلِكَ .

وَالْخَاطِرُ الَّذِي يَكُونُ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ ، لَا يَكُـونُ إِلَّا بِشَرٍّ إِغْـوَاءً ، وَاسْتِزْلَالاً ، / وَرُبَّمَا يَكُونُ بِالْخَيْرِ مَكْراً وَاسْتِدْرَاجاً . [٢٤/ب]

وَالَّذِي يَكُونُ مِنْ قِبَلِ هَوَى النَّفْسِ يَكُونُ بِالشَّرِّ وَبِما لَا خَيْرَ فِيهِ تَمَنُّعاً وَتَعَسُّفاً .

وَلَقَدْ وَجَدْتُ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّ هَوَى النَّفْسِ أَيْضاً قَدْ يَدْعُـو إِلى خَيْرٍ وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ شَرٌّ ، كَالشَّيْطَانِ فَهٰذِهِ أَنْوَاعُهَا .

خاطر الشر وخاطر الخير

ثُمَّ بَعْدَ هٰذِهِ إِنَّكَ مُحْتَاجٌ إِلى مَعْرِفَةِ ثَلَاثَةِ فُصُولٍ لَا بُدّ لَكَ مِنْها أَلْبَتَّـةَ وَفِيهَا الْمَقْصُودُ :

أَحَدُهَا : الْفَرْقُ بَيْنَ خَاطِرِ الْخَيْرِ وَخَاطِرِ الشَّرِّ في الْجُمْلَةِ .

وَالثَّـانِي : الْفَرْقُ بَيْنَ خَـاطِرِ شَـرٍّ آبْتِدَائِيٍّ أَوْ هَوَائِيٍّ أَوْ شَيْـطَانِيٍّ ، وَبِمَاذَا تُفَرِّقُ بَيْنَهَا . فَإِنَّ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهَا دَفْعاً مِنْ نَوْعٍ آخَرَ .

وَالثَّالِثُ : الْفَرْقُ بَيْنَ خَاطِرِ خَيْـرٍ آبْتِدَائِيٍّ أَوْ إِلْهَـامِيٍّ ، أَوْ شَيْطَانِيٍّ (أو هوائي)[1] ، لِتَتْبَعَ مَا يَكُونُ مِنَ اللَّـهِ تَعَالى أَوْ مِنَ الْمُلْهِمِ ، وَتَجْتَنِبَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطانِ ، وَكَذٰلكَ الْهَوائي[1] عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ بِهِ .

في التفريق بين خاطر الخير وخاطر الشر

فَأَمَّا الْفَصْـلُ الأَوَّلُ : فَقَالَ عُلَمَـاؤُنَا رحمهم الله إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تعـرف خَاطِرَ الْخَيْرِ مِنْ خَاطِرِ الشَّرِّ ، وَتُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا ، فَزِنْهُ بِأَحَدِ الْمَوَازِينِ الأَرْبَعَةِ ، يَتَبَيَّنْ لَكَ حَالُهُ :

موازين الخواطر

إِعرِضَ الأَمْرَ الَّذِي خَطَرَ بِبَالِكَ عَلَى **الشَّـرْعِ** ، فَإِنْ وَافَقَ جِنْسَـهُ فَهُوَ

---

(١) الخاطر الهوائي هو ما يكون من قبل هوى النفس .

خَيْرٌ ، وَإِنْ كَانَ بِالضِّدِّ بِرُخْصَةٍ أَوْ شُبْهَةٍ فَهُوَ شَرٌّ .

فَإِنْ لَمْ يَسْتَبِنْ لَكَ بِهٰذَا الْمِيزَانِ ، فَاعْرِضْهُ عَلَى **الاقْتِدَاءِ** ، فَإِنْ كَانَ فِي فِعْلِهِ ٱقْتِدَاءً بِالصَّالِحِينَ فَهُوَ خَيْرٌ ، وَإِنْ كَانَ بِالضِّدِّ ٱتِّبَاعاً لِلطَّالِحِينَ فَهُوَ شَرٌّ . .

وَإِنْ لَمْ يَسْتَبِنْ لَكَ بِهٰذَا الْمِيزَانِ ، فَاعْرِضْهُ عَلَى النَّفْسِ **وَالْهَوَى** ، وانْظُرْ إِنْ كَانَ مِمَّا تَنْفِرُ النَّفْسُ عنه نُفْرَةَ طَبْعٍ ، لَا نُفْرَةَ خَشْيَةٍ وَتَرْهِيبٍ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَيْرٌ ؛ وَإِنْ كَانَ مِمَّا تَمِيلُ النَّفْسُ إِلَيْهِ مَيْلَ طَبْعٍ وَجِبِلَّةٍ ، لَا مَيْلَ رَجَاءٍ إِلى اللَّهِ تَعَالى وَتَرْغِيبٍ ، فَهُوَ شَرٌّ ، إِذِ النَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ **لَا تَمِيلُ** بطبعها إِلى خَيْرٍ ، فَبِأَحَدِ هٰذِهِ المَوَازِينِ ، إِذَا نَظَرْتَ وَأَنْعَمْتَ النَّظَرَ ، يَسْتَبِينُ (لَكَ)[1] خَاطِرُ الْخَيْرِ مِنْ خَاطِرِ الشَّرِّ ؛ وَاللَّهُ تعالى وَلِيُّ الْهِدَايَةِ بِفَضْلِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

في الدافع إلى خاطر الشر

وَأَمَّا الْفَصْلُ الثَّانِي : فإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَ خاطِرِ شَرٍّ يَكُونُ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ ، وَبَيْنَ خَاطِرِ شَرٍّ يَكُونُ مِنْ قِبَلِ هَوَى النَّفْسِ ، أَوْ مِنَ اللَّهِ تَعَالى ٱبْتِدَاءً فَانْظُرْ فِيهِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ / [٢٥ / أ] :

أَحَدُها : إِنْ وَجَدْتَهُ مُصَمِّماً رَاتِباً عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَهُوَ مِنَ اللَّهِ تَعالى أَوْ مِنْ هَوَى النَّفْسِ ، وَإِنْ وَجَدْتَهُ مُتَرَدِّداً (مُضْطَرِباً)[2] ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ . وَكَانَ بَعْضُ العَارِفِينَ يَقُولُ: مَثَلُ هَوَى النَّفْسِ مَثَلُ النَّمِرِ إِذَا حَارَبَ لَا يَنْصَرِفُ إِلَّا بِقَمْعٍ بَالِغٍ وَقَهْرٍ ظَاهِرٍ ؛ أَوْ مَثَلُ الْخَارِجِيِّ الَّذِي يُقَاتِلُ تَدَيُّناً ، لَا يَكَادُ يَرْجِعُ حَتَّى يُقْتَلَ ، وَمَثَلُ الشَّيْطَان مَثَلُ الذِّئْبِ ، إِذا طَرَدْتَهُ مِنْ جَانِبٍ دَخَلَ مِنْ جَانِبٍ .

وَثَانِيهَا : إِنْ وَجَدْتَهُ عَقِيبَ ذَنْبٍ أَحْدَثْتَهُ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ تَعالَى ، إِهَانَةً وَعُقُوبَةً بِشُؤْمِ ذٰلِكَ الذَّنْبِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين : ١٤] .

قَـالَ شَيْخِي الإِمَـامُ رَحِمَـهُ اللَّهُ : هٰكَـذَا تُؤَدِّي الـذُّنُـوبُ إِلَى قَسْـوَةِ الْقَلْبِ : أَوَّلُها خَاطِرٌ ، ثُمَّ تُؤَدِّي إِلى الْقَسْوَةِ وَالرَّيْنِ .

وَإِنْ كَانَ هٰذَا الْخَاطِرُ مُبْتَدَأً لاَ عَقِيبَ ذَنْبٍ كَانَ مِنْكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ ، هٰذَا فِي الأَكْثَرِ ، لِأَنَّهُ يَبْتَدِىءُ بِدَعْوَةِ الشَّـرِّ وَيَطْلُبُ الإِغْـوَاءَ بِكُلِّ حَالٍ .

وَثَالِثُهَا : إِنْ وَجَدْتَهُ لاَ يَضْعُفُ وَلاَ يَقِلُّ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعالى وَلاَ يَـزُولُ ، فَهُـوَ مِنَ الْهَـوَى ، وَإِنْ وَجَـدْتَـهُ يَضْعُفُ وَيَقِـلُّ بِـذِكْـرِ اللَّهِ تعـالى فَهُـوَ مِنَ الشَّيْطانِ ؛ كَمَا ذُكِرَ في (تَفْسِيرِ)[1] قَـوْلِهِ تَعـالى : ﴿ **مِنْ شَرِّ الْـوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ** ﴾ [الناس : ٤] إِنَّ الشَّيْطَانَ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ٱبْنِ آدَمَ : إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَعالى خَنَسَ ، وَإِذَا غَفِلَ وَسْوَسَ .

في الداعي إلى خاطر الخير

وَأَمَّا الْفَصْلُ الثَّالِثُ : فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَ خَاطِـرِ خَيْرٍ يَكُـونُ مِنَ اللَّهِ تَعالى ، أَوْ مِنَ المَلَكِ ، فَانْظُرْ فِي ذٰلِكَ مِنْ ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ :

(**أَحَدُهَا**: أَنْ تَنْظُرَ)[2] فَإِنْ كَانَ قَوِيّاً مُصَمِّماً، فَهُوَ مِنَ اللّهِ تعالى، وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّداً ، فَهُوَ مِنَ المَلَكِ ؛ إِذْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ نَـاصِحٍ يَـدْخُلُ مَعَـكَ في كُلِّ جَـانِبٍ وَوَجْهٍ ، وَيَعْـرِضُ عَلَيْكَ كُـلَّ نُصْحٍ ، رَجَـاءَ إِجَابَتِـكَ وَرَغْبَتِكَ في الخَيْرِ .

وَالثَّانِي : إِنْ كَانَ عَقِيبَ ٱجْتِهَادٍ مِنْكَ وَطَاعَةٍ ، فَهُـوَ مِنَ اللَّهِ سبحانَـهِ وتَعَالَى ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، ﴿ **وَالَّـذِينَ ٱهْتَـدَوْا زَادَهُمْ هُـدًى** ﴾ [محمـد : ١٧] ، وَإِنْ كَـانَ مُبْتَدَأً، فَهُوَ مِنَ المَلَكِ فِي الأَغْلَبِ .

وَالثَّـالِثُ : إِنْ كَانَ في الأُصُـولِ وَالأَعْمَالِ الْبَـاطِنَةِ ، فَهُـوَ مِنَ اللَّهِ

سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ؛ وَإِنْ كَانَ في الْفُرُوعِ وَالأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ ، فَهُوَ مِنَ المَلَكِ فِي الأَكْثَرِ ؛ إِذِ المَلَكُ لَا سَبِيلَ لَهُ / إلى مَعْرِفَةِ بَاطِنِ الْعَبْدِ في قَوْلِ أَكْثَرِهِمْ. [٢٥/ب]

وَأَمَّا خَاطِرُ الْخَيْرِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ ٱسْتِدْرَاجاً إِلَى شَرٍّ يَرْبِي عَلَيْهِ ، فَلَقَدْ قَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ : ٱنْظُرْ إِنْ وَجَدْتَ نَفْسَكَ في ذَلِكَ الْفِعْلِ الَّذِي خَطَرَ بِقَلْبِكَ ، مَعَ نَشَاطٍ لَا مَعَ خَشْيَةٍ ، وَمَعَ عَجَلَةٍ لَا مَعَ تَأَنٍّ ، وَمَعَ أَمْنٍ لَا مَعَ خَوْفٍ ، وَمَعَ عَمَى الْعَاقِبَةِ لَا مَعَ بَصِيرَةٍ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبْهُ ؛ وَإِنْ وَجَدْتَ نَفْسَكَ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ ، مَعَ خَشْيَةٍ لَا مَعَ نَشَاطٍ ، وَمَعَ تَأَنٍّ لَا مَعَ عَجَلَةٍ ، وَمَعَ خَوْفٍ لَا مَعَ أَمْنٍ ، وَمَعَ بَصَارَةٍ لِلْعَاقِبَةِ لَا مَعَ عَمًى ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنَ المَلَكِ .

قُلْتُ أَنَا : وَكَأَنَّ النَّشَاطَ خِفَّةٌ فِي الإِنْسَانِ لِلْفِعْلِ مِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَذِكْرِ ثَوَابٍ يُنَشِّطُهُ في ذَلِكَ .

وَأَمَّا التَّأَنِّي فَمَحْمُودٌ إِلَّا فِي مَوَاضِعَ مَعْدُودَةٍ ؛ وَذُكِرَ فِي الخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسٍ : فِي تَزْوِيجِ الْبِكْرِ إِذَا أَدْرَكَتْ ، وَقَضَاءِ الدَّيْنِ إِذَا وَجَبَ ، وَتَجْهِيزِ المَيِّتِ إِذَا مَاتَ ، وَقِرَى الضَّيْفِ إِذَا نَزَلَ ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا أَذْنَبْتَ »[أ] .

وَأَمَّا الْخَوْفُ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي إِتْمَامِهِ وَأَدَائِهِ عَلَى حَقِّهِ وَوَجْهِهِ وَقَبُولِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاه .

وَأَمَّا بَصَارَةُ الْعَاقِبَةِ فَبِأَنْ يَتَبَصَّرَ وَيَتَيَقَّنَ أَنَّهُ خَيْرٌ وَرُشْدٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِرُؤْيَةِ الثَّوَابِ فِي العُقْبَى وَرَجَائِهِ. فَاعْلَمْ ذَلِكَ مُوَفَّقاً.

فَهَذِهِ جُمْلَةُ الْفُصُولِ الثَّلَاثَةِ ، الَّتِي لَزِمَتْكَ مَعْرِفَتُهَا فِي فَصْلِ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٣٣ .

الْخَوَاطِرِ ، فَارْعَهَا وَأَمْعِنِ النَّظَرَ فِيهَا مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّهَا مِنَ الْعُلُومِ اللَّطِيفَةِ وَالأَسْرَارِ الشَّرِيفَةِ في هٰذَا الْبَابِ ، واللَّهُ المُوَفِّقُ بِفَضْلِهِ .

مكايد الشيطان في الطاعة

وَأما فَصْلُ الْحِيَلِ وَالْمُخَادَعَاتِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَمَجْرَى ذٰلِكَ وَمِثَالُهُ ، أَنَّ مَكَايِدَ **الشَّيْطَانِ مَعَ ٱبْنِ آدَمَ في الطَّاعَةِ**(١) فِي سَبْعَةِ أَوْجُهٍ :

١ ـ **أَحَدُهَا** : **أَنْ يَنْهَاهُ عَنْها** ؛ فَإِنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَدَّهُ ، بِأَنْ قَالَ : مُحْتَاجٌ إِلى ذٰلِكَ جِدّاً ، إِذْ لَا بُدَّ لِي مِنَ التَّزَوُّدِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ، لِلآخِرَةِ الَّتِي لَا ٱنْقِضَاءَ لَهَا .

٢ ـ **ثُمَّ يَأْمُرُهُ بالتَّسْوِيفِ** ، فَإِن عَصَمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَرَدَّهُ ، بِأَنْ قَالَ : لَيْسَ أَجَلِي بِيَدِي ، عَلَى أَنِّي إِن سَوَّفْتُ عَمَلَ الْيَوْمِ إِلَى غَدٍ، فَعَمَلُ غَدٍ مَتَى أَعْمَلُهُ ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلاً / .

[٢٦/أ]

٣ ـ **ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِالْعَجَلَةِ** فَيَقُولُ لَهُ : عَجِّلْ عَجِّلْ لِتَفْرُغَ لِكَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ عَصَمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وَرَدَّهُ بِأَنْ قَالَ : قَلِيلُ الْعَمَلِ مَعَ التَّمَامِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِهِ مَعَ النُّقْصَانِ .

٤ ـ **ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِإِتْمَامِ الْعَمَلِ مُرَاءَاةً لِلنَّاسِ** ، فَإِنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وردَّه بِأَنْ قَالَ: مَا الَّذي أَعْمَلُ بِمُراءَاةِ النَّاسِ ؟أَفَلَا تَكْفِينِي رُؤْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى .

٥ ـ **ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَهُ في الْعُجْبِ** ، فَيَقُولُ : مَا أَعْظَمَكَ وَمَا أَيْقَظَكَ وَمَا أَفْضَلَكَ ! فَإِن عَصَمَه اللَّهُ تَعَالَى ورَدَّهُ بِأَنْ قَالَ : المِنَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى في ذٰلِكَ دُونِي ، وهُوَ الَّذِي خَصَّنِي بِتَوْفِيقِهِ ، وَجَعَلَ لِعَملِي قِيمَةً بِفَضْلِهِ ، وَلَوْلَا فَضْلُهُ فَمَاذَا كَانَ قِيمَةُ هٰذَا الْعَمَلِ في جَنْبِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيَّ وَجَنْبِ مَعْصِيَتِي لَهُ ؟

٦ ـ ثُمَّ يَـأْتِيهِ مِنْ وَجْهٍ سَادِسٍ ، وَهُـوَ أَعْظَمُهَـا . وَلاَ يَقِفُ عَلَيْهِ إلاَّ مُتَيَقِّظٌ ، وَهُوَ : أَنْ يَقُولَ : آجْتَهِدْ أَنْتَ فِي السِّرِّ ، فَإنّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُظْهِـرُهُ عَلَيْكَ **وَيَلْبِسُ كُلّ عَامِلٍ عَمَلَهُ** . وَأَرَادَ بِذٰلِكَ ضَرْباً مِنَ الرِّيَاءِ ، فَإنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وردَّهُ بِأَنْ قَالَ : يَا مَلْعُونُ ، إلى الآنَ كُنْتَ تَأْتِينِي مِنْ وَجْهِ إفْسَادِ عَمَلِي ، وَالآنَ تَأْتِينِي مِنْ وَجْهِ إصْلاَحِهِ لِتُفْسِدَهُ ، إنَّمَا أَنَا عَبْدُ آللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ سَيِّدِي إنْ شَاءَ أَظْهَرَ وَإنْ شَاءَ أَخْفَى ، وَإن شَاءَ جَعَلَنِي خَـطِيراً ، وَإنْ شَـاءَ جَعَلَنِي حَقِيراً ، وَذٰلِـكَ إلَيْهِ ، وَمَـا أُبالي ، أَظْهَـرَ ذَلِكَ لِلنّـاسِ أَوْ لَمْ يُظْهِرْهُ ، فَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ .

٧ ـ ثُمَّ يَأْتِيهِ مِنْ وَجْهٍ سَابِعٍ وَيَقُولُ : **لاَ حَاجَةَ لَكَ إلَى هٰذَا الْـعَمَـلِ** لِأَنَّكَ إنْ خُلِقْتَ سَعِيداً، لَمْ يَضُرَّكَ تَرْكُ الْعَمَلِ ، وَإنْ خُلِقْتَ شَقِياً لَمْ يَنْفَعْكَ فِعْلُهُ ، فَإنْ عَصَمَـهُ اللَّهُ تَعَالَى وردَّهُ بِأَنْ قَالَ : إنَّمَا أَنَا عَبْـدٌ ، وَعَلَى الْعَبْدِ آمْتِثَالُ الأَمْرِ بِعُبُودِيَّتِهِ ، وَالـرَّبُّ أَعْلَمُ بِرُبُـوبِيَّتِهِ ، يَحْكُمُ مَـا يَشَاءُ وَيَفْعَـلُ مَا يُرِيدُ . وَلأَنّهُ يَنْفَعُنِي الْعَمَلُ كَيْفَمَا كُنْتُ ، لِأَنِّي إنْ كُنْتُ سَعِيداً آحْتَجْتُ إلَيْهِ لِزِيَـادَةِ الثَّوَابِ ، وَإنْ كُنْتُ شَقِيّاً ، فَأَنَـا مُحْتَاجٌ إلَيْـهِ كَيْ لاَ أَلُومَ نَفْسِي ، وَعَلَى أَنّ اللَّهَ تَعَـالَى لاَ يُعَاقِبُنِي عَلَى الـطَّاعَةِ بِكُـلِّ حَالٍ ، وَلاَ يَضُـرُّنِي ، وَعَلَى أَنِّي إنْ أُدْخِلْتُ النّـارَ وَأَنَـا مُـطِيـعٌ ، أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْخُلَهَـا وَأَنَـا عَـاصٍ ، فَكَيْفَ وَوَعْـدُهُ حَقٌّ وَقَـوْلُـهُ صِـدْقٌ ؟ وَقَـدْ وَعَـدَ عَلَى الـطَّاعَـاتِ بِـالثَّوَابِ ، فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَـالَى عَلَى / الإيمَانِ وَالـطَّاعَةِ لَمْ يَـدْخُلِ النَّـارَ [٢٦/ب] أَلْبَتَّـةَ ، وَدَخَـلَ الْجَنّـةَ لاَ لاِسْـتِـحْـقَـاقِهِ بِعَمَلِهِ الْجَنّـةَ ، وَلٰكِنْ لِـوَعْـدِ اللَّهِ الصَّـادِقِ . وَلِهٰـذَا المَعْنَى ، أَخْبَـرَ اللَّهُ تَعَـالَى عَنِ السُّعَـدَاءِ ، إذْ قَـالُـوا : ﴿ **الْحَمْدُ للَّهِ الّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ** ﴾ [الزّمـر : ٧٤] . فَتَيَقَّظْ رَحِمَكَ اللَّهُ ، فَإنَّ الأَمْرَ كَمَا تَرَى وَتَسْمَعُ ، وَقِسْ عَلَيْهِ سَـائِرَ الأَفْعَـالِ وَالأَحْوَالِ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَعِذْ بِهِ ، فَإنَّ الأَمْرَ بِيَدِهِ وَمِنْهُ التَّوفِيقُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ

بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

الْعَائِقُ الرَّابِعُ : النَّفْسُ

ثُمَّ عَلَيْكَ ، عَصَمَكَ اللَّهُ وَإِيَّانَا ، بِالْحَذَرِ مِنْ هٰذِهِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ، فَإِنَّهَا أَضَرُّ الأَعْدَاءِ ، وَبَلاؤُهَا أَصْعَبُ الْبَلاَءِ ، وَعِلاَجُهَا أَعْسَرُ[1] الأَشْيَاءِ ، وَدَاؤُهَا أَعْضَلُ الدَّاءِ ، وَدَوَاؤُهَا أَشْكَلُ الدَّوَاءِ ؛ وَإِنَّمَا ذٰلِكَ لِأَمْرَيْنِ :

صفات النفس الأمّارة بالسوء

أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا عَدُوٌّ مِنْ دَاخِلِ (الجسد)[2] ، وَاللصُّ إِذَا كَانَ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ عَزَّتِ الْحِيلَةُ فِيهِ وَعَظُمَ الضَّرَرُ ؛ وصَدَقَ الْقَائِلُ :[الوافر]

نَفْسِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي   تَكْثِيرِ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ آحْتِيَالِي مِنْ عَدُوِي إِذَا   كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلاَعِي

وَالثَّانِي : أَنَّهَا عَدُوٌّ مَحْبُوبٌ ، وَالإِنْسَانُ عَمٍ عَنْ عَيْبِ مَحْبُوبِهِ ، لاَ يَكَادُ يُبْصِرُ عَيْبَهُ ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ : [الطويل]

(وَلَسْتَ تَرَى عَيْباً لِذِي الْسودِّ وَالإِخَا
وَلاَ بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتَ رَاضِياً)[3]
وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَلٰكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

فَإِذاً يَسْتَحْسِنُ الإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ قَبِيحٍ ، وَلاَ يَكَادُ يَطَّلِعُ عَلَى عَيْبٍ لَها ، وَهِيَ فِي عَدَاوَتِهَا وَأَضْرَارِهَا ، فَمَا أَوْشَكَ مَا تُوقِعُهُ فِي كُلِ فَضِيحَةٍ وَهَلاَكٍ ، وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ إِلاَّ أَنْ يَحْفَظَهُ اللَّهُ تَعَالى بِفَضْلِهِ ، وَيُعِينَهُ عَلَيْهَا بِرَحْمَتِهِ .

أمثلة على فتن النفس

ثُمَّ أَقُولُ : تَأَمَّلْ أَيُّهَا الرَّجُلُ نُكْتَةً وَاحِدَةً مُقْنِعَةً ، وَهِيَ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ وَجَدْتَ أَصْلَ كُلِّ فِتْنَةٍ وَفَضِيحَةٍ وَخِزْيٍ وَهَلاَكٍ وَذَنْبٍ وَآفَةٍ وَقَعَ فِي خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَوَّلِ الْخَلْقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ قِبَلِ هٰذِهِ النَّفْسِ ، إِمَّا بِهَا وَحْدَهَا ، أَوْ بِمُعَاوَنَتِهَا وَمُشَارَكَتِهَا وَمُسَاعَدَتِهَا .

فَأَوَّلُ المَعْصِيَةِ لِلَّهِ تَعَالَى كَانَ مِنْ إِبْلِيسَ ، وَكَانَ سَبَبُهُ بَعْدَ الْقَضَاءِ السَّابِقِ هَوَى النَّفْسِ بِكِبْرِهَا وَحَسَدِهَا ، أَلْقَتْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ ثَمَانِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، فِي مَا قِيلَ ، فِي بَحْرِ الضَّلاَلِ / فَغَرِقَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ دُنْيَا وَلاَ خَلْقٌ وَلاَ شَيْطَانٌ ، بَلْ كَانَتِ النَّفْسُ بِكِبْرِهَا وَحَسَدِهَا ، فَعَمِلَتْ بِهِ مَا عَمِلَتْ . [٢٧/أ]

ثُمَّ ذَنْبُ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ، طَرَحَتْهُمَا شَهْوَةُ النَّفْسِ فِي ذٰلِكَ[أ] ، وَحِرْصُهُمَا عَلَى الْبَقَاءِ وَالْحَيَاةِ[ب] ، حَتَّى اغْتَرَّا بِقَوْلِ إِبْلِيسَ ، فَكَانَ ذٰلِكَ إِذاً بِعَوْنِ النَّفْسِ وَشِرْكَتِهَا ، حَتَّى سَقَطَا بِذٰلِكَ مِنْ جِوَارِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَرَارِ الْفِرْدَوْسِ ، إِلَى هٰذِهِ الدُّنْيَا الْحَقِيرَةِ النَّكِدَةِ الْفَانِيَةِ الْمُهْلِكَةِ ، وَلَقِيَا مَا لَقِيَا وَلَقِيَ[١] أَوْلاَدُهُمَا مَا لَقَوْا مِنْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ .

ثُمَّ حَدِيثُ قَابِيلَ وَهَابِيلَ[ج] ، كَانَ السَّبَبَ (فِي أَمْرِهِمَا)[٢] الْحَسَدُ وَالشُّحُّ .

(أ) في ذلك : أي في فعل المنهيّ عنه .

(ب) أي : إن شهوة النفس في الحرص على البقاء والحياة ألقتهما في المعصية .

(ج) إبنا آدم عليه السلام . راجع قصتهما في القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآيات ٢٧ - ٣١ .

ثُمَّ حَـدِيثُ هَارُوتَ وَمَـارُوتَ،(أ) ، كَانَ السَّبَبُ (في شَـأْنِهِمَـا)(١) الشَّهْـوَةُ ، ثُمَّ هَلُمَّ جَرّاً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَلاَ تَجِـدُ فِي الْخَلْقِ فِتْنَـةً وَلاَ فَضِيحَـةٍ وَلاَ ضَـلاَلاً وَلاَ مَعْصِيَـةً ، إلاَّ وَأَصْلُهَـا النَّفْسُ وَهَوَاهَـا، وَإلاَّ كَانَ النَّـاسُ في سَلاَمَـةٍ. وَإذَا كَانَ عَـدُوٌّ بِهٰـذَا الضَّرَرِ كُلِّهِ فَحَقٌّ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ بِفَضْلِهِ .

كيفية لجم النفس

فَإنْ قُلْتَ : فَمَا الْحِيلَةُ لَنَا إذاً في هٰذَا الْعَدُوِّ ، وَمَا التَّدْبِيرُ في أَمْرِهِ ؟ فَبَيِّنْ لَنَا ذٰلِكَ .

فَاعْلَمْ أَنَّا ذَكَـرْنَا فِيمَـا تَقَدَّمَ ، أَنَّ أَمْـرَهَا عَسِيرٌ وَصَعْبٌ ، إذْ لاَيُمْكِنُ قَهْرُهَا بِمَرَّةٍ كَسَائِرِ الأَعْدَاءِ ، إذْ هِيَ المَطِيَّةُ وَالآلَـةُ . ـ قِيلَ إنَّ أَعْـرَابِياً دَعَـا لإنْسَانٍ بِخَيْرٍ ، فَقَالَ : كَبَتَ اللَّهُ كُلَّ عَدُوٍّ لَكَ إلاَّ نَفْسَكَ ـ وَلاَ يُمْكِنُ إهْمَالُها بِمَرَّةٍ ، لِمَكَانِ ضَرَرِهَا ، فَتَحْتَاجُ إلى طَرِيق بَيْنَ طَرِيقَيْنِ : تُرَبِّيها وَتُقَـوِّيها(٢) بِقدْرِ مَا تَحْتَمِلُ فِعْلَ خَيْرٍ ، وَتُضْعِفُهَا وَتَحْبِسُهَا عَلَى حَدٍّ لاَ تَتَمـادى . فَأَنْتَ مِنْ أَمْرِهَا في عِلاَجٍ شَدِيدٍ وَنَظَرٍ لَطِيفٍ .

ثُمَّ قَـدْ ذَكَرْنَـا فِي أَمْرِهَـا(ب) أَنْ تُلْجِمَهَا بِلِجَـامِ التَّقْـوَى وَالْـوَرَعِ ، لِتُحَصِّلَ الْفَائِدَتَيْنِ جَمِيعاً .

فَإن قِيل : إنّ هٰذِهِ دَابَّةٌ جَمُوحٌ وَبَهِيمَةٌ صَعْبَةٌ شَكِسَةٌ لاَ تَنْقَادُ لِلِّجَامِ ، فَمَا الْحِيلَةُ فِيها حَتَّى تُمَكِّنَنا مِنْهَا ؟

طُرق تذليل النفس

فاعْلَمْ أَنَّكَ فِيهَا لَصَادِقٌ ، وَالْحِيلَةُ تَذْلِيلُهَا حَتَّى تَنْقَـادَ لِلِّجامِ .

(أ) ملكان ذكر الله تعالى قصتهما في كتابه العزيز ، سورة البقرة الآية ١٠٢ .

(ب) عند الحديث عنها في عقبة العوائق .

قَالَ عُلَمَاؤُنـا رَحِمَهُم اللّٰه: إنَّما تُـذَلِّلُ النَّفْسَ وَتَكْسِـرُ هَوَاهَـا بِثلاَثـةِ أَشْيَاءٍ:

أَحَـدُهَا : مَنْـعُ الشَّهَوَاتَ ، فَـإنَّ الدَّابَّـةَ الحَـرُونَ تَلِينُ إذَا نُقِصَ مِنْ عَلَفِهَا .

وَالثَّانِي : حَمْلُ أَثْقَال العِبادَاتِ عَلَيْهَا ؛ فَإنَّ الْحِمَارَ إذَا زِيدَ في حَمْلِهِ مَعَ النُّقْصَانِ مِنْ عَلَفِهِ تَذَلَّلَ وَٱنْقَادَ / . [٢٧/ب]

وَالثَّالِثُ: الإِسْتِعَانَـةُ باللّٰهِ وَالتَّضَـرُّعُ إِلَيْهِ ، بِـأَنْ يُعِينَـكَ ، وَإلاَّ فَـلاَ مَخْلَصَ ؛ أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : ﴿ **إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي** ﴾ . [يوسف : ٥٣]

فَـإذَا وَاظَبْـتَ عَلَى هٰـذِهِ الأُمُـورِ الثَّـلاَثَـةِ ، ٱنْـقَـادَتْ لَـكَ النَّفْسُ الْجَمُوحُ ، بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالَى ، فَحِينَئِذٍ تُبَادِرُ إلى أَنْ تَمْلِكَهَا وَتُلْجِمَهَا وَتَأْمَنَ مِنْ شَرِّها[أ] .

ماهية التقوى

فَإنْ قُلْتَ : فَبَيِّنْ الآنَ مَا هُوَ التَّقْوى[ب] حَتَّى نَعْلَمَهُ ؟

فَاعْلَمْ أَوَّلاً أَنَّ التَّقْوَى كَنْزٌ عَزِيزٌ ، فَلَئِنْ ظَفِرْتَ بِهِ ، فَكَمْ تَجِدُ فِيهِ مِنْ جَوهَرٍ شَرِيفٍ، وَعِلْقٍ نَفِيسٍ ، وَخَيْرٍ كَثِيرٍ، وَرِزْقٍ كَرِيمٍ ، وَفَوْزٍ كَبِيرٍ، وَغُنْمٍ

(أ) هذا الرأي الذي يورده الغزالي ، كما يذكره غيـره من رجال الصـوفية ، والمتعلّق بقهر النفس وتذليلها ، وتشبيهها بالدابّة الجموح ، التي لا يمكن لجمها إلاّ بنقص علفهـا ، يعارضـه العلماء الـذين انتقدوا مسـالك الصـوفية وطـريقة تعـاملهم مـع النفس . انظر بهذا الخصوص رأي ابن الجوزي في كتابه « تلبيس إبليس » ونقده لمسالك الصوفية في طعامهم وشرابهم. (ص ٢٠٦ ـ ٢١٨) .

(ب) أي ما هو حَدّ التقوى حتى نعلمه .

جسيم ، وَمُلْكٍ عَظِيم ؛ وَكَأَنَّ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ جُمِعَتْ فَجُعِلَتْ تَحْتَ هذِهِ الْخَصْلَةِ الْوَاحِدَةِ الَّتِي هِيَ التَّقْوَى ؛ فَتَأَمَّلْ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذِكْرِهَا ، كَمْ عَلَّقَ بِهَا مِنْ خَيْرٍ ، وَكَمْ وَعَدَ عَلَيْهَا مِنْ ثَوَابٍ وَأَجر ، وَكَمْ أَضَافَ إِلَيْهَا مِنْ سَعَادَةٍ ، وَأَنَا أَعُدُّ لَكَ مِنْ جُمْلَتِهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَصْلَةً :

خصال التقوى

أَوَّلُهَا : الْمِدْحَةُ وَالثَّنَاء . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

وَالثَّانِي : الحِفْظُ وَالْحِرَاسَةُ مِنَ الأَعْدَاءِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ [آل عمران : ١٢٠]

وَالثَّالِثُ : التَّأْيِيدُ وَالنُّصْرَةُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] . وَقَالَ تَعالَى : ﴿ واعلموا أن اللَّهَ مَعَ المتقين ﴾ [التوبة : ٣٦][أ] .

وَالرَّابِعُ : النَّجَاة مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقُ مِنَ الحَلاَلِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٣]

وَالْخَامِسُ : إِصْلاَحُ الْعَمَلِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم ﴾ [الاحزاب : ٧٠]

وَالسَّادِسُ : غُفْرَانُ الذُّنُوبِ . قَالَ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الاحزاب : ٧١]

وَالسَّابِعُ : مَحَبَّةُ اللَّهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٤]

(أ) في النسخ الأخرى استشهاد بأكثر من آية غير هذه الآية .

وَالثَّامِنُ : الْقَبُولُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٧]

وَالتَّاسِعُ : الإِكْرَامُ والإِعْزَازُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ٣]

وَالْعَاشِرُ : البِشَارَةُ عِنْدَ المَـوْتِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَـالَى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُـوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [يونس : ٦٣]

وَالْحَادِي عَشَرَ : النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَـوْا ﴾ [مريم : ٧٢] ، وَقَـالَ تَعَالَى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَـا الأَتْقَى ﴾ [الليل : ١٧]

وَالثَّـانِي عَشَـرَ : الْخُلُودُ فِي الْجَنَّـةِ ، قَـالَ اللَّهُ تَعَـالَى : ﴿ أُعِـدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمـران : ١٣٣] / فَهٰـذَا بيـانُ كُـلِّ[1] خَيْـرٍ وَسَعَـادَةٍ فِي الدَّارَيْنِ تَحْتَ هٰذِهِ التَّقْوَى ، فَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ مِنْهَا . [٢٨/أ]

ما يختص بالمتّقين

ثُمَّ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهٰذَا الشَّأْنِ مِنْ أَمْرِ الْعِبادَةِ ثَلاثَةُ أُصُولٍ :

أَحَدُهَا : التَّوْفِيقُ وَالتَّأْيِيدُ أَوَّلاً ، وَهُوَ لِلْمُتَّقِينَ ، كَمَا قالَ اللَّهُ تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

وَالثَّانِي : إِصْلَاحُ الْعَمَلِ وَإِتْمَامُ التَّقْصِيرِ ، وَهُوَ لِلْمُتَّقِينَ ، كَمَـا قالَ تَعَالى : ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ الاحزاب : ٧٠] .

وَالثَّالِثُ : قَبُولُ الْعَمَلِ ، وَهُوَ لِلْمُتَّقِينَ ، كمَا قالَ اللَّهُ تَعَالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] .

وَمَدَارُ الْعِبَادَةِ عَلَى هٰذِهِ الأُمُورِ الثَّلَاثَةِ : التَّوْفِيقُ أَوَّلاً حَتَّى يَعْمَلَ ، ثُمَّ الإِصْلَاحُ لِلتَّقْصِيرِ حَتَّى يَتِمَّ ، ثُمَّ الْقَبُولُ إِذَا تَمَّ ؛ وَهٰذِهِ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَتَضَرَّعُ

فِيهَا الْعَابِدُونَ إلى اللَّهِ عزّ وَجلّ ، وَيَسْأَلُونَ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا وَفِّقْنا لِطاعَتِكَ ، وَأَتْمِمْ تَقْصِيرَنا ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا ؛ وَقَدْ وَعَدَ آللَّهُ ذٰلِكَ كُلَّهُ عَلَى التَّقْوى ، وَأَكْرَمَ بِها المُتَّقِيَ ، سَأَلَ أَوْ لَمْ يَسْأَلْ . فَعَلَيْكَ بِهٰذِهِ التَّقْوى ، إنْ أَرَدْتَ عِبادَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، بَلْ إنْ أَرَدْتَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْعُقْبَى . وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ : [السريع]

مَنِ آتَّقَى اللَّهَ فَذَاكَ الَّذِي سِيقَ إِلَيْهِ المَتْجَرُ الرَّابِحُ
لاَ يَتْبَعُ المَرْءَ إلى قَبْرِهِ إلاّ التُّقَى وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

والقائل : [السريع]

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَلَمْ تُغْنِهِ مَعْرِفَةُ آللَّهِ فَذَاكَ الشَّقِيّ
مَا ضَرَّ ذَا الطَّاعَةِ مَا نَالَهُ فِي طَاعَةِ آللَّهِ وَمَا ذَا لَقِي
مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ بِعِزِّ الْغِنَى وَالْعِزُّ كُلُّ الْعِزِّ لِلْمُتَّقِي

وَكُتِبَ عَلَى بَعْضِ الْقُبُور : [الخفيف المجزوء]

لَيْسَ زَادٌ سِوَى التُّقَى فَخُذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي

ثُمَّ تَأَمَّلْ أَصْلاً وَاحِداً ، وَهُوَ هَبْ أَنَّكَ تَعِبْتَ جَمِيعَ عُمْرِكَ في الْعِبَادَةِ ، وَجَاهَدْتَ وَكَابَدْتَ ، حَتى حَصَلَ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ ، أَلَيْسَ الشَّأْنُ كُلُّهُ في الْقَبُولِ ؟ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالى يَقُولُ : ﴿ **إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٧] ، فَرَجَعَ الأَمْرُ كُلُّهُ إلى التَّقْوَى . وَلِذٰلِكَ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّها قَالَتْ : « مَا أَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليْهِ وَعَلَى آلِهِ وسلَّم بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَلاَ أَعْجَبَهُ أَحَدٌ إلاَّ ذُو تُقىً »[أ] .

(أ) هكذا نقله العلامة ابن علوي الحداد ، ولم يذكر إسناده (سراج السالكين ص ٣٣٧) . لم يذكر الغزالي هذا الحديث في الإحياء ، كذلك لم نجده فيما بين أيدينا من الكتب الحديثية .

[٢٨/ب] وَعَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قالَ : / مَكْتُوبٌ في التَّوْرَاةِ : « يَا بْنَ آدَمَ اتَّقِ اللَّهِ ، وَنَمْ حَيْثُ شِئْتَ » . وَبَلَغَنِي عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ أَنَّهُ بَكَى عِنْدَ مَوْتِهِ ، وَكَانَ يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلْفَ رَكْعَةٍ ، ثُمَّ يَأْوِي إِلى فِرَاشِهِ فَيَقُولُ لِنفسِهِ : يَا مَأْوَى كُلِّ شَرٍّ ، وَٱللَّهِ مَا رَضِيتُكَ لِلَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ . (وَبكى يَوْماً)[1] ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قالَ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٧]

أهمية التقوى

ثُمَّ تَأَمَّلْ نُكْتَةً أُخْرَى ، وَهِيَ أَصْلٌ مِن الأُصُولِ ، وَهِيَ مَا ذكِرَ أَنَّ بعْضَ الصَّالِحِينَ قالَ لِبَعْضِ أَشْيَاخِهِ : أَوْصِنِي ، قَالَ : أُوصِيكَ بِوَصِيَّةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالِمِينَ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [النساء : ١٣١].

قُلْتُ أَنَا : أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِصَلاحِ الْعَبْدِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؟ أَوْ لَيْسَ هُوَ أَنْصَحُ لَهُ وَأَرْحَمُ وَأَرْأَفُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؟ وَلَوْ كَانَتْ في الْعَالَمِ خَصْلَةٌ هِيَ أَصْلَحُ لِلْعَبْدِ ، وَأَجْمَعُ لِلْخَيْرِ ، وَأَعْظَمُ لِلأَجْرِ ، وَأَجَلُّ في الْعُبُودِيَّةِ ، وَأَعْظَمُ في الْقَدْرِ ، وَأَوْلَى بالْحال[2] ، وَأَنْجَحُ لِلآمال مِنْ هٰذِهِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ التَّقْوَى ، لَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِها عِبَادَهُ وَأَوْصَى خَوَاصَّهُ بِذٰلِكَ ، لِكَمَالِ حِكْمَتِهِ وَسِعَةِ رَحْمَتِهِ ، فَلَمَّا أَوْصَى بِهٰذِهِ الخَصلَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنْ عِبادِهِ في ذٰلِكَ ، وَاقْتَصَرَ عَلَيْهَا ، علمتَ أَنَّهَا الْغَايَةُ الَّتِي لا مُتَجَاوُزَ عَنْها ، وَلاَ مقتصِر دُونَهَا ، وَأَنَّهُ تَعَالى قَدْ جَمَعَ كُلَّ نُصْحٍ وَدَلاَلَةٍ ، وَإِرْشَادٍ وَتَنْبِيهٍ وَتَأْدِيبٍ ، وَتَعْلِيمٍ وَتَهْذِيبٍ ، في هٰذِهِ الْوَصِيَّةِ الْوَاحِدَةِ ، كَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَعَلِمْتَ أَنَّ هٰذِهِ الْخَصْلَةَ ، الَّتِي هِيَ التَّقْوَى ، هِيَ الْجَامِعَةُ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، الْكَافِيَةُ لِجَمِيعِ الْمُهِمّاتِ ، الْمُبَلِّغَةُ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ في الْعُبُودِيَّةِ .

وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ (وهو أبو الْعَتاهِيَّة)[1] : [الطويل]

أَلاَ إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمْ
وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالْعَدَمْ
(وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ
إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمْ)[2]

وَهٰذَا أَصْلٌ لاَ مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ كِفَايَةٌ لِمَنْ أَبْصَرَ النُّورَ وَٱهْتَدَى ، وَعَمِلَ بِذٰلِكَ وَٱسْتَغْنَى ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الهِدَايَةِ وَالتَّوفِيقِ بِفضلِهِ .

المجاهدة في طلب التقوى

فَإِنْ قُلْتَ : لَقَدْ عَظُمَ قَدْرُ هٰذِهِ الْخَصْلَةِ ، وَجَلَّ مَوْقِعُها وَٱشْتَدَّتِ الحَاجَةُ إلى مَعْرِفَتِهَا ، فلاَ بُدَّ الآنَ مِنْ تَفْصِيلِهَا .

فَاعْلَمْ أَنَّ الأَمْرَ كَذٰلِكَ ، فَحَقَّ لَهَا أَنْ يَجِلَّ قَدْرُهَا وَيَلْزَمَ طَلَبُهَا وَتَمسَّ الْحَاجَةُ إليهاوَإِلَى مَعْرِفَتِهَا . وَلٰكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ خَطِيرٍ وَكَبِيرٍ ، يُحْتَاجُ فِي آجْتِلاَبِهِ إِلَى طَلَبٍ كَثِيرٍ ، وَتَعَبٍ كَبِيرٍ ، وَهِمَّةٍ عَالِيَةٍ / وَجُهْدٍ شَدِيدٍ ، فَإِذاً ، كَمَا أَنَّ هٰذِهِ الْخَصْلَةَ خَصْلَةٌ عَظِيمَةٌ كَبِيرَةٌ ، فَالمُجَاهَدَةَ في طَلَبِهَا ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّهَا ، وَالْعِنَايَةُ في تَحْصِيلِهَا أيضاً ، لَفِعْلٌ كَبِيرٌ وَشَأْنٌ عَظِيمٌ ، فَإِنَّ المَكَارِمَ عَلَى حَسَبِ المَكَارِهِ ، وَإِنَّ اللَّذَّاتِ عَلَى حَسَبِ المُؤْنَاتِ ، وَٱللَّهُ تَعَالى يَقُولُ : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِن اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] . وَإِن اللَّه تَعَالَى هُوَ الرَّءُوف الرحِيم الَّذِي بِيَدِهِ تَيْسِيرُ كُلِّ عَسِيرٍ ، فَاسْتَمِعْ وَتَنَبَّهْ ، وَتَفَهَّمْ جِدّاً بَيَانَ هٰذِهِ الْخَصْلَةِ حَتَّى تَعْلَمَهَا ، ثُمَّ تَشَمَّرْ لِلْقِيَامِ بِهَا وَاسْتَعِنْ بِٱللّٰهِ تَعَالَى ، حَتَّى تَعْمَلَ بِمَا تَعْلَمُ ، فَإِنّ الشَّأْنَ كُلَّهُ فِي ذٰلِكَ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْهِدَايَةِ والتَّوْفِيقِ بِفَضْلِهِ .

[٢٩/أ]

فَنَقُولُ : ٱعْلَمْ أَوَّلاً : أَنّ **التَّقْوَى** فِي قَوْلِ شُيُوخِنَا ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ :

حدّ التقوى

هي تَنْزِيهُ الْقَلْبِ عَنْ ذَنْبٍ لَمْ يَسْبِقْ عَنْـكَ مِثْلُهُ ، حَتَّى يجعل العبـدِ مِنْ قُوَّةِ الْعَـزْمِ عَلَى تَرْكِهـا وِقَايَـةٍ بَيْنه وَبَيْنَ المَعَـاصِي ؛ هٰكَذَا قَـالَ شَيْخُنَا رَحِمَـهُ اللَّهُ(أ) ، وَذٰلِكَ أَنَّ أَصْلَ لَفْـظَةِ التَّقْوَى في اللُّغَـةِ هُوَ الْـوَقْوَى بِـالْوَاوِ ، وَهُـوَ مَصْدَرُ الْوِقَايَةِ ؛ يُقَالُ : وَقَى يَقِي وِقَايَةً وَوَقْوَى ، فَأُبْدِلَتْ عَنِ الْوَاوِ تاءٌ ، كَمَا هُوَ في الْوُكْلَانِ وَالتُّكْلَانِ وَنَحْوِهِمَا ، فَقِيلَ تَقْوَى ؛ فَـإِذاً لَمّا حَصَلَتْ وِقَـايَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ المَعَاصِي ، مِنْ قُوَّةِ عَزْمِهِ عَلَى تَرْكِهَا ، وَتَوْطِينِ قَلْبِـهِ عَلَى ذٰلِكَ ، فَيُوصَفُ حِينَئِذٍ بِأَنَّـهُ مُتَّقٍ ، وَيُقالُ لِـذٰلِكَ التَّنْـزِيهِ وَالْعَـزْمِ وَالتَّوْطِينِ تَقْوَى .

معاني التقوى

وَالتَّقْوَى في الْقُرْآنِ تُطْلَقُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ :

أَحَـدُهـا : بِمَعْنَى الْخَشْيَـةِ وَالْهَيْبَـةِ ، قَـالَ اللَّهُ تَعَـالَى : ﴿ **وَإِيَّـايَ فَاتَّقُونِ** ﴾ [البقرة : ٤١] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيـهِ إِلى ٱللَّهِ** ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

وَالثَّانِي : بِمَعْنَى الطَّاعَةِ وَالْعِبادَةِ ، قالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] . قالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ :

أَطِيعُوا اللَّهَ حَقَّ طَاعَتِهِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : هُوَ أَنْ يُطاعَ فَلَا يُعْصَى ، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى ، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ .

وَالثَّـالِثُ : بِمَعْنَى التَّنْزِيـهِ لِلْقَلْبِ عَنِ الـذُّنُـوبِ ، فَهٰـذِهِ هِيَ حَقِيقَـةُ التَّقْـوَى دُونَ الأَوَّلَيْنِ ؛ أَلَا تَـرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَـالَى يَقُـولُ : ﴿ **وَمَنْ يُـطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِـزُونَ** ﴾ [النّور : ٥٢] . ذكَـرَ الطَّاعَةَ وَالْخَشْيَةَ ، / ثُمَّ ذَكَرَ التَّقْوَى ، فَعَلِمْتَ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّقْوَى مَعْنًى سِوَى [٢٩/ب]

(أ) هو أبو بكر الورّاق كما في سراج السالكين (ص ٣٤٢) .

الطَّاعَةِ ، وَالخَشْيَةِ[أ] ، وَهِيَ تَنْزِيهُ الْقَلْبِ عَنِ الذنُوبِ على مَا ذَكَرْنَاهُ .

منازل التقوى

ثُمَّ قالُوا : مَنَازِلُ التَّقْوَى ثَلَاثَةٌ : تَقْوَى عَنِ الشِّرْكِ ، وَتَقْوَى عَنِ الْبِدْعَةِ ، وَتَقْوَى عَنِ المَعَاصِي الْفَرْعِيَّةِ . وَلَقَدْ ذَكَرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ في آيَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا** ﴾ [المائدة : ٩٣] .

التَّقْوَى الأُولَى : تَقْوَى عَنِ الشِّرْكِ ، وَالإِيمَانِ في مُقَابَلَتِه وهو التَّوْحِيدُ .

وَالتَّقْوَى الثَّانِيَةُ : عَنِ الْبِدْعَةِ ، وَالْإِيمَانِ الَّذِي ذُكِرَ مَعَهَا ، أَقْرَارٌ بالسُّنَّةِ وَالجَماعَة .

وَالتَّقْوَى الثَّالِثَةُ : عَنِ المَعَاصِي الْفَرْعِيَّةِ ، وَلَا إِقْرَارَ في هٰذِهِ المَنْزِلَةِ ، فَقَابَلَهَا بِالإِحْسَانِ ، وَهُوَ الطَّاعَةُ وَالإِسْتِقَامَةُ عَلَيْهَا ؛ فَتَكُونُ مَنْزِلَةَ مُسْتَقِيمِي الطَّاعَةِ[ب] . وَالآيَةُ جَمَعَتْ ذِكْرَ المَنازِلِ الثَّلَاثِ : مَنْزِلَةِ الإِيمانِ ، وَمَنْزِلَةِ السُّنَّةِ ، وَمَنْزِلَةِ الإِسْتِقَامَةِ في الطَّاعَةِ ؛ وَهٰذَا مَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ في بَيانِ مَعْنَى التَّقْوَى .

قُلْتُ : أَنَا وَجَدْتُ التَّقْوَى بِمَعْنَى اجْتِنَابِ فُضُولِ الحَلالِ ، وَهُوَ مَا رُوِيَ في الْخَبَرِ المَشْهُورِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّمَا سُمِّيَ المُتَّقُونَ مُتَّقِينَ ، لِتَرْكِهِمْ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَراً عَمَّا بِهِ بَأْسٌ »[ج] . فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجْمَعَ

(أ) أي أن معنى التقوى في الحقيقة هو غير الطاعة والخشية .

(ب) أي تكون التقوى الثالثة منزلة مستقيمي الطاعة .

(ج) راجع تخريج الحديث رقم ٣٤ .

بَيْنَ مَا قَالَهُ عُلَمَاؤُنَا رَحِمهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبَيْنَ مَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَيَكُونُ حَدّاً جَامِعاً وَمَعْنًى بَالِغاً .

التقوى عند الصوفية

فَأَقُولُ : التَّقْوَى هُوَ آجْتِنَابُ كُلِّ مَا تَخافُ مِنْهُ ضَرَراً في دِينِكَ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُقَالُ لِلْمَرِيضِ المُحْتَمِي إِنَّهُ يَتَّقِي إِذَا آجْتَنَبَ كُلَّ شَيْءٍ يَضُرُّهُ فِي بَدَنِهِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ فاكِهَةٍ أَوْ غَيْرِهَا .

ثُمَّ الَّذِي يُخافُ مِنْهُ الضرر في أَمْرِ الدِّينِ قِسْمَانِ : مَحْضُ الْحَرَامِ ومحض الْمَعْصِيَةِ ، وَفُضُولُ الْحَلَالِ ؛ لِأَنَّ الاِشْتِغَالَ بِفُضُولِ الْحَلَالِ وَالاِنْهِمَاكِ فِيهِ يَسْتَجِرُّ صَاحِبَهُ إِلى الْحَرَامِ وَمَحْضِ الْعِصْيَانِ ، وَذٰلِكَ لِشَرَهِ النَّفْسِ وَطُغْيَانِهَا ، وَتَمَرُّدِ الْهَوَى وَعِصْيَانِهِ ؛ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْمَنَ الضَّرَرَ في أَمْرِ دِينِهِ ، آجْتَنَبَ الْخَطَرَ ، فامْتَنَعَ عَنْ فُضُولِ الْحَلَالِ ، حَذَراً أَنْ يجُرَّهُ إِلى مَحْضِ الْحَرَامِ ، عَلَى مَا قالَهُ ﷺ / « لِتَرْكِهِمْ مَا لَا بَأسَ بِهِ حَذَراً عَمَّا بِهِ بَأسٌ » ، يَعْنِي لِتَرْكِهِمْ فُضُولَ الْحَلَالِ حَذَراً عَنِ الْوُقُوعِ في الْحَرَامِ ، فالتَّقْوَى الْبَالِغَةُ الْجَامِعَةُ آجْتِنَابُ كُلِّ مَا فِيهِ ضَرَرٌ لِأَمْرِ الدِّينِ ، وَهُوَ المَعْصِيَةُ وَالْفُضُولُ ؛ هٰذَا تَفْصِيلُهَا[أ] .

[٣٠/أ]

التقوى شرعاً

وَأَمّا إِذَا أَرَدْنَا تَحْدِيدَهَا عَلَى مَوْضُوعِ عِلْمِ الشَّرْعِ ، فَنَقُولُ :

حَدُّ التَّقْوَى الْجَامِعِ تَنزيهُ الْقَلْبِ عَنْ شَرٍّ لَمْ يَسْبِقْ عَنْكَ مِثْلُهُ ، بِقُوَّةِ الْعَزْمِ عَلَى تَرْكِهِ ، حَتّى يَصِيرَ ذٰلِكَ وِقَايَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ كُلِّ شَرٍّ .

ثُمَّ الشُّرُورُ ضَرْبَانِ : شَرٌّ أَصْلِيٌّ ، وَهُوَ مَا نُهِيَ عَنْهُ (تحريماً)[١] كَالْمَعَاصِي المَحْضَةِ ، وَشَرٌّ غَيْرُ أَصْلِيٍّ ، وَهُوَ مَا نُهِيَ عَنْهُ تَأْدِيباً ، وَهُوَ

(أ) أي هذا الذي ذكرناه هو تفصيل التقوى .

فُضُولُ الْحَلَالِ ، كَالمُبَاحَاتِ المَأْخُوذَةِ بالشَّهْوات . **فَالأولى : تَقْوَى فَرْضٍ** ، يَلْزَمُ بتَرْكِهَا عَذَابُ النَّارِ ؛ **وَالثَّانِيَةُ : تَقْوَى خَيْرٍ وَأَدَبٍ** ، يَلْزَمُ بتَرْكِهَا الْحَبْسُ وَالْحِسَابُ وَالتَّعْيِيرُ وَاللوْمُ ؛ فَمَنْ أَتَى بالأُولى ، فَهُوَ في الدَّرَجَةِ الأولى مِنَ التَّقْوَى ، وَهِيَ[1] مَنْزِلَةُ مُسْتَقِيمِي الطَّاعَةِ ، وَمَنْ أَتَى بالأُخْرَى ، فَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنَ التَّقْوَى ، وَذلِكَ مَنْزِلَةُ مُسْتَقِيمِي (تَرْكِ)[2] المُبَاحِ ؛ وَإذَا جَمَعَ الْعَبْدُ بَيْنَهُمَا ، أَعْنِي اجْتِنَابَ[3] كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَفُضُولٍ ، فَقَدِ آسْتَكْمَلَ مَعْنَى التَّقْوَى ، وَقَامَ بِحَقِّهَا وَجَمَعَ كُلَّ خَيْرٍ فِيهَا ؛ وَهٰذَا هُوَ الْوَرَعُ الْكَامِلُ الَّذِي هُوَ مِلَاكُ أَمْرِ الدِّينِ ، وَذٰلِكَ مَنْزِلَةُ الأَدَبِ عَلَى بَابِ آللَّهِ سُبحانَه فَهٰذَا مَعْنَى التَّقْوَى وَبَيَانُهَا في الجُمْلَةِ ، فَافْهَمْهُ مُوَفَّقاً إِنْ شَاءَ آللَّهُ تَعَالَى .

نوعا التقوى

فَإِنْ قُلْتَ : فَفَصِّلْ لَنَا الآنَ هٰذَا المَعْنَى في النَّفْسِ وَآسْتِعْمالَهُ فِيها ، فَإِنَّ الْحَاجَةَ جَاءَتْ مِنْ هُنَالِكَ ، لِنَعْلَمَ كَيْفَ نُلْجِمُ هٰذِهِ النَّفْسَ بِهٰذَا المَعْنَى الَّذِي فَصَّلْتَ مِنْ حَقِيقَةِ التَّقْوَى . .

فَأَقُولُ : أَجَلْ إنّما تَفْصِيلُهُ في أَمْرِ هٰذِهِ النَّفْسِ ، أَنْ تَقُومَ عَلَيْهَا بِقُوَّةِ الْعَزْمِ ، فَتَمْنَعَهَا عَنْ[4] كُلِّ مَعْصِيَةٍ ، وَتَصُونَهَا عَنْ كُلِّ فُضُولٍ .

فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ، كُنْتَ قَدِ آتَّقَيْتَ آللَّهَ تَعَالَى فِي عَيْنِكَ وَأُذُنِكَ وَلِسَانِكَ وَقَلْبِكَ وَبَطْنِكَ ورجلك وَفَرْجِكَ وَجَمِيعِ (جوارحك و)[5] أَرْكَانِكَ ، وَأَلْجمْتَهَا بِلِجَامِ التَّقْوَى ، وَلِهٰذَا الْبابِ شَرْحٌ يَطُولُ[6] ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَيْهِ في كِتَابنا : « إحْيَاء عُلُومِ الدِّينِ ».

وَأَمَّا الّذِي لا بُدَّ مِنْهُ هٰهُنَا ، فَأَنْ نَقُولَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ تَعَالَى فَلْيُرَاعِ الأَعْضَاءَ الْخَمْسَةَ ، فَإِنَّهُنَّ الأُصُولُ ، وَهِيَ : الْعَيْنُ وَالأُذُنُ وَاللِّسانُ

التقوى والأعضاء الخمسة

[٣٠/ب] وَالْقَلْبُ وَالْبَطْنُ ؛ فَيَحْرِصُ عَلَيْهَا بِالصِّيَانَةِ لَهَا / عَنْ كُلِّ مَا يَخَافُ مِنْهُ ضَرَراً فِي أَمْرِ الدِّينِ ، مِنْ مَعْصِيَةٍ وَحَرَامٍ وَفُضُولٍ وَإِسْرَافٍ مِنْ حَلَالٍ . وَإِذَا حَصَّلَ صِيَانَةَ هٰذِهِ الأَعْضَاءِ ، فَمَرْجُوٌّ أَنْ يَكْفِيَ ضرر سَائِرَ الأعضاء ، وَيَكُونَ قَدْ قَامَ بِالتَّقْوَى الْجَامِعَةِ بِجَمِيعِ بَدَنِهِ لِلَّهِ عزّ وجلّ ، فَدَعَتِ الْحَاجَةُ إلى بَيانِ خَمْسَةِ فُصُولٍ لِهٰذِهِ الأَعْضَاءِ ، وَتَفْصِيلِ مَا يَحْرُمُ فِي حَقِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، عَلَى قَدْرِ مَا يَلِيقُ بِهٰذَا الْكِتَابِ .

تقوى الأعضاء الخمسة

الفصل الأول : العين

عَلَيْكَ وَفَّقَكَ آللَّهُ وَإِيَّانَا لِطاعَتِهِ بِحِفْظِ الْعَيْنِ ، فَإِنَّهَا سَبَبُ كُلِّ فِتْنَةٍ وَآفَةٍ . وَأَذْكُرُ في أَمْرِهَا ثلاثَةَ أُصُولٍ كَافِيَةٍ .

غضُّ البصر

أَحَدُهَا : مَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النور : ٣٠] . وَآعْلَمْ أَنِّي تَأَمَّلْتُ هٰذِهِ الآيَةَ فوجدت فِيهَا مَعَ قِصَرِهَا ثَلاثَةَ مَعَانٍ عَزِيزَةٍ : تَأْدِيبٌ وَتَنْبِيهٌ وَتَهْدِيدٌ .

فَأَمَّا التَّأْدِيبُ ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾ [النور : ٣٠] وَلاَ بُدَّ لِلْعَبْدِ مِن آمْتِثَالِ أَمْرِ السَّيِّدِ وَالتَّأَدُّبِ بِأَدَبِهِ ، وَإِلاّ فَيَكُونَ سَيِّءَ الأَدَبِ ، فَيُحْجَبُ فَلاَ يُؤذَنُ لَـهُ في حُضُورِ المَجْلِسِ وَالمُثُـولِ بِالحَضْرَةِ ؛ فَافْهَمْ هٰذِهِ النُّكْتَةَ ، وَتَأَمَّلْ مَا تَحْتَهَا ، فَإِنَّ فِيهَا مَا فِيها .

وَأَمَّا التَّنْبِيهُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **ذٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ** ﴾ [النور : ٣٠] وينطلقُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

أحدهما : إن ذلِكَ أَطهَرُ لِقُلُوبِهِمْ ، وَالزَّكَاةُ الطهارةُ ، وَالتَّزْكِيَةُ : التَّطْهِيرُ .

وَالثَّانِي : ذٰلِكَ أَنْمَى لِخَيْرِهِمْ وَأَكْثَرُ ؛ والزَّكَاةُ في الأَصْلِ : النُّمُوُّ ، فَنَبَّهَ عَلَى أَنَّ في غَضِّ الْبَصَرِ تَطْهِيرَ الْقَلْبِ وَتَكْثِيرَ الطَّاعَةِ وَالخَيْرِ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَغُضَّ بَصَرَكَ ، وَأَرْخَيْتَ عِنَانَهُ ، تَنْظُرْ إِلى مَا لا يَعْنِيكَ ، فَلا يَخْلُو من أن

تَقَعَ عَيْنُكَ عَلَى حَرَامٍ ، فَإِنْ تَعَمَّدْتَ فَذَنْبٌ وكَبِيرَةٌ ، وَرُبَّما تَعَلَّقَ قَلْبُكَ بِذٰلِكَ ، فَتَهْلِكُ إِنْ لَمْ يَرْحَمِ اللَّهُ تَعَالَى ؛ فَلَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْعَبْدَ لَيَنْظُرُ النَّظْرَةَ يَنْغَلُ[أ] فِيهَا قَلْبُهُ كمَا يَنْغَلُ الأَدِيمُ في الدِّبَاغِ ، لاَ يَنْتَفِعُ بِهِ أَبَداً . وَإِنْ كَانَ مُباحاً[ب] ، فَرُبَّمَا يَشْتَغِلُ قَلْبُكَ بِهِ ، فَجَاءَكَ الْوَسَاوِسُ وَالخَواطِرُ بِسَبَبِهِ ، وَلَعَلَّكَ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ ، فَتَبْقَى مَشْغُولَ الْقَلْبِ مُنْقَطِعاً عَنِ / الْخَيْرِ ، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَرَ ذٰلِكَ ، فَقَدْ كُنْتَ مُسْتَرِيحاً عَنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ . وَفي هٰذَا المَعْنَى ذُكِرَ عَنْ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ على نبيِّنَا وعليهِ ، أَنَّه قالَ : « إِيَّاكُمْ وَالنَّظْرَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ ، وَكَفَى بِهَا لِصَاحِبِهَا فِتْنَةً » . [٢٨/أ]

وَقَالَ ذُو النُّونِ : نِعْمَ حَاجِبُ الشَّهَوَاتِ غَضُّ الأَبْصارِ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ : [الطويل] :

وَأَنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً
لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ

رَأَيْتَ الَّذِي لا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ
عَلَيْهِ وَلاَ عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

فَإِيَّاكَ والأمرَ الذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ
مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عليكَ المَصَادِرُ[١]

فإذن لمّا كُنْتَ غَاضَّ البَصَرِ ، حَافِظاً للعَيْنِ ، لا تَنْظُرُ لِمَا لاَ يَعْنِيكَ وَلاَ يَهُمُّكَ ، كُنْتَ نَقِيَ الصَّدْرِ ، فَارِغَ الْقَلْبِ ، مُسْتَرِيحاً عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْوَسْوَاسِ ، سَالِمَ النَّفْسِ عَنْ الآفاتِ ، مُتَزَايداً في الْخَيْرَاتِ ، فَتَنَبَّهْ لِهٰذِهِ النُّكْتَةِ الْجَامِعَةِ ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ بِمَنِّهِ وفضلهِ .

(أ) يَنْغَلُ : على وزن يَطْرَبُ أي يفسد .

(ب) أي إن كان النظر مباحاً ، بعد أن ذكر وقوع النظر على حرام .

وَأَمَّا التَّهدِيدُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] وَكَفَى بِهٰذَا تَحْذِيراً لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ . فَهٰذَا أَصْلٌ وَاحِدٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تعالى .

النظرة سهم مسموم

الأَصْلُ الثَّانِي : مَا رَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ النَّظَرَ إِلَى مَحَاسِنِ المَرْأَةِ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ ، فَمَنْ تَرَكَهَا أَذَاقَهُ اللَّهُ تَعَالَى طَعْمَ عِبَادَةٍ تَسُرُّهُ »[أ] وَإِنْ وَجَدَ أَنَّ حَلاَوَةَ الْعِبَادَةِ وَلَذَّةَ الْمُنَاجَاةِ مِنَ الْعَابِدِينَ بِمَكَانٍ ؛ وَهٰذَا شَيءٌ مُجَرَّبٌ عَلِمهُ وَتَحَقَّقَهُ مَنْ عَمِلَ بِهِ ، أَنَّهُ إِذَا امْتَنَعَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لاَ يَعْنِيهِ ، يَجِدُ لَذةً لِلْعِبَادَةِ وَحَلاَوَةً ، وَلِلْقَلْبِ صَفْوَةً لَمْ يَجِدْهَا قَبْلَ ذٰلِكَ .

غاية خلق الاعضاء

الأَصْلُ الثَّالِثُ : أَنْ تَنْظُرَ إِلَى كُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِكَ ، يَصْلُحُ لِمَاذَا وَيُنتظَرُ لَهُ مَاذَا ؟ فَعَلَى حَسَبَ ذٰلِكَ تَصُونُهُ وَتَحْفَظُهُ ؛ فالرِّجل لِلْمَشْي فِي رِيَاضِ الجَنَّةِ وَقُصُورِهَا ، وَاليَدُ لِكَأسِ الشَّرابِ وَتَنَاوُلِ الأَثْمَارِ ، وَكَذٰلِكَ سَائِرِ الأَعْضَاءِ ، فَالعَيْنُ إِنمَا للنَّظرِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى ، وَلَيْسَ فِي الدَّارَيْنِ كَرَامَةٌ أَجلُّ وَأَكْبَرُ مِنْ ذٰلِكَ ، فَحَقِيقٌ لِشَيءٍ يُنْتَظَرُ وَيُرْجَى لَهُ مِثْلُ هٰذِهِ الكَرَامَةِ ، أَنْ يُصَانَ وَيُحْفَظَ وَيُعَزَّ وَيُكْرَمَ فَقَدْ قِيلَ : [الطويل] :

وكيفَ تَرَى لَيْلَى بعينٍ ترى بِهَا
سِواهَا وما طَهَّرتَها بالمَدَامِعِ[1]

فَهٰذِهِ الأُصُولُ الثَّلاَثَةُ إِذَا أَحْسَنْتَ التَّأَمُّلَ فِيهَا، كفَتْكَ المُؤُونَةَ في هٰذَا الْفَصْلِ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقُ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٣٥ .

الفصل الثاني : الأذن

فَعَلَيْكَ بِصِيانَةِ سَمْعِكَ عَنِ الْخَنَا وَالْفُضُولِ[أ] ، وَذٰلِكَ لِأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : لَما رُوِيَ أَنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكُ الْمُتَكَلمِ ، وَفِي ذٰلِكَ يَقُولُ القَائِلُ : [المتقارب] :

نـخيّـر مِـنَ الـطُّرْقِ أَوْسَـاطَـهَـا   وَعَـدِّ عَـنِ الْجَـانِـبِ الْمُـشْـتَـبِـهِ
وَسَمْعَـكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيـحِ   كَصَـوْنِ اللِّسَـانِ عَنِ النُّـطْقِ بِـهِ
فَـإِنّـكَ عِنْـدَ اسْتِمَـاعِ الْقَبِيـحِ   شَـرِيـكٌ لِـقَـائِـلِه فَـانْـتَـبِـهِ

وَالثَّانِي : أَنَّه[ب] يُهَيِّجُ الْخَوَاطِرَ وَالْوَسَاوِسَ[1] في الْقَلْبِ ، ثُمَّ مِنْ ذَلِكَ يَبْدُو الاِشْتِغَالُ في الْبَدَنِ ، فَمَا يَبْقَى من ذلكَ (للعبادة)[2] شيء .

أثر الكلام في القلب

ثُمَّ اعْلَم أَنَّ الْكَـلاَمَ الَّذِي يَقَـعُ في قَلْبِ الإِنْسَانِ وَسَمْعِـهِ ، بِمَنْـزِلَـةِ الطَّعَامِ الَّذِي يَقَعُ فِي جَوْفِهِ ، فَمِنْهُ الضّارُّ وَمِنْهُ النّافِـعُ ، وَمِنْهُ الْغِـذَاءُ وَمِنْهُ السُّمُّ القاتِلُ ، بَلْ إِنَّ بقاء الْكَلَامِ وَتَجَرُّعَهُ، أَكْثَرُ وَأَبْلَغُ مِنَ الطَّعَامِ ، فَإِنَّ الطّعام يَزُولُ عَنِ الْمَعِـدَةِ بِنَوْمٍ أو غَيْرِهِ ، وَرُبَّمَا يَبْقَى أَثَرُهُ زَمَاناً ، ثُمَّ يزُولُ ، وَلَـهُ

(أ) الخنا : الفاحش من القول ، والفضول : ما لا حاجة إلى سماعه.
(ب) أي : الكلام المسموع .

دَوَاءُ يُزيلُ أَثَرَهُ مِنْ جِسْمِ الإِنْسَانِ ، وَأَمَّا الْكَلاَمُ الَّذِي يَقَعَ فِي قَلْبِ الإِنْسَان فَرُبَّمَا يَبْقَى[1] مَعَهُ جَمِيعَ عُمُرِهِ وَلاَ يَنْسَاهُ ، فَإِنْ كَانَ شَيئاً رَدِيئاً ، فَلا يَـزَالُ يُتْعِبُهُ وَيُعِيبُهُ ، وَتَـرِدُ بِسَبَبِهِ خَـوَاطِرُ في الْقَلْبِ وَوَسَـاوِسُ[2] ويَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُعْرِضَ عَنْهَا ، وَيَعْدِلَ بِقَلْبِهِ عَنْ تَذكُّرِهَا وَيَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا ، وَلا يَأْمَنُ من أَنْ تَحْمِلَهُ عَلَى بَلِيّةٍ وَتُحَرِّكَهُ حَتَّى يَقَعَ آخِرَ الأَمْرِ في آفَـةٍ عَظِيمـةٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ . وَلَوْ كُنْتَ حَفِظْتَ سَمْعَكَ عَمّا لاَ يَعْنِيكَ ، كُنْتَ عَنْ هٰذِهِ المُؤنِ مُسْتَرِيحاً ، فَلْيَنْظُرِ الْعَاقِلُ في ذَلِكَ وَبِاللَّهِ التَّوفِيقُ .

الفصل الثالث : اللسان

ثُمَّ عَلَيْكَ بِحِفْظِ اللِّسَانِ وَضَبْطِه وَقَيْدِه ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ الأَعْضَاءِ جِمَاحاً وَطُغْيَاناً ، وَأَكْثَرُهَا فَسَاداً وَعُدْوَاناً .

وَلَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ ؟ / [٣٢/أ] فَأَخَذَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ : هٰذَا »[أ] . وَعَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ رحمهُ اللَّه أنه قال : « إِنِّي وَجَدْتُ نَفْسِي تَحْتَمِلُ مُؤْنَةَ الصَّومِ فِي الحَرِّ الشَّدِيدِ بِالْبَصْرَةِ[ب] ، وَلاَ تَحْتَمِلُ تَرْكَ كَلِمَةٍ لاَ تَعْنِيهَا » فَعَلَيْكَ إِذَنْ بِالتَّحَفُّظِ جِدّاً وَبَذْلِ المَجْهُودِ .

وَنَذْكُرُ خَمْسَةَ أُصُولٍ :

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٣٦ .

(ب) في سراج السالكين وردت لفظة البصرة بكسر الباء وقد أشار المؤلف (شارح منهاج العابدين) إلى أنها « بلد شرقي عن مصر القاهرة ، كما حققه الزرقاوي في زيجه » وأظن هذا وهم وقع فيه الشارح ، والمذكور في كتب التراجم والسير أن يونس بن عبيد الله كان في البصرة بالعراق وبها لقي العلماء والمحدّثين ، وقد ورد هذا الخبر في سير اعلام النبلاء للذهبي (٦/ ٢٩٠) على النحو التالي : « عرضت على نفسي ترك ذكر الناس إلاّ من خير ، فوجدت الصوم في اليوم الحار أيسر عليها من ذلك » (راجع سراج السالكين ١/ ٣٧٢) .

موجبات حفظ اللسان

أَحَدُهَا : مَا رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : « أَنَّ ابْنَ آدَمَ إِذَا أَصْبَحَ بَكَرَتِ الأَعْضَاءُ كُلُّهَا إِلَى اللِّسَانِ ، وَقُلْنَ : نَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَسْتَقِيمَ ، فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا ، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا »(ج) . قُلْتُ : وَالْمَعْنَى فِيهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَم ، أَنَّ **نُطْقَ اللِّسَانِ يُؤَثِّرُ فِي أَعْضَاءِ الإِنْسَانِ بِالتَّوفِيقِ وَالْخِذْلاَنِ** ، يُؤَكِّدُ هٰذَا الْمَعْنَى مَا رُوِيَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَار أَنَّهُ قَالَ : إِذَا رَأَيْتَ قَسَاوَةً فِي قَلْبِكَ ، وَوَهْناً فِي بَدَنِكَ ، وَحِرْمَاناً فِي رِزْقِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ فِيما لاَ يَعْنِيكَ .

وَالأَصْلُ الثَّانِي : **حِفْظُ وَقْتِكَ** ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الإِنْسَانُ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَعَلَى (الأكثر يكون ذنباً يُسأل عنه ، وعلى)(١) الأَقَلِّ يَكُونُ لَغْواً يَضِيعُ بِهِ الْوَقْتُ .

وَذُكِرَ أَنَّ حَسَّانَ بْنَ أَبِي سِنَانٍ ، مَرَّ عَلَى غُرْفَةٍ بُنِيَتْ فَقَالَ : مُنْذُ كَمْ بُنِيَتْ هٰذِهِ ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَقَالَ يَا نَفْسِي الْغَرُورَةَ ، تَسْأَلِينَ عَمَّا لاَ يَعْنِيكَ ، وَعَاقَبَهَا بِصَوْمِ سَنَةٍ .

قُلْتُ: فَيَا طُوبَى لِلْمُهْتَمِّينَ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَيَا وَيْحَ الْغَافِلِينَ الَّذِينَ خَلَعُوا الْعِذَارَ وَأَرْخَوُا الْعِنَانَ ؛ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ وَأَحْسَنَ بِقَوْلِهِ : [الخفيف] :

وَاغْتَنِم رَكْعَتَيْنِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْـ
ـلِ إِذَا كُنْتَ خَالِياً مُسْتَرِيحَا
وَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِاللَّغْوِ فِي الْبَا
طِلِ فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحَا

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٣٧ .

فَـلُزُومُ الـسُّـكُـوتِ خَـيْـرٌ مِـنَ الـنُّـطْـ
ـقِ وَإِنْ كُـنْـتَ فِـي الْـكَـلَامِ فَـصِـيـحـا

وَالأَصْلُ الثَّالِثُ: حِفْظُ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِنّ مَنْ لَمْ يَصُنْ لِسَانَهُ، وَأَكْثَرَ الْكَلاَمَ ، يَقَعُ لاَ مَحَالَةَ في غِيبَةِ النَّاسِ ، كَمَا قِيلَ : « مَنْ كَثُرَ لَغَطُهُ كَثُرَ سَقْطُهُ »(أ) . والغِيبَةُ هِيَ الصَّاعِقَةُ المُهْلِكَةُ لِلطّاعَاتِ عَلَى مَا قِيلَ : إنّ مَثَلَ مَنْ يَغْتَابُ النّاسَ ، مَثَلُ مَنْ نَصَبَ مَنْجَنِيقاً ، فَهُوَ يَرْمِي بِهِ حَسَنَاتِهِ شَرْقاً وَغَرْباً ، يَمِيناً وَشِمَالاً .

وَبَلَغَنَا عَنِ الحَسَنِ أَنّهُ قِيلَ لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، إنّ فُلاَناً آغْتَابَكَ ، فَبَعَثَ إلَيْهِ بِطَبَقٍ / فِيهِ رُطَبٌ ؛ وَقَالَ بَلَغَنِي أَنّكَ أَهْدَيْتَ إِلَيَّ حَسَنَاتِكَ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُكَافِئَكَ . [٣٢١/ب]

وَذُكِرَتِ الْغَيبَةُ عِنْدَ آبْنِ المُبارَكِ فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ مُغْتَاباً لاَغْتَبْتُ أُمِّي فَإِنّها أَحَقُّ بِحَسَنَاتِي . وَذُكِرَ أَنّهُ فاتَ حَاتِماً الأَصَمَّ لَيْلَةً الْقِيَامُ ، فَعَيّرَتْهُ زَوْجَتُهُ ، فَقَالَ : إنّ أَقْوَاماً صَلّوا بِاللَّيْلِ الْبَارِحَةَ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَالُوا مِنِّي ، فَتَكُونُ صَلاَتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ في مِيزَانِي .

وَالأَصْلُ الرَّابِعُ : السَّلاَمَةُ مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا ، عَلَى مَا قَالَ سُفْيَانُ : « لاَ تَتَكَلَّمْ بِلِسَانِكَ مَا تَكْسِرُ بِهِ أَسْنَانَكَ . وَقَالَ آخَرُ : لاَ تَبْسُطَنَّ لِسَانَكَ فَيُفْسِدُ عَلَيْكَ شَأْنَكَ » . وَأنشدوا : [الكامل] :

آحْفَظْ لِسَانَكَ لاَ تَقُولُ فَتُبْتَلَى　　إنّ الْبَلاَءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

(أ) راجع تخريج هذا الحديث رقم ٣٨ .

ولابْنِ المُبَارَكِ [المتقارب] :

أَلاَ ٱحْفَظْ لِسَانَكَ إنّ اللّسَانَ ... سَرِيعٌ إلى المَرْءِ في قَتْلِهِ
وَإِنّ اللِّسَانَ دَلِيلُ الْفُؤَادِ ... يَدُلُّ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

وَلِابْنِ مُطِيعٍ [الوافر] :

لِسَانُ المَرْءِ لَيْثٌ في كَمِينٍ ... إذَا خَلَّى عَلَيْهِ ، لَهُ إغَارَهْ
فَصُنْهُ عَنِ الْخَنَا بِلِجَامِ صَمْتٍ ... يَكُنْ لَكَ مِنْ بَلِيَّاتٍ سِتَارَهْ

وَفِي المَثَلِ السَّائِرِ : رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا : دَعْنِي .

الأَصْلُ الْخَامِسُ : ذِكْرُ آفاتِ الآخِرَةِ وَعَاقِبَتِهَا ، وَأَذْكُرُ فِيهِ نُكْتَةً وَاحِدَةً ، وَهُوَ أَنَّهُ لاَ يَخْلُو إِمَّا أَنْ تَقُولَ قَوْلاً مَحْظُوراً حَرَاماً ، أَوْ قَوْلاً مُبَاحاً مِنْ فُضُولٍ لاَ يَعْنِيكَ ، فَإِنْ كَانَ مَحْظُوراً فَفِيهِ عَذَابُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لاَ طَاقَةَ لَكَ بِهِ ، فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إلى السماء نظرت في النّارِ قَوْماً يَأْكُلُونَ الْجِيَفَ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ قَالَ : هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ »[أ] .

وَلَقَدْ قَالَ ﷺ لِمُعَاذٍ : « ٱقْطَعْ لِسانَكَ عَنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ وَطُلاَّبِ الْعِلْمِ ، وَلاَ تُمَزِّقِ النّاسَ بِلِسَانِكَ فَتُمَزِّقَكَ كِلاَبُ النّارِ »[ب] .

وَعَنْ أَبِي قِلاَبَةَ قَالَ : « إنَّ في الْغِيبَةِ خَرَابَ الْقَلْبِ مِنَ الْهُدَى » . فَنَسْأَلُ اللَّهُ الْعِصْمَةَ مِنْ ذٰلِكَ بِفَضْلِهِ .

موجبات حفظ اللسان عن الكلام المباح

هٰذَا في الْكَلاَمِ المَحْظُورِ ، **وَأَمَّا المُباحُ فَفِيهِ أَرْبَعَةُ أُمُورٍ** :

(أ) راجع تخريج هذا الحديث رقم ٣٩ .

(ب) راجع تخريج هذا الحديث رقم ٤٠ .

أَحَدُهَا : **شَغْلُ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ** ، بِمَا لاَ خَيْـرَ فِيهِ وَلاَ فَـائِدَةَ ، وَحَقَّ لِلْمَرْءِ أَنْ يَسْتَحِيَ مِنْهُمَا فَلاَ يُؤْذِيهِمَا / ؛ قَالَ اللَّهُ سُبحانَه : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق : ١٨] [٣٣/أ]

وَالثَّانِي : **إِرْسَالُ كِتَـابٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ اللَّغْـوِ وَالْهذرِ** ، فَلْيَحْـذَرِ الْعَبْدُ مِنْ ذٰلِكَ وَلْيَخْشَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

وَذُكِر أَنَّ بَعْضَهُمْ نَظَرَ إِلى رَجُلٍ يَتَكَلَّمُ بِالْخَنَا ، فَقَالَ : يَا هٰذَا ، إِنَّما تُمْلِي كتاباً إِلَى رَبِّكَ فَانْظُرْ مَا تُمْلِي ؟

وَالثَّالِثُ : **قِرَاءَتُـهُ بَيْنَ يَدَي المَلِكِ الْجَبَّـارِ**[أ] ، يَوْمَ الْقِيَـامَةِ ، عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ، بَيْنَ الشَّدَائِـدِ وَالأَهْـوَالِ وَأَنت جَيْعَانَ عَـطْشَانَ عُـرْيَانَ ، مُنْقَطِعاً عَنِ الجَنَّةِ مَحْبُوساً عَنِ النِّعْمَةِ .

وَالرَّابِـعُ : **اللَّوْمُ وَالتَّعْيِيرُ بِمَاذَا قُلْتَ** ، وَآنْقِطَاعُ الْحُجَّةِ ، وَالحَيَاءُ مِنْ رَبِّ الْعِزَّةِ ، وقَدْ قِيلَ : إِيَّاكَ وَالْفُضُولَ ، فَإِنَّ حِسَابَهُ يَطُولُ .

وَكَفَى بِهٰذِهِ الأُصُولِ وَاعِظاً لِمَنِ اتَّعَظَ ، وَقَدْ بَسَطْنَا فِي كِتَابِ « أَسْرَارِ مُعَامَلاتِ الدِّينِ » مَا فِيهِ مَقْنَعٌ ، فَانْظُرْ فِيهِ تَجِدِ الشِّفَاءِ .

(أ) أي قراءة الإنسان كتابة الذي سجّل فيه الملكان أعماله وأقواله، وهذا ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم بقوله : ﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** ﴾ [الإسراء : ١٣ - ١٤].

الفصل الرابع : القلب

ثُمَّ عَلَيْكَ بِحِفْظِ القلب وَإِصْلَاحِهِ وَحُسْنِ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ وَبَذْلِ المَجْهُودِ ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ هٰذِهِ الأعْضَاءِ خَطَراً ، وَأَكْثَرُهَا أثَراً ، وَأَدَقُّهَا أَمْراً وَأَشَقُّهَا إِصْلاحاً ، وَأَذْكُرُ فِيهِ خَمْسَةَ أُصُولٍ مُقْنِعَةٍ :

موجبات حفظ القلب وإصلاحه

الأَصْلُ الأَوَّلُ[1] : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ [غافر : ١٩] . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ [الاحزاب : ٥١]. وقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [المائدة : ٧]. كَمْ ذَكَرَهُ وَكَرَّرَ ذِكْرَهُ فِي الْقُرْآنِ ، وَكَفَى بِاطِّلَاعِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ تَحْذِيراً وَتَهْدِيداً لِلْخَوَاصِّ مِنَ الْعِبَادِ ، لأَنَّ الْمُعَامَلَةَ مَعَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ خَطِيرَةٌ ، فَانْظُرْ مَاذَا يَعْلَمُ مِنْ قَلْبِكَ .

الأَصْلُ الثَّانِي : قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا ينظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعمَالِكُمْ »[1] فَالْقَلْبُ إِذَنْ مَوْضِعُ نَظَرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَيَا عَجَباً مِمَّنْ يَهْتَمُّ بِوَجْهِهِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُ نَظَرِ[2] الْخَلْقِ ، فَيَغْسِلُهُ وَيُنَظِّفُهُ مِنَ الأَقْذَارِ وَالأَدْنَاسِ ، وَيُزَيِّنُهُ بِمَا أَمْكَنَهُ ، لِئَلَّا

---

(١) راجع تخريج الحديث رقم ٤١ .

يَطَّلِعَ مَخْلُوقٌ فِيهِ عَلَى عَيْبٍ ، وَلَا يَهْتَمُّ بِقَلْبِهِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُ نَظَرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَيُطَهِّرَهُ وَيُزَيِّنَهُ وَيُطَيِّبَهُ ، كَيْ لَا يَطَّلِعَ الرَّبُّ جَلَّ وعلا عَلَى دَنَسٍ فِيهِ وَشَيْنٍ وَآفَةٍ وَعَيْبٍ ، بَلْ يُهْمِلُهُ بِفَضَائِحَ وَأَقْذَارٍ وَقَبَائِحَ ، لَوِ اطَّلَعَ الْخَلْقُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهَا ، لَهَجَرُوهُ وَتَبَرَّءُوا مِنْهُ وَطَرَدُوهُ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

الْأَصْلُ الثَّالِثُ : أَنَّ الْقَلْبَ مَلِكٌ مطَاعٌ وَرَئِيسٌ مُتَّبَعٌ ، فَالْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تَبَعٌ له ، فَإِذَا صَلَحَ الْمَتْبُوعُ صَلَحَ التَّبَعُ / ، وَإِذَا اسْتَقَامَ الْمَلِكُ اسْتَقَامَتِ الرَّعِيَّةُ . يُبَيِّنُ ذٰلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »[أ] وَإِذَا كَانَ صَلَاحُ الْكُلِّ فِي ذٰلِكَ ، وَجَبَ صَرْفُ الْعِنَايَةِ إِلَيْهِ . [٣٣/ب]

الْأَصْلُ الرَّابِعُ : أَنَّ الْقَلْبَ خِزَانَةُ كُلِّ جَوْهَرٍ لِلْعَبْدِ نَفِيسٍ [١] ، وَكُلِّ مَعْنًى خَطِيرٍ ، أَوَّلُهَا الْعَقْلُ ، وَأَجَلُّهَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ سَبَبُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، ثُمَّ الْبَصَائِرُ الَّتِي بِهَا التَّقَدُّمُ وَالْوَجَاهَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ النِّيَّةُ الْخَالِصَةُ فِي الطَّاعَاتِ ، الَّتِي بِهَا يَتَعَلَّقُ ثَوَابُ الأَبَدِ ، ثُمَّ أَنْوَاعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ، الَّتِي هِيَ شَرَفُ الْعَبْدِ ، وَسَائِرُ الأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ وَالْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي بِهَا (يَحْصُلُ)[٢] تَفَاضُلُ الرِّجَالِ ، عَلَى مَا فَصَّلْنَا وَشَرَحْنَا فِي كِتَابِ « أَسْرَارِ مُعَامَلَاتِ الدِّينِ » . وَحَقٌّ لِمِثْلِ هٰذِهِ الْخِزَانَةِ أَنْ تُحْفَظَ وَتُصَانَ عَنِ الأَدْنَاسِ وَالآفَاتِ ، وَتُحْرَسَ وَتُحْرَزَ مِنَ السُّرَّاقِ وَالْقُطَّاعِ ، وَتُكْرَمَ وَتُجَلَّ بِضُرُوبِ الْكَرَامَاتِ ، لِئَلَّا يَلْحَقَ تِلْكَ الْجَوَاهِرَ الْعَزِيزَةَ دَنَسٌ ، وَلَا يَظْفَرَ بِهَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ عَدُوٌّ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٤٢ .

الأَصْلُ الْخَامِسُ : أَنِّي تَـأَمَّلْتُ حَالَـهُ ، فَوَجَـدْتُ لَهُ خَمْسَـةَ أَحْوَالٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مِنْ أَعْضَاءِ آبْنِ آدَمَ .

أحوال القلب

أَحَدُهَا : أَنَّ الْعَدُوَّ قاصِدٌ إِلَيْهِ ، مُقْبِـلٌ عَلَيْهِ بِغَـوائله مُلاَزِمٌ لَـهُ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ آبْنِ آدَمَ ، فَهُوَ مَنْزِلُ الإِلْهَامِ وَالْوَسْوَسَةِ ، يَقْرَعَانِهِ أبداً بالدَّعْوَتَيْنِ كلاهما ، المَلَكُ وَالشَّيْطَانُ .

وَالثَّانِي : أَنَّ الشغْلَ لَهُ أَكْثَرُ ، فَإِنَّ الْهَوَى وَالْعَقْلَ كِلاَهُمَا فِيهِ ، فَهُـوَ مُعْتَـرَكُ الْعَسْكَرَيْنِ : الْهَـوَى وَجُنُـودِهِ ، وَالْعَقْـلِ وَجُنُـودِهِ ، فَهُـوَ أَبَـداً بَيْنَ مُحَارَبَتِهِمَا وَتَقَاتُلِهِما وَتَنَاقُضِهِمَا ، وَحَقٌّ للثَّغْرِ أَنْ يُحْرَسَ وَيُحْصَنَ وَلاَ يُغْفَلَ عَنْهُ .

وَالثَّالِثُ : أَنَّ الْعَوَارِضَ لَهُ أَكْثَرُ ، فَإِنَّ الْخَوَاطِرَ لَهُ كَالسِّهَامِ ، لاَ تَزَالُ تَقَعُ فِيهِ ، وَكَالْمَطَرِ ، لاَ تَزَالُ تَمْطُرُ(1) عَلَيْهِ لَيْلاً وَنَهَاراً ، لاَ تَنْقَطِعُ وَلاَ أَنْتَ تَقْـدِرُ عَلَى مَنْعِهَا فَتَمْتَنِـعَ ، وَلَيْسَ بِمَنْزِلَـةِ الْعَيْنِ الَّتِي بَيْنَ جفنين ، تُغَمَّضُ وَتَسْتَرِيحُ ، أَوْ تكُونُ في مَوْضِـعٍ خَالٍ ، أَوْ لَيْـلٍ مُظْلِمٍ فَتُكْفَى رُؤْيَتُهَـا ، أَوِاللِّسَانِ الَّذِي هُـوَ وَرَاءِ الحجابين : الأَسْنَـانِ وَالشَّفَتَيْنِ ، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى مَنْعِهِ وَتَسْكِينِهِ ، بَلِ الْقَلْبُ غَرَضٌ لِلْخَوَاطِرِ ، لاَ تَقْـدِرُ عَلَى مَنْعِهَا وَالتَّحَفُّظِ عَنْهَـا بِحَالٍ ، وَلا هي تَنْقَـطِعُ عَنْكَ / بِـوَقْتٍ ؛ ثُمَّ النَّفْسُ وَمُسَـارِعَـةٌ إلى آتِّبَاعِهَا ، وَالاِمْتِنَاعُ عَنْ ذٰلِكَ في مَجْهُودِ الطَّاقَةِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَمِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ .

[٣٤/أ]

وَالرَّابِعُ : أَنْ عِلاَجَهُ عليكَ عَسِيرٌ ، إِذْ هُوَ غَيْبٌ عَنْكَ ، فَلاَ تَكَادُ تَشْعُرُ حَتَّى تَدِبَّ فِيهِ آفَةٌ ، وَتَحْدُثُ لَهُ حَالَةٌ ، فَتَحْتَاجُ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ ذٰلِكَ أَتَمَّ الْبَحْثِ بِطُولِ الْجَهْدِ وَدَقِيقِ النَّظَرِ وَكَثْرَةِ الرِّيَاضَةِ .

وَالْخَامِسُ : أَنَّ الآفَاتِ إِلَيْهِ أَسْرَعُ ، فَهُوَ إِلَى الاِنْقِلاَبِ أَقْرَبُ ؛ فَلَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْقَلْبَ أَسْرَعُ آنْقِلاباً مِنَ الْقِدْرِ في غَلَيَانِهَا ؛ وَلِذٰلِكَ قِيلَ :[البسيط]:

مَـا سُـمِّـيَ الْـقَـلْبُ إلاَّ مِـنْ تَـقَـلُّبِـهِ
وَالـرَّأْيُ يَـضْـرِبُ بِـالإنْـسَـانِ أَطْـوَاراً

ثُمَّ إنْ زَلَّ الْقَلْبُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ، فَزَلَّهُ عَظِيمُ ، وَوُقُوعُهُ أَصْعَبُ وَأَفْظَعُ ؛ أَدْنَاهُ قَسْوَةٌ وَمَيْلٌ إلى غَيْرِ اللَّهِ ، وَمُنْتَهَاهُ خَتْمٌ بِكُفْرٍ ، بِاللَّهِ تَعالَى . أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤]. فَكَانَ الْكِبْرُ بقَلْبِهِ ، فَحَمَلَهُ عَلَى الإباءِ وَالْكُفْرُ بِظَاهِرِهِ ، أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿ وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأَرْضِ ، وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] فَكَانَ المَيْلُ وَٱتِّبَاعُ الْهَوَى بِقَلْبِهِ ، فَحَمَلَهُ عَلَى ذٰلِكَ الذَّنْبِ المَشْئُومِ بِنَفْسِهِ . أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ في طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠]. وَلِهٰذَا المَعْنَى ، أَيُّهَا الرَّجُلُ ، خَافَ عِبَادُ اللَّهِ تَعَالَى الخَوَاصُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَبَكَوْا عَلَيها وَصَرَفُوا عِنَايَتَهُم إلَيْهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى في وَصْفِهِمْ : ﴿ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ [النور : ٣٧].

جَعَلَنَا اللَّهُ وَإيَّاكُم مِنَ المُعْتَبِرِينَ بِالْعِبَرِ ، المُهْتَمِّينَ بِمَوَاضِعِ الْخَطَرِ ، المَوَفَّقِينَ لإصْلاحها بِحُسْنِ النَّظَرِ ، إنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

فَإنْ قِيلَ : إنَّ أَمْرَ هٰذَا الْقَلْبِ لَمُهِمٌّ جِدّاً ، فَأَخْبِرْنَا عَنِ المَعَانِي الَّتي تُصْلِحُهُ ، وَعَنِ الآفاتِ الَّتي تَعْتَرِضُهُ فَتُفْسِدُهُ ، عَسَى أَن نُوَفَّقَ لِلإجْتِهَادِ في الْعَمَلِ بِذٰلِكَ .

فَيُقَالُ لَهُ : ٱعْلَمْ أَنَّ تَفْصِيلَ هٰذِهِ المَعَانِي طَوِيلٌ لاَ يَحْتَمِلُهُ هٰذَا الْكِتَابُ ، وَإنَّمَا عُلَمَاءُ الآخِرَةِ عُنُوا بِاسْتِخْرَاجِ ذٰلِكَ وَتَصْنِيفِهِ في هٰذِهِ النُّكْتَةِ لاَ غَيْرُ ، وَقَدْ ذَكَرُوا فِيمَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ نَحْوَ تِسْعِينَ خَصْلَةً مَحْمُودَةً ،

وَفي أَضْدَادِهَا المَذْمُومَةِ ، ثُمَّ مِنَ المَسَاعِي الأفْعَالِ الْوَاجِبَةِ وَالمَحْظُورَةِ نَحْوَ ذٰلِكَ في سَائِرِ تَفَاصِيلِهَا ؛ وَلَعَمْرِي إنَّ مَنْ أَهَمَّهُ أَمْرُ دِينِهِ ، وَٱنْتَبَهَ مِنْ رَقْـدَةِ الْغَافِلِينَ وَنَظَرَ لِنَفْسِهِ ، فَلاَ يَكُونُ تَحْصِيلُ جَمِيعِ ذٰلِكَ وَالْعَمَلُ بِهِ عَلَيهِ كَثِيراً إذَا وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ ذَكَرْنَا / نُبْذَةً مِنْهَـا في شَرْحِ عَجَـائِبِ الْقَلْبِ مِنْ كِتابِ « إحْيَاءِ عُلُومِ الـدِّين » وَأَتَيْنَا عَلَى شَـرْحِ جَمِيعِهَا بِتَفَـاصِيلِهَا وَكَيْفِيـةِ عِلاَجِهَا في كِتَابِ « أَسْرَارِ مُعَامَلاَتِ الدِّين » . وَهُوَ كِتَـابٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِـهِ ، عَـظِيمُ الْفَائِـدَةِ وَلاَ يَنْتَفِـعُ بِـهِ إلاَّ فُحُـولُ الْعُلَمَـاءِ الـرَّاسِخُـونَ فِي الْعِلْمِ ، وَمَـوْضُـوعُ هٰـذَا الْكِتَـابِ أَنْ يَنْتَفِـعَ بِـهِ المبْتَـدِي (والمنْتَهِي)[1] وَالْقَـوِيُّ وَالضَّعِيفُ .

[٣٤/ب]

آفات القلوب وعلاجها

فَنَظَرْنَا في الأُصُولِ الَّتي لاَ بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا في عِلاَجِ الْقَلْبِ ، وَالحَاجَةُ إلَيْهَا مَاسَّةٌ ، وَلاَ غُنْيَةَ عَنْهَا أَلْبَتَّةَ في شَأنِ الْعِبَادَةِ ، فَوَجَدْنَاهَا أَرْبَعَـةَ أُمُـورٍ هِيَ مَـدَاحِضُ الْعَابِـدِينَ وَآفَـاتُ المُجْتَهِـدِينَ ؛ وَهِيَ فِتَنُ الْقُلُوبِ وَبَلِيَّـاتُ النُّفُوسِ ، تَعُوقُ وَتَشِينُ ، وَتُفْسِـدُ وَتُتْلِفُ ، وَأَرْبَعَةٌ في مُقَـابَلَتِهَا فِيهـا قِوَامُ الْعُبَّـادِ ، وَٱنْتِظَامُ الْعِبَادَةِ ، وإصلاَحُ الْقُلُوبِ .

فَـالآفَاتُ الأَرْبَـعُ : الأَمَلُ وَالاِسْتِعْجَـالُ وَالْحَسَدُ وَالْكِبْـرُ ؛ وَالمَنَاقِبُ الأَرْبَـعُ : قِصَـرُ الأَمَـلِ وَالتَّـأَنِّي في الأُمُـورِ وَالنَّصِيحَـةُ لِلْخَلْقِ وَالتَّـوَاضُـعُ وَالخُشُوعُ ، فَهٰذِهِ هِيَ الأُصُولُ في صَلاَحِ الْقُلُوبِ وَفَسَادِهَا ،وَالنُّكْتَـةُ الَّتِي عَلَيْهَا المَدَارُ ، فَلْتَبْـذُلِ المَجْهُودَ في التَّحَـرُّزِ مِنْ هٰذِهِ الآفَـاتِ وَالتَّحْصِيلِ لِهٰـذِهِ المَناقِبِ ، تُكْفَ المُؤَنَ ، وَتَـظْفَرْ بِـالْمَقْصُـودِ إنْ شَـاءَ اللَّهُ تَعَـالَى ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ هٰذِهِ الآفاتِ بِكَلِمَاتٍ وَجِيزَةٍ مقْنِعَةٍ .

الآفة الأولى: طول الأمل

١ ـ أَمَّا طُولُ الأَمَلِ ، فَإِنَّهُ الْعَائِقُ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَطَاعَةٍ ، الْجَالِبُ لِكُلِّ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ ، وَإِنَّهُ الدَّاءُ الْعُضَالُ الَّذِي يُوقِعُ الْخَلْقَ فِي أَنْوَاعِ الْبَلِيَّاتِ .

عواقب طول الأمل

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا طَالَ أَمَلُكَ هَاجَ لَكَ مِنْهُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ :

أَحَدُها : تَرْكُ الطَّاعَةِ وَالْكَسَلُ فِيها ، تَقُولُ : سَوْفَ أَفْعَلُ وَالأَيَّامُ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَلاَ يَفُوتُنِي ذٰلِكَ ، وَلَقَدْ صَدَقَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ قَالَ : « مَنْ خَافَ الْوَعِيدَ قَرُبَ عَلَيْهِ الْبَعِيدُ ، وَمَنْ طَالَ أَمَلُهُ سَاءَ عَمَلُهُ »[1] . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ : « الأَمَلُ قَاطِعٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَالطَّمَعُ مانِعٌ مِنْ كُلِّ حَقٍّ ، وَالصَّبْرُ صَابِرٌ إلى كُلِّ ظَفَرٍ ، وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إلى كُلِّ شَرٍّ » .

وَالثَّانِي : تَرْكُ التَّوْبَةِ وَتَسْوِيفُها ، تَقُولُ : سَوْفَ أَتُوبُ ، وَفي الأَيَّامِ السَّعَةُ وَأَنا شَابٌّ ، وَسِنِّي قَلِيلٌ ، وَالتَّوْبَةُ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَأَنا قَادِرٌ عَلَيها مَتَى رُمْتُها ، وَرُبَّمَا اغْتَالَهُ الْحِمامُ عَلى الإِصْرَارِ ، وَاخْتَطَفَهُ/ الأَجَلُ قَبْلَ إِصْلاحِ الْعَمَلِ . [٣٥/أ]

وَالثَّالِثُ : الْحِرْصُ عَلَى الْجَمْعِ وَالاِشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا عَنِ الآخِرَةِ ، وَيَقُولُ : أَخافُ الفقرَ في الكِبرِ ، وَرُبما أَضعَفُ عَنْ الاِكتِسَابِ ، وَلاَ بَدَّ لِي مِنْ شَيْءٍ فاضِلٍ أَدَّخِرُهُ لِمَرَضٍ أَوْ هَرَمٍ أَوْ فَقْرٍ ، فَهٰذَا أَو نَحْوُهُ يُحَرِّكُ إِلَى الرَّغْبَةِ في الدُّنْيَا وَالْحِرْصِ عَلَيْهَا وَالاِهْتِمَامِ بِالرِّزْقِ ، تَقُولُ أَيْشِ آكُلُ وَأَيْشِ أَشْرَبُ وَأَيْشِ أَلْبَسُ ، وَهٰذَا الشِّتَاءُ وَهٰذَا الصَّيْفُ وَمَا لِي شَيْءٌ ، وَلَعَلَّ الْعُمْرَ يَطُولُ فَأَحْتَاجَ ، وَالحَاجَةُ مَعَ الشَّيْبِ شَدِيدَةٌ ، وَلاَ بُدَّ مِنْ قُوتٍ وَغُنْيَةٍ عَنِ النَّاسِ . فهذه وَأَمْثَالُها تُحَرِّكُ إلى طَلَبِ الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِيها ، وَالْجَمْعِ لَهَا وَالمَنْعِ لَما عِنْدَكَ مِنْها . وَأَقَلُّ مَا فِي الْبَابِ تُشغِلُ قَلْبَكَ وَتُضِيعُ عَلَيْكَ وَقْتَكَ

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٥٧/٧) بلفظ : « من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعُف عمله » .

وَتُكْثِرَ هَمَّكَ وَغَمَّكَ بِلاَ فَائِدَةٍ وَلاَ طَائِلٍ ، عَلَى مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رحمهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : « قَتَلَنِي هَمُّ يَوْمٍ لَمْ أُدْرِكْهُ ، قِيلَ وَكَيْفَ ذٰلِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ ؟ قَالَ : إن أَمَلِي جَاوَزَ أَجَلِي » .

وَالرَّابِعُ : **الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ وَالنِّسْيَانُ لِلآخِرَةِ** ، لأَنَّكَ إِذَا أَمَّلْتَ الْعَيْشَ الطويلَ ، لاَ تَذْكُرُ المَوْتَ وَالْقَبْرَ ، كما قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي اللَّهُ عنه : « أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ آثْنَانِ : طُولُ الأَمَلِ ، وَآتِّبَاعُ الْهَوَى أَلاَ وَإِنَّ طُولَ الأَمَلِ يُنْسِي الآخِرَةَ ، وَآتِّبَاعُ الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ »[أ] فَإِذَنْ يَصِيرُ فِكْرُكَ وَمُعْظَمُ قلبك في حَدِيثِ الدُّنْيَا وَأَسْبَابِ الْعَيْشِ فِي صُحْبَةِ الْخَلْقِ وَنَحْوِها ، فيقْسُو الْقَلْبُ مِنْ ذٰلِكَ ؛ وَإِنَّما رِقَّةُ الْقَلْبِ وَصَفْوَتُهُ بِذِكْرِ المَوْتِ وَالْقَبْرِ ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَأَحْوَالِ الآخِرَةِ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ شَيءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ لِقَلْبِكَ رِقَّةٌ وَصَفْوَةٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ **فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ [الحديد : ١٦] . فَإِذَنْ أَنْتَ إِذَا طَوَّلْتَ أَمَلَكَ ، قَلَّتْ طَاعَتُكَ ، وَتَأَخَّرَتْ تَوْبَتُكَ ، وَكَثُرَتْ مَعْصِيَتُكَ ، وَآشْتَدَّ حِرْصُكَ ، وَقَسَا قَلْبُكَ ، وَعَظُمَتْ غَفْلَتُكَ عَنِ الْعَاقِبَةِ ، فَذَهَبَتْ ـ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ إِنْ لَمْ يَرْحَمِ اللَّهُ ـ آخِرَتُكَ ؛ فَأَيُّ حَالٍ أَسْوَأُ مِنْ هٰذِهِ ؟ وَأَيُّ آفَةٍ أَعْظَمُ مِنْ هٰذِهِ ؟ وَكُلُّ هٰذَا بِسَبَبِ طُولِ الأَمَلِ .

وَأَمَّا إِنْ قَصَّرْتَ مِنْ أَمَلِكَ وَقَرَّبْتَ مِنْ نَفْسِكَ مَوْتَكَ ، وَتَذَكَّرْتَ حَالَ أَقْرَانِكَ وَإِخْوَانِكَ ، الَّذِينَ غَافَصَهُمُ[ب] المَوْتُ في وَقْتٍ لَمْ يَحْتَسِبُوهُ[١] .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٤٣ .

(ب) غافصهم : أي فاجأهم .

وَلَعَلَّ حَالَكَ مِثْلُ حَالِهِمْ ، فَاحْذَرِي يَا نَفْسِي الْغُرُورَ ، وَاذْكُرِي مَا قَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : « كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَمْ يَسْتَكْمِلْهُ ، وَمُنْتَظِرٍ غَداً لَمْ يُدْرِكْهُ ، لَوْ رَأَيْتم الأَجَلِ وَمَسِيرَهُ[1] لأَبْغَضْتُمُ الأَمَلَ وَغُرُورَهُ » أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « آلدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ : أَمْسِ قد مَضَى مَا بِيَدِكَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَغَداً لَا تَدْرِي أَتُدْرِكُهُ أَمْ لَا ، وَيَوْمٌ أَنْتَ فِيهِ فَاغْتَنِمْهُ » . [٣٥/ب]

ثُمَّ قَوْلَ أَبِي ذَرٍّ : « الدُّنْيَا ثَلَاثُ سَاعَاتٍ : سَاعَةٌ مَضَتْ ، وَسَاعَةٌ أَنْتَ فِيهَا ، وَسَاعَةٌ لَا تَدْرِي أَتُدْرِكُهَا أَمْ لَا » ؛ فَلَسْتَ تَمْلِكُ بِالْحَقِيقَةِ إِلَّا سَاعَةً وَاحِدَةً ، إِذِ المَوْتُ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ ممكن . ثُمَّ قَوْلَ شَيْخِنَا[أ] رَحِمَهُ اللَّهُ : «آلدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَنْفَاسٍ : نَفَسٌ مَضَى عَمِلْتَ فِيهِ مَا عَمِلْتَ، وَنَفَسٌ أَنْتَ فِيهِ، وَنَفَسٌ لا تَدْرِي أَتُدْرِكُهُ أَمْ لا»؛ إِذْ كَمْ مِنْ مُتَنَفِّسٍ نَفَساً فَفَاجَأَهُ المَوتُ قَبْلَ النَّفَسِ الآخرِ؟ فَلَسْتَ تَمْلِكُ إِلَّا نَفَساً وَاحِداً لَا يَوْماً وَلَا سَاعَةً، فَبَادِرْ فِي هٰذَا النَّفَسِ الْوَاحِدِ إِلى الطَّاعَةِ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ وَإِلى التَّوْبَةِ ، فَلَعَلَّكَ في النَّفَسِ الثَّانِي تَمُوتُ ، وَلَا تَهْتَمِي يَا نفس بِالرِّزْقِ ، فَلَعَلَّكِ لا تبقِينَ لِتحتاجِي إليه فَيَكُونُ وَقْتُكَ ضَائِعاً وَالْهَمُّ فضلاً ، وَمَا عَسَى أَنْ يَهْتَمَّ الإِنْسَانُ لِيَوْمٍ وَاحِدٍ أَوْ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ نَفَسٍ وَاحِدٍ ؟ أَمَا تَذْكُرِينَ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصْحَابِهِ : « أَما تَعْجَبُونَ مِنْ أُسَامَةَ الْمُشْتَرِي الوليدة بِصَبْرِ شَهْرٍ ، إِنَّ أُسَامَةَ لَطَوِيلُ الأَمَلِ ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْتُ قَدَماً فَظَنَنْتُ أَنِّي أَرْفَعُهَا ، وَلَا لُقْمَةً فَظَنَنْتُ أَنِّي أُسِيغُهَا حَتَّى يُدْرِكَنِي المَوْتُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ »[ب] .

(أ) هو أبو بكر الورّاق ، كما في سراج الطالبين ص ٤٣٣ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم : ٤٤ .

فصل قصر الأمل

فَإِذَا أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ تَذَكَّرْتَ هٰذِهِ الأَذْكَارَ ، وَوَاظَبْتَ عَلَى ذٰلِكَ بِالإِعَادَةِ وَالتَّكْرَارِ ، قَصُرَ أَمَلُكَ بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالَى ، فَحِينَئِذٍ تَرَى نَفْسَكَ تُبَادِرُ إِلى الطَّاعَاتِ وَتُعَجِّلُ تَوْبَتَكَ ، وَتَسْقُطُ عَنْكَ مَعْصِيَتُكَ ، وَتَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَطَلَبِهَا ، فَيَخِفُّ حِسَابُكَ وَتَبِعَتُكَ وَيَقَعُ قَلْبُكَ فِي تَذَكُّرِ الآخِرَةِ وَأَهْوَالِهَا ، وَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ نَفْسٍ إِلَى نَفَسٍ تَصِيرُ إِلَيْهَا وَتُعَايِنُهَا وَاحِداً فَوَاحِداً ، فَتَزُولُ عَنْكَ الْقَسْوَةُ وَتَبْدُو لَكَ الصَّفْوَةُ وَالرِّقَّةُ وَتَسْتَشْعِرُ عِنْدَ ذٰلِكَ الخَوْفَ مِنَ اللّٰهِ تَعَالَى وَالْخَشْيَةَ ، فَيَسْتَقِيمُ لَكَ أَمْرُ عِبَادَتِكَ ، وَيَقْوَى الرَّجَاءُ فِي أَنْ تَسْعِدَ فِي عَاقِبَتِكَ ، فَتَظْفَرَ بِالْمُرَادِ فِي آخرتك ، وَكُلُّ ذٰلِكَ بَعْدَ فَضْلِ اللّٰهِ تَعَالَى بِسَبَبِ هٰذِهِ / الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ قِصَرُ الأَمَلِ . [٣٦/أ]

وَلَقَدْ حُكِيَ أَنَّ زُرَارَةَ بْنَ أبي أَوْفَى رَحِمَهُ اللّٰهُ ، قِيلَ لَهُ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ : أَيُّ الأَعْمَالِ أَبْلَغُ فِيمَا عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ الرِّضَا وَقِصَرُ الأَمَلِ .

فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الأَخُ ، وَابْذُلِ المَجْهُودَ فِي هٰذَا الأَصْلِ الْكَبِيرِ فَإِنَّهُ الأَهَمُّ وَالأَعْظَمُ فِي صَلَاحِ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ ، وَاللّٰهُ تَعَالَى وَلِيُّ التَّوْفِيقِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ .

الآفة الثانية: الحسد

٢ ـ **وَأَمَّا الْحَسَدُ** فَإِنَّهُ الْمُفْسِدُ لِلطَّاعَاتِ الْبَاعِثُ عَلَى الخَطِيئَاتِ ، وَإِنَّهُ الدَّاءُ الذِي يُبْتَلَى بِهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْعُلَمَاءِ ، فَضْلاً عَنِ الْعَامَّةِ وَالْجُهَّالِ ، حَتَّى أَهْلَكَهُمْ وَأَوْرَدَهُمْ النَّارَ . أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ : « سِتَّةٌ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِسِتَّةٍ : الْعَرَبُ بِالْعَصَبِيَّةِ ، وَالأُمَرَاءُ بِالجَوْرِ ، وَالدَّهَّاقِينُ[أ] بِالْكِبْرِ ، وَالتُّجَّارُ بِالْخِيَانَةِ ، وَأَهْلُ الرَّسَاتِيقِ[ب] بِالْجَهْلِ ،

(أ) الدهاقين : جمع دهقان ، بكسر الدال ، وهو رئيس القرية .
(ب) أهل الرساتيق : أي أصحاب القرى .

وَالْعُلَمَاءُ بِالْحَسَدِ »(أ) . وَإِنَّ بَلِيَّةً بَلَغَ شُؤْمُهَا أَنْ أَوْرَدَتِ الْعُلَمَاءَ النَّارَ لَحَقِيقٌ أَنْ يُحْذَرَ مِنْهَا .

عواقب الحسد

وَٱعْلَمْ أَنَّ الْحَسَدَ يُهَيِّجُ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ :

أَحَدُهَا : إِفْسَادُ الطاعاتِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ٱلْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ »(ب) .

وَالثَّانِي : فِعْلُ المَعَاصِي وَالشُّرُورِ عَلى مَا قَالَ وَهْبُ بنْ منبه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى : لِلْحَاسِدِ ثَلاثُ عَلاَمَاتٍ : يَتَمَلَّقُ إِذَا شَهِدَ ، وَيَغْتَابُ إِذَا غَابَ ، وَيَشْمَتُ بِالْمُصِيبَةِ . قُلْتُ : وَحَسْبُكَ إن اللَّهَ أَمَرَ بِالاِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الْحَاسِدِ ، فَقَالَ : ﴿ **وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذا حَسَدَ** ﴾ [الفلق : ٥]. كَمَا أَمَرَ بِالإِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرجيم وَالسَّاحِرِ ، فَانْظُرْ كَمْ لَهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ حَتَّى أَنْزَلَهُ مَنْزِلَةَ الشَّيْطَانِ وَالسَّاحِرِ ، حَتَّى أَنْ لاَ مُسْتَعَانَ عَلَيْهِ وَلاَ مُسْتَعَاذَ إِلاَّ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَالثَّالِثُ : التَّعَبُ وَالْهَمُّ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ ، بَلْ مَعَ كلِّ وِزْرٌ وَمَعْصِيَةٌ ، كما قَالَ ٱبْنُ السَّمَّاكِ : لَمْ أَرَ ظَالِماً أَشْبَهَ بِالْمَظْلُومِ مِنَ الحَاسِدِ ، نَفْسٌ ذَائِمٌ(ج) وَعَقْلٌ هَائِمٌ وَغَمٌّ لاَزِمٌ .

وَالرَّابِعُ : عَمَى الْقَلْبِ حَتَّى لاَ يَكَادُ يَفْهَمُ حُكْماً مِنْ أَحْكَامِ اللَّه

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٤٥ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٤٦ .

(جـ) ذائم : أي حقير . ذأمه يذؤمه إذا عابه وحقّره وذمّه .

تعالى ، فَلَقَدْ قَالَ سُفْيَانُ : عَلَيْـكَ بِطُولِ الصَّمْتِ تمْلِكِ الْوَرَعَ ، وَلاَ تَكُنْ حَرِيصاً عَلَى الدُّنْيَا تَكُنْ حَافِظاً ، وَلاَتَكُنْ طَعَّاناً تَنْجُ مِنْ ألسِنَة النَّاس ، وَلاَ تَكُنْ حَاسِداً تَكُنْ سَرِيعَ الْفَهْمِ .

وَالْخَامِسُ : **الْحِرْمَانُ وَالْخِذْلاَنُ** ، فَلا / يَكَادُ يَظْفَرُ بمُرَادٍ وَيُنْصَرُ عَلَى عَدُوّ ، كَمَا قَالَ حَاتِمُ الأَصَمُّ : الطعّانِ غَيْرُ ذِي دِينٍ ، وَالْعَائِبُ غَيْرُ عَابِدٍ ، وَالنَّمَّامُ غَيْرُ مَأْمُون وَالْحَسُودُ غيْرُ مَنْصُورٍ . [٣٦/ب]

قُلْتُ : الْحَسُودُ كَيْفَ يَظْفَرُ بِمُرَادِهِ ، وَمُرَادُهُ زَوَالُ نِعَمِ اللَّهِ عَنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَيْفَ يُنْصَرُ عَلَى أَعْدَائِهِ وَهُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو يَعْقُوبَ فِيمَا قَالَ: «اللَّهُمَّ صَبِّرْنَا عَلَى تَمَامِ النِّعَمِ عَلَى عِبَـادِكَ وَحَسِّنْ أَحْوَالَهُمْ » .

وَإِنَّهُ دَاءٌ يُفْسِدُ عَلَيْكَ الطَّاعَةَ، وَيُكْثِرُ شَرَّكَ وَمَعْصِيَتَكَ، وَيَمْنَعُكَ رَاحَةَ النَّفْسِ وَفَهْمَ الْقَلْبِ، وَالنَّصْرَةَ عَلَى الأَعْدَاءِ وَالظَّفْرَ بِـالْمَطْلُوبِ، فَـأَيُّ دَاءٍ يَكُونُ أَدْوَأَ مِنْهُ، فَعَلَيْكَ بِمُعَالَجَةِ نَفْسِكَ مِنْ ذٰلِكَ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

الآفة الثالثة : الاستعجال

٣ ـ وَأَمَّا **الإِسْتِعْجَالُ**[أ] وَالنَّزَقُ مَعَ سوء الخلق ، فَإِنَّهُ الْخَصْلَةُ الْمُفَوِّتَةُ لِلْمَقَاصِدِ ، الْمُوقِعَةُ فِي الْمَعَاصِي ، وَإِنَّ مِنْهَا تَبْدُو آفاتٌ أَرْبَعٌ :

(أ) من الملاحظ ان ترتيب هـذه الآفة بين الآفـات الأربعة جـاء قبل الحسـد ، ولكن الغزالي عندما ذكر تفاصيلها هنا وضعها بعد الحسد.
كذلك فإن التقسيم الاول للآفات الأربعة يشير إلى أن الاستعجال آفة، وهنا يجعلهـا خصلة تتفرّع عنها آفات أربع . وهـذا يعني ان الغزالي لا يـراعي أحيانـاً الترتيب والتقسيم المتسلسل ولا يحافظ على معنى واحد للمصطلح الذي يستعمله.

إحْداها : أنْ يَقْصِدَ الْعابدُ منْزِلَةً في الْخَيْرِ والإسْتِقامَةِ ويَجْتَهِدَ ، فَرُبَّما يسْتَعْجِلُ في نَيْلِها ، ولَيْسَ ذلِكَ بِوَقْتِها ، فإمَّا أنْ يَفْتُرَ ويَيْأسَ فيَتْرُكَ الاجْتِهادَ فيُحْرَمَ تِلْكَ المنْزِلَةَ ، وإمَّا أنْ يَغْلُوَ في الْجُهْدِ وإتْعابِ النَّفْسِ فيَنْقَطِعَ عنْ تِلْكَ المنْزِلَةِ فهُوَ بيْنَ إفْراطٍ وتَفْريطٍ ، وكِلاهُما نَتيجَةُ الاسْتِعْجالِ . ولقَدْ رَوينا عَنْ رسُولِ اللَّهِ ﷺ أنَّهُ قالَ : « إنَّ دِينَنا هٰذا مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ . فإنَّ المُنْبَتَّ لَا أرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهْراً أبْقى » [1] وَفي المَثَلِ السَّائِرِ : إنْ لَمْ تَسْتَعْجِلِ تَصِلْ . وقول القَائِلِ : [البسيط] :

قَدْ يُدْرِكُ المُتَأنّي بعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وَالثانيةُ : أنْ يكُونَ لِلْعابِدِ حاجَةٌ فَيَدْعُو اللَّهَ تَعالَى فِيها وَيُكْثِرُ الدُّعاءَ ، وَيجِدَ ، فرُبَّما يسْتَعْجِلُ الإجابَةَ قَبْلَ وَقْتِها ، فَلا يَجِدُها فَيَفْتُرُ ويَسْأَمُ ويَتْرُكُ الدُّعاءَ فيُحْرَمُ حاجَتَهُ ومَقْصُودَهُ .

وَالثَّالِثَةُ : أنْ يَظْلِمَهُ إنْسَانٌ ، فَيَغِيظَهُ فَيُعَجِّلَ في الدُّعَاءِ عَلَيْهِ ، فَيَهْلِكَ مُسْلِمٌ بِسَبَبِهِ ، **وَرُبَّما يَتَجَاوَزُ عَنِ الْحَدِّ** فَيَقَعُ في مَعْصِيةٍ وَهَلاكٍ .

قالَ اللَّهُ تَعالَى : ﴿ **وَيَدْعُو الإنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإنْسَانُ عَجُولاً** ﴾ [الإسراء : ١١]

[٣٠ أ] وَالرَّابِعَةُ : أنَّ أَصْلَ الْعِبادَةِ وَمِلاكَها / الْوَرَعُ . وَالْوَرَعُ أَصْلُهُ النَّظَرُ الْبالِغُ في كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْبَحْثُ التَّامُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ بِصَدَدِهِ ، مِنْ أَكْلٍ وشُرْبٍ ولُبْسٍ وَكَلامٍ وَفِعْلٍ ، فَإن كَانَ الرَّجُلُ مُسْتَعْجِلاً في الأُمُورِ غَيْرَ مُتَأَنٍّ ولا مُتَثَبِّتٍ ولا مُتَبَيِّنٍ ، لَمْ يَقَعْ مِنْهُ تَوَقُّفٌ وَنَظَرٌ في الأُمُورِ كَما يَجِبُ ،

---

(1) راجع تخريج الحديث رقم : ٤٧ .

وَيَتَسَارَعُ إلى كُل كَلَامٍ ، فَيَقَعُ فِي الزَّلَلِ ، وَإِلى أكلِ كُلِّ طَعَامٍ فَيَقَعُ في الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ ، وَكَذٰلِكَ في كُلِّ أَمْرٍ فَيُفَوِّتُهُ الْوَرَعُ ، وَأَيُّ خَيْرٍ في عِبَادَةٍ بِلَا وَرَعٍ ؟ وَإِذَا كَانَ في خَصْلَةِ الانْقِطَاعِ عَنْ مَنَازِلِ الْخَيْرِ وَحِرْمَانِ الْحَاجَاتِ وَهَلَاكِ الْمُسْلِمِينَ وَهلاكِهِ ، ثُمَّ خَطَرِ فَوْتِ الْوَرَعِ الَّذِي هُوَ رَأْسُ المَالِ ، فَحَقٌّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَهْتَمَّ لَهَا ، بِالإِزَالَةِ وَإِصْلَاحِ النَّفْسِ بَعْدَهَا ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ .

الآفة الرابعة: الكبر وعواقبه

٤ ـ وَأَمَّا الْكِبْرُ فَإِنَّهُ الْخَصْلَةُ الْمُهْلِكَةُ رَأْساً ، أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ **أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٣٤]. وَلَيْسَتْ هٰذِهِ الْخَصْلَةُ بِمَنْزِلَةِ سَائِرِ الْخِصَالِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي عَمَلٍ ، وَتَضُرُّ بِفَرْعٍ ، وَإِنَّمَا تَضُرُّ بِالأَصْلِ ، وَتَقْدَحُ في الدِّينِ وَالِاعْتِقَادِ ، وَإِذَا قَوِيَتْ وَغَلَبَتْ فَلا تُتَدَارَكُ ،. وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ . ثُمَّ أَقَلُّ مَا يَهِيجُ مِنْها عَلَى صَاحِبِهَا أَرْبَعُ آفاتٍ :

إِحْدَاهَا : حِرْمَانُ **الْحَقِّ** ، وَعَمَى الْقَلْبِ عَنْ مَعْرِفَةِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفهم أَحْكَامه . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ في الأَرْضِ بِغَيرِ الْحَقِّ** ﴾ [الاعراف : ١٤٦]. وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾ [غافر : ٣٥] .

وَالثَّانِيَةُ : **المَقْتُ وَالْبُغْضُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى** ، قَالَ اللَّهُ عزّ وجلّ : ﴿ **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** ﴾ [النحل : ٢٣] وَرُوِيَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « يَا رَبِّ ، مَنْ أَبْغَضُ خَلْقِكَ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : مَنْ تَكَبَّرَ قَلْبُهُ ، وَغَلُظَ لِسَانُهُ[أ] ، وَصَفَّقَ عَيْنَهُ[ب] ، وَبَخِلَتْ يَدُهُ ، وَسَاءَ خُلُقُهُ » .

(أ) غلظ لسانه : أي أصبح كلامه فاحشاً .

(ب) صَفَّقَ عينه : اغمضها عن رؤية الخيرات .

وَالثَّالِثَةُ : **آلْخِـزْيُ وَالنَّكَالُ** ، في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، قَالَ حَاتِمُ رَحِمَـهُ اللَّهُ : آجْتَنِبتُ المَـوْتَ عَـلَى ثَـلاَثَـةٍ : عَلَى الْـكِبْـرِ ، وَالْـحِـرْصِ ، وَالخُيَلاَءِ[أ] ؛ فَإِنَّ المُتَكَبِّرَ لا يُخْرِجُهُ اللَّهُ من الدُّنيا حَتَّى يُرِيَهُ الْهَوَانَ مِنْ أَرْذَلِ أَهْلِهِ وَخُدَّامِهِ ؛ وَالحَرِيصُ لاَ يُخْرِجُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يُحْوِجَهُ إِلَى كِسْرَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ ، وَلاَ يَجِدُ مَسَاغاً ، وَالْمُخْتَالُ لاَ يُخْرِجُهُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يُمَرِّغَهُ اللَّهُ بِبَوْلِهِ وَقَذَرِهِ ؛ وَقِيلَ : مَنْ تَكَبَّرَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، أَوْرَثَهُ اللَّهُ ذُلًّا بِحَقٍّ .

وَالرَّابِعَةُ : **النَّـارُ وَالْعَذَابُ في الْعُقْبَى** ، عَلَى مَـا رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ / : « الْكِبْرِياءُ رِدائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي في وَاحِـدٍ مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ نَارَ جَهَنَّمَ »[ب] . [٣٧/ب]

وَالمَعْنَى أَنَّ الْعَـظَمَةَ وَالْكِبْـرِياءَ مِنَ الصِّفَـاتِ التِي تَخْتَصُّ بِي ، وَلاَ تَنْبَغِي لأَحَدٍ غَيْرِي ؛ نما أَنَّ رِدَاءَ الإِنْسَانِ وَإِزَارَهُ يُخْتَصُّ بِهِ ، لاَ يُشَارَكُ فِيهِ ، وَإِنَّ خَصْلَةً تَفَوِّتُكَ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ ، وَفَهْمَ آيَاتِ اللَّهِ تَعالى وَأَحْكامِهِ ، الَّذِي هُوَ أَصْلُ الأَمْرِ كُلِّهِ ثُمَّ تُثْمِرُ لَكَ المَقْتَ مِنَ اللَّهِ سُبحانَهُ ، وَالخِزْيَ فِي الدُّنْيَا ، وَالنَّارَ في الآخِرَةِ ؛ لاَ يَسَعُ العَاقِلَ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ نَفْسِه ، فَلاَ يُصْلِحُهَا بِإِزالَتِهَا بِـالْحَذَرِ وَالتَّحَـرُّزِ وَالاِسْتِعَاذَةِ بِـاللَّهِ عزّ وجـلّ مِنْ ذلِـكَ وَهُـوَ وَلِيُّ الْعِصْمَـةِ وَالتَّوْفِيقِ بِمَنِّهِ ولطفِهِ .

فَهٰذَا بَعْضُ مَا حَضَرْنَا فِي هٰذِهِ الْخِصَالِ الأَرْبَعِ مِنَ الآفَاتِ ، وَحَسْبُ الْعَاقِلِ وَاحِدَة مِنْهَا ، فَضْلاً عَنْ الْكُلِّ ، إِذَا أَهَمَّهُ أَمْرُ قَلْبِـهِ وَحَامَى عَنْ أَمْـرِ دِينِهِ ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ .

(أ) الخيلاء : بضم الخاء وقيل بالكسر ، البطر والزهو، وهو حرام .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٤٨ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ بِهَـذِهِ الْمَنْزِلَـةِ مِنْ آفاتِ هَـذِهِ الْخِصَالِ ، وَلزم التّحفُّظِ مِنْهَا ، فَـلاَ بُدَّ مِنْ مَعْـرِفَةِ حَقِيقَتِهَـا وَحَدِّهَـا ، فَبَيِّـنْ لَنَـا ذَلِكَ لِنَعْرِفَ كَيْفَ الطَّرِيقُ إلى التّحَفُّظِ عَنْهَا .

حقيقة الآفات الأربع

فَاعْلَمْ أنَّ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا كلاماً كَثيراً ، وَقَدْ أَشْبَعْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي كِتَابِي الإِحْيَاءِ[أ] وَالأَسْرَارِ ، وَنَحنُ نَذْكُرُ هَا هنا ما لا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهِ، وَلاَ يَقَعُ الْغِنَى عَنْهُ ، فَنَقُولُ وَبِاللّهِ التّوفِيقُ :

حقيقة الأمل

١ ـ **أَمَّا الأَمَلُ** فَقَالَ أَكْثَرُ عُلَمَائِنَا رَحِمَهُمُ اللّهُ : إِنَّهُ إِرَادَةُ الْحَيَاةِ لِلْوَقْتِ الْمُتَرَاخِي بالحُكْمِ ، **وَقِصَرُ الأَمل** تَرْكُ الْحُكْمِ فِيهِ بِأَنْ تُقَيِّدَهُ ، بِـالاسْتِثْنَاءِ بِمَشِيئَةِ اللّهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ فِي الذِّكْرِ ، أَوْ بِشَرْطِ الصَّلاَحِ فِي الإِرَادَةِ ، فَإِذَنْ إِنْ ذَكَـرْتَ حَيَاتَـكَ بِأَنِّي أَعِيشُ بَعْـد نَفَسٍ ثَانٍ أَوْ سَـاعَةٍ ثَـانِيَةٍ أَوْ يَـوْمٍ ثَانٍ بِـالْحُكْمِ وَالْقَطْعِ ، فَـأَنْتَ آمِلٌ ، وَذَلِـكَ مِنْكَ مَعْصِيَـةٌ ، إِذْ هُوَ حُكْمٌ عَلَى الْغَيْبِ ، فَإِنْ قَيَّدْتَهُ بِالْمَشِيئَةِ وَالْعِلْمِ مِنَ اللّهِ تَعَالَى ، فَتقول : أَعِيشُ إِنْ شَاءَ اللّهُ ، أَوْ إِنْ عَلِمَ اللّهُ أَنْ أَعِيشَ ، فَـقَـدْ خَـرَجْتَ عَـنْ حُكْـمِ الأَمَـلِ ، (وَوُصِفْتَ بِتَرْكِ الأَمَلِ)[١] ، وَكَذَلِكَ إِنْ أَرَدْتَ حَيَاتَك لِلْوَقْتِ الثَّانِي قَطْعاً فَأَنْتَ آمِلٌ ، وَإِنْ قَيَّدتَ إِرَادَتَكَ بِشَرْطِ الصَّلاَحِ خَرَجْتَ عَنْ حُكْمِ الأَمَلِ وَوُصِفْتَ بِقِصَرِ الأَمَلِ ، مِنْ حَيْثُ تَرَكْتَ الحُكْمَ فِيهِ ، فَعَلَيْكَ بِتَرْكِ الْحُكْمِ فِي ذِكْـرِ الْبَقَاءِ وَإِرَادَتِـهِ ، وَالْمُرَادُ بِـالذِّكْـرِ ذِكْـرُ الْقَلْبِ ، ثُمَّ الْمُـرَادُ مِنْـهُ ، التّوْطِينُ عَلَى ذلِكَ ، وَالتّثْبِيتُ / لِلْقَلْبِ عَلَيْهِ ، فَافْهَمْ ذَلِكَ رَاشِداً إِنْ شَـاءَ اللّهُ تَعَالَى . [٣٨/أ]

ثُمَّ الأَمَلُ ضَرْبَان : أَمَلُ الْعَامَّةِ وَأَمَلُ الخَاصَّةِ ؛

(أ) يعني كتاب إحياء علوم الدين وكتاب أسرار المعاملات .

فَأَمَلُ الْعَامَّةِ أَنْ تُرِيدَ الْحَيَاةَ وَالْبَقَاءَ لِجمعِ الدُّنْيَا وَالتَّمَتُّعِ بِهَا ، وَهٰذِهِ مَعْصِيَةٌ مَحْضَةٌ ، وَضِدُّهَا قِصَرُ الأَمَلِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٣]

وَأَملَ الخَاصّةُ أَنْ تُرِيدَ الْبَقَاءَ لإتمَامِ عَمَلِ خَيْرٍ فيهِ خَطَرٌ، وَهُوَ مَا لاَ يَسْتَيْقِنُ الصّلاَحَ لَهُ فِيهِ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ خَيْرَ مُعِينٍ ، لاَ يَكُونُ لِلْعَبْدِ فِيهِ أَوْ في إتمَامِهِ صَلاَحٌ ، بِأَنْ يَقَعَ بِسَبَبِهِ في آفَةٍ لاَ يَقُومُ بِهَا هٰذَا الْخَيْرُ ؛ فَإِذَنْ لَيْسَ لِلْعَبْدِ إِذَا ابْتَدَأَ في صَلاَةٍ أَوْ صَوْمٍ أو غَيْرِهِ أَنْ يَحْكُمَ بِأَنَّهُ يُتِمَّهُ إِذْ هُوَ غَيْبٌ ، وَلاَ أَنْ يَقْصِدَ ذٰلِكَ قَطْعاً ، لأَنَّهُ رُبَّمَا لاَ يَكُونُ لَهُ فِيهِ صَلاَحٌ ، بَلْ يُقَيِّدُ ذٰلِكَ بِالاسْتِثْنَاءِ وشَرْطِ الصّلاَحِ ، لِيَخْلُصَ مِنْ عَيْبِ الأمَلِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبيِّهِ ﷺ : ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ ، إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً إلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الكهف : ٢٣] .

وَضِدُّ هٰذَا الأَمَلِ فِيما قَالَه الْعُلَمَاءُ النِّيَّةُ، وَإِنَّمَا قَالُوا ذٰلِكَ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ الاتّسَاعِ ، لأَنَّ النَّاوِيَ بِالنّيّةِ المَحْمُودَةِ يَكُونُ مُمْتَنِعاً مِنَ الأَمَلِ ، فَهٰذَا حُكْمُ الأَمَلِ ، وَالنِيَّةُ المَحْمُودَةُ ، إِذْ قَدْ مَسَّتِ الْحَاجَةُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا مَعَ أَنَّها الأَصْلُ الأَصِيلُ ؛ قَالُوا رَحِمَهُم اللَّهُ في حِدِّهَا الْجَامِعِ التّامِّ :

تعريف النيّة الصحيحة

إِنّ النيَّةَ الصَّحِيحَةَ المَحْمُودَةَ إِرَادَةُ أَخْذِ عَمَلٍ مُبْتَدَإٍ بِهِ قَبْلَ سَائِرِ الأَعْمَالِ بِالْحكْمِ ، مَعَ إِرَادَةِ إِتمَامِهِ بِالتّفْوِيضِ وَالاسْتِثْنَاءِ[أ] .

فَإِنْ قِيلَ : فَلم جَازَ الْحُكْم في الإبْتِدَاءِ وَوَجَبَ التَّفْوِيضُ وَالاسْتِثْنَاءُ في الإتمَامِ ؟ يُقَالُ لَهُ : لفقْدِ الْخطَرِ في الابْتِدَاءِ ، إِذْ هُوَ في حَالِ الإبْتِدَاءِ

(أ) أي إرادة إتمام عمل ، مع تفويض ذلك إلى الله تعالى وإلى مشيئته .

لَيْسَ بِشَيءٍ مُتَرَاخٍ عَنْكَ ، وَلِثُبُوتِ الْخَطَرِ في الإتْمَامِ ، إذْ هُوَ يَقَعُ في وَقْتٍ مُتَرَاخٍ ؛ فَفِيهِ الْخَطَرَانِ : خَطَرُ الْوُصُولِ ، لاَ تَدْرِي هَلْ تَصِلُ إِلَى ذَٰلِكَ أَمْ لاَ ، وَخَطَرُ الْفَسَادِ ، لاَ تَدْرِي هَلْ في ذٰلِكَ صَلاَحٌ أَمْ لاَ ؛ فَإذَا وَجَبَ الاِسْتِثْنَاءُ لِخَطَرِ الْوُصُولِ ، وَالتَّفْوِيضُ لِخَطَرِ الْفَسَادِ ، فَإذَا حَصَلَتِ الإِرَادَةُ عَلَى هٰذِهِ الشُّرُوطِ ، تَكُونُ حِينَئِذٍ نِيَّةً مَحْمُودَةً ، مخْرجَةً عَنْ حَدِّ الأَمَلِ وَآفَتِهِ ، فَتَأَمَّلْ جِدّاً ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

[٣٨/ب] وَٱعْلَمْ أَنَّ حِصْنَ قِصَرِ الأَمْلِ ذِكْرُ المَوتِ ، وَحِصْنَ / حِصْنِهِ ذِكْرُ فَجْأَةِ المَوتِ وَأَخْذُهُ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ ، وَهُوَ في غُرُورٍ وَفُتُورٍ ، فَاحْتَفِظْ بِهٰذِهِ الجُمْلَةِ ، وَحَصِّلْهَا مُوَفَّقاً ، فَإنَّ الحَاجَةَ إلَيْهَا مَاسَّةٌ ، وَدَعْ عَنْكَ تَضْيِيعَ الْوَقْتِ في الْقِيلِ وَالْقَالِ وَمُلاَحَاةِ الرِّجَالِ ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ بِفَضْلِهِ .

حقيقة الحسد

٢ ـ **وَأَمَّا الْحَسَدُ**: فَهُوَ إرَادةُ زَوَالِ نِعَمِ اللَّهِ عَنْ أَخِيكَ المُسْلِمِ مِمَّا لَهُ فِيهِ صَلاَحٌ ؛ فَإنْ لَمْ تُرِدْ زَوَالَهَا عَنْهُ ، وَلٰكِنْ تُرِيدُ لِنَفْسِكَ مِثْلَهَا فَهُوَ غِبْطَةٌ . وَعَلى هٰذَا يُحْمَلُ قَوْلُهُ ﷺ : « لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ »[أ] . (كَمَا جَاءَ في)[١] الْخَبَرِ : أيْ لاَ غِبْطَةَ إلاَّ في ذٰلِكَ ؛ فَعَبَّرَ عَنِ الْغِبْطَةِ بِالْحَسَدِ اتِّسَاعاً لِمُقَارَبَتِهِمَا ، فَإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا صَلاَحٌ ، فَأَرَدْتَ زَوَالَهَا عَنْهُ ، فَذٰلِكَ غَيرَةٌ[ب] ، فَهٰذَا (هُوَ)[٢] الْفَرْقُ بَيْنَ هٰذِهِ الْخِصَالِ .

النصيحة

وَأَمَّا ضِدُّ الْحَسَدِ فالنصِيحَةُ : وَهِيَ إرَادَةُ بَقَاءِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَخِيكَ المُسْلِمُ ، مِمَّا لَهُ فِيهَا صَلاَحٌ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٤٩

(ب) الغيرة هنا تعني أن يغار المسلم على اخيه وعلى مصالحه ، فيحفظ له دينه أو ماله أو صحته ، بطلب زوال ما ليس له فيه صلاح .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ نَعْلَم أَنَّ لَهُ فِيهَا صَلَاحاً أَوْ فَسَاداً لِنَنْصَحَهُ أَوْ نَحْسُدَهُ ؟

فاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لَنَا غَالِبُ الظَّنِّ بذلِكَ ، وَغَلبةُ الظَّنِّ مِنَّا تَجْرِي مَجْرَى الْعِلْمِ في هذِهِ المَوَاضِعِ ؛ ثُمَّ إِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْكَ ، فَلاَ تُرِيدَنَّ زَوَالَ نِعْمَةٍ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ بَقَاءَهَا ، إِلَّا مُقَيَّداً بِالتَّفْوِيضِ وَشَرْطِ الصَّلَاحِ ، لِتَخْلُصَ مِنْ حُكْمِ الحَسَدِ ، وَيَحْصُلَ لَكَ فَائِدَةُ النَّصِيحَةِ .

ما يمنع الحسد

وَأَمَّا حِصْنُ النَّصِيحَةِ المَانِعِ مِنَ الْحَسَدِ ، فَهُوَ ذِكْرُ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مُوَالَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَحِصْنُ هٰذَا الْحِصْنِ ، ذِكْرُ مَا عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ وَرَفَعَ مِنْ قَدْرِهِ، وَمَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْكَرَامَاتِ الْعَظِيمَةِ في الْعُقْبَى ، وَمَا لَكَ فِيهِ مِنَ الفَوَائِدِ الْجَلِيلَةِ في الدُّنْيَا مِنَ التَّعَاوُنِ وَالتَّظَاهُرِ وَالْجَمَاعَاتِ وَالْجُمُعَاتِ، ثُمَّ مَا تَرْجُو مِن شَفَاعَتِهِ فِي الآخِرَةِ، فَهٰذِهِ وَنَحْوُهَا مِمَّا يَبْعَثُ عَلَى النَّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيُجَنِّبُكَ أَنْ تَحْسُدَهُ في نِعَمةٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ بِفَضْلِهِ .

حقيقة العجلة

٣ ـ **وَأَمَّا الْعَجَلَةُ** فَإِنَّها الْمَعْنَى الرَّاتِبُ فِي الْقَلْبِ ، الْبَاعِثُ عَلى الإِقْدَامِ عَلَى الأَمْرِ بِأَوَّلِ خاطِرٍ ، دُونَ التَّوَقُّفِ فِيهِ وَالاسْتِطْلَاعِ مِنْهُ ، بَلْ الاسْتِعْجَالُ فِي اتِّبَاعِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ . وَضِدُّهَا **الأَنَاةُ** ، وَهُوَ الْمَعْنَى الرَّاتِبُ فِي الْقَلْبِ ، الْبَاعِثُ عَلَى الاِحْتِيَاطِ في الأُمُورِ / وَالنَّظَرِ فِيهَا وَالتَّأَنِّي فِي اتِّبَاعِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا . [٣٩/أ]

وَأَمَّا التَّوَقُّف فضِدُّهِ التَّعَسُّفُ ؛ قَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَقُّف وَالتَّأَنِّي ، أَنَّ التَّوَقُّفَ قَبْل الدُّخُولِ في الأَمْرِ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَهُ رُشْدُهُ، وَالتَّأَنِّي بَعدَ الدُخُونِ فيه ، حَتّى يُؤَدِّي لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ حَقَّهُ .

ثُمَّ مُقدِّمَاتُ الأَنَاةِ ، ذِكْرُ وُجُوهِ الْخَطَرِ في الأُمُورِ الَّتِي تَعْتَرِضُ لِلإِنْسَانِ

وَضُرُوبِ الآفاتِ المُخَوفَةِ فِيهَا ، وَذِكْرُ ما في النَّظَرِ والتَّثَبُّتُ مِنَ السَّلاَمَةِ ، وَمَا في التَّعسُّفِ وَالاِسْتِعْجَالِ مِنَ النَّدَامَةِ وَالمَلاَمَةِ . فَهٰذِهِ وَأَمْثَالُهَا ، مِمَّا يَبْعَثُ عَلَى التَّأَنِّي وَالتَّوَقّفِ فِي الأُمُورِ ، وَيَمْنَعُ مِنَ الاِسْتِعْجَالِ وَالتَّعَسُّفِ ، وَاللَّهُ وَلِيّ الْعِصْمَةِ بِرَحْمَتِهِ .

حقيقة الكبر

٤ ـ **وَأَمَّا الْكِبْرُ** فَاعْلَم أَنَّهُ خَاطِرٌ في رَفْعِ النَّفْسِ وَاسْتِعْظَامِهَا[أ] ، وَالتَّكبُّر اتِّبَاعَهُ ، والتواضعُ خَاطِرٌ في وَضْعِ النَّفْسِ واستحقارها ، وَالتَّواضُعُ اتِّبَاعُهُ[ب] . وَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عامِيٌّ وَخَاصِي ؛

فَالتَّواضُعُ الْعَامِيُّ : هو الاكْتِفَاءُ بِالدُّونِ[١] مِنَ الملْبَسِ وَالمَسْكَنِ وَالمَرْكَبِ ، وَالتَّكَبُّرِ فِي مُقَابلَتِهِ التَّرفُّعُ عَنْ ذٰلِكَ .

وَالتَواضُعُ الْخَاصِيُّ : هُوَ تَمْرِينُ النَّفْسِ عَلَى قُبُولِ الْحَقِّ مِمَّنْ كَانَ وَضِيعاً أَوْ شَرِيفاً ، وَالتَّكبُّر في مُقَابَلَتِهِ التَرَفُّعُ عَنْ ذٰلِكَ ، وَهُوَ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ وَخَطِيئَةٌ عَظِيمَةٌ .

ثُمَّ حِصْنُ التوَاضُعِ الْعَامِيُّ أَنْ تَذْكُرَ مَبْدَأَكَ وَمُنْتَهَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ في الْحَالِ مِنْ ضُرُوبِ الآفاتِ والأَقْذَارِ ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : أَوَّلُكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ قذِرَةٌ ، وَأَنْتَ بَيْنَهُمَا حَامِلُ الْعَذِرَةِ .

وَحِصْنُ التَّوَاضُعِ الْخَاصِيُّ هُوَ ذِكْرُ عُقُوبَةِ الْعَادِلِ عَنِ الْحَقِّ ، المَتَمادِي في الْبَاطِلِ ، فَهٰذِهِ جُمْلَةٌ كَافِيَةٌ لِمَنِ اسْتَبْصَرَ .

(أ) بالنظر إلى الغير بعين الإحتقار والذلّ .

(ب) الفرق بين التواضع والضِعة ، ان التواضع رضا الإنسان بمنزلة دون ما تستحقّه منزلته ، والضَعة وضع الإنسان نفسه بمحلٍ يزرى به .

والفرق بين التواضع والخشوع ، ان التواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة ، والخشوع يعتبر بأفعال الجوارح ، ولذلك قيل : إذا تواضع القلب خشعت الجوارح .

الفصل الخامس : البَطْن وحفْظه

ثُمَّ عَلَيْكَ بِحِفْظِ الْبَطْنِ وَإِصْلَاحِهِ ، فَإِنَّهُ أَشَقُّ الأَعْضَاءِ إِصْلَاحاً عَلَى الْمُجْتَهِدِ ، وأَكْثَرُهَا مُؤنَةً وَشُغْلاً ، وَأَعْظَمُهَا أَثَراً وَضَرَراً لأَنَّهُ الْمَنْبَعُ وَالْمَعْدِنُ ، وَمِنْهُ تَهِيجُ الأُمُورُ في الأَعْضَاءِ ، مِنْ قُوَّةٍ وَضَعْفٍ وَعِفَّةٍ وَجِمَاعٍ وَنَحْوِهِ ؛ فَعَلَيْكَ إِذاً بِصِيَانَتِهِ عَنِ الْحَرَامِ وَالشَّبْهَةِ أَوّلاً ، ثُمَّ عَنْ فُضُولِ الْحَلَالِ ثَانِياً ، إِنْ كَانَتْ لَكَ هِمَّةٌ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

موجبات تجنّب الحرا

أَمَّا الْحَرَامُ وَالشُّبْهَةُ ، فَإِنَّمَا يَلْزَمُكَ لِثَلَاثَةِ أُمُورٍ :

[٣٩/ب]

أَوَّلُهَا : حَذراً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ . قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً ، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ [النساء : ١٠]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ »[أ] .

وَالثَّانِي : أَنَّ آكِلَ الْحَرَامِ وَالشُّبهَةِ مَطْرُودٌ لَا يُوَفَّقُ لِلْعِبَادَةِ ، إِذْ لَا يَصْلُحُ لِخِدْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، إِلَّا كُلُّ طَاهِرٍ مُطَهَّرٍ . قُلْتُ أَنَا : أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ مَنَعَ الْجُنُبَ مِن الدُّخُولِ إِلى بَيْتِهِ ، وَالْمُحْدِثَ عَنْ مَسِّ كِتَابِهِ ؟ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ **وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا** ﴾ [النساء : ٤٣] .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٥٠ .

وقَالَ تَعَالىٰ : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٩] . مَعَ أَنَّ الْجَنَابَةَ وَالْحَدَثَ أَمْرٌ مُبَاحٌ ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ مُنْغَمِسٌ في قَذَرِ الْحَرَامِ ، وَنَجَاسَةِ السُّحْتِ وَالشُّبْهَةِ ، مَتَى يُدْعَى إِلَى خِدْمَةِ ٱللَّهِ الْعَزِيزِ وَذِكْرِهِ الشَّرِيفِ سُبْحَانَهُ ؟ كَلَّا فَلَا يَكُونُ ذٰلِكَ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرازي : « الطَّاعَةُ مَخْزُونَةٌ فِي خَزَائِنِ اللَّهِ ، وَمِفْتَاحُهَا الدُّعَاءُ ، وَأَسْنَانُه الْحَلَالُ » ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمِفْتَاحِ أَسْنَانٌ ، فَلَا يَنْفَتِحُ الْبَابُ ؛ وَإِذَا لَمْ يَنْفَتِحْ بَابُ الْخَزَانَةِ ، كَيْفَ يَصِلُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الطَّاعَةِ ؟

والثَّالِثُ : أَنَّ آكِلَ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ مَحْرُومٌ (مِن فعل الخير)[1] . وَإِنِ اتَّفَقَ لَهُ فِعْلُ خَيْرٍ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ غَيْرُ مَقْبُولٍ مِنْهُ ؛ فَإِذَنْ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا الْعَنَاءُ وَالْكَدُّ وَشَغْلُ الْوَقْتِ . قَالَ النَّبِيّ ﷺ : « كَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ ، وَكَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالظَّمَأُ »[أ] . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : لَا يَقْبَلُ ٱللَّهُ صَلَاةَ امْرِىءٍ وفي جَوْفِهِ حَرَامٌ . فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

آفات فضول الحلال

وَأَمَّا فُضُولُ الْحَلَالِ ، فَإِنَّهُ آفَةُ الْعُبَّادِ وَبَلِيَّةُ أَهْلِ الاجْتِهَادِ ؛ فَإِنِّي تَأَمَّلْتُ فَوَجَدْتُ فِيهِ عَشْرَ آفَات هُنَّ أُصُولٌ فِي هٰذَا الشَّأْنِ :

الأولى : أَنَّ في كَثْرَةِ الأَكْلِ قَسْوَةُ الْقَلْبِ وَذَهَابُ نُورِهِ .

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تُمِيتُوا الْقَلْبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَإِنَّ الْقَلْبَ يَمُوتُ كالزَّرْعِ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ المَاءُ »[ب] وَلَقَدْ شَبَّهَ ذٰلِكَ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٥١ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٥٢ .

بَعْضُ الصَّالِحِينَ بِأَنَّ المَعِدَةَ كَالْقِدْرِ تَحْتَ الْقَلْبِ تَغْلِي ، وَالْبُخَارُ يَرْتَفِعُ إِلَيْهِ ، فَكَثْرَةُ الْبُخَارِ تُكَدِّرُهُ وَتُسَخِّمُهُ .

[٤٠/أ] **والثَّانِيَةُ** : أَنَّ في كَثْرَةِ / الأَكْلِ فِتْنَةَ الأَعْضَاءِ وَهَيْجَهَا وَانْبِعَاثَهَا لِلْفُضُولِ وَالْفَسَادِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ شَبْعَانَ بَطِراً اشْتَهَتْ عَيْنُهُ النَّظَرَ إِلَى مَا لاَ يَعْنِيهِ ، مِنْ حَرَامٍ أَوْ فُضُولٍ ؛ وَالأُذُنُ الاسْتِمَاعَ إِلَيْهِ ، وَاللِّسَانُ التَّكَلُّمَ بِهِ ، وَالْفَرْجُ الشَّهْوَةَ ، وَالرِّجْلُ المَشْيَ إِلَيْهِ ؛ وَإِنْ كَانَ جَائِعاً ، فَتَكُونُ الأَعْضَاءُ كُلُّهَا سَاكِنَةً هَادِئَةً . لاَ تَطْمَحُ إِلَى شَيْءٍ مِنها وَلاَ تَنْشَطُ لَهَا . وَلَقَدْ قَالَ الأُسْتَاذُ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ الْبَطْنَ عُضْوٌ إِنْ جَاعَ هُوَ ، شَبِعَ سَائِرُ الأَعْضَاءِ ، يَعْنِي تَسْكُنُ فَلاَ تُطَالِبُكَ بِشَيْءٍ ، وَإِنْ شَبِعَ هُوَ ، جَاعَ سَائِرُ الأَعْضَاءِ . وَجُمْلَةُ الأَمْرِ ، أَنَّ أَفْعَالَ الرَّجُلِ وَأَقْوَالَهُ ، عَلَى حَسَبِ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، إِنْ دَخَلَ الْحَرَامُ خَرَجَ الحَرَامُ[أ] ، وَإِنْ دَخَلَ الْفُضُولُ خَرَجَ الْفُضُولُ فَكَأَنَّ الطَّعَامَ بَذْرُ الأَفْعَالِ ، وَالأَفْعَالَ نَبْتٌ تَبْدُو مِنْهُ .

وَالثَّالِثَةُ : أَنّ فِي كَثْرَةِ الأَكْلِ قِلَّةَ الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ ، فَإِنَّ الْبِطْنَةَ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ . وَلَقَدْ صَدَقَ الدّارَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ : إِذَا أَرَدْتَ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، فَلاَ تَأْكُلْ حَتَّى تَقْضِيَهَا ، فَإِنَّ الأَكْلَ يُغَيِّرُ الْعَقْلَ ، وَهٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ عَلِمَهُ لِمَنْ اخْتَبَرَهُ .

والرَّابِعَةُ : أَنّ فِي كَثْرَةِ الأَكْلِ قِلَّةَ الْعِبَادَةِ ، فَإِنْ أَكْثَرَ الإِنْسَانُ الأَكْلَ ثَقُلَ بَدَنُهُ ، وَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ ، وَفَتَرَتْ أَعْضَاؤُهُ ؛ فَلاَ يَجِيءُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَإِنِ اجْتَهَدَ ، إِلاَّ النَوْمَ كَالْجِيفَةِ الْمُلْقَاةِ ؛ وَلَقَدْ قِيلَ : إِذَا كُنْتَ بَطِناً فَعُدَّ نَفْسَكَ زمِناً [ب] .

(أ) أي إذا دخل جوفه حرام كانت أعماله وأقوله حراماً بحرام .

(ب) البَطِن : عظيم البطن من كثرة الأكل . والزَّمِن : صاحب المرض المزمن .

ولَقَدْ ذُكِرَ عَنْ يَحْيَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمَ أَنَّ إِبْلِيسَ بَدَا لَهُ وَعَلَيْهِ مَعَالِيقُ فَقَالَ لَهُ يَحْيَىٰ : مَا هذِهِ ؟ فقال : الشَّهَوَاتُ الَّتِي أَصِيدُ بِها بَنِي آدَمَ ؛ قَالَ : هَلْ تَجِدُ لِي فِيهَا شَيْئاً ؟ قَالَ : لاَ ، إلاَّ أَنَّكَ شَبِعْتَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَثَقَّلْنَاكَ عَنِ الصَّلاَةِ ؛ فَقَالَ يَحْيَىٰ عَلَيْهِ السَّلام : لاَ جَرَمَ أَنِّي لاَ أَشْبَعُ بَعْدَهَا أَبَداً . فَقَالَ إِبْلِيسُ : لاَ جَرَمَ أَنِّي لاَ أَنْصَحُ بَعْدَهَا أَحداً أَبداً . فَهـذِهِ فِيمَنْ لَمْ يَشْبَعْ فِي عُمْرِهِ إِلاَّ لَيْلَةً وَاحِدَةً ، فَكَيْفَ بِمَنْ لاَ يَجُوعُ فِي عُمْرِهِ لَيْلَةً واحِدَةً ، ثُمّ يَطْمَعُ فِي الْعِبَادَةِ ؟

وَقَالَ سُفْيَانُ : الْعِبَادَةُ حِرْفَةٌ ، وَحَانُوتُها الْخَلْوَةُ ، وَآلَتُهَا المجَاعَةُ .

[٤٠/ب]

وَالْخَامِسَةُ : أَنَّ فِي كَثْرَةِ الأَكْلِ فَقْدَ حَلاَوَةَ الْعِبَادَةِ . قالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مَا شَبِعْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ لأَجِدَ حَلاَوَةَ عِبَادَةِ / رَبِّي ، وَمَا رَوِيتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ اشْتِيَاقاً إِلَى لِقَاءِ رَبِّي ». وَهٰذِهِ صِفَاتُ المُكَاشِفِينَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُكَاشَفاً ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ النَّبِيّ ﷺ بِقَوْلِهِ :

« مَا فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِفَضْلِ صَوْمٍ أَو صَلاَةٍ ، وَإِنَّما هُوَ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ »(أ) وَقال الدّرَانِيُّ : أَحْلَى مَا تَكُونُ العِبَادَةُ إِذَا الْتَزَقَ بَطْنِي بِظَهْرِي .

وَالسَّادِسَةُ : أَنَّ فِيهِ خَطَرَ الْوُقوعِ فِي الشُّبْهَةِ وَالْحَرَامِ ؛ لأَنَّ الْحَلاَلَ لاَ يَأْتِيكَ إِلاَّ قُوتاً ؛ وَلَقَدْ رَوَيْنَا عَنِ النَّبِيّ ﷺ :

« الْحَلاَلَ لاَ يَأْتِيكَ إِلاَّ قُوتاً ، وَالْحَرَامَ يَأْتِيكَ جُزَفاً جُزفاً »(ب) .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٥٣ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٥٤ . وجزفاً أي بكثرة دون تحديد .

والسَّـابِعَةُ : أَنَّ فِيـهِ شَغْلَ الْقَلْبِ وَالْبَـدَنِ ، بِتَحْصِيلِهِ أَوَّلاً ، وَبِتَهْيِئَتِهِ ثَانِياً ، ثُمَّ بِأَكْلِهِ ثَالِثاً ، ثُمَّ بِإِفْرَاغِهِ وَالتَّخَلُّصِ عَنْهُ رَابِعاً ، ثُمَّ بِـالسَّلاَمَـةِ مِنْهُ خَامِساً ، بِأَنْ تَبْدُوَ مِنْهُ آفَةٌ فِي الْبَدَنِ بَلْ آفاتٌ وَعِلَلٌ . وَلَقَدْ قَالَ ﷺ : « أَصْلُ كُـلِّ دَاءٍ الْبَـرَدَةُ ، يَعْنِي التُّخمَـةَ ، وَأَصْـلُ كُـلِّ دواء الأَزْمَـةُ ، يَعْـنِي الْحِمْيَةَ »[أ] .

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينارٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : يَا هٰؤُلاَءِ لَقَدِ اخْتَلَفْتُ إِلَى الْخلاَءِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي (بِسَبَبِ كَثْرَةِ الأَكْلِ ، فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقِي فِي حَصَاةٍ أَمَصُّهَا حَتَّى أَمُوتَ)[١] .

ثُمَّ لاَ بُدَّ فِي هَـٰذِهِ الْجُمْلَةِ[ب] مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا وَالطَمَعِ فِي النَّاسِ ، وَتَضْيِيعِ الْوَقْتِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الأَكْلِ (مَا لَمْ يَخْفِ)[٢] .

والثَّامِنَةُ : مَا يَنَالُهُ مِنْ أُمُورِ الآخِرَةِ وَشِدَّةِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ؛ رُوِيَ فِي الأَخْبَارِ « إِنَّ شِدَّةَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ عَلَى قَدْرِ لَذَّاتِ الْحَيَاةِ » فَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ هٰذِهِ أَكْثَرَ لَهُ مِنْ تِلْكَ .

وَالتَّاسِعَةُ : نُقْصَانُ الثَّوَابِ فِي الْعُقْبَى ، قَـالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ، فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِـرُونَ فِي الأَرْضِ بِـغَيْـرِ الْـحَقِّ وَبِـمَـا كُنْـتُمْ تَـفْسُـقُـونَ** ﴾ [الأحقاف : ٢٠] فَإِنَّهُ بِقَدْرِ مَا تَأْخُذُ مِنْ لَذَّاتِ الدُّنْيا يَنْقُصُ لَكَ مِنْ لَذَّاتِ الآخِرَةِ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٥٥ .

(ب) أي لتحقيق ما سبق من تحصيل الطعام وتهيئته

ولِهَـٰذَا الْمَعْنَى رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا عَرَضَ الدُّنْيَا عَلَى نَبِيِّنَا ﷺ قالَ لَهُ : « وَلاَ أَنْقُصُ مِنْ آخِرَتِكَ شَيْئاً »(أ) خَصَّهُ بِذٰلِكَ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِغَيْـرِهِ النُّقْصَانَ ، إِلَّا أَنْ يَتَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِذٰلِكَ .

وَلَقَدْ رُوِيَ أَنَّ خَالِـدَ بْنَ الْوَلِيـدِ أَضَافَ عُمَـرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَهَيَّأَ لَهُ طَعَاماً ، فَقَالَ عُمَـرُ : هٰذَا لَنَـا ، فَمَا لِلْفُقَـرَاءِ الْمُهَاجِـرِينَ الَّـذِينَ مَاتُـوا وَلَمْ يَشْبَعُوا مِنْ خُبْـزِ شَعِيرٍ ؟ قَـالَ خَالِـدٌ : لَهُمُ الْجَنَّةُ يَـا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عُمَرُ : لَئِنْ فَازُوا بِالْجَنةِ ، وَكَانَ / هذا حَظُّنَا مِنَ الدُّنْيَـا ، فَقَدْ بَانُوا مِنَّا بَوْناً عَظِيماً »(ب) . [٤١/أ]

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَطِشَ يَوْماً ، فَدَعَـا بِمَاءٍ ، فَـأَعْطَاهُ رَجُلٌ إِدَاوَةً فِيهَا مَاءٌ نُبِذَ فِيهِ تَمَرَاتٌ(ج) ، فَلَمَّا قَرَّبَهَا عُمَرُ مِنْ فِيهِ ، وَجَدَ الْمَاءَ بَارِداً حُلْواً ، فَأَمْسَكَ وَقَالَ : أَوَّهْ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ مَا أَلَوْتُهُ(د) حَلاَوَةً يَا أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عُمَـرُ : ذٰلِكَ الَّـذِي مَنَعَنِي مِنْهُ(هـ)، وَيْحَـكَ ، لَـوْلاَ الآخِرَةُ لَشَارَكْنَاكُمْ فِي عَيْشِكُمْ .

والْعَـاشِرَةُ : الْحَبْسُ وَالْحِسَـابُ وَاللَّوْمُ وَالتَّعْيِـيرُ فِي تَـرْكِ الأَدَبِ فِي أَخْذِ الفُضُولِ(و) وَطَلَبِ الشَّهَوَاتِ ، فَإِنَّ « الدُّنْيَا حَلاَلُها حِسَابٌ ، وَحَرَامُها عِقابٌ ، وَزِينَتُها إِلَى تبابٍ »(ز) .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٥٦ .

(ب) بوناً : أي بُعداً وفراقاً .

(ج) نُبذ فيه تمرات : أي وضع فيه تمرات حتى يصبح الماء حلواً .

(د) ما أَلَوْتُه حلاوة : أي ما قصّرت في تحليته .

(هـ) أي امتنعت عن شربه لكونه حلواً .

(و) أي فضول الحلال .

(ز) تباب : خسران وهلاك . راجع تخريج الحديث رقم ٥٧ .

فَهٰذِهِ جُمْلَةُ الْعَشَرَةِ وَفِي إِحْدَاهَا كِفَايَةٌ لِمَنْ نَظَرَ لِنَفْسِهِ ؛ فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُجْتَهِدُ بِالاحْتِيَاطِ الْبَالِغِ فِي الْقُوتِ كَيْ لَا تَقَعَ فِي حَرَامٍ أَوْ شُبْهَةٍ فَيَلْزَمُكَ الْعَذَابُ ، ثُمَّ بِالاقْتِصَارِ مِنَ الْحَلَالِ عَلَى مَا يَكُونُ عُدَّةً عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعالَى ، فَلَا تَقَعْ فِي شَرٍّ ، فَتَبْقَى فِي الْحَبْسِ والْحِسَابِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ التَّوْفِيقِ سُبْحَانَهُ .

فَإِنْ قُلْتَ: فَبَيِّنْ لَنا أَوَّلاً حُكْمَ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ وَحَدَّهُمَا: فَأَقُولُ لَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَشْبَعْنَا فِيهِ في «أَسْرَارِ مُعَامَلاتِ الدِّينِ»، وَذَكَرْنَا لَهُ كِتاباً مُفْرداً فِي كُتُبِ « الإِحْيَاءِ »، لٰكِنَّا نُشِيرُ إِلَى كَلِمَاتٍ مُفْرَدَةٍ بِحَيْثُ تَصِلُ إِلَى فَهْمِ الضَّعِيفِ المُبْتَدِي ، إِذْ مَقْصُودُ هٰذَا الْكِتابِ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ الْمُبْتَدِي فِي الْعِبَادَةِ ، وَيُعِينُ الطَّالِبَ .

الحرام والشبهة

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : مَا تَيَقَّنْتُ كَوْنَهُ مِلْكاً لِلْغَيْرِ ، مَنْهِيًّا عَنْهُ فِي الشَّرْعِ ، فَهُوَ حَرَامٌ مَحْضٌ ؛ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ يَقِينٌ بِذٰلِكَ ، وَلٰكِنْ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّكَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ ، فَهُوَ شُبْهَةٌ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الْحَرَامُ المَحْضُ مَا يَكُونُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ غَالِبُ ظَنٍّ ، لِأَنَّ غَلَبَةَ الظَّنِّ[1] مِنَّا تَجْرِي مَجْرَى الْعِلْمِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْكَامِ ؛ فَأَمَّا إِذَا تَسَاوَتِ الأَمَارَتَانِ ، حَتَّى تَبْقَى شَاكًّا لَا يَكُونُ لِأَحَدِهِمَا تَرْجِيحٌ عِنْدَكَ ، فَذٰلِكَ شُبْهَةٌ ، يُشْبِهُ أَنَّهُ حَلالٌ وَيُشْبِهُ أَنَّهُ حَرَامٌ ، فَاشْتَبَهَ أَمْرُهُ عَلَيْكَ وَالْتَبَسَ حَالُهُ .

ثُمَّ الامْتِنَاعُ عَنِ الَّذِي هُوَ حَرَامٌ مَحْضٌ حَتْمٌ وَاجِبٌ ، وَعَنِ الَّذِي هُوَ شُبْهَةٌ تَقْوًى وَوَرَعٌ ، وَهٰذَا أَوْلَى الْقَوْلَيْنِ عِنْدَنَا .

[٤١/ب] فَإِنْ قِيلَ : فَما تَقُولُ فِي قَبُولِ / جَوَائِزِ السَّلَاطِينِ[2] فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؟

حكم جوائز السلاطين

فاعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ، فقَالَ قَوْمٌ : كُلُّ مَا لاَ يُتَيَقَّنُ أَنَّهُ حَرَامٌ فَلَهُ أَخْذُهُ .

وَقَالَ آخَرُونَ : لاَ يَحِلُّ أَنْ يَأْخُذَ مَا لا يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ حَلاَلٌ ، لأَنّ الأَغْلَبَ[1] فِي هَذَا الْعَصْرِ عَلَى أَمْوَالِ السَّلاَطِينِ الْحَرَامُ ، وَالحَلاَلُ فِي أَيْدِيهِمْ مَعْدُومٌ عَزِيزٌ .

وقَالَ قَوْمٌ : إنّ صِلاَتِ السّلاطِينِ تَحِلُّ لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ أَنَّها حَرَامٌ ، وإِنَّمَا التَّبِعَةُ عَلَى المُعْطِي . قَالُوا : لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبِلَ هَدِيَّةَ المُقَوقِسِ مَلِكِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَاسْتَقْرَضَ مِنَ الْيَهُودِ مَعَ قَوْلِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ : ﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة : ٤٢] .

قالوا : وَقَدْ أَدْرَكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَيَّامَ الظَّلَمَةِ وَأَخَذُوا مِنْهُمْ ، فَمِنْهُمْ أَبو هُرَيْرَةَ ، وَابْنُ عَبّاسٍ ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَغَيْرُهُمْ .

وَقَالَ آخَرُونَ : لا يَحِلُّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْءٌ لاَ لِغَنِيٍ وَلاَ لِفَقِيرٍ ، إِذْ هُمْ مَوْسُومُونَ بِالظُّلْمِ ، والْغَالِبُ مِن حَالِهِم السُّحْتُ وَالْحَرَامُ ، وَالْحُكْمُ لِلْغَالِبِ ، فَيَلْزَمُ الاجْتِنَابُ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَا لاَ يُتَيَقّنُ أَنَّهُ حَرَامٌ فَهُوَ حَلاَلٌ لِلْفَقِيرِ دُونَ الْغَنِيِّ ، إلاَّ أَنْ يَعْلَمَ الْفَقِيرُ أَنَّ ذٰلِكَ عَيْنُ الْغَصْبِ ، فَلَيْسَ لَهُ أن يَأْخُذَهُ إلاَّ لِيَرُدَّهُ عَلَى مَالِكِهِ . وَلاَ حَرَجَ عَلى الْفَقِيرِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِ السَّلاَطِينِ ، لأَنَّهَا إنْ كَانَتْ مِلْكَ السُّلْطَانِ فَأَعْطَى الْفَقِيرَ فَلَهُ أَخْذُهُ بِلاَ رَيْبٍ ؛ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ فَيْءٍ أَوْ خِرَاجٍ أَو عُشْرٍ ، فَللفَقِيرِ فِيهِ حَقٌّ ، وَكَذٰلِكَ لأَهْلِ الْعِلْمِ ؛ قالَ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ دَخَلَ الإِسْلاَمَ طَائِعاً وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ظَاهِراً، فَلَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ كُلَّ سَنَةٍ مَائَتَا دِرْهَمٍ وَرُوِي مَائتَا [2] دِينَارٍ ، إنْ لَمْ

يَأْخُذْهَا فِي الدُّنْيَا أَخذَهَا فِي الآخِرَةِ » . وَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ فَالْفَقِيرُ وَالْعَالِمُ يَأْخُذَانِ مِنْ حَقِّهِمَا .

قَالُوا : وَإِذَا كَانَ المَالُ مُخْتَلِطاً بِمالٍ مَغْصُوبٍ وَلاَ يمكِنُ تَمييزُهُ ، أَوْ غَصْباً لاَ يُمْكِنُ رَدُّه عَلَى صَاحِبِه وَذُرِّيَتِهِ ، فَلاَ مَخْلَصَ لِلسُّلْطَانِ مِنْهُ إِلاَّ بِأَنْ يَتصدَّقَ بِهِ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَأْمُرَهُ بِالصَّدَقَةِ عَلَى الْفَقِيرِ وَيَنْهىَ الْفَقِيرَ عَنْ قُبُولِهَا ، أَوْ يَأْذَن لِلْفَقِيرِ فِي الْقُبُولِ وَهُو عَلَيْهِ حَرَامٌ ، فَأَذِنَ للفَقِيرِ أَنْ يَأْخُذَ ، إِلاَّ عَيْنَ الْغَصْبِ وَالْحَرَامِ ، فَلَيْسَ لَهُ أَخْذُهُ . وَهٰذِهِ المَسَائِلُ لاَ يمكِنُ الْفَتْوَى فِيهَا إِلاَّ بِبسْطٍ وَتَشْقِيقٍ ، وَاسْتِيعَابُ الْقَوْلِ فِيهَا يُخْرِجُ عَنِ المَقْصُودِ مِنَ الْكِتابِ / فَإِنْ أَرَدْتَ مَعْرِفَتَهَا فَطَالِعْ كِتَابَ الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ مِنْ كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » تَجِدْهُ مَشْرُوحاً مُبَيَّناً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . [٤٢/أ]

[صـ]لات أهل [ا]لسوق

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا تَقُولُ فِي صِلاَتِ أَهْلِ السُّوقِ وَغَيْرِهِمْ ، هَلْ يَلزَمُ رَدُّهَا وَالْبَحْثُ عَنْهَا وَقَدْ عَلِمْتَ مُجازَفَتَهُمْ ، وَقِلَّةَ نَظَرِهِمْ فِي مُعَامِلاَتِهِم وَكَذٰلِكَ صِلاَتُ الإِخْوَانِ ؟

فالجواب أَنَّهُ إِذَا كَانَ ظَاهِرُ الإِنْسَانِ الصَّلاحَ والسَّتْرَ، فَلا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي قُبُولِ صِلَتِهِ وَصَدَقَتِهِ، وَلاَ يَلْزَمُ الْبَحْثُ بِأَنْ تَقُولَ قَدْ فَسَدَ الزَّمَانُ، فَإِنَّ هٰذَا سُوءُ ظَنٍّ بِذٰلِكَ الرَّجُلِ المُسْلِمِ ، بَلْ حُسْنُ الظَّنِّ بِالمُسْلِمينَ مَأْمُورٌ بِهِ.

ثُمَّ اعْلَمْ مَا هُوَ الأَصْلُ في هٰذَا الْبَابِ ، وَهُوَ أَنَّ هٰهُنَا شَيْئَيْنِ : **أَحَدُهُمَا** حُكْمُ الشَّرْعِ وَظَاهِرُهُ ؛ **وَالثَّاني** حُكْمُ الْوَرَعِ وَحَقُّهُ .

حكم الشرع وحكم الورع

فَحُكْمُ الشَّرْعِ أَنْ تَأْخُذَ مَا أَتَاكَ مِمَّنْ ظَاهِرُهُ صَلاَحٌ ، وَلاَ تَسْأَلْ إِلاَّ أَنْ تَتَيَّقَنَ أَنَّهُ غَصْبٌ أَوْ حَرَامٌ بِعَيْنِهِ .

وَحُكْمُ الْوَرَعِ أَنْ لاَ تَأْخُذَ شَيْئاً مِنْ أَحَدٍ حَتَّى تَبحَثَ عَنْهُ غَايَةَ الْبَحْثِ

وَتَسْتَقْصِي عَلَيهِ غَايـةَ الاِسْتِقْصَاءِ ، فَتَسْتَيْقِنَ أَنَّـهُ لاَ شُبْهَةَ فِيـهِ بِحَالٍ ، وَإِلاَّ فَتَردَّهُ .

فَلَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ غُلاَماً لَهُ أَتَاهُ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ ، فَقَالَ الْغُلاَمُ : كُنْتُ إِذَا جِئْتُـكَ بِشَيءٍ تَسْأَلُنِي عَنْـهُ وَلَمْ تَسْأَلْنِي عَنْ هٰذَا اللَّبَنِ ؟ فَقَالَ : وَمَا قِصَّتُهُ ؟ قَالَ : رَقَيْتُ قَوْماً رقى الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْـطَوْنِي هٰذَا ، فَتَقَيَّأَ أَبُو بَكْرٍ وَقَـالَ : اللَّهُمَّ هٰذِهِ مَقْـدِرَتِي ، فَمَا بَقِـيَ فِي الْعُـرُوقِ فَأَنْت حَسْبُهُ ، فَهٰذَا يَدُلُّكَ عَلَى وُجُوبِ الْبَحْثِ عَمّا تَقْدُمُ عَلَيْهِ ، إِنْ كَانَ لَكَ نَظَرٌ فِي الْوَرَعِ وَحَقِّهِ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَكَانَّ الْوَرَعَ يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَحُكْمَهُ .

فَاعْلَمْ أَنَّ الشَّرْعَ مَوْضُوعٌ عَلَى الْيُسْرِ وَالسَّمَاحَةِ ، وَلِذٰلِـكَ قَالَ ﷺ : « بُعِثْتُ بِالْحنِيفيَّةِ السَّمْحَةِ »[أ] وَالْوَرَعُ مَوْضُوعٌ عَلَى التَّشْـدِيدِ وَالاِحْتِيـاطِ ، كما قِيلَ : الأَمْرُ عَلَى الْمُتَّقين أَضْيَقُ مِنْ عَقْدِ التِّسْعِينَ .

ثُمَّ الْـوَرَعُ مِنَ الشَّرْعِ أَيْضـاً ، فكِلاَهُمَـا فِي الأَصْلِ وَاحِـدٌ ، وَلٰكِنْ لِلشَّرعِ حُكْمَانِ : **حُكْمُ الْجِوَازِ** ، **وَحُكْمُ** الأَفْضَلِ وَالأَحْوَطِ ؛ وَالجَائِزُ لَهُ : حُكْمُ الشَّـرْعِ ، وَالأَفْضَلُ الأَحْـوَطُ يُقَـالُ لَـهُ : حُكْمُ الْـوَرَعِ ، فَهُمَـا مَـعَ تَمَيُّزِهِمَا وَاحِدٌ في الأَصْلِ ، فَافْهَمْ ذٰلِكَ رَاشِداً .

فَإِنْ قُلْتَ : إِذَا جَازَ الْبَحْثُ وَالاِسْتِقْصَاءُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَسَدَ عَلَيْنَا مَـا نَأْخُذُهُ في هٰذَا الزَّمَانِ ، وَتَعَذَّرَ الأَمْرُ / بِمَرَّةٍ عَلَى صَاحِبِ الوَرَعِ ، إِذْ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ بَلاَغٍ يُبَلِّغُهُ إِلَى الطَّاعَةِ . [٤٢/ب]

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (٥٨) .

فاعْلَمْ أَنَّ طَرِيقَ الْوَرَعِ شَدِيدٌ ، وَأَنَّ مَنْ قَصَدَ سُلُوكَهُ فشرطه أَنْ يُوطِّنَ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ عَلَى احْتِمَالِ الشِّدَّةِ وَإِلاَّ فَلاَ يَتِمُّ لَهُ ذٰلِكَ ؛ وَلِهٰذَا المَعْنَى صَارَ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ وَالسَّابِقُونَ إِلَى جَبَلِ لُبْنَانَ وَغَيْرِهِ ، فَاقْتَصَرُوا عَلَى أَكْلِ الْحَشِيشِ وَثَمَرَاتٍ تَافِهَةٍ لاَ شُبْهَةَ فِيهَا بِحَالٍ ، فَمَنْ سَمَتْ هِمَّتُهُ إِلَى نَيْلِ مَنْزِلَةِ الْوَرَعِ الأَعْلَى ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَحْتَمِلَ الشَّدَائِدَ وَيَصْبِرَ عَلَيْهَا ، وَيَسْلُكَ طَرِيقَ أُولئِكَ ، لِيَنَالَ مَنْزِلَتَهُمْ ؛ وَأَمَّا إِنْ أَقَامَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَكَلَ مِمَّا يَتَنَاوَلُونَهُ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَلْيَكُنْ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ المَيْتَةِ لاَ يَقْدُمُ عَلَيْهَا إِلاَّ عِنْدَ الضَّرُورَةِ ، ثُمَّ لاَ يَتَنَاوَلُ مِنْها إِلاَّ مِقْدَارِ مَا يُبَلِّغُهُ إِلى الطَّاعَةِ ، فَيَكُونُ لَهُ عُذْرٌ في ذٰلِكَ ، وَلاَ يَضُرُّهُ إِنَ كَانَ فِي أَصْلِهِ شُبْهَةٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْلَى بِالْعُذْرِ ؛ وَلِهٰذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رضي اللَّهُ عَنْهُ : فَسَدَ السُّوقُ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُوتِ[أ] .

وَلَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ وَهْبِ بْنِ الْوَرْدِ أَنَّهُ كَانَ يُجَوِّعُ نَفْسَهُ يَوْماً وَيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً ، ثُمَّ يَأْخُذُ رَغِيفاً وَيَقُولُ : اللّهُمَّ إِنكَ تَعْلَمُ أَنِّي لاَ أَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ وَأَخْشَى الضَّعْفَ وَالأَلمِ إِن لَمْ آكلهُ ، اللّهُمَّ إِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ خَبَثٍ أَوْ حَرَامٍ فَلاَ تُؤَاخِذْنِي بِهِ ، ثُمَّ يَبُلُّ الرَّغِيفَ فِي المَاءِ وَيَأْكُلُهُ .

قُلْتُ : فَهٰذَان الطَّرِيقَانِ[ب] لِلطَّبَقَةِ الْعُلْيَا مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ فِيمَا نَعْلَمُهُ ؛ وَأَمَّا مَنْ دُونَهُمْ فَلَهُمُ احْتِيَاطٌ وَبَحْثٌ عَلَى مِقْدَارٍ ، وَلَهُمْ أَيْضاً نَصِيبٌ مِنَ الْوَرَعِ عَلَى مِقْدَارٍ ، وَبِقَدْرِ مَا تَتَعَنّى تَنَالُ مَا تَتَمَنَّى ، وَاللَّهُ تَعَالَى لاَ يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ .

(أ) أي فسد السوق بمن فيه وما فيه بسبب كثرة الفساد والخيانة والبعد عن طاعة الله ، لذا عليكم بما يقتات به المرء ليستطيع القيام بما عليه من واجبات ، دون زيادة في ذلك .

(ب) أي احتمال الشدائد والصبر عليها .

فضول الحلال

فَإِنْ قِيلَ : فَهٰذَا جَانِبُ الْحَرَامِ ، فَأَخْبِرْنَا عَنْ جَانِبِ الْحَلَالِ ، وَمَا حَدُّ الْفُضُولِ الَّذِي يَلْزَمُ مِنْهُ الْحَبْسُ وَالْحِسَابُ ، وَمَا الْمِقْدَارُ الَّذِي إِذَا أَخَذَهُ الْعَبْدُ يَكُونُ ذٰلِكَ أَدَباً ، وَلَا يَكُونُ فُضُولاً ، وَلَا عَلَيْهِ فِيهِ حَبْسٌ وَلَا حِسَابٌ ؟ يُقال له :

فَاعْلَمْ أَنَّ أَحْوَالَ الْمُبَاحِ فِي الْجُمْلَةِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

أنواع المباح

أَحَدُهَا : أَنْ يَأْخُذَهُ الْعَبْدُ مُفَاخِراً مُكَاثِراً مُبَاهِياً مُرَائِياً ، فَيَكُونُ الْأَخْذُ مِنْهُ فِعْلاً مُنْكَراً ، يَسْتَوْجِبُ عَلَى ظَاهِرِ فِعْلِهِ الْحَبْسَ وَالْحِسَابَ وَاللَّوْمَ وَالتَّعْيِيرَ ، وَهُوَ / مُنْكَرٌ وَشَرٌّ يَسْتَوْجِبُ عَلَى بَاطِنِ فِعْلِهِ ؛ وَهُوَ التَّكَاثُرُ وَالتَّفَاخُرُ ، عَذَابَ النَّارِ ، وَذٰلِكَ الْقَصْدُ مِنْهُ مَعْصِيَةٌ وَذَنْبٌ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ** ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ **وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ** ﴾ [الحديد : ٢٠]

[٤٣/أ]

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالاً مُبَاهِياً مُكَاثِراً مُفَاخِراً مُرَائِياً لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ »(أ) فَالْوَعِيدُ عَلَى قَصْدِهِ ذٰلِكَ بِقَلْبِهِ .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي : أَنْ يَأْخُذَ الْحَلَالَ لِشَهْوَةِ نَفْسِهِ لَا غَيْرُ ، فَذٰلِكَ مِنْهُ شَرٌّ يَسْتَوْجِبُ عَلَيْهِ الْحَبْسَ وَالْحِسَابَ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ﴾ [التكاثر : ٨] . وَقَالَ ﷺ : « حَلَالُهَا حِسَابٌ »(ب) .

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ : أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْحَلَالِ فِي حَالِ الْعُذْرِ، قَدْراً يَسْتَعِينُ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٥٩ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٦٠ .

بِهِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَقْتَصِرَ عَلَى ذٰلِكَ ، فَذٰلِكَ مِنْهُ خَيْرٌ وَحَسَنَةٌ وَأَدَبٌ وَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ وَلَا عِقَابَ ، بَلْ يَسْتَوْجِبُ عَلَيهِ الأَجْرَ وَالمِدْحَةَ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أُولٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ [البقرة : ٢٠٢] ، وَقَالَ ﷺ : « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلالاً ، آسْتِعْفَافاً عَنِ المَسْئَلَةِ وَتَعَطُّفاً على جارِه[١] ، وَسَعْياً عَلَى عِيَالِهِ ، جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَوَجْهُهُ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » [أ] ، وَذٰلِكَ لِمَا قَصَدَ بِهِ هٰذِهِ القُصُودَ المَحْمُودَةَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وتعالى فَهٰذِهِ هٰذِهِ فَاعْلَمْهَا .

فَإِنْ قِيلَ : فَما شَرْطُ المُباحِ حَتَّى يَصِيرَ خَيْراً وَحَسَنَةً كَمَا ذَكَرْتُمْ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَحْتَاجُ لِكَوْنِهِ خَيْراً في الأَصْلِ إِلَى شَرْطَيْنِ : **أَحَدُهُمَا** : الْحَالُ ، **وَالثَّانِي** : الْقَصْدُ .

فَالْحَالُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي حَالِ عُذْرٍ ، وَهُوَ بِحَيْثُ إِنْ لَمْ يَأْخُذْ تُؤخَذْ نَفْسُهُ ؛ وَتَفْسِيرُهُ أَنْ يَكُونَ حَالُهُ إِنْ لَمْ يُؤخَذْ ذٰلِكَ المُبَاحُ يَنْقَطِعُ بِسَبَبِهِ عَنْ فَرْضٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ نَفْلٍ فَيَكُونُ ذٰلِكَ أَفْضَلَ مِنْ تَرْكِ المُبَاحِ ، فَإِنَّ تَرْكَ مُباحِ الدُّنْيَا فَضِيلَةٌ ، فَإِذَا كَانَ الْحَالُ كَذٰلِكَ فَهُوَ حَالُ الْعُذْرِ .

شرط المباح

وَأَمَّا الْقَصْدُ ، فَإِنْ يَقْصِدَ بِهِ الْعُدَّةَ وَالإِسْتِعَانَةَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَهُوَ أَنْ يَذْكُرَ بِقَلْبِهِ ، أَنَّهُ لَوْلَا مَا فِيهِ مِن التَّوَصُّلِ إلى عِبَادَةِ اللَّهِ تعالى لَما أَخذَ ذٰلِكَ ، فَهٰذَا ذِكْرُ الْحجةِ . فَلَمَّا حَصَلَ ذِكْرُ الْحُجَّةِ في حالِ الْعُذْرِ ، صَارَ ذٰلِكَ الأَخْذُ مِنَ الدُّنْيَا الْحَلَالِ خَيْراً وَحَسَنَةً وَأَدَباً . وَأَمَّا لَوْ كَانَ حَالُهُ حَالَ الْعُذْرِ / وَلَا يَكُونُ لَهُ هٰذَا الْقَصْدُ وَالذِّكْرُ ، أَوْ يَكُونُ لَهُ هٰذَا الذِّكْرُ ، وَلَا يَكُونُ في حَالِ الْعُذْرِ فَلَا يَكُون ذٰلِكَ الأَخْذُ مِنْ جُمْلَةِ الخَيْرَاتِ .

[٤٣/ب]

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٦١ .

ثُمَّ الإِسْتِقَامَةُ عَلَى حِفْظِ هٰذَا الأَدَبِ نَحْتَاجُ إِلَى بَصِيرَةٍ وَقَصْدٍ مُجْمَلٍ بِأَنَّهُ لَا يَأْخُذُ (من)[1] الدُّنْيَا بِحَالٍ إِلَّا لِلْعُدَّةِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتى إِنَّهُ إِنْ سَهَا عَنْ ذِكْرِ الْحُجَّةِ فِي حَالٍ ، أَجْزَأَهُ ذٰلِكَ الْقَصْدُ الْمُجْمَلُ عَنْ تَجْدِيدِ ذِكْرِ الْحُجَّةِ . قَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ :

فَصَارَتِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ مُعْتَبَرَةً فِيهِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ وَجْهٍ ؛ يَعْنِي أَنَّ الذِّكْرَ وَالحَال مُعْتَبَرَانِ في حُصُولِ كَوْنِهِ خيراً أَصْلاً ، وَالْقَصْدُ المُجْمَلُ المُقْتَضِي عَنْ بَصِيرَةٍ مَنْزِلَةَ الأدَبِ ، مُعْتَبَرٌ في الإِسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ ، فَافْهَمْ ذٰلِك رَاشِداً .

فَإِنْ قِيلَ : فَإِنْ أَخَذَ الدُّنْيَا الْحَلَالَ لِشَهْوَةٍ ، فَهَلْ يَكُونُ ذٰلِكَ مَعْصِيَةً ، وَهَلْ يَلْزَمُ عَلَيْهِ عَذَابٌ ، وَهَلِ الأَخْذُ بِالْعُذْرِ فَرْضٌ أَمْ لَا ؟

أخذ الحلال لشهوة

فَاعْلَمْ أَنَّ ذٰلِكَ فَضِيلةٌ وَنُسَمِّيهِ خَيْراً وَحَسَنَةً ، وَالأَمْرُ بِهِ أَمْرُ تَأْدِيبٍ ، وَالأَخْذُ بالشهوة أَخذُ شَرٍّ وَسَيِّئَةٍ ، وَالنَّهْيُ عَنْهُ نَهْيُ زَجْرٍ وَلَيْسَ ذٰلِكَ بِمَعْصِيَةٍ ، وَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ عَذَابُ النَّارِ ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْحَبْسُ وَالْحِسَابُ وَاللَّوْمُ وَالتَّعْيِيرُ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَما هٰذَا الْحَبْسُ وَالْحِسَابُ الَّذِي يلزم الْعَبْدَ ؟

الحبس والحساب

فَاعْلَمْ أَنَّ الْحِسَابَ أَنْ تُسْأَلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّاذَا اكْتَسَبْتَ ، وَفِيمَاذَا أَنْفَقْتَ ، وَمَاذَا أَرَدْتَ بِذٰلِكَ ؟ وَالْحَبْسُ حَبْسٌ عَنِ الْجَنَّةِ مُدَّةَ الْحِسَابِ بِذٰلِكَ ، في عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ ، بَيْنَ أَهْوَالِهَا وَمَخَاوِفِهَا عُرْيَان عَطْشَانَ وَكَفَى بِذٰلِكَ بَلِيَّةً .

الأدب في الحلال

فَإِنْ قِيلَ : فاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَحَلَّ لَنَا هٰذَا الْحَلَالَ ، فَاللَّوْمُ وَالتَّعْيِيرُ في أَخْذِهِ لِمَاذَا ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّوْمَ وَالتَّعْيِيرَ لِتَرْكِهِ الأَدَبَ ، كَمَنْ أُجْلِسَ عَلَى مَائِدَةِ المَلِكِ فَتَرَكَ الأَدَبَ، فَإِنَّهُ يُعَيَّرُ بِذٰلِكَ وَيُلَامُ، وَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ لَه مُباحاً، وَالأَصلُ فِي هذا الْبَابِ أَنّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْعَبْدَ لِعِبَادَتِهِ ، وَهُـوَ عَبْدٌ لِلَّهِ تَعَـالَى مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، فَحَقُّ الْعَبْدِ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ عزّ وَجلّ من كل وَجْهٍ يُمْكِنُهُ ، وَيَجْعَلَ أَفْعَالَهُ كُلَّهَا عِبَادَةً مِنْ أَيِّ وَجْهٍ أَمْكَنَهُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ وَآثَرَ شَهْوَةَ نَفْسِهِ ، وَاشْتَغَلَ بِذَلِكَ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ ، مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ تَعَذُّرٍ ، وَالدَّارُ دَارُ خِدْمَةٍ وَعِبَـادَةٍ ، لَا دَارُ تَنَعُّمٍ ولا دَارُ شَهْـوَةٍ / اسْتُحِقَّ اللَّوْمَ بِـذٰلِـكَ وَالتعْيِيـرَ مِنْ سَيِّدِهِ ؛ فَتَأَمَّلْ هٰذَا الأَصْلَ رَاشِداً وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . [٤٤/أ]

فَهٰـذِهِ الْجُمـلَةُ الَّتِي أَرَدْنَا بَيَانَها في إِصْلَاحِ النَّفْسِ وَإِلْجَامِهَا بِلِجَـامِ التَّقْوَى ، فَارْعَهَا حَقَّهَا ، وَاحْتَفِظْ بِهـا جِدّاً تَفُزْ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ فِي الدَّارَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةَ بِفَضْلِهِ .

فصــــل
(في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس)

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ بِبَذْلِ المَجْهُودِ في قَطْعِ هٰذِهِ الْعَقَبَةِ الْعَظِيمَةِ الطَّوِيلَةِ[1] ، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْعَقَبَاتِ شِدَّةً ، وَأَكْثَرُهَا مُؤْنَةً ، وَأَكْبَرُهَا آفَةً وَفِتْنَةً ، فَإِنَّ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ ، إِنَّما انْقَطَعُوا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ إِمَّا بِسَبَبِ دُنْيا أَوْ خَلْقٍ أَوْ شَيْطَانٍ أَوْ نَفْسٍ . وَلَقَدْ ذَكَرْنَا في كُتُبِنَا المُصَنَّفَةِ مِنْ كِتَابِ « الأَسْرَارِ » و « الإِحْيَاءِ » و « الْقُرْبَةِ »، مَا يَبْعَثُ عَلَى الاِهْتِمَامِ بِذٰلِكَ .

وَمَقْصُودُ هٰذَا الْكِتَابِ أَنِّي سَأَلْتُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُطْلِعَنِي عَلَى سِرِّ مُعَالَجَةِ النَّفْسِ ، وَأَنْ يُصْلِحَنِي وَيُصْلِحَ بِي ، فَاقْتَصَرْتُ في هٰذَا الْكِتَابِ الشَّرِيفِ عَلَى نُكَتٍ وَجِيزَةِ اللَّفْظِ غَزِيرَةِ المَعْنَى ، تُقْنِعُ مَنْ تَأَمَّلَهَا ، وَتَدَعُهُ عَلَى وَاضِحَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَهٰذَا الْفَصْلُ بِنُكَتٍ في مُعَالَجَةِ الدُّنْيَا وَالْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ .

أَمَّا الدُّنْيَا : فَحَقَّ لَكَ أَنْ تَحْذَرَهَا وَتَزْهَدَ فِيهَا ، لِأَنَّ الأَمْرَ لَا يَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةٍ :

(أ) وهي عقبة العوائق .

أنواع العباد

ـ إمَّا أَنْتَ مِنْ ذَوِي الْبَصَائِرِ وَالْفِطَنِ ، فَحَسْبُكَ أَنَّ الدُّنْيَا عَدُوَّةُ اللَّهِ وَهُوَ حَبِيبُكَ وَوَلِيُّك ، وَأَنَّ الدُّنْيَا نَقِيضَةُ عَقْلِكَ ، وَالْعَقْلُ قِيمَتُكَ .

ـ وَإمَّا أَنْتَ مِنْ ذَوِي الْهِمَمِ في عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالاجْتِهَاد ، فَحَسْبُكَ أَنَّ الدُّنْيَا بَلَغَ مِنْ شُؤمِهَا مَا يَمْنَعُكَ مِنْ إرَادَتِهَا ، وَتَشْغَلُكَ الْفِكْرَةُ فِيهَا عَنِ الْعِبَادَةِ وَالْخَيرِ ، فَكَيْفَ نَفْسُهَا ؟

ـ وَإمَّا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْغَفْلَةِ لاَ بَصِيرَةَ لَكَ تُبْصِرُ الْحَقائِقَ ، وَلاَ هِمَّةَ لَكَ تَبْعَثُ عَلَى المَكَارِمِ ؛ فَحَسْبُكَ أَنَّ الدُّنْيَا لاَ تَبْقَى : إمَّا أَنْ تُفَارِقَهَا ، وَإمَّا أَنْ تُفَارِقَكَ ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه : إنْ بَقِيَتْ لَكَ الدُّنْيَا لَمْ تَبْقَ لَهَا ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ إِذَنْ فِي طَلَبِهَا ، وَإِنْفَاقِ الْعُمْرِ الْعَزِيزِ عَلَيْهَا ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ / : [الوافر] :

[٤٤/ب]

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْواً ... أَلَيسَ مَصِيرُ ذَاكَ إلى زَوَالِ[١]
فَمَا تَرْجُو بعَيْشٍ لَيْسَ يَبْقَى ... وَشِيكاً قَدْ تُغَيِّرُهُ اللَّيَالِي[٢]
وَمَا دُنْيَاكَ إلاَّ مِثْلَ ظِلٍّ ... أَظَلَّكَ ثُمَّ آذَنَ بِارْتِحَالِ

فَلاَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إذاً أَنْ يُخْدَعَ بِهَا ، وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ : [الكامل] :

أَضْغَاثُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ ... إنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لاَ يُخْدَعُ
حَتَّى متى تُسْقَى النُّفُوسَ بكَأسِها ... رُبَّ المنونِ وَأَنتَ لاهٍ تَرْتَعُ
فَلَقَدْ رَضِيتُ بأن تُعَلَّل بالمُنى ... وَإلى المنيّة كُلّ يومٍ تُدْفَعُ
فَتَزَوَّدنّ لِيَوْمِ فَقْرِكَ دائباً ... وَاجْمَعْ لِنَفْسِكَ لا لِغَيرِكَ تجمعُ[٣]

وَأَمَّا **الشَّيْطَانُ** فَحَسْبُكَ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ **﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾**

[المؤمنون : ٩٨] فهذا خَيْرُ الْعَالَمِينَ وَأَعْلَمُهُمْ وَأَعْقَلُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، يَحْتَاجُ مَعَ ذٰلِكَ إلى أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ ، فَكَيْفَ بِكَ مَعَ جَهْلِكَ وَنَقْصِكَ وَغَفْلَتِكَ ؟

وَأَمَّا الْخَلْقُ : فَحَسْبُكَ مِنْهُمْ أَنَّكَ لَوْ خَالَطْتَهُمْ وَوَافَقْتَهُم في أَهْوَائِهِمْ أَثِمْتَ وَأَفْسَدْتَ أَمْرَ آخِرَتِكَ ، وَإِنْ خَالَفْتَهُم تَعِبْتَ بِأَذِيَّاتِهِم وَجَفَوَاتِهِم ، وَكَدَّرْتَ عَلَيْكَ أَمْرَ دُنْيَاكَ ، ثُمَّ لَا تَأْمَنُ أَنْ يُلْجِئُوكَ إلى مُعَادَاتِهِم وَمُنَاوَأَتِهِم فَتَقَعُ فِي شَرِّهِمْ ؛ وَلأَنَّهُمْ إِنْ مَدَحُوكَ وَعَظَّمُوكَ أَخَافُ عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ وَالْعُجْبَ ، وَإِنْ ذَمُّوكَ وَحَقَرُوكَ أَخَافُ عَلَيْكَ الْحُزْنَ تَارَةً وَالْغَضَبَ لِغَيرِ اللَّهِ تَعَالَى أُخْرَى ، وَكِلَا الأَمْرَيْنِ آفَةٌ مُهْلِكَةٌ .

ثُمَّ اذْكُرْ حَالَكَ مَعَهُم بَعْدَ مَا صِرْتَ إلى الْقَبْرِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ كَيْفَ يَتْرُكُونَكَ وَيَهْجُرُونَكَ وَيَنْسَوْنَكَ ، فَلَا يَكادُونَ يَذْكُرُونَكَ ، كَأَنَّكَ لَمْ تَرَهُمْ يَوماً وَلَمْ يَرَوْكَ ، فَلَم يَبْقَ هُنَالِكَ مَعَكَ إلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، أَفَلَا يَكُونُ مِنَ الْغَبْنِ الْعَظِيمِ أَنْ تُضَيِّعَ أَيَّامَكَ مَعَ هٰؤُلاءِ الْخَلْقِ ، مَعَ قِلَّةِ الْوَفَاءِ مِنهُم وَقِلَّةِ الْبَقَاءِ مَعَهُم ، وَتَتْرُكَ خِدْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ آخرَ الأَمْرُ وَحْدَهُ ، وَلَا يَبْقَى لَكَ إلَّا هُوَ أَبَدَ الآبِدِينَ ؛ وَالْحَاجَاتُ كُلُّهَا إِلَيهِ ، وَالتُّكْلَانُ كُلُّهُ عَلَيْهِ ، وَالاعْتِصَامُ كُلُّهُ في كُلِّ حَالٍ / وَعِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ وَهَوْلٍ بِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ فَتَأَمَّلْ يَا مِسْكِينُ ، لَعَلَّكَ تُرْشَدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التوفيق بِفَضْلِهِ .

[٤٥/أ]

وَأَمَّا النَّفْسُ : فَحَسْبُكَ مَا تُشَاهِدُ مِنْ حَالَاتِهَا وَرَدَاءَةِ إِرَادَتِهَا وَسُوءِ اخْتِيَارِهَا ، فَهِيَ فِي حَالِ الشَّهْوَةِ بَهِيمَةٌ ، وَفِي حَالِ الْغَضَبِ سَبُعٌ ، وَفِي حَالِ الْمُصِيبَةِ تَرَاهَا طِفْلًا صَغِيراً ، وَفِي حَالِ النِّعْمَةِ تَرَاهَا فِرْعَوْناً ، وَفِي حَالِ الْجُوعِ تَرَاهَا مَجْنُوناً ، وَفِي حَالِ الشِّبَعِ تَرَاهَا مُخْتَالاً ، إِنْ أَشْبَعْتَهَا

بَطِرَتْ وَمَرِحَتْ ، وَإِنْ جَوَّعْتَهَا صَاحَتْ وَجزعَتْ ، فَهِيَ كَمَا قَالَ الأول : [مجزوء البسيط] :

كَحِمَارِ السُّوءِ إِنْ أَشْبَعْتَهُ رَمَحَ النَّاسَ[أ] وَإِنْ جَاعَ نَهَقْ

وَلَقَدْ صَدَقَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ حَيْثُ قَالَ : إِنَّ رَدَاءَةَ هٰذِهِ النَّفْسِ وَجَهْلها بِحَيْثُ إِذَا هَمَّتْ بِمَعْصِيَةٍ أَوِ انْبَعَثَتْ لِشَهْوَةٍ ، لَوْ تَشَفَّعْتَ إِلَيْهَا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ بِرَسُولِهِ وَبِجَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ وَبِكِتَابِهِ وَبِجَمِيعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ عِبَادِهِ ، وَتَعْرِضُ عَلَيْهَا المَوْتَ وَالْقَبْرَ وَالْقِيَامَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، لَا تُعْطِي الانْقِيَادَ ولَا تَتْرُكُ الشَّهْوَةَ ؛ ثُمَّ إِنِ اسْتَقْبَلْتَهَا بِمَنْعِ رَغِيفٍ ، تَسْكُنُ وَتَتْرُكُ شَهْوَتَهَا ، لِتَعْلَمَ خِسَّتَهَا وَجَهْلَهَا ؛ فَإِيَّاكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنْ تَغْفُلَ عَنْها ، فَإِنَّهَا كَمَا قَالَ خَالِقُهَا الْعَالِمُ بِهَا جَلَّ جَلالُهُ ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] فَكَفَى بِهٰذَا تَنْبِيهاً لِمَنْ عَقَلَ .

وَلَقَدْ بَلَغَنَا عَنْ رجل من بَعْضِ الصَّالِحِينَ يُقَالُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ أَرْقَمَ الْبَلْخِيُّ أَنَّهُ قَالَ : نَازَعَتْنِي نَفْسِي بِالْخُرُوجِ إِلَى الْغَزْوِ ، فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[يوسف : ٥٣] ، وَهٰذِهِ تَأْمُرُنِي بِالخَيْرِ ، لَا يَكُونُ هٰذَا أَبداً ، وَلٰكِنَّهَا اسْتَوْحَشَتْ فَتُرِيدُ لِقَاءَ النَّاس لِتَسْتَرْوِحَ إِلَيْهِمْ وَيَتَسَامَعَ النَّاسُ بِهَا ، فَيَسْتَقْبِلُونَهَا بِالتَّعْظِيمِ وَالْبِرِّ وَالإِكْرَامِ ؛ فَقُلْتُ لَهَا : لَا أُنْزِلُكِ الْعُمْرَانَ وَلَا أَنْزِلُ عَلَى مَعْرِفَةٍ ، فَأَجَابَت[ب] ، فَأَسَأْتُ الظَّنَّ بِهَا ، وَقُلْتُ : اللَّهُ تَعَالَى أَصْدَقُ . فَقُلْتُ لَهَا :

(أ) رمح الناس : رفسهم برجليه .

(ب) أجابت : أي وافقت على طلبي .

أُقاتِلُ الْعَدُوَّ حَاسِراً فَتَكُونِينَ أَوّلَ قَتِيلٍ ، فَأَجَابَتْ ؛ وَعَدَّ أَشْيَاءَ مِمَّا أَرَادَهَا فَأَجَابَتْ إلى كُلِّ ذٰلِكَ ، قَالَ فَقُلْتُ : يَا رَبِّ : نَبِّهْنِي لَهَا ، فَإِنِّي مُتَّهِمٌ لَهَا مُصَدِّقٌ لَكَ ؛ فَكُوشِفْتُ بِها كَأَنَّهَا تَقُولُ : يَا أَحْمَدُ أَنْتَ تَقْتُلُنِي كُلَّ يَوْمٍ بِمَنْعِكَ إِيّايَ مِنْ شَهْوَاتٍ مَرَّاتٍ ، وَبِمُخَالفتِكَ[أ] ، وَلاَ يَشْعُرُ بِهِ أَحَدٌ[ب] ، فَإِنْ قَاتَلْتَ قُتِلْتَ / مرةً وَاحِدَةً فَنَجَوْتُ مِنْكَ ، وَيَتَسَامَعَ النَّاسُ فَيَقُالُ : آسْتُشْهِدَ أَحْمَدُ ،وَيكُونُ لِي شَرَفٌ وَذِكْرٌ ؛ قَالَ : فَقَعَدتُ وَلَمْ أَخْرُجْ إلى الْغَزْوِ في ذٰلِكَ الْعَامِ .فَانْظُرْ إلى خِدَاعِ النَّفْسِ وَغُرُورِهَا ، تُرَائِي النَّاسَ بَعْدَ المَوْتِ بِعَمَلٍ لَمْ يَكُنْ بَعْد .

[٤٥/ب]

وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ وَأَحْسَنَ [البسيط] :

تَوَقَّ نَفْسَكَ لاَ تَأْمَنْ غَوَائِلَهَا ... فَالنَّفْسُ أَخْبَثُ مِنْ سَبْعِينَ شَيْطَانَا

فَتَنَبَّهْ رَحِمَكَ اللَّهُ لِهٰذِهِ الخَدَّاعَةِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ، وَوَطِّنْ عَلَى مُخَالَفَتِها قَلْبَكَ بِكُلِّ حَالٍ تُصِبْ وَتَسْلَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ عَلَيْكَ بِإِلْجَامِهَا بِالتَّقْوَى لاَ حِيلَةَ لَهَا سِوَاهُ .

شطر العبادة

وَاعْلَمْ أَنَّ هَهُنَا أَصْلاً أَصِيلاً وَهُوَ أَنَّ الْعِبَادَةَ شَطْرَانِ : شَطْرُ الاِكْتِسَابِ ، وَشَطر الاِجْتِنَابِ ؛ فالاكْتِسَابُ : فِعْلُ الطَّاعَاتِ ؛ **وَالاِجْتِنابُ** : الاِمْتِنَاعُ عَنِ المَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ وَهُوَ التَّقْوَى ؛ وَأَنَّ شَطْرَ الاِجْتِنَابِ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْلَمُ وَأَصْلَحُ وَأَفْضَلُ وَأَشْرَفُ لِلْعَبْدِ مِنْ شَطْرِ الاِكْتِساب ، وَلِذٰلِكَ آشْتَغَلَ المُبْتَدِئُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَةِ ، الَّذِينَ هُمْ في أوَّلِ دَرَجَةِ الاِجْتِهَادِ بِشَطْرِ الاِكْتِسَابِ ، كُلُّ هِمَّتِهِمْ أَنْ يَصُومُوا نَهَارَهُمْ

(أ) أي : بمخالفتك أوامري .

(ب) أي : لا يشعر بمنعك إياي أحد .

وَيَقُومُوا لَيْلَهُمْ وَنَحْوُ ذٰلِكَ ، وَيَشْتَغِلُ المُنْتَهُونَ أُولُو الْبَصَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَةِ بِشَطْرِ الاجْتِنَابِ ، إِنَّمَا هِمَّتُهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا قُلُوبَهُمْ عَنِ المَيْلِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبُطُونَهُمْ عَنِ الْفُضُولِ ، وَأَلْسِنَتَهُم عَنِ اللَّغْوِ ، وَأَعْيُنَهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لاَ يَعْنِيهِمْ .

وَلِهَذَا المَعْنَى قَالَ الْعَابِدُ الثَّانِي مِنَ الْعُبَّادِ (السبعة)[1] لِيُونُسَ عليه السلام ، يَا يُونُسُ : مِنَ النَّاسِ مَنْ حُبِّبَ إِلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ ، فَلاَ يُؤْثِرُونَ عَلَيْهَا شَيْئاً ، وَهِيَ عَمُودُ الْعِبَادَةِ[2] لِلَّهِ وَالصِّدْقِ وَالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ ، وَمِنْهُم مَنْ حُبِّبَ إِلَيْهِمُ الصَّوْمُ ، فَلاَ يُؤْثِرُونَ عَلَيْهِ شَيْئاً ، وَمِنْهُمْ مَنْ حُبِّبَ إِلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ ، فَلاَ يُؤْثِرُونَ عَلَيْهَا شَيْئاً ، يَا يُونُسُ وَأَنَا مُفَسِّرٌ لَكَ هٰذِهِ الْخِصَالَ : اجْعَلْ صَوْمَكَ الصَّمْتَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ ، وَاجْعَلْ صَدَقَتَكَ كَفَّ الأَذَى ، فَإِنَّكَ لا تَتَصَدَّقُ بِشَيءٍ أَفْضَلَ مِنْهُ ، وَلاَ تَصُومُ بِشَيءٍ أَزْكَى مِنْهُ ، فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ جَانِبَ الاجْتِنَابِ أَوْلَى بِالرِّعَايَةِ وَالاجْتِهَادِ / فِيهِ ، فَإِنْ حَصَلَ لَكَ الشَّطْرَانِ جَمِيعاً الاجْتِنَابِ وَالاكْتِسَابُ ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَمْرُكَ وَحَصَلَ مُرَادُكَ ، وَقَدْ سَلِمْتَ وَغَنِمْتَ ؛ فَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ إِلاَّ إِلى أَحَدِهِمَا ، فَلْيَكُنْ ذٰلِكَ جَانِبَ الاجْتِنَابِ ، فَتَسْلَمَ إِنْ لَمْ تَغْنَمْ ، وَإِلاَّ خَسِرْتَ الشَّطْرَيْنِ جَمِيعاً ، وَمَا يَنْفَعُكَ قِيامُ لَيْلٍ وَتَعَبُهُ ، ثُمَّ تُحْبِطُهُ بِإِرَادَةٍ وَاحِدَةٍ ؟ وَمَا يُغْنِيكَ صِيامُ نَهارٍ طَوِيلٍ وَتُفْسِدُهُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ؟

[٤٦/أ]

وَلَقَدْ رَوَيْنا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا كَثِيرُ الخَيْرِ كَثِيرُ الشَّرِّ ؛ وَالآخَرُ قَلِيلُ الْخَيْرِ قَلِيلُ الشَّرِّ ؟ قَالَ : لاَ أَعْدِلُ بِالسَّلاَمَةِ شَيْئاً .

وَمِثَالُ مَا قُلْنَاهُ[أ] حَالُ المَرِيضِ ، وَذٰلِكَ أَنَّ مُعَالَجَةَ المَرِيضِ

(أ) أي أن للعبادة شطرين .

نِصْفَانِ : نِصْفُ هُوَ الـدَّوَاءِ ، وَنِصْفُ هُوَ الاِحْتِمَـاءُ ، فَإِنِ اجْتَمَعـا فَكَأَنَّـكَ بِالْمَرِيضِ قَدْ بَرِئَ وَصَحَّ ، وَإِلا فَالاحْتِمَـاءُ بِهِ أَوْلَى ، إِذْ لاَ يَنْفَـعُ دَوَاءٌ مَعَ تَرْكِ الاِحْتِمَاءِ ، وَقَدْ يَنْفَعُ الاِحْتِمَاءُ مَعَ تَرْكِ الدّوَاءِ .

وَلَقَدْ قَالَ ﷺ : « أَصْلُ كُلِّ دَوَاءٍ الْحِمْيَةُ »[أ] وَالمَعْنِيُّ بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهَـا تُغْنِي عَنْ كُلِّ دَوَاءٍ ، وَلِـذَا يُقَالُ إِن (أهـل)[1] الْهِنْدِ جُلُّ مُعَـالَجَتِهِمُ الْحِمْيَةُ ، بِمَنْعِ المَرِيضِ عَنِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْكَلاَمِ عِـدَّةَ أَيَّامٍ ، فَيَبْـرَأُ وَيَصِـحُّ بِذَلِـكَ لاَ غَيْرُ . فَتَبَيَّنَ لَـكَ بِهَـذِهِ الجُمْلَةُ أَنّ التَّقْـوَى مِـلاَكُ الأَمْـرِ وَجَوْهَرُهُ ، وَأَهْلُهَا هُمُ الطَّبَقَةُ الْعُلْيَا مِنَ الْعُبَّادِ ، فَعَلَيْكَ بِبَـذْلِ المَجْهُودِ فِي ذَلِكَ وَصَرْفِ كُلِّ الْعِنَايَةِ إِلَيهِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ٦٢ .

فصـــل
(في رعاية الأعضاء الأربعة
العين واللسان والبطن والقلب)

مراعاة أعضاء البدن

ثُمَّ رَاعِ هٰذِهِ الأَعْضَاءَ الأَرْبَعَةَ الَّتِي هِيَ الأُصُولُ :

الأَوَّلُ : الْعَيْنُ وَحَسْبُكَ فِيهَا أَنَّ مَدَارَ أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَنَّ خَطَرَ الْقَلْبِ وَشُغْلَهُ وَفَسَادَهُ في الأَكْثَرِ مِنَ الْعَيْنِ ؛ وَلِذٰلِكَ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مَنْ لَمْ يَمْلِكْ عَيْنَهُ فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ عِنْدَهُ قِيمَةٌ » .

وَالثَّانِي : اللِّسَانُ وَحَسْبُكَ أَنَّ فِيهِ رِبْحَكَ وَغَنِيمَتَكَ وَثَمَرَةَ تَعَبِكَ وَاجْتِهَادِكَ كُلِّهِ لِلْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ ، وَأَنَّ خَطَرَ الْعِبَادَةِ وَإِحْبَاطَهَا وَإِفْسَادَهَا فِي الأَكْثَرِ مِنْ قِبَلِ اللِّسَانِ ، بِالتَّصَنُّعِ وَالتَّزَيُّنِ وَالْغِيبَةِ وَنَحْوِهَا ، يُتْلِفُ عَلَيْكَ بِلَفْظَةٍ في لحظةٍ وَاحِدَةٍ مَا تَعِبْتَ فِيهِ سَنَةً بَلْ خَمْساً وَعَشْراً ؛ وَلِذٰلِكَ قِيلَ : مَا شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ السِّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ .

[٤٦/ب] وَفِيمَا رُوِي / أَنَّ أَحَدَ الْعُبَّادِ السَّبْعَةِ قَالَ لِيُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا يُونُسُ إِنَّ الْعُبَّادَ إِذَا اجْتَهَدُوا في الْعِبَادَةِ لَمْ يَتَقَوُّوا عَلَى عِبَادَتِهِم بِشَيءٍ أَفْضَلَ مِنَ الصَّبْرِ عَنْ الْكَلَامِ في فَصْلٍ طَوِيلٍ (أ) ؛ ثُمَّ عَادَ إلى ذٰلِكَ (ب) فَقَالَ : وَلَا

(أ) في فصل طويل : أي في وقت طويل .

(ب) أي : عاد العابد إلى الكلام فقال .

يَكُـونَنَّ عِنْدَكَ شَيْءٌ آثَـرُ مِنْ حِفْظِ لِسَانِـكَ ، وَلاَ تَكُونَنَّ لِشَيْءٍ أَعْنَى بِـهِ مِنْ سَلاَمَةِ صَدْرِكَ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ[أ] .

ثُمَّ ٱذْكُرِ النفس الَّتِي تَكَلَّمْتَ فِيهَا بِفُضُولٍ ، مَا كَانَ يَضُرُّكَ لَوْ قُلْتَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، فَرُبَّما يُوَافِقُ سَاعَةً عَزِيزَةً فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ فَتَرْبَحُ راشداً[١] ، أَوْ قُلْتَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَكُونُ لَكَ مِنَ الأَجْرِ وَالذُّخْرِ مَا لاَ يُحِيطُ بِهِ وَهْمُكَ ، أَوْ تَقُولُ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَرُبَّما يَتَّفِق حسْنُ نَظَرٍ ، فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ تَعَالَى دَعْوَتَكَ ، فَنَجَوْتَ مِنْ بَلِيَّةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ؛ أَلاَ يَكُونُ مِنَ الْخُسْرَانِ الْعَظِيمِ وَالْغَبْنِ الْفَظِيعِ ، أن تُفَوِّت نَفْسَكَ كُلَّ هٰذِهِ الْفَوَائِدِ الْكَرِيمَةِ ، وَتَجْعَلَ نَفْسَكَ وَوَقْتَكَ فِي فُضُولٍ ، أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكَ فِيهِ اللَّوْمُ وَالْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ : [المديد] :

إغـتنـم ركعـتيـن في ظُـلْمـةِ الـلّيـ ـلِ إذَا كنتَ فـارغـاً مُسْتـريحـا
وَإذَا مَـا هَمَمْتَ بـالنُّـطْقِ في الْبَا طِـلِ فَـاجْعَـلْ مَكَـانَـهُ تَسْبِيحَـا
فـاغتنـامُ السكـوتِ أفضـلُ من خَـوْ ضٍ وإنْ كنت بالحديث فصيحاً[٢]

وَالثَّالِثُ : الْبَطْنُ ؛ وَحَسْبُكَ أَنَّ مَقْصُودَكَ الْعِبَـادَةَ ، وَأَنَّ الطَّعَـامَ بَذْرُ الْعَمَلِ وَمَاؤُهُ مِنْهُ يَبْدُو وَيَنْبتُ ، وَإِذَا خَبُثَ الْبذرُ لاَ يَطِيبُ الـزَّرْعُ ؛ بَلْ فِيهِ خَطَرُ أَنْ يُفْسِدُ عَلَيْكَ أَرْضَكَ ، فَلاَ تُفْلِحُ أبداً . وَمِنْ ذٰلِكَ[ب] مَا بَلَغَنَـا عَنْ مَعْرُوفٍ ٱلكَرْخِي أَنَّهُ قَالَ : إِذَا صُمْتَ فَٱنْظُرْ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُفْطِرُ ، وَعُنْدَ مَنْ تُفطِرُ ، وَطَعَامِ مَنْ تَأْكُلُ ؟ فَكَمْ مَنْ يأْكُلُ أُكْلَةً فَيَنْقَلِبُ قَلْبُهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ،

(أ) أي هذه هي القضية الموصوفة بالأهمية والكمال .
(ب) أي من خطر الإفساد الذي لا فلاح بعده .

لَا يَعُودُ إِلَى حَالِهِ أَبداً وَكَمْ مِنْ أَكْلَةٍ حَرَمَتْ قِيامَ لَيْلَةٍ ، وَمِنْ نَظْرَةٍ مَنَعَتْ قِرَاءَةَ سُورَةٍ ؛ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْكُلُ فَيُحْرَمُ بِهَا قِيَامَ[1] سَنَةٍ .

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ بِالنَّظَرِ الدَّقِيقِ وَالاِحْتِيَاطِ الْبَالِغِ الشَّدِيدِ فِي قُوتِكَ ، إِنْ كَانَ لَكَ عِنَايَةٌ بِقَلْبِكَ ، وَهِمَّةٌ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ ، هٰذَا فِي أَصْلِ الْقُوتِ ، حَتَّى يَكُونَ ، مِنْ وَجْهِهِ[أ] . ثُمَّ عَلَيْكَ الأَدَبِ / فِيهِ ، وَإِلَّا كُنْتَ [٤٧/أ] حَمَّالاً لِلطَّعَامِ ، مُضَيِّعاً لِلأَيَّامِ ؛ وَقَدْ عَلِمْنَا يَقِيناً ، بَلْ رَأَيْنَا عِيَاناً أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَجِيءُ مِنْهَا شَيْءٌ إِذَا امْتَلأَ الْبَطْنُ ؛ وَإِنْ أَكْرَهْتِ النَّفْسَ عَلَى ذٰلِكَ ، وَجَاهَدْتَ بِضُرُوبِ الْحِيَلِ فَلَا يَكُونُ لِتِلْكَ الْعِبَادَةِ لَذَّةٌ ولَا حَلَاوَةٌ ، وَلِذٰلِكَ قِيلَ : لَا تَطْمَعْ بِحَلَاوَةٍ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ كَثْرَةِ الأَكْلِ ؛ وَأَيُّ نُورٍ فِي نَفْسٍ بِلَا عِبَادَةٍ وَفِي عِبَادَةٍ بِلَا لَذَّةٍ وَلَا حَلَاوَةٍ ؟ وَلِهٰذَا المَعْنَى قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ : صَحِبْتُ أَكْثَرَ رِجَالِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَبَلِ لُبْنَانَ فَكَانُوا يُوصُونَنِي : إِذَا رَجَعْتَ إِلَى أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَعِظْهُمْ بِأَرْبَعِ خِصَالٍ ؛ قُلْ لَهُمْ : (١) مَنْ يُكْثِرِ الأَكْلَ لَا يَجِدُ لَذَّةَ الْعِبَادَةِ، (٢) وَمَنْ يَنَمْ كَثِيراً لَا يَجِدْ فِي عُمْرِهِ بَرَكَةً، (٣) وَمَنْ طَلَبَ إِرْضَاءَ النَّاسِ فَلَا يَنْتَظِرُ رِضَاءَ اللَّهُ، (٤) وَمَنْ يُكْثِرِ الْكَلَامَ بِفُضُولٍ وَغِيبَةٍ فَلَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى دِينِ الإِسْلَامِ .

وَعَنْ سَهْلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : جِمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ فِي هٰذِهِ الْخِصَالِ الأَرْبَعِ ، وَبِهَا صَارَتِ الأَبْدَالُ أَبْدَالاً : إِخْمَاصُ الْبُطُونِ ، وَالصَّمْتُ ، وَالاِعْتِزَالُ عَنِ الْخَلْقِ ، وَسَهَرُ اللَّيلِ .

وَقَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ : الْجُوعُ رَأْسُ مَالِنَا وَمَعنَاهُ أَنَّ مَا يَحْصُلُ لَنَا ،

(أ) أي من وجه الحلال .

مِنْ فَرَاغٍ وَسَلاَمَةٍ وَعِبَادَةٍ وَحَلاَوَةٍ وَعِلْمٍ نَافِعٍ ، بِسَبَبِ الْجُوعِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ .

(**والـرابع القلب**)(١) : وَأَمَّـا **الْقَلْبُ** فَحَسْبُكَ أَنَّـهُ أَصْلُ الْكُـلِّ ، إِنْ أَفْسَدْتَهُ فَسَدَ الْكلُّ ، وَإِنْ أَصْلَحْتَهُ صَلَحَ الْكُلُّ ، إِذْ هُـوَ الشَّجَرَةُ ، وَسَـائِـرُ الأَعْضَاءِ أغْصَانٌ ، وَمِـن الشَّجَرَةِ تَشْـرَبُ الأَغْصَانُ وَتَصْلُحُ وَتَفْسُدُ ، وَإِنَّهُ المَلِكُ ، وَسَائِرُ الأَعْضَاءِ تَبَعٌ وَأَرْكَانٌ ، وَإِذَا صَلَحَ المَلِكُ صَلَحَتِ الرَّعِيَّةُ ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَتِ ، فَإِذَنْ صَلاَحُ الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالْبَطْنِ وَغَيْـرِهِ دَلِيـلُ عَلى صَلاَحِ الْقَلْبِ وَعِمْرَانِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتَ فِيهِ خَلَلاً وَفَسَاداً ، فَاعْلَمْ أن ذٰلِكَ مِنْ خَلَلٍ فِي الْقَلْبِ وَفَسَادٍ وَقَعَ ثَمَّ ، بَلِ الْفَسَادُ فِيه أَكْثَرُ ، فَاصْرِفْ عِنَايَتَكَ إِلَيْهِ فَأَصْلِحْهُ يَصْلُحِ الْكُلِّ بِمَرَّةٍ وَتَسْتَرِيحَ .

ثُمَّ أَمْرُهُ دَقِيقٌ عَسِيرٌ إِذْ هُـوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْخَوَاطِـرِ ، وَهِيَ لَيْسَت تَحْتَ يَدِكَ ، وَالامْتِنَاعُ مِنَ اتِّبَاعِهَا مَجْهُودُ طَاقَتِـكَ ، فَفِيهِ أَقْصَىٰ المَشَقَّـةِ ، وَلِهٰذَا الْمَعْنَى صَارَ إِصْلاَحُهُ أَشَدَّ عَلَى أَهْلِ الاجْتِهَادِ ، وَالاهْتِمَامُ بِهِ أَكْثَرُ عِنْدَ ذَوِي الْبَصَائِرِ .

[٤٧/ب] وَعَنْ أَبِي يَزِيدَ رَحِمَـهُ اللَّهُ / أَنَّهُ قَـالَ : عَالَجْتُ قَلْبِي عَشْـراً وَلِسَانِي عَشْراً وَنَفْسِي عَشْراً فَكَانَ قَلْبِي أَصْعَبَ الثَّلاَثَةِ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

الاهتمام بالخصال السيئة

ثُمَّ عَلَيْكَ بِالِاهْتِمَامِ بِالْخِصَـالِ الأَرْبَعِ الَّتِي ذَكَـرْنَاهَـا : مِنَ الأَمَلِ ، وَالْعَجَلَةِ فِي الأُمُورِ ، وَالحَسَدِ ، وَالْكِبْرِ ؛ وَإِنَّمَا خَصَّصْنَـا هٰذِهِ الأَرْبَعَـةَ مِنْ بين سَائِرِ الْخِصَالِ فِي هٰذَا المَوْضِعِ ، وَحَضَضْنَـا عَلَى الاحْتِرَاسِ مِنْهَـا لأَنَّها عِلَلُ الْقُرَّاءِ(أ) خاصَّةً ، إِذْ هِيَ تَعْتَرِي سَائِرَ النَّاسِ عُمُومـاً وَالْقُرَّاءَ خُصُـوصاً

(أ) القرّاء : يعني بهم المتعلمين والعلماء لأنهم يقرأون الكتب ، فتشبّ نفسهم على =

فَتَكُونُ أَقْبَحَ وَأَشْنَعَ .

تَرَى الرَّجُلَ الْقَارِىءَ يُطَوِّلُ الأَمَلَ وَيَعُدُّهُ نِيَّةَ خَيْرٍ ، فَيُوقِعُهُ فِي الْكَسَلِ وَالتَّوَانِي في الْعَمَلِ .

وَتَرَاهُ يَسْتَعْجِلُ فِي تَحْصِيلِ مَنَازِلِ الْخَيْرِ فَيَنْقَطِعُ عَنْها ، أَوْ في إِجَابَةِ دُعَاءِ صَالِحٍ فَيُحْرَمُ ذٰلِكَ ، أَوْ فِي الدُّعَاءِ عَلَى أَحَدٍ بِسُوءٍ فَيَنْدَمُ عَلَى ذٰلِكَ ، كما ذُكِرَ عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ(أ) .

وَتَـرَاهُ يَحْسُدُ نُـظَرَاءَهُ عَلَى مَا آتَـاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، حَتَّى رُبَّمَا يَبْلُغُ مِنْـهُ ذٰلِكَ مَبْلَغاً يَحْمِلُهُ عَلَى قَبَائِحَ وَفَضَائِحَ لَا يَقْدَمُ عَلَيْهَا فَاسِقٌ وَلَا فَاجِرٌ ؛ وَلِهٰـذَا المَعْنَى قَالَ سُفْيَـانُ الثَّـورِيُّ : مَـا أَخَـافُ عَلَى دَمِي إِلَّا من الْقُـرَّاءِ وَالْعُلَمَاءِ فَاسْتَنْكَرُوا مِنْهُ ذٰلِكَ ، فَقَالَ : مَا أَنَا قُلْتُهُ إِنَّما قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ .

وَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ : قَالَ لِي الثَّوْرِيُّ : آحْذَرُوا الْقُرَّاءَ وَاحْذَرُوني مَعَهُمْ ، فَلَوْ خَالَفْتُ أَوَدَّهُمْ لِي فِي رُمَّانَةٍ ، فَأَقُولُ إِنَّهَا حُلْوَةٌ وَيَقُـولُ إِنَّهَا حَـامِضَةٌ مَـا أَمِنْتُهُ أَنْ يَسْعَى بِدَمِي إِلى سُلْطَانٍ جَائِرٍ .

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَـار أَنَّهُ قَـالَ : إِنِّي أَقْبَلُ شَهَـادَةَ الْقُرَّاءِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ وَلَا أَقْبَلُ شَهَادَةَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ لِأَنِّي وَجَدْتُهُمْ حُسَّاداً .

وَعَنِ الْفُضَيْلِ أَنَّـهُ قَالَ لِابْنِهِ : اشْتَرِ لِي دَاراً بَعِيدَةً مِنَ الْقُرَّاءِ ، مَا لِي

= خصال سيئة ذكرها المصنّف .

(أ) إشارة إلى الآية الكريمة في دعائه على قومه : ﴿ ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً ، إنّك إن تذرهم يُضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً ﴾ ، [نوح : ٢٦ ، ٢٧] .

وَلِقَوْمٍ إن ظَهَرَت مِنِّي زَلَّةٌ هَتَكُونِي ، وَإنْ ظَهَرَتْ عَلَيَّ نِعْمَةٌ حَسَدُونِي .

وَكَـذٰلِكَ تَـرَاهُ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّـاسِ وَيَسْتَخِفُّ بِهِمْ مُصَعِّراً خَـدَّهُ مُعَبِّساً وَجْهَهُ ، كَأَنَّمَا يَمُنُّ عَلَى النَّاسِ بِمَا يُصَلِّي زِيَادَةَ رَكْعَتَينِ ، أَوْ كَأَنَّمَا جَاءَهُ مِنَ اللّهِ تَعَالَى مَنْشُورٌ بالْجَنَّةِ والْبَرَاءَةِ مِنَ النَّـارِ ، أَوْ كَأَنَّهُ اسْتَيْقَنَ السَّعَـادَةَ لِنَفْسِهِ وَالشَّقَاوَةَ لِسَائِرِ النَّاسِ ، ثُمَّ مَعَ ذٰلِكَ يَلْبَسُ لِبَـاسَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْ صُـوفٍ وَغَيْرِهِ وَيَتَمَاوَتُ(أ) ، وَهٰذَا لاَ يَلِيقُ بِالتَّرَفُّعِ وَالْكِبْرِ وَلاَ يُلاَئِمُهُ ، بَلْ يُنَاقِضُهُ ، وَلٰكِنِ الأَعْمَى لاَ يُبْصِرُ .

وَذُكِـرَ أَنَّ فَـرْقَـداً السَّبَخِيَّ دَخَـلَ عَلَى الحَسَنِ وَعَلَيْـهِ كِسَـاءٌ وَعَلَى الحَسَنِ / حُلَّةٌ ، فَجَعَـلَ يَلْمَسُهَا فَقَـالَ الحَسَنُ : مَا لَكَ تَنْظُرُ إلى ثِيَـابِي ، ثِيَابِي ثِيَابُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَثِيَابُكَ ثِيَابُ أَهْلِ النَّارِ ، بَلَغَنِي أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ أَصْحَابُ الأَكْسِيَةِ ؛ ثُمَّ قَـالَ الحَسَنُ : جَعَلُوا الزُّهْـدَ فِي ثِيَابِهِمْ وَالكِبْـرَ في صُدُورِهِم ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِـهِ ، لأَحَدُكُم بِكِسَـائِهِ أَعْـظَمَ كِبْراً مِنْ صَـاحِبِ المِطْرَفِ بِمطْرفِهِ(ب) . [٤٨/أ]

وَإلى هٰذَا المَعْنَى أَشارَ ذُو النُّونِ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ قَالَ : [الوافر] :

تَصَـوَّفَ فَـازْدَهَى بِـالصُّـوفِ جَهْـلاً ... وَبَعْضُ النَّـاسِ يَلْبَسُـهُ مَجَـانَـهْ
يُـرِيـكَ مَهَـانَـةً وَيُـرِيـكَ كِبْـراً ... وَلَيْسَ الْكِبْـرُ مِنْ شَكْـلِ المَهَـانَـهْ
تَـصَـوَّفَ كَيْ يُـقَـالَ لَـهُ أَمِيـنٌ ... وَمَـا مَـعْنَـى تَصَـوُّفِـهِ الأَمَـانَـهْ
وَلَـمْ يُـرِدِ الإِلٰـهَ بِـهِ وَلٰـكِـنْ ... أَرَادَ بِـهِ الـطَّرِيقَ إِلَى الْـخِيَـانَـهْ

(أ) يتماوت : يظهر الموت ويدّعيه .

(ب) المطرف : بكسر الميم ورفعها ، رداء من حرير ، مربّع ، والجمع مطارف .

فَلْتَحْـذَرْ أَيُّهَا الـرَّجُلُ مِنْ هٰـذِهِ الآفاتِ الأَرْبَـعِ لاَ سِيَّمَا الْكِبْـرَ ، فَإِنَّ الثَّـلاَثَ الأُوَل مـداحِضُ لَـوْ زَلَلْتَ فِيهَـا لَـوَقَعْتَ في الْعِصْيَـانِ ؛ وَالْكِبْـرُ مَدْحَضٌ لَوْ زَلَلْتَ فِيهِ لَوَقَعْتَ فِي بِحَـارِ الْكُفْرِ وَالـطُّغْيَانِ ، وَلاَ تَنْسَ حَـدِيثَ إِبْلِيسَ وَفِتْنَتَهُ أَنَّهُ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . والرُّجُوعُ إلى اللّٰهِ سبحانه أَنْ يَعْصِمَنَا جَمِيعاً بِحُسْنِ نَظَرِهِ إِنَّهُ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ .

فصـــل
(في السُّبُل المؤدية إلى الزهد)

عدم الانشغال بالدنيا

وَجُمْلَةُ الأمْرِ أنكَ إذا نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ أيُّها الرَّجُلُ ، فَعَلِمْتَ أنّ الدُّنْيَا لاَ بَقاءَ لَها ، وَأنّ نَفْعَهَا لا يفِي بِضُرِّهَا وَتَبَعَاتِها ، مِنْ كَدِّ الْبَدَنِ وَشُغْلِ الْقَلْبِ في الدُّنْيَا ، وَالعَذَابِ الألِيمِ وَالحِسَابِ الطَّوِيلِ في الآخِرَةِ ، زَهِدْتَ في فُضُولِهَا ، فَلا تَأْخُذُ مِنْهَا إلاَّ مَا لاَ بُدَّ لَكَ مِنْهُ في عِبَادَةِ رَبِّكَ وَتَدَعُ التَّنَعُّمَ والتَّلَذُّذَ إلى الْجَنَّةِ ، دَارِ النَّعِيمِ المُقِيمِ في جِوَارِ رَبِّ العَالَمِينَ ، المَلِكِ الْقَادِرِ الْغَنِيِّ الكَرِيمِ .

ترك مخالطة الناس

وَعَلِمْتَ أنّ الْخَلْقَ لاَ وَفَاءَ لَهُمْ ، وَأنّ مَؤْنَتَهُمْ أكْثَرُ مِنْ مَعُونَتِهِمْ فِيمَا يَعْنِيكَ ، وَتَرَكْتَ مُخَالَطَتَهُمْ إلاّ فِيمَا لاَ بُدّ لَكَ مِنْهُ ، تَنْتَفِعُ بِخَيْرِهِمْ وَتَجْتَنِبُ ضُرَّهِمْ ، وَتَجْعَلُ صُحْبَتَكَ لِمَنْ لاَ تَخْسَرُ في صُحْبَتِهِ ، وَلاَ تَنْدَمُ عَلَى خِدْمَتِهِ ، وَأُنْسَكَ بِكِتَابِهِ وَمُلاَزَمَتِكَ إيَّاهُ ، فَيَكُونُ لَكَ بِكُلِّ حَالٍ ، وَتَرى مِنْهُ كُلَّ جَمِيلٍ وَإفْضَالٍ ، وَتَجِدُهُ عِنْدَ كُلِّ نَائِبَةٍ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصلاة والسَّلاَمُ : « آحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ حَيْثُ اتَّجَهْتَ »[أ] ،

مكايد

وَعَلِمْتَ أنّ الشّيْطَانَ خَبِيثٌ قَدْ تَجَرَّدَ لِمُعَادَاتِكَ ، فَآسْتَعِذْتَ بِرَبِّكَ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (٦٣) .

[٤٨/ب] الْقَادِرِ / الْقَاهِرِ مِنْ هٰذَا الْكَلْبِ اللَّعِينِ ، وَلَا تَغْفُلْ عَنْ مَكَايِدِهِ وَمَصَايِدِهِ ، فَتَطْرُدَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا تَعْبَأَنَّ بِذٰلِكَ ، فَإِنَّهُ يَسِيرٌ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْكَ عَزِيمَةُ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل : ٩٩] ، وَلَقَدْ صَدَقَ أَبُو حَازِمٍ فِيمَا قَالَ : مَا الدُّنْيَا وَمَا إِبْلِيسُ ؟

أَمَّا الدُّنْيَا : فَما مَضَى فَحُلْمٌ ، وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِيُّ ؛

وَأَمَّا الشَّيْطَانُ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ أُطِيعَ فَمَا نَفَعَ ، وَلَقَدْ عُصِيَ فَمَا ضَرَّ .

وَعَلِمْتَ جَهَالَةَ هٰذِهِ النَّفسِ وَجِمَاحَهَا إِلَى مَا يَضُرُّهَا ، وَيُهْلِكُهَا ، فَنَظَرْتَ إِلَيْهَا رَحْمَةً لَهَا نَظَرَ الْعُقَلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ ، الَّذِينَ يَنْظُرُونَ فِي الْعَوَاقِبِ ، لَا نَظَرَ الْجُهَّالِ وَالصِّبْيَانِ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ فِي الْحَالِ ، وَلَا يَفْطُنُونَ لِغَائِلَةِ الأذى وَيَفِرُّونَ[1] مِنْ مَرَارَةِ الدواءِ[2] وَأَلْجَمْتَهَا بِلِجَامِ التَّقْوَى ، بِأَنْ تَمْنَعَها عَمَّا لَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِالحَقِيقَةِ ، مِنْ فُضُولٍ وَكَلَامٍ وَنَظَرٍ وَتَلَبُّسٍ بِخَصْلَةٍ فاسِدَةٍ مِنْ طُولِ أَمَلٍ أَوْ عَجَلٍ أَوْ حَسَدِ مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكَبُّرٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، أَوْ أَكْلٍ بِمَحْضِ شَهْوَةٍ وَشَرَهٍ ، وَتُعْطِيَهَا مَا لَيْسَ لَهَا مِنْهُ بُدٌّ وَلَا تَخَافُ مِنْهُ ضَرَراً ؛ إِذْ لَا ضَرُورَةَ إِلَى الْفُضُولِ ، وَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ تَعَالَى الأَمْرَ عَلَى عِبادِهِ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَغْنَاهُمْ عَنْ جَمِيعِ مَا يَضُرُّهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِم فَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى ذٰلِكَ ؟ فَإِنَّ الأَمْرَ كَمَا قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ : إِنَّ التَّقْوَى أَهْوَنُ شَيءٍ ، إِذَا رَابَنِي أَمرٌ تَرَكْتُهُ ، فَإِنَّ النَّفْسَ تَسْتَكِينُ وَتَتعوَّدُ مَا عَوَّدْتَهَا ، وَإِنَّها لكمَا قال الْقَائِلُ : [الكامل] :

فَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا   وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وَقَال آخر : [الطويل] :

هي النفس ما عوّدتها تتعوّدُ ؛

ويُروى : هي النَّفْسُ مَا حَمّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ[أ]

وَقَال آخر : [الطويل]:

صَبَرَتُ عَنِ اللَّذَاتِ حَتَّى تَوَلَّتِ　　وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتِ
وَمَا النَّفْسُ إلاّ حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى　　فَإِنْ أُطْعِمَتْ تَاقَتْ وَإلاّ تَسَلَّتِ

فَإِذَا عَلِمْتَ الّذِي وَصَفْنَاهُ وَعَمِلْتَ بِهِ كُنْتَ مِنَ الزَّاهِدِينَ في الدُّنْيَا ، الرّاغِبِينَ فِي الآخِرةِ .

وَاعْلَمْ أَنّ مَنْ سُمِّي بِاسْمِ الزّاهِدِ ، فَلَقَدْ سُمِّي بِأَلْفِ اسْمٍ مَمْدُوحٍ ، وَكُنْتَ مِنَ المُنْفَرِدِينَ المُنْقَطِعِينَ إلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، الّذِينَ هُمْ أَهْلُ الأُنْسِ ، خَدَمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَتَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ : [المتقارب]:

تَشَاغَلَ قَوْمٌ بِدُنْيَاهُمُ　　وَقَوْمٌ تَخَلَّوْا لِمَوْلاَهُمُ / [٤٩/أ]
فَأَلْزَمَهُمْ بَابَ مَرْضَاتِهِ　　وَعَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ أَغْنَاهُمُ
إذا ذكروا بالّذي اسلفوا　　أذابَ القُلُوبَ وأبكاهُمُ
فما يَعْرِفُونَ سوى حُبِّهِ　　فَوالُوا الإلَه فَوالاهُمُ
يَصُفّونَ بِاللّيْلِ أَقْدَامَهُمْ　　وَعَيْنُ المُهَيْمِنِ تَرْعَاهُمُ
فَطُوبَى لَهُمْ ثُمَّ طُوبَى لَهُمْ　　إذَا بِالتَّحِيَّةِ حَيّاهُمُ[1]

مكانة الزاهد

وَكُنْتَ مِنَ المجاهِدينَ في اللّهِ ، الْخَوَاصِّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، الّذِينَ قَالَ فِيهِم سُبْحَانَهُ : ﴿ **إِنّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ [الحجر : ٤٢] ، وَكُنْتَ مِنَ المُتّقِينَ ، الّذِينَ لَهُمْ سَعَادَةُ الدّارَيْنِ ، وَصِرْتَ حِينَئِذٍ أَفْضَلَ مِنْ

(أ) وتمام البيت : « وللدهر أيّام تجور وتعدل » وهذا البيت يُنسبُ للمتنبي .

كَثِيرٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، إِذْ لَيْسَتْ لَهُمْ شَهْوَةٌ تَدْعُو إلى قَبِيحٍ وَلاَ نَفْسٌ خَبِيثَةٌ ؛ وَكُنْتَ قَدْ خَلَّفْتَ هٰذِهِ الْعَقَبَةَ الطَّوِيلَةَ الشَّدِيدَةَ وَرَاءَكَ وَسَبَقْتَ الْعَوَائِقَ كُلَّهَا إلى مَقْصُودِكَ ، وَلاَ يَهُولَنَّكَ فَإِنَّهُ مَعَ الاِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَالاِعْتِصَامِ بِهِ لَهَيِّنٌ .

نَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهُوَ خَيْرُ مَسْئُول ، أَنْ يُمِدَّكَ وَإِيَّانَا بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَعَوْنِهِ وَتَيْسِيرِهِ ، فَإِنَّهُ الْكَافِي لِكُلِّ مُهِمٍّ وَالاِسْتِعَانَةُ بِهِ فِي كُلِّ مُعْضِلٍ ، فَبِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

فَهٰذَا مَا أَرَدْنَا ذِكْرَهُ فِي هٰذَا الْبَابِ (ب) ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

(ب) أي : باب عقبة العوائق .

العقبة الرابعة

وهي عقبة العوارض

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِبَادَةِ ـ وَفَّقَكَ اللَّهُ ـ بِكَفَايَةِ الْعَوَارِضِ ، الشَّاغِلَةِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِسَدِّ سَبِيلِهَا عَلَيكَ لِئَلاَّ تُشْغَلَ عَنْ مَقْصُودِكَ ؛ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهَا أَرْبَعَةٌ :

العارض الأول : الرِّزْقُ وَمُطَالَبَةُ النَّفْسِ بِذلِكَ

وَإِنَّمَا كِفَايَتُهُ فِي التَّوَكُّلِ ، فَعَلَيْكَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي مَوْضِعِ الرِّزْقِ وَالْحَاجَةِ بِكُلِّ حَالٍ ؛ وَذلِكَ لِأَمْرَيْنِ :

وجوب التوكل لأمرين

١ ـ **أَحَدُهُمَا** : لتتفرَّغَ لِلْعِبَادَةِ وَيَتَمَشَّى لَكَ مِنَ الْخَيْرِ حَقُّهُ ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَوَكِّلاً فَلاَ بُدَّ مِنَ آشْتِغَالِهِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ بِسَبَبِ الْحَاجَةِ وَالرِّزْقِ وَالمَصْلَحَةِ ، إِمَّا ظَاهِراً وَإِمَّا بَاطِناً ؛ إِمَّا بِطَلَبٍ وَكَسْبٍ بِالْبَدَنِ كَعَامَّةِ الرَّاغِبِينَ ، وَإِمَّا بِذِكْرٍ وَإِرَادَةٍ وَوَسْوَسَةٍ بِالْقَلْبِ كَالْمُجْتَهِدِينَ الْمُعَلِّقِينَ .

وَالْعِبَادَةُ تَحْتَاجُ إِلى فَرَاغِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ لِيَحْصُلَ حَقُّهَا ؛ وَالْفَرَاغُ لاَ يَكُونُ إِلاَّ لِلْمُتَوَكِّلِينَ ، بَلْ أَقُولُ : كُلُّ مَنْ هُوَ ضَعِيفُ الْقَلْبِ ، لاَ يَكَادُ يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ إِلاَّ بِشَيْءٍ مَعْلُومٍ ، فَلاَ يَكَادُ يَتِمُّ لَهُ أَمْرٌ خَطِيرٌ مِنْ دُنْيا وَآخِرَةٍ .

الدنيا وأبناؤها

وَكَثِيراً مَا سَمِعْتُ مِنْ شَيْخِي أَبِي مُحمَّدٍ يَقُولُ : إِنَّمَا الأمُورُ تمشِي فِي الْعَالَمِ لِرَجُلَيْنِ : مُتَوكِّل أَوْ مُتَهوِّرٍ .

قُلْتُ : وَهٰذَا كَلاَمٌ جَامِعٌ في مَعْنَاهُ .

المتهوّر

فَإنّ الْمُتَهَوِّرَ يَقْصِدُ الأُمُورَ عَلَى قُـوَّةِ عَادَةٍ وَجُـرْأةِ قَلْبٍ ، لاَ يَلْتَفِتُ / [٤٩/ب] إلى صَارِفٍ يَصْرِفُهُ ، أَوْ خَاطِرٍ يُضْعِفُهُ فَتَجْرِي لَهُ الأُمُورُ .

المتوكل

وَالْمُتَوَكِّلُ يَقْصِدُ الأُمورَ عَلَى قُوَّةِ بَصِيرَةٍ ، وَكَمَالِ يَقِينٍ وطمأنينة بِوَعْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَتَمَامِ ثِقَةٍ بِضَمَانِهِ ، ولاَ يَلْتَفِتُ إِلَى إِنسَانٍ يُخَوِّفُهُ أَو شَيْطَانٍ يُوَسْوِسُهُ ، فَيَفُوزَ بِمَقَاصِدِهِ وَيَظْفَرَ بِمَطَالِبِهِ .

الضعيف

وَأَمَّا الْخَلْقُ الضَّعِيفُ أَبداً ، يَكُونُ بَيْنَ تَوَكُّلٍ وَتَرَدُّدٍ ، وَفُتُورٍ وَتَحَيُّرٍ ، كَالْحِمَارِ في مَعْلَفِهِ وَالدَّجَاجِ في قَفَصِهِ ، يَرْمُقُ مَا تَعَوَّدَ مِنْ صَاحِبِهِ ، لاَ يَكَادُ يَنْفَكُّ مِنْ ذٰلِكَ ؛ تَقَاعَدَتْ نَفْسُهُ عَنْ مَعَالِي الأُمُورِ ، وَآنْقَطَعَتْ هِمّتُـهُ ، فَلاَ يَكَادُ يَقْصِدُ أَمْراً شَرِيفاً ، وَإِنْ قَصَدَهُ فَلاَ يَكَادُ يَـظْفَرُ بِـهِ وَلاَ يَتِمُّ لَهُ ذٰلِـكَ ، أَلاَ تَرَى أَصْحَابَ الْهِمَمِ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، لَمْ يَنَالُوا مَرْتَبَةً كَبِيرَةً وَمَنْزِلَةً خَطِيرَةً إلاَّ بِانْقِطَاعِ قُلُوبِهِمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ .

الملوك

أَمَّا الْمُلُوكُ ، فَيُبَاشِرُونَ الْحُرُوبَ وَيُكَافِحُونَ الأَعْدَاءَ، إمَّا هُلْكـاً وَإمّا مُلْكاً ، حَتّى تَحْصُلَ لَهُمْ مَرْتَبَةُ الْمُلْكِ وَعَقْدُ الْوِلاَيَةِ .

وَقِيل : إنّ مُعَاوِيَةَ ، رضي اللَّهُ عنه ، لَمّا نَظَرَ إلى الْعَسْكَـرَيْنِ[أ] يَوْمَ صِفِّينَ قَالَ : مَنْ أَرَادَ خَطِيراً خَاطَرَ بِعَظِيمَتِهِ .

(أ) أي عسكره وعسكر علي بن أبي طالب .

التجار وَأَمَّا التُّجَّارُ فَيَرْكَبُونَ المَهَالِكَ بَرّاً وَبَحْراً ، وَيَطْرَحُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي المَقَاطِعِ شَرْقاً وَغَرْباً ، وَيُوَطِّنُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَحَدِ الأَمْرَيْنِ : إِمَّا فَوْتِ الأَرْوَاحِ ، وَإِمَّا حُصُولِ الأَرْبَاحِ ، حَتَّى يَحْصُلَ لَهُمْ بِذٰلِكَ كُلُّ رِبْحٍ عَظِيمٍ وَمَالٍ جَسِيمٍ وَعِلْقٍ نَفِيسٍ .

السّوقي وَأَمَّا السُّوقِيُّ ، الَّذِي قَدْ ضَعُفَ قَلْبُهُ وَرَقَّ عَزْمُهُ ، فَلَا يَكَادُ يَقْطَعُ الْقَلْبَ عَنْ عَلَاقَتِهِ مِنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهُوَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى دُكَّانِهِ طُولَ عُمْرِهِ ، لَا يَصِلُ إِلَى مَرْتَبَةٍ شَرِيفَةٍ كَالْمُلُوكِ ، وَلَا إِلَى رِبْحٍ عَظِيمٍ كَالتُّجَّارِ المُخَاطِرِينَ ، فَإِن نَالَ فِي سُوقِهِ رِبْحَ دِرْهَمٍ عَلَى بِضَاعَتِهِ فَذَلِكَ لَهُ كَثِيرٌ ، وَذٰلِكَ لِتَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِشَيءٍ مَعْلُومٍ ، فَهٰذَا فِي الدُّنْيَا وَأَبْنَائِهَا .

أبناء الآخرة وَأَمَّا أَبْنَاءُ الآخِرَةِ ، فَرَأْسُ مَالِهِمْ هٰذِهِ الْخَصْلَةُ الَّتِي هِيَ التَّوَكُّلُ وَقَطْعُ الْقَلْبِ عَنْ الْعَلَائِقِ ، لَمَّا أَحْكَمُوهَا وَأَعطوهَا حَقَّهَا[1] ، تَفَرَّغُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَمَكَّنُوا من التَّفَرُّدِ عَنِ الْخلْقِ ، وَالسِّيَاحَةِ فِي الأَرْضِ ، وَاقْتِحَامِ الْفَيَافِي ، وَاسْتِيطَانِ الْجِبَالِ وَالشِّعَابِ ، فَصَارُوا أَقْوِيَاءَ الْعِبَادِ وَرِجَالَ الدِّينِ وَأَحْرَارَ النَّاسِ وَمُلُوكَ الأَرْضِ بِالْحَقِيقَةِ ، يَسِيرُونَ حَيْثُ يَشَاءُونَ وَيَقْصِدُون مِنَ الأُمُورِ الْعِظَامِ عِلماً وَعِبَادَةً مَا يَشَاءُونَ ، لَا عَائِقَ لَهُمْ وَلَا حَاجِزَ لَهُمْ دُونَهُم ، وكُلُّ الأَمَاكِنِ لَهُمْ / وَاحِدٌ ، وكُلُّ الأَزْمَانِ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ ، وَإِلَيْهِ [٥٠/أ] الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ عليه الصلاة والسلام : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقوى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بما فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بما فِي يَدِهِ »[أ] .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (٦٤) .

وَعَنْ سُلَيْمَانَ الْخَوّاص : لَوْ أَنَّ رجُلًا تَـوَكَّلَ على اللَّهِ سُبْحَـانَهُ بِصِـدْقِ النِّيَّةِ، لَاحْتَاجَ إِلَيْهِ الأمَرَاءُ فَمَنْ دُونَهُمْ، وَكَيْفَ يَحْتَاجُ وَمَوْلَاهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ؟.

وَعَنْ إِبْـرَاهِيمَ الْـخَـوّاص قَـالَ : لَقِيتُ غُلَامـاً فِي التِّيْهِ كَـأَنَّهُ سَبِيكَـةُ فِضَّةٍ، قُلْتُ: إلى أَيْنَ يَا غُـلَامُ؟ قالَ إلى مَكَّـةَ، قُلْتُ: بِلا زَادٍ وَلا رَاحِلَةٍ؟ فَقَالَ : يَا ضَعِيفَ الْيَقِينِ ، الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى حِفْظِ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ يقدر أَنْ يُـوَصِّلَنِي إِلَى مَكَّةَ بِـلَا زَادٍ وَلَا رَاحِلَةٍ . فَلَمَّـا دَخَلْتُ مَكَّـةَ فَـإِذَا هُـوَ في الطَّوافِ يَقُولُ : [مجزوء الرجز] :

يَـا نَـفْسُ سِيـحِي أَبَـدَا وَلَا تُـحِـبِّـي أَحَـدَا
إِلَّا الـجَـلِيـلَ الـصَّـمَـدَا يَـا نَـفْسُ مُـوتِي كَـمَـدَا

فَلَمّا رَآنِي قَالَ : يَا شَيْخُ أَنْتَ بَعْدُ عَلَى ذٰلِكَ الضَّعْفِ من اليقين ؟

وَقَالَ أَبُو مُطِيعٍ لِحَاتِمٍ الأَصَمِّ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقْطَعُ المَفَاوِزَ بِـالتَّوَكُّـلِ مِنْ غَيْرِ زَادٍ ، قَالَ حَاتِمٌ : زَادِي أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ ، قَالَ مَا هِيَ ؟ قَالَ أَرَى الدُّنْيَا والآخِرَةَ مَمْلَكَةً لِلَّهِ عزّ وجلّ ؛ وَأَرَى الْخَلْقَ كُلَّهُم عَبِيدَ اللَّهِ وَعِيالَهُ ؛ وَأَرَى الأَرْزَاقَ وَالأَسْبَابَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ ، وَأَرَى قَضَاءَ اللَّهِ نَافِذاً فِي جَمِيعِ أَرْضِ اللَّهِ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ : [الوافر] :

أرَى الـزُّهَّـادَ فـي رَوْحٍ وَرَاحَـهْ قُـلُوبُهُـمُ عَـنِ الـدُّنْـيَـا مُـزَاحَـهْ
إِذَا أَبْصَـرْتَهُـمْ أَبْصَـرْتَ قَـوْمـاً مُلُوكَ الأَرْضِ سِيمَتُهُمْ سَـمَـاحَـهْ

٢ ـ وَأَمَّا الأَمْرُ الثَّانِي الَّذِي ٱقْتَضَى التَّوَكُّلَ عَلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ في هٰذَا الشَّأْنِ فَهُوَ مَا فِي تَرْكِهِ مِنَ ٱلْخطَرِ الْعَظِيمِ والأَمْرِ الْكَبِير .

خطر ترك التوكل

قُلْتُ : أَلَيْسَ ٱللهُ سُبْحَـانَهُ قَـرَنَ الرِّزْقَ بِـالْخلْقِ فَقَـالَ ﴿ خَلَقَكُمْ ثُمَّ

رَزَقَكُمْ ﴾[الروم : ٤٥] فَدَلَّ أَنَّ الـرِّزْقَ مِنَ اللهِ لاَ غَيْرُ كـالْخلْقِ ؛ ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِالدَّلاَلَةِ حَتَّى وَعَدَ فَقَالَ ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾[الذاريات : ٥٨] ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِالْوَعْدِ حَتَّى ضَمِنَ فَقَالَ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِالضَّمَانِ حَتَّى أَقْسَمَ فَقَـالَ : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾[الذاريات : ٢٣].

ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِـذَلِـكَ كُلِّهِ حَتَّى أَمَـرَ بِـالتَّـوَكُّـلِ وَأَبْلَغَ وَأَنْـذَرَ فَقَـالَ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] وَقَالَ سُبْحَـانَهُ : ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَـوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المـائـدة : ٢٣] فَمَنْ لَمْ يَعْتَبِـرْ قَوْلَهُ ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِوَعْدِهِ ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَى ضَمَانِهِ ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِقَسَمِهِ ، ثُمَّ لَمْ يُبَالِ / بِأَمْرِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ، فَانْظُرْ مَاذَا يَكُونُ حَالُهُ ، وَانْتَبِهْ أَيُّ مِحْنَـةٍ تَجِيءُ مِنْ هٰذا ؟ وَهٰذِهِ وَاللَّهُ مُصِيبَةٌ شَدِيدَةٌ وَنَحْنُ مِنْهَا فِي غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ . [٥٠/ب]

وَلَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ الأَمِينُ عليه الصلاة والسلام لِابْنِ عُمَرَ : « كَيفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ بَيْنَ قَوْمٍ يَخْبَئُونَ رِزْقَ سَنَتِهِمْ لِضَعْفِ الْيَقِينِ »[أ] .

وَعَنِ الْحَسَنِ : لَعَنَ اللهُ أَقْوَاماً أَقْسَمَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَلَمْ يُصَدِّقُوهُ .

وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الـذاريات : ٢٣] هَلَكَتْ بَنُـو آدَمَ ، أَغْضَبُوا الـرَّبَّ حَتَّى أَقْسَمَ لَهُمْ عَلَى أَرْزَاقِهِمْ .

وَعَنْ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ أنه قَالَ :[١] لَوْ عَبَدْتَ اللهَ عِبَادَةَ أَهْلِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ لما تَقَبَّلَ مِنْكَ حَتَّى تُصَدِّقَهُ ، قِيلَ : وَكَيْفَ تُصَدِّقُهُ ؟ قالَ تَكُونُ آمِناً بِماَ تَكَفَّلَ اللهُ لَكَ مِنْ أَمْرِ رِزْقِكَ ، وَتَرَى جَسَـدَكَ فارِغاً لِعِبَادَتِهِ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (٦٥) .

وَلَقَدْ قالَ لَـهُ هَرِمُ بْنُ حَيَّـانَ : أَيْنَ تَأْمُـرُنِي أَنْ أُقِيمَ ؟ فَأَوْمَـأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّـامِ ، قَالَ هَـرِمٌ : كَيْفَ المَعِيشَةُ بِهـا ؟ قَال : أُفٍ لِهٰـذِهِ الْقُلُوبِ ، لَقَدْ خَالَطَهَا الشَّك فَمَا تَنْفَعُهَا المَوعِظَةُ .

وبَلَغَنا أَنّ نَبَّاشاً تَابَ عَلَى يدي أَبِي يَزِيدَ الْبَسْطَامِيِّ رَحِمَهُ الله فَسَأَلَهُ أَبُو يَـزِيـدَ عَنْ حَـالِـهِ فَقَـالَ : نَبَشْتُ أَلْفِ قَبْـرٍ فَلَمْ أَرَ وُجُـوهَهُمْ إِلى الْقِبْلَةِ إِلاَّ رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ أَبُو يَزِيدَ : مَسَاكِينُ أُولئِكَ تُهَمَةُ الرِّزْقِ حَـوَّلَتْ وُجُوهَهُمْ عنِ الْقِبْلَةِ .

وَذَكَـرَ بَعْضُ أَصْحَابِنـاَ أَنَّهُ رَأَى رَجُـلاً مِنْ أَهْلِ الصَّـلاحِ فَسَأَلَـهُ عَنْ حاَلِهِ ؟ فَقَالَ : هَلْ سَلِمْتَ بِإِيمانِكَ ؟ فَقالَ إِنَّما يَسْلَمُ الإِيمَانُ لِلْمُتَوَكِّلِينَ .

نَسْأَلُ الله أَنْ يُصْلِحَناَ بِفَضْلِهِ ، ولاَ يُؤاخِذَنَا بِماَ نَحْنُ أَهْلُهُ ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

حقيقة التوكل

فَإِنْ قُلتَ : فَأَخْبِرناَ مَا **حَقِيقَةُ التَّوكُّلِ** وَحُكْمُهُ وَمَا يَلْزَمُ الْعَبْـدَ فِيه من أَمْرِ الرِّزْقِ ؟ .

فَاعْلَمْ أَنّهُ يَتَبَيَّنُ لَـكَ هٰذَا في أَرْبَعَـةِ فُصُولٍ : بَيَـانِ لَفْظَةِ التَّـوَكُّلِ ، وَمَوْضِعِهِ ، وَحَدِّهِ ، وَحِصْنِهِ .

اللفظة

● **فَأَمَّا اللَّفْظَةُ**: فَإِنَّمَا هيَ تَوَكُّلٌ تَفَعُّلٌ مِنَ الْوَكَالَةِ، فَالْمُتوكِّلُ عَلَى أَحَـدٍ هُوَ الَّذِي يَتَّخِذُهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَكِيلِ الْقَائمِ بِأَمْرِهِ ، الضَّامِنِ لإِصْلاَحِهِ ، الْكَافِي لَهُ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَٱهْتِمَامٍ ، فَهٰذِهِ جُمْلَتُهُ .

● **وَأَمَّا الْمَوْضِعُ** فَاعْلَمُ أَنَّ التَّوكُّلَ ٱسْمٌ مُطْلَقٌ فِي ثَلاَثَةِ مَوَاضِعَ :

الموضع

أَحَدُهَا في مَوْضِعِ الْقِسْمَةِ ، وَهَي الثِّقَةُ بِالله تعالى ، بِأَنَّهُ لاَ يَفُوتُكَ مَا قُسِمَ لَكَ فَإِنَّ حُكْمَهُ لاَ يَتَبَدَّلُ ، وَهٰذَا وَاجِبٌ بِالسَّمْعِ .

وَالثّاني فِي مَوْضِعِ النُّصْرَةِ ، وَهُوَ آلاعْتِمادُ وَالْوَثاقَةُ بِنَصْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ لَكَ إذَا نَصَرْتَهُ وَجَاهَدْتَ ، قال الله تَعَالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى آلله ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وَقالَ : ﴿ إنْ تَنْصُرُوا آلله يَنْصُرْكُمْ ﴾ [محمد : ٧] وقال / تَعالى : ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] وَهٰذَا وَاجِبٌ بِالْوَعْدِ . [٥١/أ]

وَالثّالثُ : في مَوْضِعِ الرِّزْقِ وَالْحَاجَةِ ، بِأَنَّ الله تَعَالى مُتَكَفِّلٌ بِمَا يُقِيمُ بِنْيَتَكَ لِخِدْمَتِهِ ، وَتَتَمَكَّنَ بِهِ مِنْ عِبادَتِهِ ، قال الله تَعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى آلله فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٣] .

وَقَالَ الصَّادِقُ الأمِينُ ﷺ : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى آلله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً »[أ]. وَهٰذَا فَرْضٌ لازِمٌ لِلْعَبْدِ ، بِدَلِيلِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ جَمِيعاً ، وَهٰذَا هُوَ الأَشْهَرُ وَالأَغْلَبُ مِنْهُ ، أَعْنِي التَّوَكُّلَ في مَوْضِعَ الرِّزْقِ ، وَهُوَ المَقْصُودُ مِنْ هٰذَا الْفَصْلِ ، فَمَوْضِعُ التَّوَكُّلِ إذَنْ هُوَ الرِّزْقُ وَهُوَ الرِّزْقُ المَضْمُونُ فِيمَا قال الْعُلَمَاءُ بِالله ، وَإنَّما يَتَّضِحُ لَكَ هٰذَا بِبَيَانِ أَقْسَامِ الرِّزْقِ . الرِّزق موضع التوكل

فَاعْلَمْ أَنَّ الرِّزْقَ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ : مَضْمُونٌ ، وَمَقْسُومٌ ، وَمَمْلُوكٌ ، وَمَوْعُودٌ[١] . أقسام الرِّزق

فَالْمَضْمُونُ هُوَ الغِذَاءُ وَمَا بِهِ قَوَامُ الْبِنْيَةِ دُونَ سَائِرِ الأَسْبَابِ ، فالضَّمَانُ مِنَ الله تَعَالى لِهٰذَا النَّوْعِ ، وَالتَّوَكُّلُ يَجِبُ بِإِزَائِهِ بِدَلِيلِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ ، لأنَّ الله تَعَالى كَلَّفَنَا خِدْمَتَهُ وَطَاعَتَهُ بِأَبْدَانِنَا ، فَضَمِنَ مَا يَسُدُّ خَلَلَ الْبِنْيَةِ لِنَقُومَ بِمَا كَلَّفَنَا . المضمون

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (٦٦) .

وَقَالَ بَعْضُ مَشايِخِ الْكَرَّامِيَّةِ[أ] كَلاَماً حَسَناً عَلَى أَصْلِهِ : إن ضَمَانَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ وَاجِبٌ في حُكْم[1] الله تَعَالى لِثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ :

أسباب ضمان الرزق

أَحَدُهَا : أَنَّهُ سيِّدٌ وَنَحْنُ الْعَبِيدُ ، وَعَلَى السَّيِّدِ كِفَايَةُ مُؤْنَةِ الْعَبِيدِ ، كَمَا أَنَّ على الْعَبِيدِ خِدَمَةُ السَّيِّدِ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ خَلَقَهُمْ مُحْتَاجِينَ إلى الرِّزْقِ ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ سَبِيلاً إلى طَلَبِهِ ، إذْ لاَ يَدْرُونَ مَا هُوَ رِزْقُهُمْ ، وَأَيْنَ هُوَ ، وَمَتَى هُوَ ؟ لِيَطْلُبُوهُ بِعَيْنِهِ مِنْ مَكَانِهِ ، وَفي وَقْتِهِ لِيَصِلُوا إلَيْهِ ، فَوَجَبَ أَنْ يَكْفِيَهُمْ أَمْرَ ذٰلِك وَيُوصِّلَهُمْ إلَيْهِ .

وَالثَّالِثُ : أَنّهُ كَلَّفَهُمُ الْخِدْمَة ، وَطَلَبُ الرِّزْقِ شَاغِلٌ عَنْهَا ، فَوَجَبَ أَنْ يَكْفِيَهُمُ الْمُؤْنَةَ لِيَتَفَرَّغُوا لِلْخِدْمَةِ .

وَهٰذَا كلاَمُ مَنْ لَمْ يُحِطْ بِأَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ . وَالْقَائِلُ بِأَنَّ عَلَى ٱللهِ وَاجِبٌ تَائِهٌ ، وَقَدْ أَوْضَحْنَا فِي فَنِّ الْكَلاَمِ فَسَادَهُ ، وَلْنَرْجِعْ إلى المَقْصُودِ مِنْ غَرَضِنَا .

المقسوم

٢ ـ **وَأَمَّا الرِّزْقُ المَقْسُومُ** : فَهُوَ مَا قَسَمَهُ الله سُبْحَانَهُ وَكَتَبَهُ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ ، مَا يَأْكُلُهُ وَيَشْرَبُهُ وَيَلْبَسُهُ كُلُّ وَاحِدٍ بِمِقْدَارٍ وَوَقْتٍ مُؤَقَّتٍ ، لاَ يَزِيدُ وَلاَ يَنْقُصُ ، وَلاَ يَتَقَدَّمُ وَلاَ يَتَأَخَّرُ عَمَّا كُتِبَ بعَيْنِهِ ، كمَا قالَ النَّبِيُّ ﷺ : « الرِّزْقُ مَقْسُومٌ مَفْرُوغٌ مِنْهُ لَيْسَ تَقْوَى تَقِيٍّ بِزَائِدِه وَلاَ فُجُورُ فَاجِرٍ بِنَاقِصِهِ »[ب] .

(أ) الكرامية : فرقة من المشبّهة ، شبّهوا الله بالمخلوقات ، وهم أصحاب عبد الله بن محمد بن كرام .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم : ٦٧ .

المملوك [٥١/ب]

٣ - **وأَمَّا المَمْلُوكُ** : فَمَا يَمْلِكُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَمْوَالِ الدُّنْيَا عَلَى / حَسَبِ مَا قَدَّرَ الله تعالى وَقَسَمَ لَهُ أَن يَمْلِكَهُ وَهُوَ مِنْ رِزْقِ الله تَعالى ، قَالَ تَعالى ﴿ **أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٥٤] أَيْ مِمَّا مَلَّكْنَاكُم .

الموعود

٤ - **وَأَمَّا المَوْعُودُ** : فَهُوَ مَا وَعَدَ الله المُتَّقِينَ من عباده بِشَرْطِ التَّقْوَى حَلالاً مِنْ غَيْرِ كَدّ ، قالَ الله تَعالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق : ٣]

فَهٰذِهِ أَقْسَامُ الرِّزْقِ ، وَالتَّوَكُّلُ إِنَّما يَجِبُ بِإِزَاءِ المَضْمُونِ مِنْهَا ، فَاعْلَمْ ذٰلِكَ .

حدُّ التوكل

● **وَأَمَّا حَدُّ التَّوَكُّلِ** [1]: فَقَدْ قَالَ بَعْضُ شُيُوخِنَا : إِنَّهُ اتِّكَالُ الْقَلْبِ إِلَى الله بِالاِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ وَاليأس[1] عَمَّا دُونَهُ . وَقالَ بَعْضُهُمْ : حِفْظُ الْقَلْبِ إِلَى الله بِمَوْضِعِ المَصْلَحَةِ ، بِتَرْكِ تَعْلِيقِهِ على شَيْءٍ دُونَهُ .

قالَ الشَّيْخُ أَبو عُمَر[أ] رَحِمَهُ الله : التَّوكلُ تَرْكُ التعليقِ ، وَالتَّعليقُ ذِكْرُ قِوَامِ بِنْيَتِكَ بشَيءٍ دُونَ اللّهُ عزَّ وجلَّ .

قالَ شَيْخِي الإِمَامُ[ب] رَحِمَهُ الله : التَّوَكُّلُ وَالتَّعَليقُ ذِكْرَانِ ، فالتَّوَكُّلُ هُوَ ذِكْرُ قِوَامِ بِنْيَتِكَ مِنْ قِبَلِ الله تعالى ، وَالتَّعَليقُ ذِكْرُ قِوَامِهَا عَمَّنْ دُونَ الله تَعَالى . وَالأَقاوِيلُ عِنْدِي تَرْجِعُ إِلى أَصْلٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ أَنْ تُوَطِّنَ نفسك عَلَى أَنَّ قِوَامَ بِنْيَتِكَ وَسَدَّ خَلَّتِكَ وَكِفَايَتِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ لاَ من أحَدٍ دُونَ

(أ) أراد به أبا عمر محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري ، جاور بمكّة سنين كثيرة ، ومات بها . صحب الجُنَيْد وأبا عثمان والنوري والخوّاص ورُوَيْماً . مات بمكّة سنة ٣٤٨ هـ (سراج الطالبين ٢/٩٧) .

(ب) هو أبو بكر الوّراق .

اللهِ ، وَلَا بِحُطَامٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا بِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ ، ثُمَّ اللهُ تعالى إنْ شَاءَ سَبَّبَ لَهُ مَخْلُوقاً أَوْ حُطَاماً ، وَإِنْ شَاءَ كَفَاهُ[1] بِقُدْرَتِهِ دُونَ الأَسْبَابِ وَالْوَسَائِطِ ، وَإِذَا ذَكَرْتَ ذٰلِكَ بِقَلْبِكَ وَتَوَطَّنْتَ عَلَيْهِ فَانْقَطَعَ الْقَلْبُ عَنِ المَخْلُوقِينَ وَالأَسْبَابِ بِمَرَّةٍ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ ، فَقَدْ حَصَّلَ التَّوَكُّلَ حَقَّهُ ، فَهٰذَا حَدُّهُ .

حِصن التو الورّاق

● **وَأَمَّا حِصْنُ التَّوَكُّلِ** الْبَاعِثُ عَلَيْهِ ، فَهُوَ ذِكْرُ ضَمَانِ اللهِ تعالى ، وَحِصَنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ جَلَالِ اللهِ تَعَالى وَكَمَالِهِ في عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَنَزَاهَتِهِ عَنِ الْخُلْفِ وَالسَّهْوِ وَالْعَجْزِ وَالنَّقْصِ ، فَإِذَا وَاظَبَ الْعَبْدُ عَلَى هٰذِهِ الأَذْكَارِ بَعَثَتْهُ عَلَى التوكل على اللّٰهِ سُبْحَانَهُ في أَمْرِ الرِّزْقِ .

طلب الرزق

فَإِنْ قِيلَ : فَهَلْ يَلْزَمُ الْعَبْدَ طَلَبُ الرِّزْقِ بِحَالٍ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ الرِّزْقَ المَضْمُونَ الَّذِي هُوَ الْغِذَاءُ وَالْقِوَامُ لَا يُمْكِنُنَا طَلَبُهُ ، إِذْ هُوَ شَيْءٌ مِنْ فِعْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ بِالْعَبْدِ ، كَالحَيَاةِ وَالمَوْتِ ، لَا يَقْدِرُ الْعَبْدُ عَلَى تَحْصِيلِهِ وَلَا دَفْعِهِ .

وَأَمَّا المَقْسُومُ مِنَ الأَسْبَابِ فَلَا يَلْزَمُ الْعَبْدَ طَلَبُهُ ، إِذْ لَا حَاجَةَ لِلْعَبْدِ إلى ذٰلِكَ ، وَإِنَّمَا حَاجَتُهُ / إلى المَضْمُونِ ، وَهُوَ مِنَ اللهِ تَعَالى ، وَفي ضَمَانِ اللهِ . [٥٢/أ]

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالى : ﴿ **وَٱبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ** ﴾ [الجمعة : ١٠] فَالْمُرَادُ بِهِ الْعِلْمُ وَالثَّوَابُ ، وَقِيلَ : هُوَ رُخْصَةٌ ، إِذْ هُوَ أَمْرٌ وَارِدٌ بَعْدَ الْحَظْرِ ، فَيَكُونُ بِمَعْنَى الإِبَاحَةِ ، لَا بِمَعْنَى الإِيجابِ وَالإِلْزَامِ .

فَإِنْ قِيلَ : لٰكِنْ لِهٰذَا الرِّزْقِ المَضْمُونِ أَسْبَابٌ ، فَهَلْ يَلْزَمُنَا طَلَبُ الأَسْبَابِ ؟ .

قِيلَ لَهُ : لاَ يَلْزَمُكَ ذٰلِكَ ، إِذْ لاَ حَاجَةَ لِلْعَبْدِ إِلَيْهِ ، إِذِ الله سُبْحَانَهُ يَفْعَلُ بِسَبَبٍ وَبِغَيْرِ سَبَبٍ ، فَمِنْ أَيْنَ يَلْزَمُنَا طَلَبُ السَّبَبِ ؟ ثُمَّ إِنَّ الله تَعَالى ضَمِنَ لَكَ ضَماناً مُطلقاً مِنْ غَيْرِ شَرْطِ الطَّلَبِ وَالْكَسْبِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ : ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ [هود : ٦] ثُمَّ كَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَأمُرَ الْعَبْدَ بِطلَبِ مَا لاَ يَعْرِفُ مَكَانَهُ فَيَطْلُبُهُ ، إِذْ لاَ يَعْرِفُ أَيُّ سَبَبٍ مِنْهَا رِزْقُهُ الَّذِي يَتَنَاوَلُهُ لاَ غَيْرُ ، وَالَّذِي يَصِيرُ سَبَبَ غِذَائِهِ وَتَرْبِيَتِهِ لاَ غَيْرُ ، فَالْوَاحِدُ مِنَّا لاَ يَعْرِفُ ذٰلِكَ السَّبَبَ بِعَيْنِهِ وَمِنْ أَيْنَ يَحْصُلَ لَهُ ، فَلاَ يَصِحُّ تَكْلِيفُهُ ، فَتَأَمَّلْ رَاشِداً ، فَإِنَّهُ بَيِّنٌ .

ثُمَّ حَسْبُكَ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ ، صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ ، وَالأَوْلِيَاءَ الْمُتَوَكِّلِينَ ، لَمْ يَطْلُبُوا رِزْقاً في الأَكْثَرِ والأَعَمِّ ، وَتَجَرَّدُوا لِلْعِبَادَةِ ، وَبِالإِجْمَاعِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا تَارِكِينَ لِأَمْرِ الله تَعَالى ، وَلاَ عَاصِينَ لَهُ تَعَالى في ذٰلِكَ ، فَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ وَأَسْبَابِهِ لَيْسَ بِأَمْرٍ لاَزِمٍ لِلْعَبْدِ .

فإِنْ قُلْتَ : هَلْ يَزِيدُ الرِّزْقُ بِالطَّلَبِ وَهَلْ يَنْقُصُ بِتَرْكِ الطَّلَبِ ؟ فَكَلاَّ ، فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ ، مُقَدَّرٌ وَمُؤَقَّتٌ ، وَلاَ تَبْدِيلَ لِحُكْمِ الله ، وَلاَ تَغْيِيرَ لِقِسْمَتِهِ وَكِتَابَتِه .

هٰذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ عُلَمَائِنَا رَضِيَ الله عَنْهُمْ ، خِلاَف مَا ذَهَبَ إِلَيْه بَعْضُ أَصْحَابِ حَاتِمٍ وَشَقِيقٍ ، قالُوا : إِنَّ الرِّزْقَ لاَ يزِيدُ وَلاَ يَنْقُصُ بِفِعْلِ الْعَبْدِ ، لٰكِنِ المَالُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ، وَهٰذا فاسِدٌ ، لِأَنَّ الدَّلِيلَ في المَوْضِعَيْنِ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْكِتَابَةُ وَالْقِسْمَةُ ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالى : ﴿ **لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** ﴾ [النحل : ٣٦] . وَلَوْ كَانَ الطَّلَبُ يَزِيدُ وَالتَّرْكُ يَنْقُصُ ، لَكَانَ لِلأَسى وَالْفَرَحِ مَوْضِعٌ إِذ هُوَ قَصَّرَ وَتَوَانَى ، حَتَّى

فَاتَهُ ، وَجَدَّ وَشَمَّرَ حَتَّى حَصَّلَهُ ، وَقَالَ ﷺ لِلسَّائِلِ : « هَاكَ لَوْ لَمْ تَأْتِهَا لَأَتَتْكَ »[أ] .

طلب الثواب

فَإِنْ قِيلَ : فالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ أَيْضاً مَكْتُوبٌ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ ، ثُمَّ يَلْزَمُنَا طَلَبُه ويَزِيدُ بِالطَّلَبِ وَيَنْقُصُ بتَرْكِه .

[٥٢/ب]

فاعْلَمْ : أَنَّ طَلَبَ الثَّوَابِ إِنَّما وَجَبَ لِأَنَّ الله تَعَالى أَمَرَ بِهِ أَمْراً حَتْماً / وَأَوْعَدَ عَلَى تَرْكِهِ وَلَمْ يَضْمَنِ الثَّوَابَ عَلَى غَيْرِ فِعْلٍ مِنَّا ، فَزِيَادَةُ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ بِفِعْلِ الْعَبْدِ ، فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا في نُكْتَةٍ ، وَهِيَ مَا قَالَهُ بَعْضُ عُلَمَائِنَا : إِنَّ المكْتُوبَ في اللَّوحِ المَحفُوظ قِسْمَانِ :

ماكُتِبَ في اللوح

قِسْمٌ هو مَكْتُوبٌ مُطْلَقاً مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَتَعْلِيقٍ بِفِعْلِ الْعَبْدِ ، وَهُوَ الأَرْزَاقُ وَالآجَالُ ، أَلَا تَرَى كَيْفَ ذَكَرَهُمَا الله مُطْلَقاً غَيْرَ مَشْرُوطٍ ، قَالَ الله تعالى : ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى الله رِزْقُهَا**﴾ [هود : ٦] وَقالَ تَعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [يونس : ٤٩] وَقال صَاحِبُ الشَّرْعِ عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ : « أَرْبَعَةٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُنَّ : الْخَلْقُ ، وَالْخُلُقُ ، وَالرِّزْقُ ، وَالأَجَلُ »[ب] .

وَقِسْمٌ مَكْتوبٌ بِشَرْطٍ مُعَلَّقٍ ، مَشْرُوطٌ بِفِعْلِ الْعَبْدِ ، وَهُوَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ، أَمَا تَرَى كَيْفَ ذَكَرَهُمَا الله تَعَالى في كِتَابِهِ مُعَلَّقاً بِفِعْلِ الْعَبْدِ . قَالَ الله تَعَالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ[١] آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ [المائدة : ٦٥] (وهذا بيِّنٌ فاعلمه)[٢] .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ٦٨ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم : ٦٩ .

فَإنْ قِيلَ : فَنَحْنُ نَجِدُ الطَّالِبِينَ يَجِدُونَ الأَرْزَاقَ وَالأَمْوَالَ ، وَالتارِكِينَ يَعْدِمُونَ وَيَفْتَقِرُونَ .

قِيلَ لَهُ : كَأَنَّكَ لاَ تَجِدُ مَعَ ذٰلِكَ طالِباً مَحْرُوماً فقيراً ، أو فَارِغاً مَرْزُوقاً غَنِيّاً ، بَلْ إنّ هٰذَا هُوَ الأَكْثَرُ ، لِتَعْلَمَ أَنّ ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَتَدْبِيرُ المَلِكِ الحَكِيمِ . وَأَنْشَدَنِي أَبُو بكْرٍ مَحّمدُ بنُ سَابِقٍ الصَّقَلِّي الْوَاعِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بالشام : [البسيط] :

وكَمْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ في تَقَلُّبِهِ
مُهَذَّبِ الرَّأْيِ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ[1]
وَكَمْ ضَعِيفٍ ضَعِيفٍ في تَقَلُّبِهِ
كَأَنّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَغْتَرِفُ
هٰذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ٱلإِلٰهَ لَهُ
في الْخَلْقِ سِرٌّ خَفِيٌّ لَيْسَ يَنْكَشِفُ
فَاحَمِدْ إلٰهكَ في ضِيقٍ وَفي سَعَةٍ
ولا تُعانِدْ فَمَا الأَرْزاقُ تَخْتَلِفُ[2]

فَإنْ قُلتَ : فَهَلْ أَدْخُلُ الْبَادِيَةَ بِلاَ زَادٍ ؟ فأقُول[3] : إنْ كَانَ لَكَ قُوَّةُ قَلْبٍ بِاللهِ وَالثِّقَةُ الْبَالِغَةُ بِوَعْدِ الله ، فَادْخُلْ وَإلاَّ فَكُنْ كَالْعَوَامِّ بِعَلاَئِقِهِمْ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ ٱلإِمَامَ أَبَا المَعَالِي رَحِمَهُ الله يَقُولُ : إنّ مَنْ جَرَى مَعَ الله تَعَالى عَلَى عَادَةِ النَّاسِ ، جَرَى الله مَعَهُ عَلَى مَا هُوَ عَادَةُ النَّاسِ / في كِفَايَةِ المُؤْنَةِ ، وَهٰذَا كَلاَمٌ حَسَنٌ جِدّاً ، وَفِيهِ فَوَائِدُ جَمَّةٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا .

الثقة بالله [٥٣/أ]

فَإنْ قُلْتَ : أَلَيْسَ الله تَعَالى يَقُولُ : ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** ﴾ [البقرة : ١٩٧].

خير الزاد التقوى

فاعْلَمْ أَنَّ فِيهِ قَوْلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ زَادُ الآخِرَةِ ، وَلِذٰلِكَ قَالَ : خَيْرُ ٱلزَّادِ التقْوى ، وَلَمْ يَقُلْ حُطَامُ الدُّنْيا[1] وَأَسْبَابُهَا .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ كَانَ قَوْمٌ لَا يَأْخُذُونَ زَاداً في طَرِيقِ الْحَجِّ لِأَنْفُسِهِمْ ٱتِّكَالاً عَلَى النَّاسِ ، وَيَسْأَلُونَ وَيُلِحُّونَ وَيُؤْذُونَ النّاسَ ، فَأُمِرُوا بِالزّادِ أَمْرَ تَنْبِيهٍ ، عَلَى أَنَّ أَخْذَ ٱلزَّادِ مِنْ مَالِكَ خَيْرٌ مِنْ أَخْذِ مَالِ النّاسِ وَالإتِّكَالِ عَلَيْهِمْ ، وَكَذٰلِكَ نَقُولُ .

زاد المتوكل

فَإِنْ قُلْتَ : فَٱلْمُتَوَكِّلُ هَلْ يَحْمِلُ الزّادَ في الأَسْفَارِ ؟

تعلّق القلب بالله لا بالرزق

فَاعْلَمْ: أَنَّهُ رُبَّما يَحْمِلُ الزّادَ وَلاَ يُعَلِّقُ الْقَلْبَ بِهِ بِأَنَّهُ لا مَحالَةَ رِزْقُهُ، وفيه قِوَامُهُ، إِنَّما يُعَلِّقُ الْقَلْبَ بِالله تَعالَى وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: إِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ مَفْرُوغٌ مِنْهُ، والله تَعالَى إِنْ شَاء أَقَامَ بِنْيَتِي بهذا أَوْ بِغَيْرِهِ، وَرُبَّمَا يَحْمِلُ بِنِيَّةٍ أُخْرَى ، بِأَنْ يُعِينَ مُسْلِماً أَوْ نَحْوِ ذٰلِكَ ، وَلَيْسَ الشَّأْنُ في أَخْذِ الزّادِ وَتَرْكِهِ ، إِنَّمَا الشَّأْنُ في الْقَلْبِ ، لَا تُعَلِّقْ قَلْبَكَ إِلاّ بِوَعْدِ الله تَعالى وَحُسْنِ كِفَايَتِهِ وَضَمَانِهِ ، فَكَمْ مِنْ حَامِلِ الزّادِ وَقَلْبُهُ مَعَ الله تَعالى دُونَ الزّادِ ، وَكَمْ مِنْ تَارِكٍ وَقَلْبُهُ مَعَ الزّادِ دُونَ الله تَعالى ، فَالشَّأْنُ إِذَنْ في الْقَلْبِ ، فَافْهَمْ هٰذِهِ الأُصُولَ تُكْفَ الْمُؤْنَةَ إِنْ شَاء الله تَعالى .

فَإِنْ قِيلَ: فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَحْمِلُ الزَّادَ، وَكَذٰلِكَ أَصْحَابُهُ وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ .

يُقَالُ لَهُ: لَا جَرَمَ أَنَّ ذٰلِكَ مُباحٌ غَيْرُ حَرامٍ إِنَّمَا الْحَرَامُ تَعْلِيقُ الْقَلْبِ بِالزّادِ ، وَتَرْكُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فافْهَمْ ذٰلِكَ .

ثُمَّ مَا ظَنُّكَ بِرَسُولِ الله ﷺ حَيْثُ قالَ الله تَعالى لَهُ : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ** ﴾ [الفرقان : ٥٨] أَعَصَاهُ في ذٰلِكَ وَعَلَّقَ قَلْبَهُ بِطَعَامٍ أَوَ شَرَابٍ أَوْ دِرْهَمٍ أَوْ دِينَارٍ ؟ كَلاّ وَحَاشَا أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ ، بَلْ كَانَ قَلْبُهُ مَعَ

اللهِ تَعَالى ، وَتَوَكُّلُهُ عَلَى آللهِ تَعَالى ، فَإِنَّهُ الّذِي لَمْ يَلْتَفِتْ إلى آلدُّنْيَا بِأسْرِهَا وَلَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إلى مَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ كُلِّهَا وَإِنَّمَا كَانَ أَخْذُ الزَّادِ مِنْهُ عليه الصلاة والسلام وَمِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ لِنِيَّاتِ / الْخَيْرِ ، لاَ لِمَيْلِ[(١)] قُلُوبِهِمْ عَنِ اللهِ تَعَالى إلى الزَّادِ، وَالمُعْتَبَرُ الْقَصْدُ عَلى مَا أَعْلَمْنَاكَ، فَآنْتَبِهْ مِنْ رَقْدَتِكَ . [٥٣/ب]

فَإِنْ قلت[(٢)] : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ ، أَخْذُ الزَّادِ ، أَمْ تَرْكُهُ ؟

أخذ الزادِ وتركه

فَاعْلَمْ أَنَّ هٰذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلاَفِ الْحَالِ ، إنْ كَانَ مُقْتَدًى بِهِ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ أَخْذَ الزَّادِ مُبَاحٌ ، أَوْ يَنْوِيَ بِهِ عَوْنَ مُسْلِمٍ ، أَوْ إغاثَةَ مَلْهُوفٍ وَنَحْوَ ذٰلِكَ ، فَالأَخْذُ أَفْضَلُ ، وَإِنْ كَانَ مُنْفَرِداً ، قَوِيَّ الْقَلْبِ بِاللهِ سُبْحَانَهُ ، يَشْغَلُهُ الزَّادُ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ ، فَالتَّرْكُ أَفْضَلُ ، فَتَفَهَّمْ هٰذِهِ الْجُمْلَةَ وَاحْتَفِظْ بِهَا رَاشِداً ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ .

العارضُ الثّاني : الأخطارُ وإرادتُها وقصُودُها[(٣)]

نتيجة التفويض

وَإِنَّمَا كِفَايَتُهَا فِي التَّفْوِيضِ ، فَعَلَيْكَ بِتَفْوِيضِ الأَمْرِ كُلِّهِ إلى آللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَذٰلِكَ لِأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُما : لِطُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ فِي الْحَالِ ، فَإِنَّ الأُمُورَ إذَا كَانَتْ خَطِيرَةً مُبْهَمَةً ، لا يُدْرَى صَلاَحُها مِنْ فَسَادِها ، فَتَكُونُ مُضْطَرِبَ الْقَلْبِ هَائِمَ النَّفْسِ ، لاَ تَدْرِي تَقَعُ فِي صَلاَحٍ أَوْ فَسَادٍ ؛ فَإِذَا فَوَّضْتَ الأَمْرَ كُلَّهُ إلى اللَّهِ تَعَالَى ، عَلِمْتَ أَنَّكَ لاَ تَقَعُ إلاَّ فِي صَلاَحٍ وَخَيْرٍ ، فَتَكُونَ آمِناً مِنَ الْخَطَرِ مُطْمَئِنَّ الْقَلْبِ فِي الْحَالِ ، وَهٰذِهِ الطُّمَأْنِينَةِ وَالأَمْنُ وَالرَّاحَةُ فِي الْوَقْتِ غَنِيمَةٌ عَظِيمَةٌ ؛ وَكَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي مَجَالِسِهِ كَثِيراً : دَعِ التَّدْبِيرَ إلَى مَنْ خَلَقَكَ تَسْتَرِحْ ؛ وَقَدْ أَنْشَدَ فِي ذٰلِكَ : [الخفيف] :

---

(١) زيادة من (د) و(هـ).

إنَّ مَـنْ كَـانَ لَـيْسَ يَـدْرِي أَفِـي الـمَـحْـ
ـبُـوبِ نَـفْـعٌ لَـهُ أَوِ الـمَـكْـرُوهِ
لَـحَـرِيٌّ بِـأَنْ يُـفَـوِّضَ مَـا يَـعْـ
ـجِـزُ عَـنْـهُ إِلَـى الَّـذِي يَـكْـفِـيـهِ
الإِلٰـهِ الْـبَـرِّ الَّـذِي هُـوَ بِـالـرَّأْ
فَـةِ أَحْـنَـى مِـنْ أُمِّـهِ وَأَبِـيـهِ[1]

وَالثَّانِي : مِنَ الأَمْرَيْنِ : حُصُولُ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ فِي الِاسْتِقْبَالِ ، وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلأُمُورَ بِٱلْعَوَاقِبِ مُبْهَمَةٌ ، فَكَمْ مِنْ شَرٍّ فِي صُورَةِ خَيْرٍ ، وَكَمْ مِنْ ضُرٍّ فِي حِلْيَةِ نَفْعٍ ، وَكَمْ مِنْ سُمٍّ فِي هَيْئَةِ شَهْدٍ ، وَأَنْتَ الْجَاهِلُ بِالْعَوَاقِبِ وَالأَسْرَارِ ، فَإِذَا أَرَدْتَ الأُمُورَ قَطْعاً وَأَخَذْتَ فِيهَا بِاخْتِيَارِكَ مُتَحَكِّماً ، فَمَا أَسْرَعَ مَا تَقَعُ فِي هَلَاكٍ وَلَا تَشْعُرُ .

وَلَقَدْ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ ٱلْعُبَّادِ كَانَ يَسْأَلُ الله أَنْ يُرِيَهُ إِبْلِيسَ ، فَقِيلَ لَهُ : سَلِ الله الْعَافِيَةَ ، فَأَبَى إِلَّا ذٰلِكَ ، فَأَظْهَرَهُ الله تَعَالَى لَهُ ، فَلَمَّا رَآهُ الْعَابِدُ قَصَدَهُ بِالضَّرْبِ، فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: لَوْلَا أَرَى أَنَّكَ تَعِيشُ مِائَةَ سَنَةٍ لَأَهْلَكْتُكَ وعاقَبْتُكَ ، فَٱغْتَرَّ بِقَوْلِهِ وَقالَ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ عُمْرِي بَعِيدٌ فَأَفْعَلُ مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَتُوبُ ، فَوَقَعَ فِي الْفِسْقِ وَتَرَكَ الْعِبَادَةَ وَهَلَكَ وخسر. [٥٤/أ] /فَفِي هٰذِهِ مَا يُنَبِّهُكَ عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ فِي إِرَادَتِكَ ، وَٱللَّجَاجِ فِي مَطْلُوبِكَ ، وَيُحَذِّرُكَ أَيْضاً طُولَ الأَمَلِ ، فَإِنَّهُ الآفَةُ ٱلْعَظِيمَةُ ، وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ : [الوافر] :

أَلا يا نفس أنَّ ترضي بقوتٍ ... تَكُوني حُرة أبـداً مليَّـهْ[2]
وَإِيَّـاكِ المَـطَامِـعَ وَالأَمَـانِي ... فَكَمْ أُمْـنِيَّـةٍ جَـلَبَتْ مَـنِيَّـهْ

وَأَمَّا إِذَا فَوَّضْتَ أَمْرَكَ إِلَى الله سُبْحَانَهُ ، وَسَأَلْتَهُ أَنْ يَخْتَار لَكَ مَا هُوَ صَلَاحُكَ ، لَمْ تَلْقَ إِلَّا الْخَيْرَ والسَّدَادَ ، وَلَا تَقَعُ إِلَّا عَلَى الصَّلَاحِ ، قَالَ الله تَعالى حِكَايَةً عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحَ : ﴿ **وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلى الله إِنَّ الله بَصِيرٌ**

بِالْعِبَادِ . فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٤] .

أَمَا تَرَى كَيْفَ أَعْقَبَ تَفْوِيضَهُ الْوِقَايَةَ مِنَ الأَسْوَاءِ ، وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاءِ ، وَبُلُوغَ الْمُرَادِ ، فَتَأَمَّلْ مُوَفَّقاً .

معنى التفويض

فَإِنْ قُلتَ : بَيِّنْ لَنَا مَعْنَى التَّفْوِيضِ وَحُكْمَهُ :

فَاعْلَمْ أَنَّ هٰهُنَا فَصْلَيْنِ بِهِمَا يَتَّضِحُ الْكَلاَمُ :

أَحَدُهُما : مَوْضِعُ التَّفْوِيضِ ؛

وَالثَّانِي : مَعْنَاهُ وَحَدُّهُ وَضِدُّهُ .

موضعه

١ ـ **أَمَّا مَوْضِعُهُ** : فَاعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَاتِ ثَلاَثَةٌ :

الأول : مُرَادٌ تَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّهُ فَسَادٌ وَشَرٌّ لا شك فِيهِ أَلْبَتَّةَ، كَالنَّارِ وَالْعَذَابِ، وَفي الأَفْعَالِ كَالْكُفْرِ وَالْبِدْعَةِ وَالمَعْصِيَةِ، فَلاَ سَبِيلَ إلى إِرَادَةِ ذٰلِكَ .

وَالثَّانِي : مُرَادٌ تَعْلَمُ قَطْعاً أَنَّهُ صَلاَحٌ كَالْجَنَّةِ وَالإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ ، فَلَكَ إِرَادَتُهَا بِالْحُكْمِ ، لاَ مَوْضِعَ لِلتَّفْوِيضِ فِيهِ ، إِذْ لاَ خَطَرَ فِيهِ وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ خَيْرٌ وَصَلاَحٌ .

وَالثَّالِثُ : مُرَادٌ لا تَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّ لَكَ فِيهِ صَلاَحاً أَوْ فَسَاداً ، وَذٰلِكَ نَحْوُ النَّوَافِلِ وَالمُبَاحَاتِ ، فَهٰذَا مَوْضِعُ التَّفْوِيضِ ، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُرِيدَهَا قَطْعاً ، بَلْ بِالاِسْتِثْنَاءِ وَشَرْطِ الْخَيْرِ وَالصَّلاَحِ ؛ فَإِنْ قَيَّدْتَ إِرَادَتَكَ بِالاِسْتِثْنَاءِ فَهُوَ تَفْوِيضٌ ، وَإِنْ أَرَدْتَ دُونَ الاِسْتِثْنَاءِ فَهُوَ طَمَعٌ مَذْمُومٌ مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، **فَمَوْضِعُ التَّفْوِيضِ إِذَنْ كُلُّ مُرَادٍ فِيهِ الْخَطَرُ ، وَهُوَ أَنْ لا تَسْتَيْقِنَ صَلاَحَكَ فِيهِ** .

معناه

٢ ـ **وَأَمَّا مَعْنَى التَّفْوِيضِ** فقالَ بَعْضُ شُيُوخِنَا : هُوَ تَرْكُ اخْتِيَارِ مَا فِيهِ

مُخَاطَرَةٌ ، إلى المُخْتَارِ المُدَبِّرِ ، العالِمِ بِمَصْلَحَةِ الْخَلْقِ ، لاَ إِلَـهَ إلاَّ هُوَ ، وَعِبارَةُ الشَّيْخِ أبي مُحَمدٍ السِّجْزِيِّ رَحِمَهُ الله : هُوَ تَرْكُ ٱخْتِيارِ المُخَـاطَرَةَ عَلى المُخْتارِ ، لِيَخْتَارَ لَكَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ ، وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عُمَرَ رَحِمَهُ الله تعالى : هُوَ / تَرْكُ الطَّمَع ، وَالطَّمَعُ هُوَ إرادَةُ الشيْءِ المُخَاطِرِ بِـالْحُكْمِ ، فَهٰذِهِ عِبارَاتُ المَشَايِخِ .

[٥٤/ب]

التفويض عند الغزالي

وَالَّذي نقـولُـهُ إنَّ التَّفْـويضَ إرَادَةُ أَنْ يَحْفظَ الله تَعَـالَى عَلَيْـكَ مَصَالِحَكَ ، فِيمَا لاَ تَأْمَنُ فِيهِ الْخَطَرَ .

الطمع ونوعاه

وَضِدُّ التَّفْوِيضِ الطَّمَعُ ، وَالطَّمَعُ في الْجُمْلَةِ يَجْرِي عَلَى وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : في مَعْنَى الرَّجَاء ، تُرِيدُ شَيْئاً لاَ خَطَرَ فِيـهِ ، وَلاَ مُخَاطَـرَةً بِالاسْتِثْنَاءِ، وَذٰلِكَ مَمْدُوحٌ غَيْرُ مَذْمُومٍ ، كَما قالَ تعالى :

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِـرَ لِي خَطِيئَتِي يَـوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعـراء : ٨٢] وقَولَه تَعَالَى : ﴿ إنّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنـا خَطَايَـانَا ﴾ [الشعـراء : ٥١] وَهٰذَا الْقِسْمُ لَيْسَ مِمّا نَحْنُ فِيهِ بِسَبِيلٍ هٰهُنَا .

وَالثَّاني : طَمَعٌ مَذْمُومٌ ، قالَ النَّبيُّ ﷺ : « إياكمْ وَالطَّمَعَ فَـإنَّهُ فَقْـرٌ حَاضِرٌ »[أ] وَقِيلَ : هَلاَكُ الدِّينِ وَفَسَادُهُ الطَّمَعُ ، وَمِلاَكُهُ الْوَرَعُ .

قالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ آلله : الطَّمَعُ المَذْمُومُ شَيْئانِ ، أَحَدُهُمَا : سُكُـونُ الْقَلْبِ إلَى مَنْفَعَـةٍ مَشْكُوكَـةٍ ، وَالثَّانِي : إرَادَةُ الشيْءِ مُخَـاطَرةً بِـالْحُكْمِ ، وَهٰذِهِ الإرَادَةُ تُقَابِلُ التَّفْوِيضَ لاَ غَيْرُ ، فَٱعْلَمْ ذٰلِكَ .

حصن التفويض

وَأَمَّا حِصْنُ التَّفْوِيضِ فَهُوَ ذِكْرُ خَطَرِ الأُمُورِ ، وَإِمْكَانِ ٱلْهَلاَكِ وَالْفَسَادِ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ٧٠ .

فِيهَا ، وَحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ عَجْزِكَ عَنِ الاعْتِصَامِ عَنْ ضُرُوبِ الْخَطَرِ ، وَالامْتِنَاعِ عَنِ الْوُقُوعِ فِيهَا ، بِجَهْلِكَ وَغَفْلَتِكَ وَضَعْفِكَ ، فَالمُوَاظَبَةُ عَلَى هٰذَيْنِ الذِّكْرَيْنِ ، تَحْمِلُكَ عَلَى تَفْوِيضِ الأُمُورِ كُلِّها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَالتَّحَفُّظِ عَنِ الْحُكْمِ فِيهَا ، وَالامْتِنَاعِ عَنْ إرَادَتِهَا إلاّ بِشَرْطِ الْخَيْرِ وَالصَّلاحِ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ وَبِالله التَّوْفِيقُ .

الخطر الموجب للتفويض

فَإنْ قِيلَ : مَا هٰذَا الْخَطَرُ الَّذِي[1] يُوجِبُونَ التَّفْوِيضَ لأَجْلِهِ في الأُمُورِ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ الْخَطَرَ في الْجُمْلَةِ خَطَرَان :

الأول : خَطَرُ الشَّكِّ بِأَنَّهُ يَكُونُ أَوْ لاَ يَكُونُ ، أَوْ أَنَّكَ تَصِلُ إلَيْهِ أَوْ لاَ تَصِلُ ، وَهٰذَا يَحْتَاجُ إلى الاِسْتِثْنَاء وَيَقَعُ في بَابِ النِّيَّةِ وَالأَمَلِ .

وَالثَّاني : خَطَرُ الْفَسَادِ، بِأَنْ لاَ تَسْتَيْقِنَ فِيهِ الصَّلاَحَ لِنَفْسِكَ ، فَهٰذَا آلَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ إلى التَّفْوِيضِ .

الخطر وأنواعه

ثُمَّ آخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الأَئِمَّةِ في الْخَطَرِ؛ فَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْخَطَرَ في الْفِعْلِ هُوَ أَنْ تَكُونَ دُونَهُ نَجَاةٌ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُجَامِعَهُ ذَنْبٌ ؛ والإِيمَانُ وَالإِسْتِقَامَةُ وَالسُّنَّةُ لاَ خَطَرَ فِيهَا ، إذْ لاَ يُمْكِنُ / دُونَ الإِيمانِ نَجَاةٌ أَلْبَتَّةَ ؛ [٥٥/أ] وَالاسْتِقَامَةُ لاَ يُجَامِعُها ذَنب، فَإذَنْ تَصِحُّ إرَادَةُ الإِيمان وَالإِسْتِقَامَةِ بِالْحُكْمِ .

وَقَالَ الأُسْتاذُ[1] رَحِمَهُ اللَّهُ : الْخَطَرُ في الْفِعْلِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْتَرِضَ فِيهِ مَا يَكُونُ الإِشْتِغَالُ بِالْعَارِضِ أَوْلَى مِنَ الإِقْدَامِ عَلَى ذٰلِكَ الْفِعْلِ ؛ وَذٰلِكَ

---

(١) هو أبو إسحاق الاسفراييني ، إبراهيم بن محمد ، المتكلّم الأصولي ، الشافعي .

يَقَعُ فِي الْمُبَاحَاتِ وَالسُّنَنِ وَالْفَرَائِضِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ تَضَيَّقَ عَلَيْهِ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَقَصَدَ أَدَاءَهَا فَقصده غَرِيقٌ أو حَرِيقٌ يُمْكِنُهُ إِنْقَاذُهُ ، فالاشْتِغَالُ بِإِنْقَاذِهِ أَوْلَى مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى الصَلَاةِ ؛ فَلَا تَصحُّ[1] إِذَنْ إِرَادَةُ المُبَاحَاتِ وَالنَّوَافِلِ وَالْكَثِيرِ مِنَ الْفَرَائِضِ بِالحُكْمِ .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَفْتَرِضَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ شَيْئاً ، وَيُوعِدَهُ عَلَى تَرْكِهِ ، ثُمَّ لا يَكُونُ لَهُ صَلاحٌ فِي فِعْلِهِ ؟ .

فاعْلَمْ أَنَّ شَيْخَنا[أ] رَحِمَهُ اللَّهُ قالَ : إِنَّ ٱللَّهَ تَعالى لا يَأمُرُ العَبْدَ بِشَيْءٍ إِلَّا وَفِيهِ صَلَاحُهُ إِذَا تَجَرَّدَ عَنِ الْعَوَارِضِ ، وَلَا يُضَيِّقُ عَلَيْهِ فِعْلاً فَرْضاً بِحَيْثُ لَا مَعْدِلَ لَهُ عَنْهُ إِلَّا وَلَهُ فِيهِ صَلَاحٌ ، وَإِنَّما رُبَّمَا يُسَبِّبُ اللَّهُ تعالى لَهُ عُذْراً لِأَجْلِهِ ، يَكُونُ الْعُدُولُ عَنْ أَحَدِ المَأْمُورَيْنِ أَوْلى مِنَ الاشْتِغَالِ بِالآخَرِ كَما ذَكَرْنَا ، فَيَكُونُ الْعَبْدُ في ذٰلِكَ مَعْذُوراً بَلْ مأْجُوراً لَا بِتَرْكِ هٰذا الْفَرْضِ بَلْ بِفِعْلِ الْفَرْضِ الّذِي هُوَ أَوْلَى .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ الإِمَامَ[ب] رَحِمَهُ اللَّهُ في هٰذِهِ المَسْئَلَةِ يَقُولُ: إِنَّ ما افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى عِبادِهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَنَحْوِهِ ، فَفِيها صَلَاحٌ لَا مَحَالَةَ لِلْعَبْدِ ، وَصَحَّتْ إِرَادَتُها بِالْحُكْمِ ، واتَّفَقَ رَأْيُنا عَلَى ذٰلِكَ، فَبَقِيَ المُبَاحَاتُ وَالنَّوَافِلُ إِذَنْ في هٰذَا الْحُكْمِ ؛ فاعْلَمْ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ غَوَامِضِ الْبَابِ ، وَبِاللّٰهِ التَّوْفِيقُ .

حالات المفوَّض

فَإِنْ قِيلَ : فَهَلْ يَأْمَنُ المُفَوِّضُ الْهَلَاكَ وَالْفَسَادَ وَالدَّارُ دارُ مِحْنَةٍ ؟

(ب) هو أبو بكر الورّاق ، كما في سراج الطالبين ٢ /١٣٣ .

(ج) هو أبو المعالي الجويني إمام الحرمين .

فَاعْلَمْ أَنَّ في الأَغْلَبِ لاَ يُفْعَلُ بِالْمُفَوِّضِ إلَّا الصَّلاَحُ ، وَقَدْ يُفْعَلُ بِهِ في النَّادِرِ غَيْرُ الصَّلاَحِ ؛ وَلِذٰلِكَ رُبَّما يَخْذُلُهُ فَيَقَعُ عَنْ مَنْزِلَةِ التَّفْويضِ ، وَلاَ صَلاَحَ لِلْعَبْدِ في الْخِذْلاَنِ وَالْوُقُوعِ عَنْ مَنْزِلَةِ التَّفْويضِ ، وَبِهِ قالَ الشَّيْخُ أَبُو عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَقِيلَ : لاَ يُفْعَلُ بِالْمُفَوِّضِ إلَّا مَا فِيهِ صَلاَحُهُ فِيمَا فَوَّضَ إلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ . وَالْخِذْلاَنُ وَالْقُصُورُ عَنْ مَنْزِلَةِ التَّفْويضِ ، مِمَّا لاَ يَقَعُ فِيهِ التَّفْوِيضُ ، إذْ لاَ يُشَكُّ فِي فَسَادِ ذٰلِكَ ؛ وَالتَّفْويض إنَّما يَقَعُ فِيمَا / يُشَكُّ فِي فَسَادِهِ وَصَلاَحِهِ ، وَهٰذَا أَوْلَى الْقَوْلَيْنِ عِنْدَ شَيْخِنَا رَحِمهُ اللَّهُ ، إذْ لَوْلاَ ذٰلِكَ لَمَا قَوِيَتِ الْبَاعِثَةُ عَلَى التَّفْويضِ .

[٥٥/ب]

التفويض والاختيار

فَإنْ قِيلَ : فَهَلْ يَجِبُ أَنْ يُفْعَلَ بِالْمُفَوِّضِ مَا هُوَ الأَفْضَلُ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ الإِيجَابَ مُسْتَحِيلٌ في حَقِّ اللَّهِ تَعَالى وَلاَ يَجِبُ لِعِبَادِهِ عَلَيْهِ شَيْءٌ ؛ وَقَدْ يَفْعَلُ بِالْعَبْدِ الأَصْلَحَ دُونَ الأَفْضَلِ حِكَمَةً من الله مِنْ فِعْلِهِ . أَلاَ تَرَى أَنَّهُ قَدَّرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم أنْ يَنَامُوا طُولَ اللَّيْلِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ في بَعْضِ الأَسْفَارِ حَتَّى فَاتَتْهُمْ صَلاَةُ اللَّيْلِ وَصَلاَةُ الْفَجْرِ ، وَالصَّلاَةُ أَفْضَلُ مِنَ النَّوْمِ ؟ وَرُبَّمَا يُقَدِّرُ لِلْعَبْدِ الْغِنى وَالنِّعْمَةَ في الدُّنْيَا ، وَإِنْ كَانَ الْفَقْرُ أَفْضَلَ ؛ وَيُقَدِّرُ لَهُ الإشْتِغَالَ بِالأَزْوَاجِ وَالأَوْلاَدِ ، وَإِنْ كَانَ التَّجَرُّدُ لِلعِبَادَةِ أَفْضَلَ ، فَإِنَّهُ خَبِيرٌ بِعِبَادِهِ بَصِيرٌ .

وَهٰذَا كَمَا أَنَّ الطَّبِيبَ الْحَاذِقَ النَّاصِحَ يَخْتَارُ لِلْمَرِيضِ مَاءَ الشَّعِيرِ وَإِنْ كَانَ مَاءُ السُّكَّرِ أَفْضَلَ وَأَنْفَسَ ، لَمَّا عَلِمَ أَنَّ صَلاَحَ عِلَّتِهِ في مَاءِ الشَّعِيرِ ؛ وَالْمَقْصُودُ لِلْعَبْدِ النَّجَاةُ مِنَ الْهَلاَكِ ، لاَ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ مَعَ الْفَسَادِ وَالْهَلاَكِ .

التفويض والاختيار

فَإنْ قِيلَ : هَلْ يَكُونُ المُفَوِّضُ مُخْتَاراً ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ الصَّحِيحَ عِنْدَ عُلَمائِنَا أَنَّهُ يَكُونُ مُخْتَاراً وَلَا يَقْدَحُ في تَفْوِيضِهِ ، وَذٰلِكَ أَنَّ الْمَعْنَى فِيهِ إِذَا كَانَ لَهُ صَلَاحٌ في المفضول وَالأَفْضَلِ ، فَهُوَ يُرِيدُ مِنَ ٱللّٰهِ تعالى أَنْ يُسَبِّبَ لَهُ الأَفْضَلَ ؛ كَمَا أَنَّ المَرِيضَ يَقُولُ لِلطَّبِيبِ : ٱجْعَلْ دَوَائِي مَاءَ السُّكَّرِ دُونَ مَاءِ الشَّعِيرِ ، إن كَانَ لِي صَلَاحٌ فِي كِلَيْهِمَا ، لِيَحْصُلَ لِي الْفَضْلُ وَالصَّلَاحُ جميعاً ، فَكَذٰلِكَ الْعَبْدُ إِذَا سَأَلَ اللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ صَلَاحَهُ فِيمَا هُوَ الأَفْضَلُ وَيُسَبِّبَ لَهُ ذٰلِكَ ، لِيَجْمَعَ لَهُ الْفَضْلَ وَالصَّلَاحَ جَمِيعاً ، وَلٰكِنْ بِشَرْطِ أَنَّهُ إن ٱخْتَارَ لَهُ ٱللّٰهُ الصَّلَاحَ فِي غَيْرِ الأَفْضَلِ أَنْ يَكُونَ رَاضِياً بِذٰلِكَ .

فَإِنْ قِيلَ : فَلِمَاذَا كَانَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَخْتَارَ الأَفْضَلَ وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَخْتَارَ الأَصْلَحَ ؟

بين الأفضل والأصلح

فَاعْلَمْ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُما أَنَّ الْعَبْدَ يَعْرِفُ الأَفْضَلَ مِنَ الْمَفْضُولِ ، وَلَا يَعْرِفُ الصَّلَاحَ مِنَ الْفَسَادِ لِيُرِيدَهُ بِالْحُكْمِ ؛ ثُمَّ مَعْنَى ٱخْتِيَارِهِ الأَفْضَلَ ، أَنْ يُرِيدَ مِنَ اللّٰهِ تعالى أَنْ يَجْعَلَ صَلَاحَهُ فِيمَا هُوَ الأَفْضَلُ وَيَخْتَارَ لَهُ / ذٰلِكَ وَيُقَدِّرَه ، أَنَّ لِلْعَبْدِ تَحَكُّماً فِي شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ فَاعْلَمْهُ . [٥٦/أ]

فَهٰذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ دَقِيقِ هٰذَا الْعِلْمِ وَأَسْرَارِهِ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الْحَاجَةَ مَسَّتْ إِلَيْهِ لمَا تَعَرَّضْنَا لِإِيرَادِهِ لِأَنَّهُ يُلَاطِمُ بِحَارَ عُلُومِ الْمُكَاشَفَةِ ، مع أَنِّي ٱقْتَصَرْتُ عَلَى النُّكْتَةِ الْمُقْنِعَةِ في هٰذَا الْكِتَاب ، وَقَصَدْتُ الْإِيضَاحَ لِيَنْتَفِعَ بِهِ فُحُولُ الْعُلَماءِ وَالمُبْتَدِئُونَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى التَّوْفِيقُ .

العارضُ الثالث: القضاء ووُرُود أنواعه

الرضا بالقضاء

وَإِنَّمَا كِفَايَتُهُ فِي الرِّضَا بِهِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَرْضَى بِقَضَاءِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذٰلِكَ لِأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : التَّفَرُّغُ لِلْعِبَادَةِ ، لأَنَّكَ إِذَا لَمْ تَرْضَ بِقضاء الله عَزّ وجلّ فَتَكُونَ مَهْمُوماً مَشْغُولَ الْقَلْبِ أَبَداً بِأَنَّهُ لِمَ كَانَ كَذَا وكذا ، وَلِمَ ذَا لا يَكُونُ كَذَا وكذا ؟

فإِذَا آشْتَغَلَ الْقَلْبُ بِشَيْءٍ مِنْ هٰذِهِ الْهُمُومِ كَيْفَ يَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ ؟ إِذْ لَيْسَ لَكَ إِلاَّ قَلْبٌ وَاحِدٌ ، وَقَدْ مَلأْتَهُ مِن ٱلْهُمُومِ ، بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا . فَأَيُّ مَوْضِعٍ يَكون فِيهِ لِذِكْرِ العِبَادَةِ وَفِكْرِ الآخِرَةِ .

وَلَقَدْ صَدَقَ شَقِيقٌ البلخي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله : إِنَّ حَسْرَةَ الأُمُورِ المَاضِيَةِ وَتَدْبِيرَ الآتِيَةِ قَدْ ذَهَبَتْ بِبَرَكَةِ سَاعَتِكَ هٰذِهِ .

الثَّانِي مِنَ الأَمْرَيْنِ : خَطَرُ مَا فِي السُّخْطِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالى . وَلَقَدْ رَوَيْنَا في الأَخْبَارِ أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِياءِ شَكَا بَعْضَ مَا نَالَهُ مِنَ المَكْرُوهِ إِلَى اللَّهِ سبحانه وتَعَالى ، فَأَوْحَى آللَّهُ تَعَالى إِلَيْهِ : أَتَشْكُونِي وَلَسْتُ بِأَهْلِ ذَمٍّ وَلاَ شَكْوَى ، هٰكَذَا بَدَا شَأْنُكَ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ فَلِمَ تَسْخَطُ قَضَائِي عَلَيْكَ ، أَتُرِيدُ أَنْ أُغَيِّرَ الدُّنْيَا لأَجْلِكَ ، أَو أُبَدِّلَ اللَّوْحَ المَحْفُوظَ بِسَبَبِكَ ، فَأَقْضِي مَا تُرِيدُ دُونَ مَا أُرِيدُ ، وَيَكُونُ مَا تُحِبُّ دُونَ مَا أُحِبُّ ؟ فَبِعِزَّتِي حَلَفْتُ ، لَئِنْ تَلَجْلَجَ[1] هٰذَا في صَدْرِكَ مَرَّةً أُخرَى ، لأَسْلُبَنَّكَ ثَوْبَ النُّبُوَّةِ وَلأُورِدَنَّكَ النَّارَ وَلاَ أُبَالِي .

قُلْتُ : فَلْيَسْتَمِعِ الْعَاقِلُ هٰذِهِ السِّيَاسَةَ الْعَظِيمَةَ وَالْوَعِيدَ الْهَائِلَ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ ، فَكَيْفَ مَعَ غَيْرِهِمْ ؟ ثُمَّ اسْتَمِع ما يقول : لَئِنْ تَلَجْلَجَ[2] هذَا فِي صَدْرِكَ مَرَّةً أُخْرَى ؛ فَهٰذَا فِي حَدِيثِ النَّفْسِ وَتَرَدُّدِ الْقَلْبِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَصْرُخُ وَيَسْتَغِيثُ وَيَشْكُو أَوْ يُنَادِي بِالْوَيْلِ والثبور مِنْ رَبِّهِ عَلَى رُءُوسِ المَلإِ وَيَتَّخِذُ لَهُ أَعْوَاناً وَأَصْحَاباً؟ وَهٰذَا / لمَنْ سَخِطَ مَرَّةً ، فَكَيْفَ مِمَّنْ هُوَ فِي السُّخْطِ عَلَى اللَّهِ تَعَالى فِي جَمِيعِ عُمْرِهِ ؟ [٥٦/ب]

وَهٰذَا لِمَنْ شَكَاَ إِلَيْهِ ، فَكَيْفَ مَنْ شَكَا إِلى غَيْرِهِ ؟ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَعْفُو عَنَّا وَيَغْفِرَ لَنَا سُوءَ آدَابِنَا وَيُصْلِحَنَا بِحُسْنِ نَظَرِهِ ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

معنى الرضا بالقضاء

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَحَقِيقَةُ ذٰلِكَ وَحُكْمُهُ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ عُلَمَاءَنَا قالُوا : إِنَّ الرِّضَا تَرْكُ السُّخْطِ ، وَالسُّخْطُ ذِكْرُ غَيْرِ مَا قَضَى ٱللَّهُ تَعَالى بِأَنَّهُ أَوْلى بِهِ وَأَصْلَحُ لَهُ فِيمَا لاَ يَسْتَيْقِنُ فَسَادَهُ وَصَلاحَهُ ، هٰذَا شَرْطٌ فِيهِ ، فَاعْلَمْ ذٰلِكَ .

الشرور والمعاصي

فَإِنْ قُلْتَ : أَلَيْسَ الشُّرُورُ وَالمَعَاصِي بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعالى وَقَدَرِهِ ، فَكَيْفَ يَرْضَى الْعَبْدُ الشَّرَّ وَيَلْزَمُهُ ذٰلِكَ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ الرِّضَا إِنَّمَا يَلْزَمُه بِالْقَضَاءِ ، وَقَضَاءُ الشَّرِّ لَيْسَ بِشَرٍ ، وَإِنَّمَا الشَّرُّ هُوَ الْمَقْضِيُّ فَلاَ يَكُونُ رِضاً بِالشَّرِّ .

أنواع المقضيات

وَقَدْ قَالَ شُيُوخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ : الْمَقْضِيَّاتِ أَرْبَعَةٌ : **نِعْمَةٌ** ، **وَشِدَّةٌ** ، **وَخَيْرٌ** ، **وَشَرٌّ** .

فَالنِّعْمَةُ يَجِبُ الرِّضَا فِيهَا بِالْقَاضِي وَالْقَضَاءِ وَالْمَقْضِيِّ ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ الشُّكْرُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ ، (وإظهار المِنّة عليه بإبداء أثر النعمة)[1]

وَالشِّدَّةُ يَجِبُ الرِّضَا فِيها بِالْقَاضِي وَالْقَضَاءِ وَالْمَقْضِيِّ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ الصَّبْرُ مِنْ حَيْثُ إِنَّها شِدَّةٌ .

وَٱلْخَيْرُ يَجِبُ الرِّضَا فِيهِ بِالْقَاضِي وَالْقَضَاءِ وَالْمَقْضِيِّ ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ ذِكْرُ المِنَّةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ خَيْرٌ وَفَّقه لَهُ .

وَالشَّرُّ يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ الرِّضَا بِالْقَاضِيَ وَالْقضاءِ وَالْمَقضِيِّ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَقْضِيٌّ لاَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ شَرٌّ ، وَكَوْنُهُ مَقْضِيًّا يَرْجِعُ إِلى الْقَاضِيَ والْقَضَاءِ

بِالْحَقِيقَةِ، وَهٰذَا كَمَا أَنَّكَ تَرْضَى مَذْهَبَ الْمُخَالِفِ أَنْ يَكُونَ مَعْلُوماً لَكَ لَا أَنْ يَكُونَ مَذْهَباً لَكَ ؛ ثُمَّ كَوْنُهُ مَعْلُوماً يَرْجِعُ إلى الْعِلْمِ ، فَالرِّضَا وَالمَحَبَّةُ إنَّمَا يَكُونُ بِالْحَقِيقَةِ لِلْعِلْمِ بِمَذْهَبِ الغيرِ لَا بِمَذْهَبِهِ ، فَكَذَلِكَ (الرِّضَا بِالْمَقْضِيِّ)[1] .

فَإِنْ قِيلَ : فالرَّاضِي هلْ يَكُونُ مُسْتزِيداً ؟

قِيلَ لَهُ : نَعَمْ بِشَرْطِ الْخَيْرِ وَالصَّلاحِ دُونَ الحُكْمِ ، وَلا يُخْرِجُهُ ذلِكَ عَنِ الرِّضَا ، بـل أن يَدُلَّ عَلَى الـرِّضَا فَهُـوَ أَوْلَى ، فإِنَّ مَنْ أَعْجَبَهُ ، شَيْءٌ وَرَضِيَ ذٰلِكَ آسْتَزَادَ مِنْهُ ؛ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا حَضَـرَ آللَّبَنُ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ ، وَفِي غَيْرِهِ يَقُولُ : وَزِدْنَا خَيْراً مِنْهُ »[أ] ، وفي مَوْضِعٍ مِنَ المـوْضِعَيْنِ لَمْ يَدُلَّ عَلَى أَنَّـهُ غَيْرُ / رَاضٍ بِمَـا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَـالَى لَـهُ مِنْ ذٰلِكَ . [٥٧/أ]

فَإِنْ قُلْتَ : لَمْ يُذْكَرْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الاسْتِثْنَاءُ وَشَرْطُ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ .

فَاعْلَمْ أَنَّ هٰذِهِ الْأُمُورَ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْقَلْبِ ، وَأَنَّ مَا (يُقَالُ)[٢] بِـاللِّسَانِ عِبَارَةٌ عَنْ ذٰلِكَ ، فَلَا مُعْتَبَرَ بِتَرْكِ عِبَارَتِهِ مَعَ حُصُولِهِ بِـالْقَلْبِ ، فَاعْلَمْ ذٰلِكَ مُوفقاً راشداً .

العارضُ الرّابع :

وجوب الصبر

الشّدائدُ والمصـائبُ ؛ وَإِنَّمَا كِفَـايَتُها بِـالصَّبْرِ . فَعَلَيْـكَ بِالصَّبْـرِ في المَوَاطِنِ ، وَإِنّما ذٰلِكَ لِأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : التَّـوَصُّل[٣] إلَى الْعِبَادَةِ وَحُصُولُ الْمَقْصُـودِ مِنْهَا ، فَـإِنَّ مَبْنَى أَمْرِ الْعِبَادَةِ كُلِّه عَلَى الصَّبْرِ وَآحْتِمَالِ المَشَقَّاتِ ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ صَبُوراً

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٧١ .

لَمْ يَصِلْ إلى شَيْءٍ مِنْها بِالْحَقِيقَةِ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ مَنْ قَصَدَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَجَرَّدَ لَهَا ٱسْتَقْبَلَتْهُ شَدَائِدُ وَمِحَنٌ وَمَصَائِبُ مِنْ وُجُوهٍ :

أَحَدُهَا : أَنَّهُ لَا عِبَادَةَ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا مَشَقَّةٌ ، وَلِذٰلِك ورد كُل هٰذَا التَّرْغِيبِ فِيهِ ، وَوُعِدَ الثوابُ عَلَيْهِ[1] ، إِذْ لَا يَتَأَتَى فِعْلُ الْعِبَادَةِ إِلَّا بِقَمْعِ الْهَوَى وَقَهْرِ النَّفْسِ ، إِذْ هِيَ زَاجِرَةٌ عَنِ الْخَيْرِ والرشد ؛ وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى وَقَهْرُ النَّفْسِ مِنْ أَشَدِّ الْأُمُورِ عَلَى الإِنْسَانِ .

وَثَانِيهَا : أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا فَعَلَ الْخَيْرَ مَعَ الْمَشَقَّةِ ، لَزِمَهُ الإِحْتِيَاطُ لَهُ حَتَّى لَا يَفْسُدَ عَلَيْهِ ، وَٱلإِبْقاءُ عَلَى الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ .

أنواع المحن

وَثَالِثُهَا : أَنَّ الدَّارَ دَارُ مِحْنَةٍ ؛ فَمَنْ كَانَ فِيهَا لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الإِبْتِلَاءِ بِشَدَائِدها وَمَصَائِبِهَا ، وَذٰلِكَ أَقْسَامٌ : الْمُصِيبَةُ فِي الأَهْلِ وَالْقَرَابَاتِ وَالإِخْوَانِ وَالأَصْحَابِ بِالْمَوْتِ وَالْفَقْدِ وَالْفِرَاقِ ؛ وَفِي النَّفْسِ بِأَنْوَاعِ الأَمْرَاضِ وَالأَوجَاعِ ، وَفِي الْعِرْضِ بِقِتَالِ النَّاسِ إِيَّاهُ ، وَالطَّمَعِ فِيهِ وَالإِزْدِرَاءِ بِهِ وَالْغِيبَةِ له وَالْكَذِبِ عَلَيْهِ ؛ وَفِي الْمَالِ بِالذَّهَابِ وَالزَّوَالِ . وَلِكُلٍّ وَاحِدةٍ مِنْ هٰذِهِ الْمَصَائِبِ لَدْغَةٌ وَحُرْقَةٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَيْهَا كُلِّهَا ، وَإِلَّا فَيَمْنَعُهُ الْجَزَعُ وَالتَّلَهُّفُ مِنَ التَّفَرُّغِ لِلْعِبادَةِ .

وَرَابِعُهَا : أَنَّ طَالِبَ الآخِرَةِ أَشَدُّ ٱبْتِلَاءً وَأَكْثَرُ مَحَبَّةً أَبداً ، وَمَنْ كَانَ إِلَى ٱللَّهِ تعالى أَقْرَبُ فَالْمَصَائِبُ له في الدُّنْيَا أَكْثَرُ ، وَالْبَلَاءُ عَلَيْهِ أَشَدُّ . أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ ﷺ : « أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الشهداء[2] ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ »[أ] ؟

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (٧٢) .

فَإِذَن مَنْ قَصَدَ الْخَيْرَ وَتَجَرَّدَ لِطَرِيقِ الآخِرَةِ ، آسْتَقْبَلَتْهُ هٰذِهِ الْمِحَنُ ، فَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهَا ، وَلاَ يَكُونُ / بِحَيْثُ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، آنْقَطَعَ عَنِ الطَّرِيقِ وَآشْتَغَلَ عَنِ الْعِبَادَةِ ، فَلاَ يَصِلُ إِلى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . [٥٧/ب]

وَلَقَدْ أَعْلَمَنا آللَّهُ تَعَالَى بِالْتِقَاءِ[1] الْمِحَنِ وَالمَصَائِبِ وَآبْتِلاَئِنَا بِهَا ، وَحَقَّقَ ذٰلِكَ وَأَكَّدَهُ فَقَالَ : ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً** ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

ثُمَّ قالَ سبحانه : ﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [آل عمران : ١٨٦] فَكَأَنَّهُ يَقُولُ : وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى أَنَّهُ لاَ بُدَّ لَكُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلاَيَا ، فَإِنْ تَصْبِرُوا فَأَنْتُمُ الرِّجَالُ وَعَزَائِمُكُمْ عَزَائِمُ الرِّجَالِ ؛ فَإِذَنْ مَنْ عَزَمَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالى يَجِبُ أَوَّلاً أَنْ يَعْزِمَ عَلَى الصَّبْرِ الطَّوِيلِ ، وَيُوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى آحْتِمَالِ المَشَاقِّ الْعَظِيمَةِ الْمُتَوَالِيَةِ إِلَى الْمَوْتِ ، وَإِلاَّ فَقَدْ قَصَدَ الأَمْرَ بِغَيْرِ آلَتِهِ وَأَتَاهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ .

وَلَقَدْ ذُكِرَ عَنِ الْفُضَيْلِ رَحِمَهُ آللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ عَزَمَ عَلَى قَطْعِ الطريقِ لِلآخِرَةِ فَلْيَجْعَلْ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَةَ أَلْوَانٍ مِنَ الْموت : الأَبْيَضَ ، وَالأَحْمَرَ ، وَالأَسْوَدَ ، وَالأَخْضَرَ ؛ فَالْمَوْتُ الأَبْيَضُ : الْجُوعُ ، وَالأَسْوَدُ : ذَمُّ النَّاسِ ، وَالأَحمرُ : مُخَالَفَةُ الشَّيْطَانِ ، وَالأَخْضَرُ : الْوَقَائِعُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ .

كرامات الصابرين

وَالثّانِي مِنَ الأَمْرَيْنِ : مَا فِي الصَّبْرِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ .

ـ مِنْ ذٰلِكَ النَّجَاةُ وَالنَّجاحُ . قولـه تَعَالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق : ٣] ، مَعْنَاهُ : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ **بِالصَّبْرِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الشَّدَائِدِ** .

ـ وَمِنْهَا الظَفَرُ على الأعْدَاءِ ، قَالَ تَعَالى : ﴿ فَاصْبِرْ إنّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] .

وَمِنْها الظَّفَرُ بِالْمُرَادِ ، قالَ تَعَالى : ﴿ وَتَمّتْ كَلمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلى بَني إسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [الأعراف : ١٣٧] وَقِيلَ : كَتَبَ يُوسُفُ في جَوَابِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِما السَّلامُ : إنّ آبَاءَكَ صَبَرُوا فَظَفَرُوا ، فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا تَظْفَرْ كَمَا ظَفَرُوا .

وقيل في هذا المَعْنَى [البسيط] :

لاَ تَيْأَسَنَّ وَإنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ   إذَا آسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ   وَمُدْمِنُ الْقَرْعِ لِلأَبْوَابِ أنْ يَلِجَا

ـ وَمِنْهَا التَّقَدُّمُ عَلَى النّاسِ وَالإمَامَةُ ، قالَ الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمّا صَبَرُوا ﴾ [السجدة : ٢٤] .

وَمِنْهَا الثَّناءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، قالَ الله تَعَالى : ﴿ إنّا وَجَدْناهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إنّهُ أَوَّابٌ ﴾ [صَ : ٤٤] .

[٥٨/أ] ـ وَمِنْهَا الْبِشَارَةُ / وَالصَّلاَةُ وَالرَّحْمَةُ ، قالَ تَعَالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥] إلى قَوْلِهِ : ﴿ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ الآية [البقرة : ١٥٧] .

ـ وَمِنْهَا المَحَبَّةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالى . قَالَ اللَّهُ تَعَالى : ﴿ إنَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

ـ وَمِنْهَا الدَّرَجَاتُ الْعُلَى في الْجَنَّةِ ، قالَ اللَّهُ تَعالى : ﴿ أُولئك يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا ﴾ [الفرقان : ٧٥] .

- وَمِنْهَا الْكَرَامَةُ الْعَظِيمَةُ قالَ تعالى : ﴿ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [الرعد : ٢٤] .

- وَمِنْهَا ثَوَابٌ بِلاَ غَايَةٍ وَلاَ نِهَايَةٍ ، خَارِجاً عَنْ أَوْهَامِ الْخَلْقِ وَأَعْدَادِهِمْ قَالَ تَعَالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

فَسُبْحَانَهُ مِنْ سَيِّدٍ مَاجِدٍ مَا أَكْرَمَهُ ، كُلُّ هٰذِهِ الْكَرَامَاتِ في الدُّنْيَا وَالآخِرةِ يعطي عَبْدَهُ عَلَى صَبْرِ سَاعَةٍ . فَبَانَ لَكَ أَنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ في الصَّبْرِ . قالَ ﷺ : « مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خيراً أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ »[أ] وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : جَمِيعُ خَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ في صَبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ : [مجزوء البسيط] :

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرَجَى وَكُلُّ خَيْرٍ بِهِ يَكُونْ
اصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ اللَيالي فَرُبَّمَا أَمْكَنَ الْحَرُونْ[ب]
وَرُبَّمَا نِيلَ بِاصْطِبَارٍ مَا قِيلَ هَيْهَاتَ لاَ يَكُونْ

وَالقَائِلِ : [الطويل] :

صَبَرْتُ وَكَانَ الصَّبْرُ مِنِّي سَجِيَّةً
وَحَسْبُكَ أَنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

إِذَا كَانَ بَابُ الذُّلِّ مِن جَانِبِ الغِنَى
سَمَوْتُ إلى العَلياءِ مِن جَانبِ الفَقْرِ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (٧٣) .

(ب) الحرون : الخيل الذي يرفض الانقياد ، والمقصود انه يمكن تحقيق الأمر الصعب .

سَـأَصْـبِـرُ حَتَّـى يَحْـكُـمَ اللَّـهُ بَيْـنَـنَـا
فَـإِمَّـا إِلَـى يُـسْـرٍ وَإِمَّـا إِلَـى عُـسْـرِ

فَعَلَيْكَ بِاغْتِنَامِ هٰذِهِ الخَصْلَـةِ الشَّرِيفَةِ وَبَذْلِ المَجْهُودِ فِيهَـا تَكُنْ مِنَ الْفَائِزِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

حقيقة الصبر

فَإِنْ قُلْتَ فَمَا حَقِيقَةُ الصَّبْرِ وَحُكْمُهُ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ لَفْظَةَ الصَّبْـرِ مِنْ طَرِيقِ اللُّغَـةِ الحَبْسُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَـالَى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَـدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ الآيـة [الكهف : ٢٨] . أَي احْبِسْ نَفْسَكَ مَعَهُمْ ، وَإِنمَا يُـوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِـالصَّبْرِ عَلَى مَعْنَى حَبْسِـهِ الْعَذَابَ عَنِ المُجْرِمِينَ فَلا يُعَاجِلُهُمْ بِهِ . ثُمَّ الْمَعَنَى الذِي هُـوَ مِنْ مَسَاعِي الْقَلْبِ سُمِّيَ صَبْـراً لأَنَّهُ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَـزَعِ ، وَالْجَـزَعُ فِيمَـا قَـالَـهُ الْعُلَماءُ ذِكْرُ اضْطِرَابِكَ في الشِّدَّةِ ، وَقِيلَ بَـلْ إِرَادَةُ الْخُرُوجِ / عَنِ الشِّـدَّةِ بِالحُكْمِ وَالصَّبْرُ تَرْكُهُ ، وَحِصْنُ الصَّبْرِ ذِكْرُ مِقْدَارِ الشِّدَّةِ وَوَقْتِهَـا ، وَأَنَّهَا لاَ تَزِيدُ وَلاَ تَنْقُصُ لاَ تَتَقَـدَّمُ وَلاَ تَتَأَخَّرُ ، وَلاَ فَائِدَةَ في الْجَزَعِ ، بَلْ فِيهِ الضَّرَرُ وَالخَطَرُ . وَحِصْنُ هٰذَا الْحِصْنِ ذِكْرُ حُسْنِ عِوَضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَكَرِيمِ الذُّخْرِ في ذٰلِكَ لَدَيْهِ ؛ فَهٰذِهِ هٰذِهِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

[٥٨/ب]

فصـــل
(في الرزق وتدبيره)

فَعَلَيْكَ بِقَطْعِ هٰـذِهِ الْعَقَبَةِ الشَّـدِيدَةِ المَنِيعَـةِ بِدَفْـعِ هٰذِهِ الْعَـوَارِضِ الأَرْبَعَةِ وَإِزَاحَةِ عِلَّتِهَا ، وَإِلاَّ فَلاَ تَدَعُكَ تَذْكُرُ مَقْصُودَكَ مِنَ الْعِبَادَةِ وَلِتَتَفَكَّرَ فِيهَا ، فَضْلاً عَنْ أَنْ تُدْرِكَهَا وَتُحَصِّلَهَا ، وَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا شُغْلاً شَاغِـلاً عَاجِلاً وَآجِلاً .

أمر الرزق وتدبيره

ثم إنّ أعضلها وأَعْظَمَهَا[1] أمر هذا الرِّزْقِ وَتَدْبِيرُهُ ، فَإِنَّهُ الْبَلِيَّةُ الْكُبْرَى لِعَـامَّةِ الْخَلْقِ ، أَتْعَبَتْ نُفُوسَهُمْ ، وَشَغَلَتْ قُلُوبَهُمْ ، وَأَكْثَـرَتْ هُمُـومَهُمْ ، وَضَيَّعَتْ أَعْمَـارَهُمْ ، وَأَعْظَمَتْ تبعـاتهم وَأَوْزَارَهُمْ ، وَعَـدَلَتْ بِهِمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَخِدْمَتِهِ إِلَى خِدْمَةِ الدُّنْيَا وَخِدْمَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَعَاشُوا فِي الدُّنْيَـا فِي ظُلْمَةٍ وغَفْلَةٍ وَتَعَبٍ وَنَصَبٍ ، وَمَهَانَةٍ وَذُلٍّ ، وَقَدِمُـوا الآخِرَةَ مَفَـالِيسَ ، بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْحِسَابُ وَالْعَذَابُ ، إن لم يرحم اللَّهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ ؛ فَانْظُرْ كَمْ من آيَـةٍ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَـالَى فِي ذٰلِكَ ، وَكَمْ ذَكَـرَ مِنْ وَعْدِه وَضَمَـانِهِ وَقَسَمِـهِ عَلَى ذٰلِـكَ . وَلَمْ تَزَلِ الأَنْبِيـاءُ وَالْعُلَمَـاءُ يَعِـظُونَ النَّـاسَ وَيُبَيِّنُـونَ لَهُمُ الـطَّرِيقَ وَيُصَنِّفُونَ لهم الْكُتُبَ وَيَضْرِبُونَ لَهُمُ الأَمْثَالَ وَيُخَوِّفُونَهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَهُمْ مَعَ ذٰلِكَ لاَ يَهْتَدُونَ وَلاَ يَتَّقُونَ وَلاَ يَطْمَئِنُّونَ ، بَلْ هُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ ذٰلِـكَ لاَ يَزَالُونَ يَخَافُونَ أَنْ يَفُوتَهُمْ غَدَاءُ أَوْ عَشَاءُ .

ضمان الله للرزق

أصل معضلة الرزق

وَأَصْـلُ ذٰلِـكَ كُلِّهِ قِلَّةُ التَّـدَبُّـرِ لِآيَـاتِ اللَّهِ سُبْحَـانَـهُ وَقِلَّةُ التَّفَكُّـرِ فِي صَنَائِعِ اللَّهِ ، وَتَرْكُ التَّذَكُّرِ لِكَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَرْكُ التَّـأَمُّلِ لِأَقْـوَالِ الصَّالِحِينَ مَعَ الإسْتِرْسَالِ لِوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَالإِصْغَاءِ إِلَى كَلَامِ الجَاهِلِينَ وَالإِغْتِرَارِ بِعَادَاتِ الْغَافِلِينَ ، حَتَّى تَمَكَّنَ الشَّيْطَانُ مِنْهُمْ ، وَرَسَخَتِ الْعَادَاتُ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَتَأَدَّى بِهِمْ ذٰلِكَ إِلَى ضَعْفِ الْقَلْبِ وَرِقَّةِ الْيَقِينِ .

الأخيار والرزق

وَأَمَّا الأَخْيَارُ الَّذِينَ هُمْ أُولُو الأَبْصَارِ وَأَرْبَابُ الجِدِّ وَالإِجْتِهَادِ ، أَبْصَرُوا طَرِيقَ السَّمَاءِ ، فَلَمْ يَعْبَئُوا بِأَسْبَابِ الأَرْضِ ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ، فَلَمْ يَكْتَرِثُوا / [٦٩/أ] بِعَلَائِقِ الْخَلْقِ ، وَتَيَقَّنُوا بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَبْصَرُوا طَـرِيقَهُ ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَالخَلْقِ وَالنَّفْسِ ، فَإِذَا وَسْوَسَ لَهُمْ شَيْطَانٌ أَوْ نَفْسٌ أَوْ إِنْسَـانٌ قَامُوا بِالْمُنَـاقَشَةِ وَالْمُـدَافَعَةِ وَالْمُخَـالَفَةِ ، حَتَّى وَلَّى الْخَلْقُ عَنْهُمْ ، وَاعْتَـزَلَ عَنْهُمُ الشَّيْـطَانُ ، وَانْقَـادَتْ لَهُمُ النَّفْسُ ، وَاسْتَقَـامَ لَهُمُ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ ، عَلَى مَا ذُكِرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْبَادِيَةَ أَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَخَوَّفَهُ بِأَنَّ هٰذِهِ بَادِيَةٌ مُهْلِكَةٌ وَلَا زَادَ مَعَكَ وَلَا سَبَبَ فَعَزَمَ عَلَى نَفْسِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يَقْطَعَ الْبَادِيَةَ عَلَى تَجَرُّدِهِ ذٰلِكَ ، وَأَنْ لَا يَقْطَعَهَا حَتَّى يُصَلِّيَ تَحْتَ كُلِّ مِيلٍ مِنْ أَمْيَالِهَا أَلْفَ رَكْعَةٍ ، وَقَامَ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَبَقِيَ فِي الْبَادِيَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ، حَتَّى إِنَّ الرَّشِيدَ حَجَّ فِي بَعْضِ تِلْكَ السِّنِينِ فَرَآهُ تَحْتَ مِيلٍ يُصَلِّي ، فَقِيـلَ لَهُ : هٰـذَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ ، فَـأَتَاهُ فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَا إِسْحٰقَ ؟ فَأَنْشَأَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ : [الطويل] :

خبر إبراهيم ابن أدهم

نُـرَقِّـعُ دُنْيَـانَـا بِتَمْـزِيقِ دِينِنَـا ... فَـلَا دِينُنَـا يَبْقَى وَلَا مَـا نُـرَقِّـعُ
فَـطُوبَى لِعَبْـدٍ آثَـرَ الـلَّهَ رَبَّـهُ ... وَجَـادَ بِـدُنْـيَـاهُ لِمَـا يَـتَـوَقَّـعُ

خبر آخر عن بعض الصالحين

وَعَنْ بَعْضِ الصَّـالِحِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، أَنَّـهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْبَـوَادِي ، فَوَسْوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ بِأَنَّكَ مُتَجَـرِّدٌ ، وَهٰذِهِ بَـادِيَةٌ مُهْلِكَـةٌ لَا عُمْرَانَ فِيهَـا وَلَا

نَاس ، فَعَزَمَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْ يَمْضِيَ عَلَى تَجَرُّدِهِ ، وَأَنْ يترك الطَّرِيقَ حَتَّى لاَ يقع بأحد مِنَ النَّاسِ وأن لاَ يَأْكُل شَيْئاً حَتَّى يُجْعَلَ في فيه السَّمْنُ وَالْعَسَلُ ، ثُمَّ عَدَلَ عَنِ الشَّارِعِ وَمَرَّ عَلَى وَجْهِهِ فقالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : فَسِرْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَإِذَا بِقَافِلَةٍ قَدْ أَضَلَّتِ الطَّرِيقَ وَهُمْ يَسِيرُونَ ، فَلَمَّا أَبْصَرْتُهُمْ رَمَيْتُ بِنَفْسِي إِلَى الأَرْضِ لَعَلَّهُمْ لاَ يُبْصِرُونَنِي ، فَسَيَّرَهُمُ اللَّهُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيَّ ، فَغَمَضْتُ عَيْنِي ، فَدَنَوْا مِنِّي وَقَالُوا : هذَا مُنْقَطِعٌ غُشِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطشِ ، فَهَاتُوا سَمْناً وَعَسَلاً نَجْعَلُهُ في فِيهِ لَعَلَّهُ يُفِيقُ ، فَأَتَوْا بِسَمْنٍ وَعَسَلٍ فَسَدَدْتُ فَمِي وَأَسْنَانِي فَأَتَوْا بِسِكِّينٍ فَعَالَجُوا فَمِي حَتَّى يَفْتَحُوهُ ، فَضَحِكْتُ ، فَفَتَحْتُ فَايَ ، فَلَما رَأَوْا ذٰلِكَ مِنِّي قَالُوا مَجْنُونٌ أَنْتَ ؟ قُلْتُ لاَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى ؛ وَأَخْبَرْتُهُمْ بِبَعْضِ مَا جَرَى لِي مَعَ الشَّيْطَانِ .

وَعَنْ بَعْضِ مَشَايِخِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ قَالَ : نَزَلْتُ في بَعْضِ / أَسْفَارِي [٥٩/ب] أَيَّامِ التَّعْلِيمِ مَسْجِداً ، وَكُنْتُ مُتَجَرِّداً عَلَى عَادَةِ أَوْلِيَائِنَا ، فَوَسْوَسَ إِلَيَّ الشَّيْطَانُ بِأَنَّ هٰذَا مَسْجِدٌ بَعِيدٌ عَنِ النَّاسِ ، لَوْ سِرْتَ إِلى مَسْجِدٍ بَيْنَ النَّاسِ لَرَآكَ أَهْلُهُ وَقَامُوا بِكِفَايَتِكَ ؛ فَقُلْتُ : لاَ أَبِيتُ إِلاَّ هٰهُنَا ، وَعَلَيَّ عَهْدُ اللهِ أَنْ لاَ آكُلَ إِلاَّ الحَلْوَاءَ ، وَلاَ آكُلَ حَتَّى يُوضَعَ في فَمِي لُقْمَةً لُقْمَةً ، وَصَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ ؛ فَلمَّا مَضَى صَدْرٌ مِنَ اللَّيْلِ ، إِذَا أَنَا بِإِنْسَانٍ يَدُقُّ الْبَابَ وَمَعَهُ سِرَاجٌ ، فَلَّما كَثُرَ الدَّقُّ فَتَحْتُ الْبَابَ ، فَإِذَا بِعَجُوزٍ وقَدْ دَخَلَتْ ، فَوَضَعَتْ بَيْنَ يَدَيَّ طَبَقاً مِنَ الخَبِيصِ وَقَالَتْ : هٰذَا الشَّابُّ وَلَدِي ، صَنَعْتُ لَهُ هٰذَا الخَبِيصَ وَجَرَى بَيْنَنَا كَلاَمٌ ، فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَأْكُلَ حَتَّى يَأْكُلَ مَعَهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ ، أَوْ قَالَتْ هٰذَا الْغَرِيبُ الَّذِي في الْمَسْجِدِ ؛ فَكُلْ رَحِمَكَ اللَّهُ ، وَأَخَذَتْ تَضَعُ فِي فَمِي لُقْمَةً وَفِي فَمِ وَلَدِهَا لُقْمَةً .

فَهٰذِهِ وَأَمْثَالُهَا مِنْ مُجَاهَدَاتِ الصَّالِحِينَ ومناقضاتهم لِلشَّيْطَانِ ، فَإِنَّ

لَكَ فِي ذٰلِكَ فَوَائِدُ ثَلاَثَةٌ :

فوائد هذه الأخبار

إحْدَاهَا : أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الرِّزْقَ لاَ يَفُوتُ مَنْ قُدِّرَ لَهُ بِحَالٍ .

وَالثانِيَةُ : أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَمْرَ الرِّزْقِ وَالتَّوَكُّلِ لَمهِمٌّ جِدًّا ، وَأَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ غَوَائِلَ وَوَسَاوِسَ عَظِيمَةً ، حَتَّى أَنَّ مِثْلَ أُولٰئِكَ الأَئِمَّةِ الزُّهَّادِ لَمْ يَتَخَلَّصُوا مِنْ ذٰلِكَ وَلَمْ يَيْأَسْ مِنْهُمُ الشَّيْطَانُ بَعْدَ طُولِ تِلْكَ الرِّيَاضَاتِ وَالمُجَاهَدَاتِ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُمْ ، حَتَّى يَحْتَاجُوا إِلَى دَفْعِهِ بِهٰذِهِ المُنَاقَضَاتِ . وَلَعَمْرِي أَنَّ مَنْ جَاهَدَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ سَبْعِينَ سَنَةً ، لاَ يَأْمَنُ أَنْ يُوَسْوِسَا لَهُ كَما يُوَسْوِسَانِ لِلْمُبْتَدِيءِ فِي الْعِبَادَةِ ، بَلْ لِغَافِلٍ لَمْ يَجْتَهِدْ سَاعَةً فِي الرِّيَاضَةِ ، وَلَوْ ظَفِرَا بِهِ لَفَضَحَاهُ وَأَهْلَكَاهُ هَلاَكَ الْغَافِلِينَ الْمُغْتَرِّينَ ، وَفِي ذٰلِكَ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَبْصَارِ .

وَالثَّالِثَةُ : أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الأَمْرَ لاَ يَتِمُّ إِلاَّ بِالجِدِّ المَحْضِ وَالمُجَاهَدَةِ الْبَالِغَةِ ، فَإِنَّهُمْ كانُوا لَحْماً وَدَماً وَبَدَناً وَرُوحاً مِثْلَكَ ، بَلْ كانُوا أَنْحَفَ أَبْدَاناً وَأَضْعَفَ أَرْكَاناً وَأَدَقَّ عِظَاماً مِنْكَ ، وَلٰكِنْ كَانَتْ لَهُمْ قُوَّةُ الْعِلْمِ وَنُورُ الْيَقِينِ وَهِمَّةُ أَمْرِ الدِّينِ ، حَتَّى قَوَوْا عَلَى مِثْلِ تِلْكَ المُجَاهَدَاتِ وَالْقِيَامِ بِحَقِّ تِلْكَ المَقَامَاتِ ؛ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ ، رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ ، وَدَاوِهَا مِنْ هٰذَا الدَّاءِ المُعْضِلِ ، لَعَلَّكَ تُفْلِحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فصـــــل
(نصائح في التوكل على الله في تدبير الرزق)

ثُمَّ اَعْلَمْ بَعْدَ هٰذِهِ الجُمْلَةِ أَنِّي مُجرِّدٌ لَكَ نُكتاً وَجَدْتُهَا ، بِحَيْثُ تَنْكُتُ فِي الْقَلْبِ إِذَا تَذَكَّرْتَهَا / وَتَكْفِيكَ مُؤْنَةَ هٰذَا الْبَـابِ ، وَتَدْعُـكَ عَلَى وَاضِحَةِ الطريق إِنْ تَأَمَّلْتَهَا وَعَمِلْتَ بِهَا ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ . [٦٠/أ]

الأُولَى : أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالى ضَمِنَ رِزْقَك في كِتَابِهِ ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِهِ ، وما تَقُولُ لَوْ وَعَدَكَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الـدُّنْيَا أَنَّهُ يُضِيفُكَ اللَّيْلَةَ وَيُعَشِّيكَ ، وَأَنْـتَ حَسَـنُ الظَّـنِّ بِـهِ ، أَنَّهُ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ وَلَا يُخْلِفُ الْـوَعْدَ ؛ بَـلْ لَوْ وَعَـدَكَ بِذٰلِـكَ سُوقِيٌّ أَوْ يَهُـودِيٌّ أَوْ نَصْـرَانِيٌّ أَوْ مَجُـوسِيٌّ ، مَسْتُـورٌ عِنْـدَكَ بِـظَاهِرِهِ ، عَفِيفٌ فِي مَقَـالَتِهِ ، أَلَسْتَ تَثِقُ بِـوَعْدِهِ وَتَـطْمَئِنُّ بِقَوْلِـهِ وَلا تَهْتَمُّ لِعَشَائِكَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ آتِّكالاً عَلَيْهِ ؟ فَمَا لَكَ وَقَدْ وَعَدَكَ اللَّهُ وَضَمِنَ لَكَ رِزْقَكَ وَتَكَفَّلَ ، بَلْ أَقْسَمَ عَلَيْـهِ فِي غَيْرِ مَـوْضِعٍ ، وَأَنْتَ لَا تَـطْمَئِنُّ بِوَعْـدِهِ ، وَلا تَسْكُنُ إِلى قَوْلِهِ وَضَمَانِهِ ، وَلا تَنْظُرُ إِلى قَسَمِهِ ، بَلْ يَضْطَرِبُ قَلْبُكَ وَيَهْتَمُّ ؟ فَيَا لَهَا مِنْ فَضِيحَةٍ لَوْ رَأَيْتَ وَبَالَهَا ، وَيَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ لَوْ عَلِمْتَ نَكالها .

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : [الطويل] :

أَتَـطْلُبُ رِزْقَ اللَّـهِ مِـنْ عِـنْـدِ غَـيْـرِهِ
وَتُـصْـبِـحُ مِـنْ خَـوْفِ الْـعَـوَاقِـبِ آمِـنَـا

وَتَــرْضَــى بِــصَــرَّافٍ وَإِنْ كَــانَ مُــشْــرِكــاً
ضَــمِــيــنــاً وَلاَ تَــرْضَــى بِــرَبِّــكَ ضَــامِــنــا
كَــأَنَّــكَ لَــمْ تَــقْــنَــعْ(أ) بِــمَا فِي كِــتَــابِــهِ
فَــأَصْبَحْتَ مَنْحُــولَ الْــيَــقِــينِ مُــزَابِــنَــا(١)

وَلِهٰذَا المَعْنَى يَنْجَرُّ هٰـذَا الأَمْرُ إِلى الشَّـكِّ وَالشُّبْهَةِ ، وَيُخَـافُ عَلى صَاحِبِهِ وَالْعِيَـاذُ بِاللَّهِ ـ سَلْبُ الْمَعْرِفَةِ وَالدِّينِ ، وَلِهٰذَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [المـائدة : ٢٣] ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَـوَكَّـلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [المجادلة : ١٠] فَحَسْبُ الْمُؤْمِنِ الْمُهْتَمِّ بأمر دِينِهِ هٰذِهِ النُّكْتَةُ الْوَاحِدَةُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

الثَّـانِيَةُ : **أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الـرِّزْقَ مَقْسُومٌ** ، صَحَّ ذٰلِكَ من كِتَـابِ اللَّـهِ وَأَخْبَـارِ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَعْلَمْ أَنَّ قِسْمَتَـهُ لاَ تَـتَغَـيَّـرُ وَلاَ تَتَبَـدَّلُ ؛ إِنْ أَنْكَرْتَ الْقِسْمَةَ أَوْ جَـوَّزْتَ نَقْضَهَا ، فَـذٰلِكَ بَـابُ الْكُفْرِ تَقْـرَعُهُ ، نَعُـوذُ بِاللَّهِ ؛ وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ حَقٌّ لاَ يَتَغَيَّرُ ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي الإِهْتِمَـامِ وَالطَّلَبِ إِلاَّ الذُّلِ وَالْهَوَانُ فِي الدُّنْيَا ، وَالشِّدَّةُ وَالْخُسْرَانُ فِي الآخِرَةِ ؟ وَلِذٰلِكَ قَالَ ﷺ : « مَكْتُوبٌ عَلَى ظَهْرِ الْحُوتِ وَالثَّوْرِ رِزْقُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ ، فَلاَ يَزْدَادُ الْحَرِيصُ إِلاَّ جُهْداً»(ب) ، وَفِي مثـلِ ذٰلِـكَ يَقُـولُ شيخنـا رَحِمَـهُ اللَّهُ : إِنَّ مَــا قَــدَّرَ لِمَاضِغَيْكَ أَنْ يَمْضُغَاهُ فَلاَ يَمْضُغُهُ غَيْرُكَ ، فَكُلْ رِزْقَكَ ـ وَيْحَكَ ـ بِالْعِزِّ ، وَلاَ تَأْكُلْهُ بِالذُّلِّ ، فَهٰذِهِ نُكْتَة حسنة مُقْنِعَةٌ / لِلرِّجَالِ . [٦٠/ب]

(أ) لم تقنع : أي لم تقتنع بما وعد الله من ضمان الرزق لعباده . مُزابنا : من فعل زَبَنَ أي دفع ، وكأنك تدفع اليقين الصادق باليقين المنحول غير الصادق.
(ب) راجع تخريج الحديث رقم : ٧٤ .

الثَّالِثَةُ : مَا سَمِعْتُ شَيْخِي الإِمَامِ [أ] رَحِمَهُ اللَّهُ يَحْكِي عَنْ الأُسْتَاذِ [ب] رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ مِمَّا يُقْنِعُنِي فِي أَمْرِ الرِّزْقِ أَنِّي تَذَكَّرْتُ وَقُلْتُ لِنَفْسِي : أَلَيْسَ هٰذَا الرِّزْقُ لِلْحَيَاةِ وَالْعَيْشِ ، وَالمَيِّتُ مَا يَصْنَعُ بِالرِّزْقِ ؟ فَإِذَا كَانَ حَيَاةُ الْعَبْدِ فِي خَزَانَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِيَدِهِ ، إِنْ شَاءَ يُعْطِينِي وَإِنْ شَاءَ يَمْنَعُنِي ، وَهُوَ غَيْبٌ عَنِّي ، مَوْكُولٌ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ يُدَبِّرُهُ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَأَنَا سَاكِنُ النَّفْسِ بِذٰلِكَ . فَهٰذِهِ نُكْتَةٌ لَطِيفَةٌ مُقْنِعَةٌ لأَهْلِ التَّحْقِيقِ .

النكتة الرَّابِعَةُ : مِمَّا ذَكَرنَا فِي هٰذا الْفَصْلِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَمِنَ رِزْقَ الْعَبدِ وَلَمْ يَضْمَنْ إِلَّا الرِّزْقَ المَضْمُونَ الَّذِي هُوَ الْغِذَاءُ وَالتَّرْبِيَةُ ، وَفِيهِ الْقِوَامُ وَالْعُدَّةُ .

وأَمَّا الأَسبَابُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرابِ ، فالْعَبْدُ إِذَا تَجَرَّدَ لِعِبَادِةِ اللَّهِ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ، فَرُبَّمَا يُحْبَسُ عَنْهُ الأَسْبَابُ ، فَلا يَعْبَأُ بِذٰلِكَ وَلَا يَضْجرُ ، لِمَا عَلِمَ مِنْ حَقِيقَةِ الأَمْرِ أَنَّ الضَّمَانَ قِوَامِ الْبِنْيَةِ ، وَالتَّوَكُّلُ عَلى اللَّهِ تعالى ، أَنَّمَا هُوَ في هٰذَا المَعْنَى لَا غَيْرُ ، وَالمُنْتَظَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالى هٰذَا المَعْنَى ، فَإِنَّ اللَّهِ تَعَالى لا مَحَالَةَ يُمِدُّهُ بِالْقُوَّةِ لِيَقُومَ بِحَقِّ الْعِبَادَةِ وَالْخِدَمَةِ مَا دَامَ لَهُ أَجَلٌ وَتَكْلِيفٌ بِالْعِبَادَةِ ، وَهٰذَا هُوَ المَقْصُودُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ ، إِنْ شَاءَ يُقِيمُ بِنْيَةَ عَبْدِهِ بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ أَوْ بِطِينٍ وَتُرَابٍ ، أَوْ بِتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ كَالْمَلَائِكَةِ ، وَإِنْ شَاءَ بِدون هٰذَا كُلِّهِ . فَلَيْسَ مَطْلُوبُ الْعَبْدِ إِلَّا الْقِوَامَ وَالْقُوَّةَ لِلْعِبَادَةِ لَيْسَ الأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَشِدّةَ الشَّهْوَةِ وَنَيْلَ اللَّذَةِ ، فَلَا آعْتِبَارَ بِالأَسْبَابِ إِذَنْ ، وَلِهٰذَا الْمَعْنَى قَوِيَتِ الزُّهَّادُ وَالْعُبَّادُ عَلَى الأَسْفَارِ وَطَيِّ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ .

(أ) الإمام : أي إمام الحرمين الجويني .

(ب) الأستاذ: أي أبو إسحاق الاسفراييني .

فَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَأْكُلْ عَشْرَةَ أَيَّامٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَأْكُلْ شَهْراً وَشَهْرَيْنِ وَهُوَ عَلَى قُوَّتِهِ .

خبر عن الثوري

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَسْتَفُّ الرَّمْلَ فَيَجْعَلُه اللَّهُ عز وجل لَهُ غِذَاءً ، نَحْو مَا ذُكِرَ عَنْ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ نَفِدَتْ نَفَقَتُهُ بِمَكَّةَ ، فَمَكَثَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً يَسْتَفُّ الرَّمْلَ .

وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ الأَسْوَدُ : رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ يَأْكُلُ الطِّينَ عِشْرِينَ يَوْماً .

وَعَنِ الأَعْمَشِ قالَ : قالَ إِبْراهِيمُ التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا أَكَلْتُ مُنْذُ شَهْرٍ ، قُلْتُ مُنْذُ شَهْرٍ ؟ قَالَ : وَلاَ شَهْرَينِ ، إِلاَّ أَنَّ إِنْسَاناً نَاشَدَنِي عَلَى عُنْقُودٍ مِنْ عِنَبٍ فَأَكَلْتُهُ ، فَأَنَا أَشْتَكِي بَطْنِي .

قُلْتُ : فَلاَ تَعْجَبَنَّ مِنْ ذٰلِكَ ، فَإِنَّ لِلَّهِ الْقُدْرَةَ عَلَى مَا يَشَاءُ ؛ وَهٰذَا مَرِيضٍ تَرَاهُ لاَ يَأْكُلُ شَهْراً ، وَهُوَ حَيٌّ يَعِيشُ ، وَالمَرِيضُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَضْعَفُ نَفْساً وَأَرَقُّ طَبْعاً مِنَ الصحيح .

[٦١/أ] وَأَمَّا الَّذِي يَمُوتُ / جُوعاً فَذٰلِكَ أَجَلٌ حَضَرَهُ ، كَالَّذِي يَمُوتُ شِبَعاً وَتُخَمَةً . وَلَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَرَّازِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يقول : حَالِي مَعَ اللَّهِ تعالى أَنْ يُطْعِمَنِي في كُلِّ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، فَدَخَلْتُ الْبَادِيَةِ ، فَمَضَتْ عَلَيَّ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ مَا طَعِمْتُ ، فَلَمَّا كَانَ في الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَجَدْتُ ضَعْفاً ، فَجَلَسْتُ مَكَانِي ، فَإِذَا بِهَاتِفٍ يَقُولُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ أَيُّما أَحَبُّ إِلَيْكَ : سَبَبٌ أَوْ قُوى ؟ فَقُلْتُ : لاَ ، إِلاَّ الْقُوَى ، فَقُمْتُ مِنْ وَقْتِي وَقَدِ آسْتَقْلَلْتُ ، فَأَقَمْتُ آثْنَيْ عَشَرَ يَوْماً مَا طَعِمْتُ وَلاَ وَجَدْتُ أَلَماً لِذٰلِكَ .

فإذا رَأَى الْعَبْدُ آحْتِبَاسَ الأَسْبَابِ عَنْهُ ، وَعَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ التَّوَكُّلَ عَلَى

ٱللَّهِ ، فَلْيَسْتَيْقِنْ بِأَنْ ٱللَّهُ تَعَالى يُمِدُّهُ بِالْقُوَّةِ فَلا يَضْجَرَنَّ لِذٰلِكَ ، بَلْ حَقُّهُ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالى على ذلك شُكْراً كَثِيراً ، فَإِنّ المَنَّةَ وَالصُّنْعَ اللَّطِيف ، إِذْ رَفَعَ عَنْهُ المُؤْنَةَ وَأَعْطَاهُ المَعُونَةَ ، وَحَصَلَ لَهُ الأَصْلُ وَالْمَقْصُودُ ، وَدفَعَ عَنْهُ الثِّقْلَ وَالْوَاسِطَةَ ، وَخَرَقَ لَهُ عَلائِقَ الْعَادَةِ ، وَأَرَاهُ طَرِيقَ القُدْرَةِ ، حَالَهُ بِحَالِ المَلائِكَةِ ، وَرَفَعَهُ عَنْ حَالَةِ الْبَهَائِمِ وَالْعَامَّةِ في تِلْكَ الْكَرَامَةِ ، فَتَأَمَّلْ هٰذا الأَصْلَ الكَبِيرَ تَغْنَمِ الرِّبْحَ الْعَظِيمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعالى .

أهمية التوكل

قُلتُ : لَعَلَّكَ تَقُولُ : أَراكَ أَطْنَبْتَ في هٰذَا الْفَصْلِ خِلافَ شَرْطِ الْكِتَابِ .

فَأَقُولُ : لَعَمْرُو اللَّهِ إِنَّهُ لَقَلِيلٌ فِي جَنْبِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هٰذَا الْمَعْنَى ، إِذْ هُوَ أَهَمُّ شَأْناً في الْعِبَادَةِ ، بَلْ عَلَيْهِ مَدَارُ أَمْرِ الدُّنْيا وَالْعُبودِيَّةِ ، فَمَنْ لَهُ هِمَّةٌ في هٰذَا الشَّأْنِ فَلْيَسْتَمْسِكْ بِذٰلِكَ وَلْيَراعِهِ حَقَّهُ ، وَإِلاّ فَهُوَ عن[1] المَقْصُودِ بِمِعْزَلٍ .

وَالَّذِي يَدُلُّكَ على بَصِيرَةِ عُلَماءِ الآخِرَةِ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ ، أَنَّهُمْ بَنَوْا أَمْرَهُمْ عَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَالتَّفَرُّغِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَقَطْعِ الْعَلائِقِ كُلِّهَا ؛ فَكَمْ صَنَّفُوا مِنْ كِتَابٍ ، وَكَمْ أَوْصَوْا بِوَصِيَّةٍ ؛ وَقَيَّضَ اللَّهُ لَهُمْ أَعْوَاناً مِنَ السَّادَةِ وَأَصْحَاباً ، فَتَمَشَّى لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ المَحْضِ ما لَمْ يَتَمَشَّ لِطَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ الأُمَّةِ إِلاَّ لِزُهَّادِ الْكَرَامِيَّةِ، (الَّذِينَ بَنُوا مَذهبهم)[2] عَلَى أُصُولٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمَةٍ، وَمَا زِلْنَا أَعِزَّةً مَا دُمْنَا عَلَى مِنْهَاجِ أَئِمَّتِنَا نَخْرُجُ مِنْ مَعَاهِدِنَا وَمَدَارِسِنا كُلَّ حِينٍ، إِمَّا إِمَامٌ في الْعِلْمِ كَالأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحٰقَ وَأَبِي حَامِدٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ وَابْنِ فَوْرَكٍ وَشَيْخِنَا الإِمَامِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنَ السَّادَةِ، وَإِمَّا صِدِّيقٌ فِي الْعِبَادَةِ كَأَبِي إِسْحٰقَ الشِّيرَازِي ، وَأَبِي سَعِيدٍ الصُّوفِي وَنَصْرِ المَقْدِسِي وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ فَاقَ الأُمَّةَ عِلْماً وَزُهْداً ، حَتَّى ضَعُفَتِ الْقُلُوبُ مِنْ بَعْضِنَا وَتَلَطَّخْنا بِشَيْءٍ مِنَ / الْعَلائِقِ [٦١/ب]

الّتي ضَرَرُهَا أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِها ، تَرَاجَعَتِ الأُمُورُ ، وَتَقَاعَدَتِ الْهِمَمُ ، وَطَارَتِ الْبَرَكَاتُ وَزَالَتِ اللذّاتُ وَالحَلاَوَاتُ، فَلا تَكادُ تَصْفُو لأَحَدٍ عِبادَةٌ، أَوْ يَحْصُلُ لَهُ عِلْمٌ وَحَقِيقَةٌ ؛ فَإنَّ اللَّمْعَةَ الّتِي تَظْهَرُ مِنّا الآنَ لَيْسَتْ إلاّ مِمّا بَقِيَ عَلَى مِنْهَاجِ أَسْلاَفِنَا وَشُيُوخِنَا المُتَقَدِّمِينَ ، كَالحَارِثِ المُحَاسِبيّ ، وَمُحمّدِ بْنِ إدْرِيسَ الشّافِعِيِّ وَالمُزَنِيِّ وَحَرْمَلَةَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ ، رضي اللّهُ عنهم أَجْمَعِينَ ، فَهُمْ كَمَا قيل : [الطويل] :

رعى اللّهُ قوماً قد رعوا حقّ ربّهم
فلا نقضوا عهداً ولا أخلفوا عهد[1]

فَمَا صَحِبُوا الأَيَّامَ إلاّ تَعَفُّفَا
وَمَا وَجَدُوا مِنْ حُبِّ سَيِّدِهِمْ بُدَّا

أفاضِلُ صِدِّيقُونَ أَهْلُ وِلاَيَةٍ
إلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ قَدْ جَعَلُوا الْقَصْدَا

تَخلَّلَ عَقْدُ الصَّبْرِ مِنْ كُلِّ صَابِرٍ
وَمَا حَلّتِ الأَيَّامُ مِنْ صبرهم[2] عَقْدَا

وَكُنّا فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ مُلُوكاً فَصِرْنَا سُوقَةً ، وَكُنّا فُرْسَاناً فَصِرْنَا رِجَالَةً[أ] ، وَلَيْتَنَا لاَ نَنْقَطِعُ عَنِ الطّرِيقِ بِمَرَّةٍ ، وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى المَصَائِبِ ، والمَسْؤُولُ أَنْ لاَ يَسْلُبَنَا هذَا الرَّمَقَ ، إنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ ، مَنَّانٌ رَحِيمٌ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

دواعي التفويض

وأمّا التّفويض[ب] فَتَأَمَّلْ فِيهِ أَصْلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنّكَ تَعْلَمُ أَنّ الاخْتِيَارَ لاَ يَصْلُحُ إلاّ لِمَنْ كَانَ عَالِماً بِالأُمُورِ

(أ) رجالة : أي نسير على أقدامنا بعد أن كنا نركب الخيل .

(ب) أي تفويض الأمر كلّه لله .

بِجَمِيعِ جِهَاتِهَا ، ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا ، وَحَالِهَا وَعَاقِبَتِهَا ، وَإِلاَّ فَلاَ يَأْمَنُ أَنْ يَخْتَارَ الْهَلاَكَ وَالْفَسَادَ عَلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالصَّلاَحُ ، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ لِبَدَوِيٍّ أَوْ قَرَوِيٍّ أَوْ رَاعِي غَنَمٍ : إِنقُدْ لِي هٰذِهِ الدَّرَاهِمَ وَمَيِّزْ لِي بَيْنَ جَيِّدِهَا وَرَدِيئِهَا ، فَإِنَّهُ لاَ يَهْتَدِي لِذٰلِكَ ، وَلَوْ قُلْتَ لِسُوقِيٍّ غَيْرِ صَيْرَفِيٍّ فَرُبَّما يَعْسُرُ أَيْضاً ؟ فَلاَ تَأْمَنْ إذن إلا بِأَنْ تَعْرِضَهَا عَلَى الصَّيْرَفِيِّ الْخَبِيرِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْخَواصِّ وَالأَسْرَارِ . وَهٰذَا الْعِلْمُ المُحِيطُ بِالأُمُورِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ لاَ يَصْلُحُ إِلاَّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَلاَ يَسْتَحِقُّ إِذَنْ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ الإخْتِيَارُ وَالتَّدْبِيرُ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَلِذٰلِكَ يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ** ﴾ [القصص : ٦٨] ثُمّ قَالَ تَعَالى : ﴿ **وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ** ﴾ [النمل : ٧٤] .

وَحُكِيَ عَن بَعْضِ الصَّالِحِينَ ، قِيلَ / لَهُ : من قِبَلِ اللَّهِ تَعَالى سَلْ تُعْطَ(١) ، وَكَانَ مُوَفَّقاً فَقَالَ : إِنَّ عَالِماً بِجَمِيعِ الْوُجُوه يَقُولُ لِجَاهِلٍ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ : سَلْ تُعْطَ ، أي شيء أَعْلَمُ مَاذَا يَصْلُحُ لِي فَأَسْأَلُهُ ؟ وَلٰكِنِ آخْتَرْ أَنْتَ لِي ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ . [٦٢/أ]

الأَصْلُ الثَّاني: مَا تَقُولُ لَوْ أَنَّ رَجُلاً قالَ لَكَ : أَنَا أَقُومُ بِجَمِيعِ أُمُورِكَ وَأُدَبِّرُ جَمِيعَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِكَ ، فَفَوِّضِ الأَمْرَ كُلَّهُ إِلَيَّ ، وَاشْتَغِلْ أَنْتَ بِشَأْنِكَ الَّذِي يَعْنِيكَ ، وَهُوَ عِنْدَكَ أَعْلَمُ أَهْلِ زَمَانِكَ ، وَأَحْكَمُهُمْ وَأَقْوَاهُمْ وَأَرْحَمُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ وَأَصْدَقُهُمْ وَأَوْفَاهُمْ ؛ أَلَسْتَ تَغْتَنِمُ ذٰلِكَ وَتَعُدُّهُ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ ، وَتَمْتَنُّ مِنْهُ أَكْبَرَ مِنَّةٍ ، وَتُقَدِّمُ لَهُ أَوْفَرَ شُكْرٍ وَأَجْمَلَ ثَنَاءٍ ؟ ثُمَّ إِذَا آخْتَارَ لَكَ شَيْئاً لاَ تَعْرِفُ وَجْهَ الصَّلاَحِ فِيهِ فَلاَ تَضْجَرْ لِذٰلِكَ ؛ بَلْ تَثِقُ وَتَطْمَئِنُّ إِلَى تَدْبِيرِهِ ، وَتَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يَخْتَارُ لَكَ إِلاّ مَا هُوَ الْخَيْرُ، وَمَا يَنْظُرُ لَكَ

إلاّ الصَّلاحَ كَيْفَمَا كَان ، بَعْدَمَا وَكَلْتَ الأمْرَ إلَيْهِ وَضَمِنَ ذلِك ؟ فَمَا لَكَ إذَنْ لاَ تُفَوِّضُ الأُمُورَ إلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَهُو الذِي يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إلَى الأَرْضِ ؟ .

أَعْلَمُ كُلِّ عَالِمٍ ، وَأَقْدَرُ كُلِّ قادِرٍ ، وَأَرْحَمُ كلِّ رَاحِمٍ ، وَأَغْنَى كُلِّ غَنِيٍّ ، لَيَخْتَارَ لَكَ بِلَطِيفِ عِلْمِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ مَا لم يَبْلُغْهُ عِلْمُكَ وَلاَ يُدْرِكُهُ فَهْمُكَ ؟ وَاشْتَغِلْ أَنْتَ بِشَأْنِكَ الّذِي يَعْنِيكَ في عَاقِبَتِكَ ؛ وَإذَا اخْتَارَ لَكَ أَمْراً لاَ تَعْلَمُ وَجْهَ سِرِّهِ رَضِيتَ بِذلِكَ وَاطْمَأْنَنْتَ إلَيْهِ كَيْفَمَا كَانَ ، هُوَ الصَّلاحُ وَالْخَيْرُ ، فَتَأَمَّلْ رَاشِداً إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعالىٰ وَباللَّهِ سُبحانه التَّوْفِيقُ .

دواعي الرضا بالقضاء

وَأَمَّا الرِّضَا بِالْقَضَاءِ ، فَتَأَمَّلْ فِيهِ أَصْلَيْنِ مُقْنِعَينِ لاَ مَزِيدَ عَلَيْهِمَا :

أَحَدُهُمَا : مَا فِي الرِّضَا مِنَ الْفَائِدَةِ في الحَالِ وَالمَآلِ .

فأَمَّا الْفَائِدَةُ الحالية فَفَرَاغُ الْقَلْبِ ، وَقِلَّةُ الْهَمِّ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الزُّهَّادِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إذَا كانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْهَمُّ فَضْلٌ . وَأَصْلُه الخَبَرُ المَأْثُورُ عَنِ رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ لابْنِ مَسْعُودٍ :

« لِيَقِلَّ هَمُّك ، وَمَا قُدِّرَ يَكُنْ وَمَا لَمْ تُرْزَقْ لَمْ يَأْتِكَ »(أ) هٰذَا هُوَ الْكَلاَمُ الجَامِعُ ، النَّبَوِيُّ ، البَالِغُ(ب) فِي قِلَّةِ اللَّفْظِ وَكَثْرَةِ المَعْنَى .

وَأَمَّا الْفَائِدَةُ في المَآلِ ، فَثَوَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانُهُ ، لقوله تَعَالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [المائدة : ١١٩] . وفي السُّخْطِ مِنَ الْهَمِّ وَالحُزْنِ وَالضَّجَرِ في الحَالِ(ج) ، وَالوِزْرِ وَالعُقُوبَةِ في الآخرة بِلاَ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ٧٥ .
(ب) البالغ : أي البليغ .
(ج) الحال : أي الدنيا .

فَـائِدَةٍ ، إِذِ الْقَضَـاءُ نَـافِـذٌ فَـلاَ يَنْصَـرِفُ بِهَمِّـكَ وَسُخْـطِكَ ، كَمـا قِيـلَ : [الكامل] :

مَـا قَـدْ قُـضِـي يَـا نَفْسُ فَـاصْـطَبِـرِي لَـهَ
وَلَـكِ الأَمَـانُ مِـنَ الّـذِي لَـمْ يُـقْـدَرِ / [٦٢/ب]
وتـيـقّـنـي أَنَّ الـمُـقَـدَّرَ كَـائِـنٌ
حَـتْمـاً عَـلَيْـكِ صَبَـرْتِ امْ لَـمْ تَـصْبِـرِي[١]

وَالْعَاقِلُ لاَ يَخْتَارُ الهَمَّ بِلاَ فَائِدَةٍ مَعَ الْوِزْرِ وَالْعُقُوبَةِ عَلَى رَاحَةِ الْقَلْبِ وَثَوَابِ الجَنَّةِ .

وَالأَصْلُ الثَّانِي: مَـا فِي السُّخْطِ مِنْ عِظَمِ الْخَطَـرِ وَالضَّـرَرِ وَالْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ ، إِلاَّ أَنْ يَتَدَارَكَهُ اللَّهُ . وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُـونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بينهم، ثُمّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُـوا تَسْلِيماً** ﴾ [النسـاء : ٦٥] نَفى الإيمَان،وَأَقْسَمَ عَلَى مَنْ سَخِطَ قَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَ الله تَعَالَى ؟ وَرَوَيْنَا أَنَّ رسـول الله ﷺ قال في حـديث قدسي عن رب العـالمين: « مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلاَئِي وَلَمْ يَشْكُرْ نَعْمَائِي فَلْيَتَّخِذْ إِلَهاً سِوَائِي »[أ] .

قِيلَ كأَنَّهُ يَقُولُ : هٰذَا لاَ يَرْضَانِي رَبًّا حِينَ يَسْخَطُ ، فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا آخَـرَ يَرْضَاهُ ؛ وَهٰذَا غَايَةُ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ لِمَنْ عَقَلَ . وَلَقَدْ صَدَقَ بَعْضُ السّلَفِ إِذْ قِيلَ لَهُ : مَا الْعُبُودِيَّةُ وَالرُّبُوبِيَّةُ ؟ فَقَالَ : الرّبُّ يَقْضِي وَالْعَبْدُ يَرْضَى ، فَإِذَا قَضَى الرَّبُّ وَلَمْ يَرْضَ الْعَبْدُ فَمَا هُنَاكَ رُبُوبِيّةٌ ولا عبوديّة .

فَتَأَمَّلْ هٰذَا الأَصْلَ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ لَعَلّكَ تَسْلَمُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٧٦ .

الصبر وَأَمَّا الصَّبْرُ فَإِنَّهُ دَوَاءٌ مُرٌّ ، وَشُرْبَةٌ كَرِيهَةٌ (إلا أنها مباركة كـريمة)(١) تَجْلِبُ كُلَّ مَنْفَعَةٍ ، وَتَدْفَعُ عَنْكَ كُلَّ مَضَرَّةٍ ، وإذَا كَانَ الدَّوَاءُ بِهٰذِهِ الصِّفَةِ ، فَالإنْسَانُ الْعَاقِلُ يُكْرِهُ النَّفْسَ عَلَى شُرْبِـهِ وَتَجَرُّعِـهِ ، وَيُغْضِي عَلَى مَرَارَتِـهِ وَحِدَّتِه ، وَيَقُولُ : مَرَارَةُ سَاعةٍ ورَاحَةُ سَنَةٍ .

أنواع الصبر فَأَمَّا المَنَافِعُ الَّتِي يَجْلِبُهَا ، فَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ أَرْبَعَةٌ :

١ ـ صَبْـرٌ عَلَى الطَّاعَـةِ ، ٢ ـ وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَـةِ ، ٣ ـ وَصَبْـرٌ عَنْ فُضُولِ الدُّنْيَا ، ٤ ـ وَصَبْرٌ عَلَى الْمِحَنِ وَالْمَصَائِبِ .

فوائد الصبر فَإذَا احْتَمَلَ مَرَارَةَ الصَّبْرِ ، وَصَبَرَ فِي هٰذِهِ المَوَاطِنِ الأَرْبَعَةِ ، تَحْصُلُ لَهُ الطَّاعَاتُ وَمَنَازِلُهَا ، مِنَ الإسْتِقَامَةِ وَثَوَابُهَا الْجَزِيلُ فِي الْعاقِبَةِ ، ثُمَّ لا يَقَعُ في المَعَاصِي وَبَلِيَّاتِها في الدُّنْيـا وَتَبِعَاتِهـا في الآخِرَةِ ، ثُمَّ لَا يُبْتَلَى بِـطَلَبِ الدُّنْيَا وَمَا لَهَا مِنَ الشُّغْلِ فِي الْحَالِ وَالتَّبِعَةِ في المـآلِ ، ثُمَّ لَا يُحْبَطُ أَجْرُهُ عَلَى مَا ٱبْتُلِيَ بِهِ وَذَهَبَ عَنْهُ ، فَحَصَلَ إذَنْ بِسَبَبِ الصَّبْـرِ الطَّاعَـةُ وَمَنَازِلُهـا الشَّرِيفَةُ وَثَوَابُها ، وَالتَّقْوَى وَالزُّهْـدُ وَالْعِوَضُ وَالثَّـوَابُ الْجَزِيـلُ مِنَ اللَّـهِ عز وجل ، وَتَفْصِيلُ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَمَّا دَفْعُ المَضَارِّ فَيُرِيحُهُ أَوَّلًا مِنْ مُؤْنَةِ الْجَزَعِ وَمُقَاسَاتِهِ ، في الدنْيَا، ثُم وِزْرِهِ وَعُقُوبَتِهِ فِي الآخرة .

[٦٣/أ] وَأَمَّـا إنْ هُوَ ضَعُفَ / عَنِ الصَّبْـرِ وَسَلَكَ طَرِيقَ الْجَـزَعِ ، فَاتَـهُ كُـلُّ مَنْفَعَـةٍ ، وَلَحِقَهُ كُـلُّ مَضَرَّةٍ ؛ إذْ لَا يَصْبِـرُ عَلَى مَشَقَّةِ الطَّاعَةِ ، فَـلا يَفْعَلُ الطَّاعَةَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى حِفْظِها فَيُحْبِطُهَا ، أَوْ لَا يَصْبِرُ عَلَى الْمُوَاظَبَةِ عَلَيْهَا ، فَلَا يَصِلُ إلى مَنْزِلَةٍ شَـرِيفَةٍ فِيهـا مِنْ دَرَجَاتِ الإسْتِقَـامَةِ ، أَوْ لَا يَصْبِـرُ عَنْ مَعْصِيَةٍ ، فَيَقَعُ فِيهَا أَوْ عَنْ فُضُولٍ فَيَشْتَغِلُ بِهِ ، أَوْ لَا يَصْبِرُ عَلَى مُصِيبَةٍ يُحْرَمُ ثَوَابَ الصَّبْرِ ، وَرُبَّمَا يُكْثِرُ الْجَزَعَ حَتَّى يَفُوتَ الْعِوَضُ بِسَبَبِ ذٰلِكَ فَتَكُونُ لَهُ

مْصِيبَتَانِ : فَوْتُ الشَّيْءِ ، وفَوْتُ الأَجْرِ وَالْعِوَضِ ، وَحُلُولُ المَكْرُوهِ ، وَحِرْمَانُ الصَّبْرِ . وَلَقَدْ قِيلَ : حِرْمَانُ الصَّبْرِ عَلَى المُصِيبَةِ أَشَدُّ مِنَ المُصِيبَةِ ؛ وأَيُّ فَائِدَةٍ في شَيْءٍ يُذهِبُ الْحَاصِلَ المَوْجُودَ ، وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الذَّاهِبَ المَفْقُودَ ؟ وإِذَا فَاتَكَ أَحَدُهُمَا فَلَا يَفُوتَكَ الآخَرُ .

وَمِنَ الْكَلَامِ الْجَامِعِ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَزَّى رَجُلاً فَقَالَ :

إِنْ صَبَرْتَ جَرَتْ عَلَيْكَ المَقَادِيرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَتْ عَلَيْكَ المَقَادِيرِ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ .

ثُمَّ أقولُ : إن جُمْلَةَ الأَمْرِ أَنَّ قَطْعَ الْقَلْبِ عَنِ الْعَلَائِقِ المَأْلُوفَةِ وَقطع النَّفْسِ عَنْ الْعَادَاتِ الرَّاسِخَةِ ، بِالتَّوَكُّلِ المَحْضِ عَلَى اللَّهِ عز وَجَلَّ ، وَتَرْكِ التَّدْبِيرِ في الأُمُورِ ، وَتَفْوِيضِها إِلَى اللَّهِ عز وجل ، مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ بما هُوَ السِّرُّ فِيهَا ، وَكَبْحَ النَّفْسِ عَنِ السخطِ وَالجزْعِ ، مَعَ تَسَارُعِ النَّفْسِ إِلَيْهِ ، وَإِكْرَاهَهَا عَلَى لِجَامِ الرِّضَا وَتَجَرُّعِ شُرْبَةِ الصَّبْرِ مَعَ نَفْرَتِهَا عَنْ ذٰلِكَ ، لأَمْرٌ مُرٌّ وَعِلَاجٌ شَدِيدٌ وَحِمْلٌ ثَقِيلٌ ، ولٰكِنَّهُ تَدْبِيرٌ سَدِيدٌ وَطَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ ، وَلَهُ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ وَأَحْوَالٌ سَعِيدَةٌ مَسْعُودَةٌ .

وَمَا تَقُولُ فِي الْوَالِدِ المُشْفِقِ الْغَنِيِّ ، إِذَا عزّ وَلَدَهُ الْعَزِيزَ رُطَبَةً أَوْ تُفَّاحَةً يَأْكُلُها وَهُوَ أَرْمَدُ ، وَسَلَّمَهُ إِلى المُعَلِّمِ الْغَلِيظِ السَّائِسِ ، وَيَحْبِسُهُ طول النَّهَارِ عِنْدَهُ وَيُضْجِرُهُ ، وَيَحْمِلُهُ إِلَى الْحِجَّامِ لِيَحْجِمَهُ فَيُوجِعَهُ وَيُقْلِقَهُ ، أَتُرَى مَعَ ذلِكَ مِنْ بُخْلٍ بِهِ ، كَيْفَ وَهُوَ يُعْطِي الأَجَانِبَ وَيُوسِعُ عَلَيْهِمْ ؟ أَوْ هَوَانٍ بِهٰذَا الْوَلَدِ عِنْدَهُ ، كَيْفَ وَهُوَ يَكْنِزُ لَهُ جَمِيعَ مَا في يَدِه ؟ أَوْ قَصَدَ بذلك إِتْعَابَهُ وَإِيذَاءَهُ لِبُغْضٍ لَهُ ، كَيْفَ وَهُوَ قُرَّةُ عَيْنِهِ وَثَمَرَةُ فُؤَادِهِ ، لَوْ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحٌ لعَزَّ عَلَيْهِ ؟ ، كَلَّا ، وَلٰكِنْ لما عَلِمَ أَنَّ صَلَاحَهُ فِي ذٰلِكَ ، وَأَنَّ بِهٰذَا التَّعَبِ الْقَلِيلِ يَصِلُ / إلى خيرٍ كثيرٍ وَنَفْعٍ عَظِيمٍ . [٦٣/ب]

وَمَا تَقُولُ فِي الطَّبِيبِ الْحَاذِقِ النَّاصِحِ المُحِبِّ ، إذَا مَنَعَ المَرِيض الدَّنِفَ[أ] شُرْبَةَ مَاءٍ وَهُوَ ظَمْآنُ ويَتَقَلّى كَبِدُهُ ، وَسَقَاهُ شُرْبَةَ إِهْلِيلَجٍ[ب] كَرِيهَةً ، تَجْزَعُ عَنْ ذٰلِكَ نَفْسُهُ وَطِبْعُهُ ، (أتُرَى)[١] أنّ ذٰلِكَ مِنْهُ مُعَادَاةٌ وَإيذَاءٌ ؟ كَلاّ ، بَلْ نُصْحٌ وَإِحْسَانٌ لِمَا عَلِمَ يَقِيناً أنَّ فِي إِعْطَائِهِ شَهْوَتَهُ سَاعَةً هَلاكَهُ وَعَطَبَهُ رَأْساً ، وَفِي مَنْعِ ذٰلِكَ شِفَاؤُهُ وَبَقَاؤُهُ .

فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِذَا حَبَسَ اللَّهُ عَنْكَ رَغِيفاً أَوْ دِرْهَماً ، فَتَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّهُ يَمْلِكُ مَا تُرِيدُ، وَيَقْدِرُ عَلَى إِيصَالِهِ إِلَيْكَ ، وَلَهُ الْجُودُ وَالفَضْلُ ، وَيَعْلَمُ حَالَكَ فَلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ[٢] ، فَلاَ عُدْمَ وَلاَ عَجْزَ وَلاَ خَفَاءَ ، تَعَالى عَنْ ذٰلِكَ وَتَقَدَّسَ ، فَإِنَّهُ أَغْنَى الأَغْنِيَاءِ وَأَقْدَرُ الْقَادِرِينَ ، وَأَعْلَمُ الْعُلَمَاءِ ، وَأَجْوَدُ الأَجْوَدِينَ ؛ فَتَعْلَمْ إذَنْ بِالْحَقِيقَةِ أَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْكَ إِلاَّ لِصَلاَحٍ وَآخْتِيَارٍ لَكَ ، كَيْفَ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ : ﴿ **خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً** ﴾ [البقرة : ٢٩] كَيْفَ وَهُوَ الَّذِي جَادَ عَلَيْكَ بِمَعْرِفَتِهِ ، وَهِيَ الَّتِي تَتَلاشَى فِي جَنْبِهَا الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا .

وَفِي الْخَبَرِ المَشْهُورِ : إنَّ آللَّهَ سبحانه يَقُولُ : « إِنِّي لأَذُودُ أَوْلِيَائِي عَنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا كَمَا يَذودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ إِبِلَهُ عَنْ مَبَارِكِ الْعِرَّةِ »[ج] .

(أ) الدَّنِف : الشديد المرض .

(ب) الاهليلج : تمر ، وهو أصناف كثيرة ، يصنع منه شراب لمداواة بعض الأمراض. وهو معروف لدى أصحاب هذه الصناعة.

(ج) راجع تخريج الحديث رقم ٧٧ . ومبارك : جمع مَبْرك : كمداخل ومدخل ، وهو موضع بروك الإبل واضطجاعها. والعِرّ والعِرَّة: الجرب، والمقصود: إبعاد الإبل عن المواضع التي تؤذيها.

وَإِذَا ٱبْتَلاكَ بِشِدَّةٍ فَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ ٱبْتِلاَئِكَ وَٱمْتِحَانِكَ ، عَالِمٌ بِحَالِكَ ، بَصِيرٌ بِضَعْفِكَ ، وَهُوَ بِكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ؛ أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ ﷺ « لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ مِنَ الْوَالِدَةِ الشَّفِيقَةِ بِوَلَدِهَا »[أ] .

فَإِذَا (علمتَ هذا)[١] عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يُنْزِلْ بِكَ هٰذَا المَكْرُوهَ إِلاَّ لِصَلاَحٍ لك جَهِلْتَهُ أَنْتَ وَهُوَ عالم بِذٰلِكَ ؛ وَلِهٰذَا تراه يُكْثِرُ ٱبْتِلاَءَ أنبيائه وَأَصْفِيَائِهِ ، الَّذِينَ هُمْ أَعَزُّ عِبَادِهِ ؛ حَتَّى يَقُولَ ﷺ : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْماً ٱبْتَلاَهُمْ »[ب] وَيَقُولُ : « أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ »[ج] . وَإِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يَحبِسُ عَنْكَ الدُّنْيَا ، أَوْ يُكْثِرُ عَلَيْكَ الشَّدَائِدَ وَالْبَلْوَى ، فَاعْلَمْ أَنَكَ عِنْدَهُ عَزِيزٌ ، وَأَنَّكَ عِنْدَهُ بِمَكَانٍ عَلِيٍّ ، وَأَنَّهُ يَسْلُكُ بِكَ طَرِيقَ أَوْلِيائِهِ ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ وَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى ذٰلِكَ . أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ تَعَالى : ﴿ **وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [**الطور** : ٤٨] بل ٱعرفْ مِنَّتَهُ عَلَيْكَ فِيمَا يَحْفَظُ عَلَيْكَ مِنْ صَلاَحِكَ ، وَيُكْثِرُ مِنْ أَجْرِكَ وَثَوَابِكَ ، وَيُنْزِلُكَ مَنَازِلَ الأَبْرَارِ وَالأَعِزَّةِ عِنْدَهُ ، فَكَمْ تَرَى / مِنْ عَوَاقِبَ حَمِيدَةٍ ، وَمَوَاهِبَ كَرِيمَةٍ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (٧٨) .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم (٧٩) .

(ج) راجع تخريج الحديث رقم (٨٠)

فصـــــل
(في الرضا بترك التدبير إلى الله تعالى)

وَبِالْجُمْلَةِ إِذَ عَلِمْتَ يَقِيناً أَنَّ اللَّهَ تَعَالى المَلِيءُ[أ] بِضَمَانِ رِزْقِكَ الَّذِي لاَ بُدَّ لَكَ مِنْهُ فِي بَقَائِكَ وَقِيامِكَ بِعِبَادَتِـهِ ، وَأَنَّهُ القَـادِرُ عَلَى مَا يَشَـاءُ كَيْفَ شَاءَ ، وَهُوَ الْبَصِيرُ بِحَاجَتِكَ حَالاً فَحَالاً سَاعَةً فَسَاعَةً ، اتَّكَلْتَ عَلَى ضَمَانِ الْحَقِّ وَوَعْـدِهِ الصدق، وَسَكَنَ قَلْبُـكَ بِذٰلِـكَ وَأضـربْتَ عَنْ تِلك الْعَـلاَئِقِ[١] وَالأَسْبَابِ ، وَتَعَلُّقِ قَلْبِكَ بها ، إِذِ الْعَلاَئِقُ لاَ تُغْنِيكَ وَلاَ تَكْفِيكَ دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ تَعَالى يُيَسِّرُ أَكْلَهَا وَشُرْبَهَا ، ثُمَّ هُوَ الَّذِي يُمْرِئُهَا وَيُهْنِئُهَا ، ثُمَّ هُوَ الَّذِي يُلْحِقُكَ قُوَّتَهَا وَنَفْعَهَا ، وَيَدْفَعُ عَنْكَ ثِقْلَهَا وَضُرَّهَا ، وَهُوَ تَعالى يُغْنِيكَ وَيَكْفِيكَ دُونَها إِذَا شَاءَ ، فَالأَمْرُ كُلُّهُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ لاَ غَيْرُ .

وَكَذٰلِكَ تَتْرُكُ التَّدْبِيرَ في أُمُـورِكَ على مَنْ يُدَبِّرُ السَّمواتِ وَالأَرْضَ ، وَتُرِيحُ نَفْسَـكَ عَنْ شَيْءٍ لاَ يَبْلُغُهُ عِلْمُـكَ وَبصرك مِنْ أَمْـرٍ يكون غداً أو لا يكـون ، بأَنَّـهُ كَيْفَ يَكُونُ ؛وَتَكُفُّ عَنْ لَـعَـلَّ وَلَـوْ ، إِذْ لَيْـسَ فِيـهِ إِلاّ شَغْلُ الْقَلْبِ وَتَضْيِيعُ الْوَقْتِ ، وَلَعَلَّهُ تَكُونُ أُمُورٌ لَمْ تُخْطَرْ بِبَالِكَ ، فَيَكُونُ مَا سَبَقَ

(أ) المليء والمليّ بالادغام ، على وزن فعيل : أي الغني والمقتدر .

من فِكْرِكَ وتضييعُ العمر في ذلك ، وَتَدْبِيرِكَ وَتَضْيِيعِكَ الْوَقْتَ الْعَزِيزَ لَغْواً بِلا فَائِدَةٍ ، بَلْ خُسْرَاناً تَنْدَمُ عَلَيْهِ وَتُغْبَنُ فيه ، لِمَكَانِ شُغْلِ القَلْبِ بلا فائـدة ؛ وَفي هٰذَا المَعْنَى لِبَعْضِ الزُّهَّادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : [الكامل] :

سَبَقَتْ مَقَادِيرُ الإِلَـهِ وَحُكْمُهُ
فَأَرِحْ فُؤَادَكَ مِنْ لَعَلَّ وَمِنْ لَوِ[1]

وقال آخر : [الخفيف]

سَهِرَتْ أَعْيُنٌ ونَامَتْ عُيُونُ ... في أمورٍ تكون أو لا تكونُ
إنّ ربّاً كفاك بالأمس ما كا ... نَ سَيَكْفِيكَ في غدٍ ما يكونُ[2]

وقالَ آخَرُ : [الكامل]

سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ في وَقْتِهِ ... وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُتْعَبٌ مَحْزُونُ
فَلَعَلَّ مَا تَخْشَاهُ لَيْسَ بِكَائِنٍ ... وَلَعَلَّ مَا تَرْجُوهُ لَيْسَ يَكُونُ

وَتَقُولُ لِنَفْسِكَ في الْجُمْلَةِ يَا نَفْسُ: **﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا، هُوَ مَوْلاَنَا وعلى اللهِ فَلْيَتوكّل المؤمنون﴾** [التوبة : ٥١] وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ؛ إِذْ هُوَ قَدِيرٌ لاَ نِهَايَةَ لِقَدْرَتِهِ ، حَكِيمٌ لاَ نِهَايَةَ لِحِكْمَتِهِ ، رَحِيمٌ لاَ نِهَايَة / لِرَحْمَتِهِ ؛ وَمَنْ كَانَ بِهٰذِهِ الصفة فَحَقِيقٌ أَنْ تتكل عَلَيْهِ وَتُفَوِّضَ الأَمْرَ كُلَّهُ إِلَيْهِ ، فَعَلَيْكَ بِالتَّفْوِيضِ . [٦٤/ب]

الرضا بالقضاء

وَكَذٰلِكَ تُوَطِّنُ قَلْبَكَ عَلَى أَنَّ مَا يَقْضِي اللَّهُ لَكَ فَهُوَ الأَوْفَقُ وَالأَصْلَحُ ، وَأَنَّ ذٰلِكَ لاَ يَبْلُغُ عِلْمُنَا كَيْفِيَّتَهُ وَسِرَّهُ ؛ وَتَقُولُ : يَا نَفْسُ المَقْدُورُ كَائِنٌ لاَ مَحَالَةَ؛ فَلاَ فَائِدَةَ في السُّخْطِ، وَالْخَيْرُ فِيمَا يَصْنَعُ اللَّهُ، فَلاَ وَجْهَ لِلسُّخْطِ، أَلَسْتِ تَقُولِينَ : رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً ، فَكَيْفَ لاَ تَرْضِينَ بِقَضَائِهِ ! وَالْقَضَاءُ مِنْ شَأْنِ الرُّبُوبِيَّةِ وَحَقِّهَا ، فَعَلَيْكَ بِالرِّضَا .

ضبط القلب عن الجزع

وَكَذٰلِكَ إِذَا أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ وَحَلَّ بِكَ مَكْرُوهٌ فَتُرَاعِي نَفْسَكَ عِنْدَ ذٰلِكَ ، وَتَضْبُطُ قَلْبَكَ حَتَّى لاَ تَجْزَعَ ، وَلاَ تَظْهَرُ مِنه شِكَايَةٌ وَقَلَقٌ ، سِيَّمَا عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، فَإِنَّ الشَّأْنَ هُنَالِكَ، وَالنَّفْسُ مُتَسَارِعَةٌ جِدّاً إِلَى عَادَةِ الْجَزَعِ عِنْدَ ذٰلِكَ ، وَتَقُولُ : يَا نَفْسُ هٰذِهِ قَدْ وَقَعَتْ ، فَلاَ حِيلَةَ لِدَفْعِهَا ، وَقَدْ دَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا ، فَإِنَّ أَنْوَاعَ الْبَلاَءِ فِي خَزَائِنِهِ لَكَثِيرَةٌ ، وَإِنَّ هٰذِهِ سَتَنْقَضِي فَلاَ تَبْقَى ، وَأَنَّها سَحَابَةٌ سَتَنْقَشِعُ ، فَتَجَلَّدِي يَا نَفْسُ قَلِيلاً تَجِدِي لِذٰلِكَ سُرُوراً طَوِيلاً ، وَثَوَاباً جَزِيلاً بَعْدَ أَنْ لاَ دَفْعَ لِلنَّازِلِ ، وَلاَ فَائِدَةَ فِي الْجَزَعِ ، وَلاَ مُصِيبَةَ فِي الْحَقِيقَةِ مَعَ الْعَزَاءِ والصَّبْرِ ، فَتَشْغَلُ لِسَانَكَ بِالاسْتِرْجَاعِ ، وَقَلْبَكَ بِذِكْرِ مَا يَحْصُلُ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الأَجْرِ ، وَتَتَذَكَّرُ صَبْرَ أُولِي الْعَزْمِ عَلَى الْمَصَائِبِ الْعِظَامِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ الأَعِزَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَإِذَا حَبَسَ اللَّهُ عنك الرزق وَالدُّنْيَا فِي وَقْتٍ فَتَقُولُ : يَا نَفْسُ هُوَ أَعْلَمُ بِالْحَالِ وَأَرْحَمُ بِكِ وَأَكْرَمُ ، وَأَنَّهُ الَّذِي يُطْعِمُ الْكَلْبَ فِي خِسَّتِهِ ، وَيُطْعِمُ الْكَافِرَ فِي عَدَاوَتِهِ ، وَأَنَا عَبْدُهُ الْعَارِفُ الْمُوَحِّدُ ، (أما)[1] أُسَاوِي عِنْدَهُ رَغِيفاً أيضاً ؟ ، فَاعْلَمِي بِالْحَقِيقَةِ أَنَّهُ لَمْ يَحْبِسْ ذٰلِكَ عَنْكِ إِلاَّ لِنَفْعٍ عَظِيمٍ ، وَسَيَجْعلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ، فَاصْبِرِي قَلِيلاً تَرَيِ الْعَجَبَ مِنْ لَطِيفِ صُنْعِهِ ، أَمَا سَمِعْتِ (قول)[2] الْقَائِلِ : [الوافر] :

تَوَقَّعْ صُنْعَ رَبِّكَ سَوْفَ يَأتِي بِمَا تَهْوَاهُ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبِ
وَلاَ تَيْأَسْ إِذَا مَا نَابَ خَطْبٌ فَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ عَجَبٍ عَجِيبِ

ولآخر : [مجزوء الوافر] :

أَلاَ يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي الْهَمُّ بِهِ بَرَّحْ[3]
إِذَا آشْتَدَّتْ بِكَ الْعُسْرَى فَفَكِّرْ فِي أَلَمْ نَشْرَحْ / [٦٥/أ]
فَعُسْرٌ بَيْنَ يُسْرَيْنِ إِذَا كَرَّرْتَهُ فَآفْرَحْ

فَإذَا جَرَّبْتَ هٰذِهِ الأَذْكَارَ وَنَحْوَهَا ، وَوَاظَبْتَ عَلَيْهَا بِالتَّكْرِيرِ وَالتَّمْرِينِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ سَيُهَوِّنُ عَلَيْكَ إِذَا كَانَتْ لَكَ هِمَّةٌ وَٱجْتِهَادٌ زَمَاناً غَيْرَ طَوِيلٍ .

وَلَقَدْ دَفَعْتَ هٰذِهِ الْعَوَارِضَ الأَرْبَعَةَ(أ) عَنْ نَفْسِكَ ، وَكُفِيتَ مُؤْنَتَها وَصِرْتَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ الْمُفَوِّضِينَ ، الرَّاضِينَ بِقَضَائِهِ ، الصَّابِرِينَ عَلَى بَلاَئِهِ ، وَحَصَّلْتَ لِنَفْسِكَ رَاحَةَ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ في الدُّنْيَا ، وعَظِيمَ الثَّوَابِ وَالذُّخْرِ في الْعُقْبَى ، وَجَلِيلَ الْقَدْرِ وَالمَحَبَّةِ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَيَجْتَمِعُ لَكَ خَيْرُ الدَّارَيْنِ ، وَتَسْتَقِيمُ لَكَ طَرِيقُ الْعِبَادَةِ ، إِذْ لاَ عَائِقَ وَلاَ شَاغِلَ ، وَكُنْتَ حِينَئِذٍ قَدْ قَطَعْتَ هٰذِهِ الْعَقَبَةَ العسيرَةَ ، واللَّهُ سُبْحَانَهُ المَسْئُولُ ، أَنْ يُمِدَّكَ وَإِيَّانَا بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ ، فَإِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِهِ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ العَظِيمِ .

(أ) وهي : الرزق ، والأخطار ، والمصائب ، وأنواع القضاء .

العقبة الخامسة
وهي عقبة البواعث

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِالسَّيْرِ إِذَا ٱسْتَقَامَ لَكَ الطَّرِيقُ ، وَسَهُلَتِ السَّبِيلُ ، وَارْتَفَعَتِ العَوائِقُ ، وَزَالَتِ الْعَوَارِضُ ، وَلاَ يَحْصُلُ لَكَ السَّيْرُ الْمُسْتَقِيمُ إِلاَّ بِاسْتِشْعَارِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْزَامِهِمَا حَقَّهُمَا عَلَى حَدِّهِما .

أَمَّا الْخَوْفُ ، فَيَجِبُ الْزَامُهُ لأَمْرَيْنِ :

ضرورة استشعار الخوف

أَحَدُهُما : **لِلزَّجْرُ عَنِ المَعَاصِي** ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسَ أَمَّارَةَ بِالسُّوءِ مَيَّالَةٌ إِلى الشَّرِّ ، طَمَّاحَةٌ إِلَى الْفِتْنَةِ ولاَ تَنْتَهِي عَنْ ذٰلِكَ إِلاّ بِتَخْوِيفٍ عَظِيمٍ ، وَتَهْدِيدٍ بَالِغٍ ، لَيْسَتْ هِيَ في طَبْعِها حُرَّةً يَهُمُّهَا الْوَفَاءُ ، وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ عَنِ الْجَفاءِ ، إِنَّما هِيَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ رَحِمهُ اللَّه : [مجزوء الكامل] :

الْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا   وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلاَمَهْ

وَالتَّدْبِيرُ في أَمْرِهَا أَنْ تُقْرِعَهَا أَبَداً بِسَوْطِ التَّخْوِيفِ ، قَولاً وَفِعلاً وَفِكْراً ؛ نَحْوَ مَا ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ ، أَنَّ نَفْسَهُ دَعَتْهُ إِلى مَعْصِيَةٍ ، فَانْطَلَقَ وَنَزَعَ ثِيَابَهُ ، (وجعل)[1] يَتَمَرَّغُ فِي الرَّمْضَاء ، وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ : ذُوقِي ، فَنارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً مِنْ هٰذِهِ ، أَيْ جِيفَةٌ بِاللَّيْلِ وَبَطَالَةٌ بِالنَهارِ .

وَالثَّانِي : **لِئَلا تُعْجَبَ بِالطَّاعَاتِ فَتَهْلِكَ** ، بَلْ تَقْمَعُهَا بِالذَّمِّ وَالْعَيْبِ

وَالنَّقْصِ مِنَ الأَسْوَاءِ وَالأَوْزَارِ ، الَّتِي فِيهَا ضُرُوبُ الأَخْطَارِ ، وَذٰلِكَ نَحْوُ مَا ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَوْ أُخِذْنَا أنا وعيسى بِمَا كَسَبَتْ هَاتَانِ لَعُذِّبْنَا عَذَاباً لَمْ يُعَذَّبْهُ أحد »[أ] / ، وَأَشَارَ بِأُصْبعَيْهِ . وَعَنِ الْحَسَنِ[ب] أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : مَا يأمَنُ أَحَدُنَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ ذَنْباً ، فَأَطْبَقَ بَابَ المَغْفِرَةِ دُونَهُ ، فَهُوَ يَعْمَلُ في غَيْرِ عمل[1] .

[٦٥/ب]

وَعَنِ ابْنِ السماك فِيمَا يُعَاتِبُ نَفْسَهُ : تَقُولِينَ الزَّاهِدِينَ[2] ، وَتَعْمَلِينَ عَمَلَ المُنَافِقِينَ ، وَفِي الْجَنَّةِ تَطْمَعِينَ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! إِنَّ لِلْجَنَّةِ قَوْماً آخَرِينَ ، وَلَهُمْ أَعْمَالٌ غَيْرُ مَا تَعْمَلِينَ .

فَهٰذِهِ وَأَمْثَالُهَا مِمَّا يَلْزَمُ الْعَبْدَ تَذْكِيرُهَا لِلنَّفْسِ وَتَكْرِيرُهَا عَلَيْهَا ، لِئَلاَّ تَعْجَبَ بِطَاعَةٍ ، أَوْ تَقَعَ في مَعْصِيَةٍ ، وَبِاللّٰهِ التَّوفِيقُ .

ضرورة استشعار الرجاء

وَأَمَّا الرَّجَاءُ : فَإِنمَا يَلْزَمُكَ آسْتِشْعَارُهُ لأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : **لِلْبَعْثِ[ج] عَلَى الطاعَاتِ** ، وَذٰلِكَ أَنَّ الْخَيْرَ ثَقِيلٌ ، وَالشَّيْطَانُ عَنْهُ زَاجِرٌ ، وَالْهَوَى إلى ضِدِّهِ دَاعٍ ، وَحَالُ أَهْلِ الغَفْلَةِ مِنْ عَامَّةِ الْخَلْقِ في النَّفْسِ مُنْطَبِعٌ مُشَاهَدٌ ، وَالثَّوَابُ الَّذِي يُطْلَبُ بِهِ عَنِ الْعَيْنِ غَائِبٌ ، وَأَمَدُ الْوُصُولِ إِلَيْهِ فِيمَا يَحْسِبُهُ بَعِيدٌ ، وَإِذَا كَانَ الْحَالُ عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ ، فَلا تَنْبَعِثُ النَّفْسُ لِلْخَيْرِ ، وَلاَ تَرْغَبُ فِيهِ حَقَّهُ ، وَلاَ تَهْتَزُّ لَهُ إلاّ بِأَمْرٍ يُقَابِلُ كُلَّ هٰذِهِ المَوَانِعَ ، وَيُسَاوِيهَا ، بَلْ يَزِيدُ عَلَيْهَا ، وَذٰلِكَ الأَمْرُ هُوَ الرَّجَاءُ القَوِيُّ في رَحْمَةِ اللّٰهِ تعالى ، وَالتَّرْغِيبُ الْبَالِغُ في حُسْنِ ثَوَابِهِ وَكَرِيمِ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (٨١)

(ب) أي الحسن البصري .

(ج) للبعث على الطاعات : أي للحض والحث عليها .

أَجْرِهِ ، وَلَقَدْ قَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ : الْحُزْنُ يَمْنَعُ عَنِ الطَّعَامِ ، وَالخَوْفُ يَمْنَعُ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَالرَّجَاءُ يُقَوِّي عَلَى الطَّاعَاتِ ، وَذِكْرُ المَوْتِ يُزَهِّدُ في الفُضُولِ .

وَالثَّانِي : لِيُهَوِّنَ عَلَيْكَ آحْتِمَالَ الشَّدَائِدِ وَالمَشَقَّاتِ .

وَآعْلَمْ : أَنَّ مَنْ عَرَفَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ مَا يَبْذُلُ ؛ وَمَنْ طَابَ لَهُ شَيءٌ وَرَغِبَ فِيهِ حَقَّ رَغْبَتِهِ ، آحْتَمَلَ شِدَّتَهُ وَلَمْ يُبَالِ بِمَا يَلْقَى مِنْ مُؤْنَتِهِ ؛ وَمَنْ أَحَبَّ أَحداً حَقَّ مَحَبَّتِهِ ، أَحَبَّ أَيْضاً آحْتِمَالَ مِحْنَتِهِ ، حَتَّى أَنَّهُ لَيَجِدُ لِذَلِكَ المِحْنَةِ ضُرُوباً مِنَ اللَّذَّةِ؛ أَلَا تَرَى مُشْتَارَ[أ] الْعَسَلِ لَا يُفَكِّرُ بِلَسْعِ النَّحْلِ لِمَا يَتَذَكَّرُ مِنْ حَلاَوَةِ الْعَسَلِ ؛ وَالأَجِيرُ لَا يَعْبَأُ بِارْتِقَاءِ السُلَّمِ الطَّوِيلِ ، مَعَ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ طُولَ النَّهَارِ الصَّائِفِ المَدِيدِ ، لِمَا يَتَذَكَّرُ مِنْ أَخْذِ دِرْهَمَيْنِ بِالْعَشِيِّ ؛ وَإِنَّ الْفَلاَّحَ لا يُفَكِّرُ بِمُقَاسَاةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَمُبَاشَرَةِ الشَّقَاءِ وَالكَدِّ طُولَ السَّنَةِ ، لِمَا يَتَذَكَّرُ مِنَ الْبَيْدَرِ أَوَانَ الْغَلَّةِ ؛ وَكَذٰلِكَ ، يَا أَخِي ، الْعُبَّادُ الذِينَ هُمْ أَهْلُ الاِجْتِهَادِ ، إِذَا ذَكَرُوا الْجَنَّةَ في طِيبِ مَقِيلِهَا ، وَأَنْوَاعِ نَعِيمِهَا ، مِنْ قُصُورِهَا وَحُورِهَا ، وَطَعَامِهَا ، وَشَرَابِهَا ، وَحُلِيِّهَا وَحُلَلِهَا ، وَسَائِرِ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِهَا، هَانَ عَلَيْهِمْ مَا احْتَمَلُوهُ مِنْ تَعَبٍ فِي عِبَادَةٍ، أَوْ فَاتَهُمْ في الدُّنْيَا مِنْ لَذَّةٍ وَنِعْمَةٍ، أَوْ نَالَهُمْ مِنْ ضَرَرٍ/ وَمَشَقَّةٍ. [٦٦/أ]

وَلَقَدْ حُكِيَ أَنَّ أَصْحَابَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، كَلَّمُوهُ فِيمَا كَانُوا يَرَوْنَ مِنْ خَوْفِهِ وَآجْتِهَادِهِ وَرَثَّةِ حَالِهِ ، فَقَالُوا : يَا أُسْتَاذُ : لَوْ نَقَصْتَ مِنْ هٰذَا الْجُهْدِ نِلْتَ مُرَادَكَ أَيْضاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ سُفْيَانُ : كَيْفَ لَا أَجْتَهِدُ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَهْلَ آلْجَنَّةِ يَكُونُونَ في مَنَازِلِهِمْ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ نُورٌ تُضِيءُ لَهُ

(أ) مشتار العسل : الذي يجتني ويستخرج عسل النحل من محلّه. وشار العسل : إستخراجه .

الجَنَّاتُ الثَّمان ، فَيَظُنُّونَ أنّ ذٰلِكَ نُورٌ مِنْ جهة الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فَيَخِرُّونَ سَاجِدِينَ ، فَيُنَادَوْنَ[1] : أنِ آرْفَعُوا رُؤوسَكُمْ ، لَيْسَ الّذِي تَظُنُّونَ ، إنَّمَا هُوَ نُورُ جَارِيَةٍ تَبَسَّمَتْ في وَجْهِ زَوْجِهَا ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ : [البسيط] :

مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتِ الْفِرْدَوْسُ مَنْزِلَهُ[2]
مَاذَا تَحَمَّلَ مِنْ بُؤسٍ وَإقْتَارِ
تَرَاهُ يَمْشِي كِئيباً خَائِفاً وَجِلاً
إلى المَسَاجِدِ يَمْشِي بَيْنَ أَطْمَارِ
يَا نَفْسُ مَا لَكِ مِنْ صَبْرٍ عَلَى لهبٍ[3]
قَدْ حَانَ أَنْ تُقْبِلي مِنْ بَعْدِ إدْبَارِ

قُلْتُ أنَا : وَإِذَا كَانَ مَدَارُ أَمْرِ العِبادة عَلَى الأمْرَيْنِ : الْقِيَامِ بِالطَّاعَةِ وَالانْتِهَاءِ عَنِ المَعْصِيَةِ ، وَذٰلِكَ لَا يَتِمُّ مَعَ هٰذِهِ النَّفْسِ الأمَّارَةِ بِالسُّوءِ إلَّا بِتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ وَتَرْجِيَةٍ وَتَخْوِيفٍ ، فَإِنَّ الدَّابَّةَ الْحَرُونَ تَحْتَاجُ إلى قَائِدٍ يَقُودُهَا ، وَإلى سَائِقٍ يَسُوقُهَا ، وَإذَا وَقَعَتْ في مَهْوَاةٍ ، فَرُبَّمَا تُضْرَبُ بِالسَّوْطِ مِنْ جَانِبٍ ، وَيُلَوَّحُ لَهَا بِالشَّعِيرِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، حَتَّى تَنْهَضَ وَتَتَخَلَّصَ مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ ، وَإِنَّ الصَّبِيَّ الْعَرِمَ لَا يَمُرُّ إلى الكُتَّابِ إلَّا بِتَرْجِيَةٍ مِنَ الوَالِدَينِ ، وَتَخْوِيفٍ مِنَ المُعَلِّمِ ؛ فَكَذٰلِكَ النَّفْسُ دَابَّةٌ حَرُونٌ ، وَقَعَتْ في مَهْوَاةِ الدُّنْيَا ، فَالْخَوفُ سَوْطُهَا وَسَائِقُهَا ، وَالرَّجَاءُ شَعِيرُهَا وَقَائِدُهَا ، وَإِنَّهَا الصَّبِيُّ الْعَرِمُ ، يُحْمَلُ إلى كُتَّابِ الْعِبَادَةِ وَالتَّقْوَى ، فَذِكْرُ النَّارِ وَالْعِقَابِ تَخْوِيفُهَا ، وَذِكْرُ الْجَنَّةِ وَثَوابِهَا تَرْجِيَتُهَا وَتَرْغِيبُهَا . ولِذٰلِكَ يَلْزَمُ الْعَبْدَ الطَّالِبَ لِلْعِبَادَةِ[4] وَالرِّيَاضَةِ ، أَنْ يُشْعِرَ النَّفْسَ بِالأمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا : الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ ، وَإلَّا فَلَا تُسَاعِدُ النَّفْسُ الجَمُوحُ عَلَى ذٰلِكَ وَبِهَذا المَعْنَى أتى الذِّكْرُ الْحَكِيمُ بِمَجْمُوعِ الأمْرَيْنِ : الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ ، والتَّرْغِيبُ والتَّهدِيدُ ، وأبلغ في كُلِّ

ترغيب النفس وترهيبها

مِنْهُمَا ، فَذَكَرَ مِنَ الثَّوَابِ الكَرِيمِ مَا لَا صَبْرَ عَنْهُ ، وَذَكَرَ مِنَ الْعِقَابِ الأَلِيمِ مَا لَا صَبْرَ عَلَيْهِ ؛ فَعَلَيْكَ إذاً بِالْتِزَامِ هٰذِينِ المَعْنَيَيْنِ ، يَحْصُلْ لَكَ مُرَادُكَ ، وَيَسْهُلْ عَلَيْكَ آحْتِمَالُ المَشَقَّةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ التَّوْفِيقِ بِفَضْلِهِ .

حقيقة الخوف

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا حَقِيقَةُ الرَّجَاءِ وَالخَوْفِ وَحُكْمُهُمَا ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ الْخَوْفَ / وَالرَّجَاءَ عِنْدَ عُلَمَائِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَرْجِعَانِ إلى [٦٦/ب] قَبِيلِ الْخَوَاطِرِ ، وَإِنَّمَا المَقْدُورُ لِلْعَبْدِ مُقَدِّمَاتُهُمَا .

قَالُوا : الْخَوْفُ رَعْدَةٌ تَحْدُثُ في الْقَلْبِ عَنْ ظَنِّ مَكْرُوهٍ يَنَالُهُ ، وَالْخَشْيَةُ نَحْوُهُ ؛ لٰكِنِ الْخَشْيَةُ تَقْتَضِي ضَرْباً مِنَ الاِسْتِعْظَامِ وَالمَهَابَةِ ؛ وَضِدُّ الْخَوْفِ ، الْجَرَاءَةُ ؛ وَلٰكِنْ قَدْ يُقَابَلُ بِالأَمْنِ ، يُقَالُ : خَائِفٌ ، وَآمِنٌ ، وَخَوْفٌ ، وَأَمْنٌ ، لِأَنَّ الآمِنَ الّذِي يَجْتَرِىءُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتعالَى وَالْحَقِيقَةُ أَنّ الْجَرَاءَةَ تُضَادُّهُ .

مقدِّمات الخوف

وَمُقَدِّمَاتُ الْخَوْفِ أَرْبَعٌ :

(**الأُولَى**)[1] : ذِكْرُ الذُّنُوبِ الكَثِيرَةِ الّتِي سَبَقَتْ ، وَكَثْرَةُ الْخُصُومِ الّذِينَ مَضَوْا إلى[2] المظالِمِ ، وَأَنْتَ مُرْتَهِنٌ لَمْ يَتَبَيَّنْ (لَكَ)[3] الْخَلَاصُ بَعْدُ .

وَالثَّانِيَةُ : ذِكْرُ شِدَّةِ عُقُوبَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، الّتِي لَا طَاقَةَ لَكَ بِهَا .

وَالثَّالِثَةُ : ذِكْرُ ضَعْفِ نَفْسِكَ عَنِ احْتِمَالِهَا .

وَالرَّابِعَةُ : ذِكْرُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ مَتَى شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ .

حقيقة الرجاء

وَأَمَّا الرَّجَاءُ : فَهُوَ ابْتِهَاجُ الْقَلْبِ بِمَعْرِفَةِ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَآسْتِرْوَاحُهُ إلى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهٰذَا مِنْ جُمْلَةِ الْخَوَاطِرِ غَيْرُ مَقْدُورٍ لِلْعَبْدِ ؛ وَرَجَاءٌ هُوَ مَقْدُورٌ ، وَهُوَ تَذَكُّرُ فَضْلِ اللَّهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ ؛ وَقَدْ تُسَمَّى

أَيْضاً إرَادَةُ المُخَاطَرَةِ بِالإسْتِثْنَاءِ رَجَاء . وَالمُرَادُ مِنْ هٰذَا البَابِ ، هُوَ الأَوَّلُ ، وَهُوَ التَّذَكُّرُ عَلَى حَسَبِ الابْتِهَاجِ وَالإسْتِرْوَاحِ ؛ وَضِدُّهُ الْيَأسُ ، وَهُوَ تَذَكُّرُ فَوَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَقَطْعُ الْقَلْبِ عَنْ ذٰلِكَ ، وَهُوَ مَعْصِيَةٌ مَحْضَةٌ .

وَهٰذَا الرَّجَاءُ فَرْضٌ إذَا لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ سَبِيلٌ إلى الامْتِنَاعِ عَنِ الْيَأسِ إلَّا بِهِ ، وَإلَّا فَهُوَ نَفْلٌ بَعْدَ آعْتِقَادِ الْجُمْلَةِ في فَضْلِ اللَّهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ .

مقدمات الرجاء

وَمُقَدِّمَاتُ الرَّجَاءِ أَرْبَعٌ :

الأُولَى : ذِكْرُ سَوَابِقِ فَضْلِهِ إلَيْكَ مِنْ غَيْرِ قَدَمٍ أَوْ شَفِيعٍ .

وَالثَّانِيَةُ : ذِكْرُ مَا وَعَدَ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ وَعَظِيمِ كَرَامَتِهِ حَسَبَ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ ، دُونَ آسْتِحْقَاقِكَ إيَّاهُ بِالْفِعْلِ ، إذْ لَوْ كَانَ عَلَى حَسَبِ الْفِعْلِ لَكَانَ أَقَلَّ شَيْءٍ وَأَصْغَرَ أَمْرٍ .

وَالثَّالِثَةُ : ذِكْرُ كَثْرَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ في أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ في الْحَالِ ، مِنْ أَنْوَاعِ الإمْدَادِ وَالأَلْطَافِ ، مِنْ غَيْرِ آسْتِحْقَاقٍ أَوْ سُؤَالٍ .

وَالرَّابِعَةُ : ذِكْرُ سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَبْقِهَا غَضَبَهُ ، وَأَنَّـهُ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ، الْغَنِيُّ الْكَرِيمُ ، الرَّؤُوفُ بِعِبادِهِ الْمُؤمِنِينَ .

فَإذَا وَاظَبْتَ عَلَى هٰذِينِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الأذْكَارِ أفضيا بِكَ إلى آسْتِشْعَارِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ بِكُلِّ حَالٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ التَّوفِيقِ بِفَضْلِهِ ورحمتِهِ .

فصـــــل
(ضرورة الاحتياط عند قطع عقبة البواعث)

فَعَلَيْكَ / أَيُّهَا الرَّجُلُ بِقَطْعِ هٰذِهِ الْعَقَبَةِ في تَمَامِ الاِحْتِيَاطِ وَالتَّحَرُّزِ [٦٧/أ] وَحَدِّ الرِّعَايَةِ ، فَإِنَّهَا عَقَبَةٌ دَقِيقَةُ المَسْلَكِ ، خَطِرَةُ الطَّرِيقِ ، وَذٰلِكَ أَنَّ طَرِيقَها بَيْنَ طَرِيقَيْنِ مَخُوفَينِ مُهْلِكَيْنِ : أَحَدُهُمَا طَرِيقُ الأَمْنِ . وَالثَّانِي طَرِيقُ الْيَأسِ ، وَطَرِيقُ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ هُوَ الطَّرِيقُ الْعَدْلُ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ الْجَائِرَيْنِ ، فَإِنْ غَلَبَ الرَّجَاءُ عَلَيْكَ حَتَّى فَقَدْتَ الْخَوْفَ أَلْبَتَّة ، وَقَعْتَ فِي طَرِيقِ الأَمْنِ : ﴿ وَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٩]، وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخَوْفُ حَتَّى فَقَدْتَ الرَّجَاءَ أَلْبَتَّة ، وَقَعْتَ فِي طَرِيقِ الْيَأْسِ ﴿ وَلاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] فَإِنْ كُنْتَ رَكِبْتَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ ، وَاعْتَصَمْتَ بِهِما جَميعاً ، فَهُوَ الطَّرِيقُ الْعَدْلُ الْمُسْتَقِيمُ ، الَّتِي هِيَ سَبِيلُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَصْفِيَائِهِ ، الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

فَإِذَن ظَهَرَ لَكَ فِي هٰذِهِ الْعَقَبَةِ ثَلاثَةُ طُرُقٍ : طَرِيقُ الأَمْنِ وَالْجَرَاءَةِ ، وَطَرِيقُ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ ، وَطَرِيقُ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ مُمْتَدٌّ بَيْنَهُمَا ؛ فَإِنْ مِلْتَ عَنْهُ بِقَدَمٍ إِلى يَمِينِكَ أَوْ يَسَارِكَ ، وَقَعْتَ في المُهْلِكَيْنِ وَهَلَكْتَ مَعَ الْهَالِكِينَ ؛ ثُمَّ الشَّأْنُ أَنَّ الطَّرِيقَيْنِ الْجَائِرَيْنِ المُهْلِكَيْنِ أَوْسَعُ مَجَالاً وَأَكْثَرُ

دَاعِياً ، وَأَسْهَلُ سُلُوكاً مِنَ الطَّرِيقِ الْعَدْلِ ، لِأَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ مِن جَانِبِ الأَمْنِ ، رَأَيْتَ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَكَثْرَةِ فَضْلِهِ وَغَايَةِ جُودِهِ ، مَا لَا يَبْقَى لَكَ مَعَهُ خَوْفٌ ، فَتَتَّكِلُ عَلى ذٰلِكَ بمَرَّةٍ وتأنس بِهِ ؛ وإِنْ نَظَرْتَ مِنْ جَانِبِ الْخَوْفِ ، رَأَيْتَ مِنْ عَظِيمِ سِيَاسَةِ اللَّهِ وَكَثْرَةِ هَيْبَتِهِ ، وَدِقَّةِ أَمْرِهِ ، وَغَايَةِ مُنَاقَشَتِهِ ، مَعَ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ ، مَا لَا يَكَادُ يَبْقَى مَعَهُ رَجَاءٌ ، فَتَيْأَسُ بِمَرَّةٍ وَتَقْنِطُ ، فَتَحْتَاجُ أَنْ لَا تَنْظُرَ إِلى سِعةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَطْ ، حَتَّى تَتَّكِلَ وَتَأْمَنَ ، وَلَا إِلى عَظِيمِ الْهَيْبَةِ وَالمُنَاقَشَةِ فَقَطْ ، حَتَّى تَقْنَطَ وَتَيْأَسَ ، بَلْ تَنْظُرُ إِلى هٰذَا وَإِلى هٰذَا جَمِيعاً ، وَتَأْخُذُ مِنْ هٰذَا بَعْضاً ، وَمِنْ هٰذَا بَعْضاً ، فَتَرْكَبَ بَيْنَهُمَا طَرِيقاً دَقِيقاً ، وَتَسْلُكَ ذٰلِكَ لِتَسْلَمَ ، فَإِنَّ طَرِيقَ الرَّجَاءِ المَحْضِ سَهْلٌ وَاسِعٌ عَرِيضٌ ، وَعَاقِبَتُهُ تُؤَدِّيكَ إِلى الأَمْنِ وَالْخُسْرَانِ ؛ وَطَرِيقُ الْخَوْفِ المَحْضِ وَاسِعٌ عَرِيضٌ ، وَعَاقِبَتُهُ تُؤَدِّيكَ إِلى الضَّلَالِ ؛ والطَّرِيقُ الْعَدْلِ بَيْنَهُمَا ، طَرِيقَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، وَإِنْ كَانَ دَقِيقاً عَسِراً ، فَإِنَّه / سَبِيلٌ سَالِمٌ ، وَمَنْهَجٌ بَيِّنٌ ، يُؤَدِّي إِلى الْغُفْرَانِ وَالإِحْسَانِ ، ثُمَّ إِلى الْجِنَانِ وَالرِّضْوَانِ ، وَلِقَاءِ المَلِكِ الرَّحْمٰنِ ؛ أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ تَعَالَى في أَبْنَاءِ هٰذَا السَّبِيلِ : ﴿ **يَدْعُونَ** رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ [السجدة : ١٦] ، وقالَ : ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة : ١٧] ، فَتَأَمَّلْ هٰذِهِ الْجُمْلَةَ جِدّاً وَتَشَمَّرْ وَتَنَبَّهْ لِلأَمْرِ ، فَإِنَّهُ لَا يَجِيءُ بِالْهُوَيْنَا ، وَاللَّهُ الموفق .

[٦٧/ب]

(أصول سلوك طريق الخوف والرجاء)

ثُمَّ آعْلَمْ أَنَّهُ لاَ يَتَأَتَّى لَكَ سُلُوكُ هٰذِهِ الطَّرِيقِ ، وَحَمْلُ هٰـذِهِ النَّفْسِ الْجَمُوحِ الكسلانـة عَلَى الْخَيْرِ ، بِـاجْتِنَابِ المَحْبُـوبِ عِنْدَهَـا ، وَاكْتِسَابِ الطَّاعَاتِ الثَّقِيلَةِ عَلَيْهَا ، إلَّا بِالتَّحَفُّظِ بِثَلاَثَةِ أُصُولٍ ، وَالتَّذَكُّرِ لَهَا عَلَى سَبِيلِ الدَّوَامِ ، مِنْ غَيْرِ فَتْرَةٍ[1] وَلاَ غَفْلَةٍ .

الأول : ذِكْرُ أَقْوَالِهِ سُبْحَانَهُ في التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ .

وَالثَّانِي : ذِكْرُ أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ في الأَخْذِ وَالْعَفْوِ .

وَالثَّالِثُ : ذِكْرُ جَزَائِهِ لِلْعِبادِ في المَعادِ مِنَ الثَّوابِ وَالْعِقابِ . وَتَفْصِيلُ كُلِّ أَصْلٍ مِنْهَا يَحْتَاجُ إلى صُحُفٍ كَثِيرَةٍ ، وَلِأَجْلِهَا صَنَّفْنَا كِتابَ : « تَنْبِيهِ الْغَافِلِينَ » وَنَحْنُ نُشِيرُ في هٰذَا الْكِتَابِ إلى كَلِمَاتٍ تُوقِفُكَ عَلَى المَقْصُودِ إنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى .

(أ) الفترة : الضعف .

الأصلُ الأَوَّل : أَقواله سبحانَهُ

تَدَبَّرْ أَيُّهَا الرجُلُ مَا في الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ، مِنْ آيَاتِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ والتَّرْجِيَةِ وَالتَّخْوِيفِ .

فَمِنْ آيَاتِ الرَّجاء قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إنّ آلله يَغْفِرُ آلـذُّنُوبَ جَمِيعـاً ﴾ [الزمـر : ٤٧] ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الـذنُـوبَ إلاّ الله ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ﴿ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقابِلُ التَّوْبِ ﴾ [غافر : ٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عبادِهِ وَيَعْفُـو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ [الشورى : ٢٥] - ﴿ كَتَبَ (رَبُّكُمْ) عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الانعام : ١٢] - ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْء فَسَـأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُـونَ ﴾ [الاعـراف : ١٥٦] ﴿ إنَّ آلله بِـالنَّـاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيـمٌ﴾ [البقـرة : ١٤٣] - ﴿ وَكَـانَ بِـالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمـاً ﴾ [الاحزاب : ٤٣] فَهٰذِهِ وَنَحْوُهَا من آيَاتِ الرَّجَاء .

وَمِنْ آيَـاتِ الْخَوْفِ وَالسِيَـاسَةِ قَـوْلُهُ تَعـالى : ﴿ يَا عِبَـادِ فَاتّقُـونِ ﴾ [الزّمر : ١٩] - ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُـرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنـون : ١١٥] - ﴿ أَيَحْسِبُ ٱلإنسَانُ أَنْ يُتْـرَكَ سُدًى ﴾ [القيـامـة : ٣٦] ﴿ليسَ بِـأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَـانِيِّ أَهْـلِ الْكِتَـابِ﴾ [النسـاء: ١٢٣] ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مَنْ دُونِ آلله وَلِيّـاً وَلاَ نَصِيراً ﴾ [النسـاء :

١٢٣] - ﴿ وَهُـمْ يَحْـسَبُـونَ أَنَّـهُمْ يُـحْسِنُـونَ صُنْعـاً ﴾ [الكـهـف :
١٠٤] - ﴿ وَبَـدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَـا لَمْ يَكُـونُـوا يَحْتَسِبُـونَ ﴾ [الـزّمـر :
١٤٧] - ﴿ وَقَـدِمْنَـا إِلى مَـا عَمِلُوا مِنْ عَمَـلٍ فَجَعَلْنَـاهُ هَبَـاءً مَنْثُـوراً ﴾
[الفرقان : ٢٣]نَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالى أَنْ يُسَلِّمَنَا بِرَحْمَتِهِ .

وَمِنَ الآيَـاتِ اللَّطِيفَةِ الْجَـامِعَةِ بَيْنَ الْخَـوفِ وَالرَّجَـاءِ قَوْلُـهُ تَعَالى :
﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩] ثُمَّ قالَ في عَقِبِهِ :
﴿ وأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٥٠] لِئَلَّا يَسْتَولِي عَلَيْكَ / [٦٨/أ]
الرَّجَاءُ بِمَرَّةٍ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [غافر :٣] ثُمَّ قالَ في عَقِبِهِ :
﴿ ذِي الـطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُـوَ ﴾ [غافـر : ٣] لِئَلَّا يَسْتَـوْلِي عَلَيْكَ الْخَـوفُ
بِمَرَّةٍ . وَأَعْجَبُ من ذلك . قَـوْلُهُ تَعَـالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَـهُ ﴾ [آل
عمران : ٣٠] . ثُمَّ قَالَ في عَقِبِهِ تَعَالى : ﴿وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران :
٣٠] وَأَعْجَبُ مِنْـهُ قَوْلُـهُ سُبْحَانَـهُ ﴿ مَنْ خَشِيَ الـرَّحْمٰنَ بِـالْغَيْبِ ﴾ [قٓ :
٣٣] عَلَّقَ الْخَشْيَـةَ بِـاسْمِ الـرَّحْمٰنِ ، دُونَ ٱسْمِ ٱلْجَبَّـارِ ، أَوَ الْمُنْتَقِمِ ،
وَالْمُتَكَبِّرِ وَنَحْوِهِ ، لِتَكُونَ الْخَشْيَةُ مَعَ ذِكْرِ الرَّحْمَةِ ، فَلَا تَكُونُ ٱلْخَشْيَةُ تُطِيرُ
قَلْبَكَ بِمَرَّةٍ ، فَيَكُونُ تَخْوِيفاً في تَأْمِينٍ ، وَتَحْرِيكاً في تَسْكِينٍ ، كَما تَقُولُ :
أَمَا تَخْشَى الْوَالِدَةَ الرَّحِيمَـةَ ؟ أَمَا تَخَـافُ الْوَالِـدَ الشفيق[١] ؟ أَمَا تَحْـذَرُ[٢]
الأَمِيرَ الْكَرِيمَ ؟ وَالْمُرَادُ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ يَكُونَ الطَّرِيقُ عَدْلاً ، فَلا تَـذْهَبْ إِلى
أَمْنٍ ولا قُنُوطٍ .

جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْمُتَدَبِّرِينَ لِهٰذَا ٱلذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، الْعامِلِينَ بِمـا
فِيهِ ، إِنَّهُ هُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ .

الأصلُ الثاني : في أفعاله ومعاملاته

(من جانب الخوف)

خبر إبليس

أَمَّا مِنْ جَانِبِ الْخَوْفِ : فَأولاً أَنَّ إبْلِيسَ عَبَدَهُ ثمانِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَلَمْ يَتْرُكْ فِيمَا قِيلَ ، مَوْضِعَ قَدَمٍ إلاّ سَجدَ فِيهِ لله تَعَالى سَجْدَةً ، ثُمَّ تَرَكَ لَهُ أَمْراً وَاحِداً ، فَطَرَدَهُ عَنْ بَابِهِ ، وَضَرَبَ بِوَجْهِهِ عِبَادَةَ ثَمانِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَلَعَنَهُ إلى يَوْمِ الِّدينِ ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً أَلِيماً أَبَدَ الآبِدِينَ .

إخبر يونس

خبر جبريل

حَتَّى رُوِيَ أنَّ الصَّادِقَ الأَمِينَ ، صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ وَسَلامُهُ ، رَأى جِبْرِيلَ ، مُتَعَلِّقاً بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَصْرُخُ : إلٰهِي : لاَ تُغَيِّرِ آسْمِي وَلاَ تُبَدِّلْ جِسْمِي .

خبر آدم

ثُمَّ آدَمُ ﷺ ، صَفِيُّهُ وَنَبِيُّهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلائِكَتَهُ ، وَحَمَلَهُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ إلى جِوَارِهِ ، آنْبَسَطَ فَأَكَلَ أَكْلَةً وَاحِدَةً لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِيهَا ، فَنُودِيَ : أَلاَ لا يُجَاوِرُنِي مَنْ عَصَانِي ، وَأَمَرَ المَلائِكَةَ الَّذِينَ حَمَلُوا سَرِيرَهُ ، يَزُجُّونَهُ مِنْ سَمَاءٍ إلى سَمَاء ، حَتَّى أَهْوَوْهُ بالأَرْضِ ، وَلَمْ تَقْبَلْ تَوْبَتَهُ فِيمَا رُوِي ، حَتَّى بَكَى عَلَى ذٰلِكَ مِائَتَيْ سَنَةً ، وَلَحِقَهُ مِنَ الْهَوَانِ وَالْبَلاَءِ مَا لَحِقَهُ ، وَبَقِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ في تَبِعَاتِ ذٰلِكَ إلَى الأَبَدِ.

خبر نوح

ثُمَّ إنَّ نُوحاً ﷺ شَيْخَ الْمُرْسَلِينَ ، الَّذِي آحْتَمَلَ في أَمْرِ دِينِهِ مَا

آحْتَمَلَ ، لَمْ يَقُلْ إلاَّ كَلِمَةً وَاحِدَةٍ عَلَى غَيْرِ وَجْهِها ، إذْ نُودِيَ : ﴿ **فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [هود : ٤٦] . حَتَّى رُوِيَ في بَعْضِ الأَخْبَارِ أَنَّهُ لَمْ يَرْفع رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ حَيَاءً مِنَ الله تعالى أَرْبَعِينَ سَنَةً .

خبر إبراهيم

ثُمَّ إبْرَاهِيمَ خَلِيلَ آلله ﷺ ، لَمْ يَكُنْ مِنْهُ إلاّ هَفْوَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَكَمْ خَافَ وَتَضَرَّعَ وَقَالَ : ﴿ **وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ** ﴾ [الشعراء : ٨٢] حتى رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَبْكِي مِنْ شِدَّةِ/ الْخَوْفِ، فَيُرْسِلُ آلله عَزَّ وجلَّ الأَمِينَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيَقُولُ يَا إبراهيمُ: هَلْ رَأَيْتَ خَلِيلاً يُعَذِّبُ خَلِيلَهُ بِالنَّارِ؟ فَيَقُولُ: يَا جِبْرِيلُ إذَا ذَكَرْتُ خَطِيئَتِي نَسِيتُ خُلَّتَهُ.

[٦٨ / ب]

خبر موسى

ثُمَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ﷺ ، لَمْ يَكُنْ مِنْهُ إلاَّ وكزة عَنْ حِدَّةٍ ، فَكَمْ خَافَ ، وَآسْتَغْفَرَ وَقَالَ : ﴿ **رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَآغْفِرْ لِي** ﴾ [القصص : ١٦] .

خبر بلعم بن باعوراء

ثُمَّ في زَمَانِهِ بَلْعَمُ بْنُ بَاعُورَاء ، كَانَ بِحَيْثُ إذَا نَظَرَ يَرَى الْعَرْشَ ، وَهُوَ المَعْنِيُّ بِقَوْلِهِ : ﴿ **وَآتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَآنْسَلَخَ مِنْهَا فأتبعه الشيطان** ﴾ [الاعراف : ١٧٥] . وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ إلاّ أَنَّهُ مَالَ إلى آلدُّنْيَا وَأَهْلِهَا مَيْلَةً وَاحِدَةً ، وَتَرَكَ لِوَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَائِهِ حُرْمَةً وَاحِدَةً ، تَسْلُبُهُ مَعْرِفَتَهُ ، وَجَعَلَهُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلْبِ المَطْرُودِ : فَقَال : ﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ** ﴾ الآيَة . [الاعراف : ١٧٦] . فَأَوْقَعَهُ في بَحْرِ الضَّلاَلَ وَالْهَلاَكِ إلى الأَبَدِ . حَتَّى سَمِعْتُ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ : إنَّهُ كَانَ في أَوَّلِ أَمْرِهِ بِحَيْثُ يَكُونُ في مَجْلِسِهِ آثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مِحْبَرَةٍ لِلْمُتَعَلِّمِينَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ عَنْهُ ، ثُمَّ صَارَ بِحَيْثُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ صَنَّفَ كِتَاباً أَنْ لَيْسَ لِلْعَلَمِ صَانِعٌ ، نَعُوذُ بِالله مِنْ سَخَطِه وَعَذَابِهِ الأَلِيمِ ، وَفَظِيعِ خِذْلاَنِهِ الَّذِي لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ .

فَانْظُرْ حُبَّ الدُّنْيَا وَشُؤْمَهَا مَا تَجْلِبُ لِلْعُلَمَاءِ خَاصَّةً . فَتَنَبَّه ، فَإِنَّ الأَمْرَ خَطِيرٌ ، وَالْعُمْرَ قَصِيرٌ ، وَفِي الْعَمَلِ تَقْصِيرٌ ، وَالنَّاقِدُ بَصِيرٌ ؛ فَإِنْ خَتَمَ بِالْخَيْرِ أَعْمَالَنَا ، وَأَقَالَنَا عَثَرَاتِنَا ، فَمَا ذٰلِكَ عَلَيْهِ بِعَسِيرٍ .

خبر داود

ثُمَّ إِنَّ دَاوُدَ ﷺ خَلِيفَتِهِ فِي أَرْضِهِ، أَذْنَبَ ذَنْباً وَاحِداً ، فَبَكَى عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ في الأَرْضِ مِنْ دُمُوعِهِ ، وَقَالَ : إِلٰهِي أَمَا تَرْحَمُ بُكَائِي وَتَضَرُّعِي؟ فَنُودِيَ : يَا دَاوُدُ نَسِيتَ ذَنْبَكَ ، وَذَكَرْتَ بُكَاءَكَ ؟! وَلَمْ يَقْبَلْ تَوْبَتَهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، وَقِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

ثُمَّ يُونُسَ عَلَيْهِ الصَّلاَةَ والسَّلامُ، غَضِبَ غَضْبَةً وَاحِدَةً في غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، فَسَجَنَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، تَحْتَ قَعْرِ الْبِحَارِ ، أَرْبَعِينَ يَوماً وَهُوَ يُنَادِي : ﴿ **لَا إِلَـهَ أَلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، وَسَمِعَتِ المَلاَئِكَةُ صَوْتَهُ ، فَقَالُوا : إِلٰهَنَا وَسَيِّدَنَا ، صَوْتٌ مَعْرُوفٌ فِيْ مَوْضِعٍ مَجْهُولٍ ، قَالَ تَعَالَى : ذٰلِكَ عَبْدِي يُونُسَ ، فَشَفَعَتِ المَلاَئِكَةُ فِيهِ ، ثُمَّ مَعَ ذٰلِكَ كُلِّهِ غَيَّرَ آسْمَهُ ، وَقَالَ : ﴿ **وَذَا النُّونِ** ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، فَنَسَبَهُ إِلَى سِجْنِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ **فَٱلْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [الصافات : ١٤٢ ـ ١٤٤] ثُمَّ ذَكَرَ نِعْمَتَهُ وَمِنَّتَهُ عليه فَقَالَ : ﴿ **لَوْلَا / أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ** ﴾ [القلم : ٤٩] . فَٱنْظُرْ إِلَى هٰذِهِ السِّيَاسَةِ أَيُّهَا الْمِسْكِينُ .

[٦٩/أ]

خبر سيدنا محمد ﷺ

وَكَـذٰلِكَ هَلُمَّ جَرًّا ، إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ ، أكرم خلقِه عليه ، يَقُولُ : ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ**

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ٨٢ ـ وفي النسخة (ج) بعد لفظة واخواتها : «الواقعة»، «القارعة»، و «إذا الشمس كوّرت» .

بَصِيرٌ ﴾ [هود : ١١٢] ، حَتَّى كَانَ يقول ﷺ : « شَيَّبَتْنِي هُودُ وَأَخَوَاتُهَا »[أ] قِيلَ : عَنَى هٰذِهِ الآيَةَ وَأَشْكَالَهَا (في الْقُرْآنَ)[١] قَـالَ تَعَالَى : ﴿ **وَٱسْتَغْفِـرْ لِذَنْبِكَ** ﴾ [غافر : ٥٥] ، إِلَى أَنْ مَنَّ عَلَيْـهِ بِالْغُفْـرَانِ فَقَالَ : ﴿ **وَوَضَعْنَـا عَنْـكَ وِزْرَكَ ، الَّـذِي أَنْقَضَ ظَهْـرَكَ** ﴾ [ألم نشـرح : ٢] ، وَقَـالَ : ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ [الفتح : ٢] ، وَكَانَ بَعْدَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَام يُصَلِّي اللَّيْلَ ، حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ، فَيَقُـولُونَ : أَتَفْعَلُ هٰذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَـكَ مَا تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَـا تَأَخَّـرَ ؟ فَيَقُولُ : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً » [ب] .

وَكَانَ عَلَيْهِ الصلاةَ والسَّلَامَ يَقُولُ : « لَوْ أَنِّي وَعِيسَى أُخِذْنَا بِمَا كَسَبَتْ هَاتَانِ لَعُـذِّبْنَا عَـذَاباً لَمْ يُعَـذِّبْهُ أَحَـدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ»[ج] . وَكَـانَ يُصَلِّـي اللَّيْـلَ وَيَبْكِي وَيَقُولُ : « أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِن عِقَابِكَ ، وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِـكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »[د] .

خبر الصحابة

ثُمَّ الصَّحَابَةُ رضي اللَّهُ عَنهم الذِينَ هُمْ خَيْرُ قَرْنٍ من خَيْرِ أُمَّةٍ ، كَانَ يَبْدُو شَيْءٌ مِنْهُم مِنَ المِزَاحِ ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **أَلَمْ يأنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَـعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْـرِ اللَّهِ وَمَا نَـزَلَ من الحقّ ، ولا يكونـوا كالـذين أُوتوا الكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيهِم الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبهم، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [الحديد : ١٦] . الآيَةَ . ثُمَّ وَضَعَ في هٰذِهِ الأُمَّةِ ، مَعَ كَوْنِهَا مَرْحُومَةً ، الْحُدُودَ وَالسِّيَاسَاتِ الْعَظِيمَةَ وَالآدَابَ ، حَتَّى كَانَ يُونُس بْنُ عُبَيدٍ يَقُولُ : لا **تَأْمَنْ مَنْ قَطَعَ فِي خَمْسَةِ دَرَاهِمَ خَيْرَ عُضْوٍ مِنْكَ، أَنْ يَكُونَ غداً عَذَابَهُ هٰكَذَا.**

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ٨٢ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم : ٨٣ .

(ج) راجع تخريج الحديث رقم : ٨٤ .

(د) راجع تخريج الحديث رقم : ٨٥ .

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْكَرِيمَ الرَّحِيمَ ، أنْ لاَ يُعَامِلَنَا إلاّ بِمَحْضِ كَرَمِهِ ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

(من جانب الرجاء)

وَأمّا جَانِبُ الرّجَاءِ : فَحَدِّثْ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ وَلاَ حَرَجَ ، وَمَنْ الّذِي يَعْرِفُ غَايَتَهَا أَوْ يُحْسِنُ وَصْفَهَا ، فَإِنَّهُ يَهَبُ كُفْرَ سَبْعِينَ سَنَةٍ بِإيمَانِ سَاعَةٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال : ٣٨] . أَمَا تَرَى فِي أَمْرِ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ الّذِينَ جَاءُوا لِحَرْبِهِ ، وَحَلَفُوا بِعِزَّةِ عَدُوِّهِ[أ] ، فَقَالُوا : ﴿ **إنا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الاعراف : ١٢١] ، عَنْ صِدْقِ الْقُلُوبِ ، كَيْفَ قَبِلَهُمْ وَوَهَبَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا سَلَفَ ؟ ثُمَّ كَيْفَ / جَعَلَهُمْ رُؤُوسَ الشهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ أَبَدَ الآبِدِينَ ؟

خبر سحرة فرعون

[٦٩/ب]

فَهٰذَا مع مَنْ عَرَفَهُ وَوَحَّدَهُ سَاعَة بَعْدَ ذٰلِكَ الْكُفْرِ وَالضَّلاَلِ وَالْفَسَادِ ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ أَفْنَى فِي تَوْحِيدِهِ عُمْرَهُ ، وَلاَ يَرَى لِذٰلِكَ أَهْلاً فِي الدَّارَيْنِ غَيْرَهُ ؟ أَمَا تَرَى أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ طُولَ أَعْمَارِهِمْ ، قَامُوا وقَالُوا ﴿ **رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إلٰهاً** ﴾ [الكهف : ١٤] ، وَالْتَجَأُوا إِلَيْهِ ، كَيْفَ قَبِلَهُمْ ، ثُمَّ أَعَزَّهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ **وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينَ وَذَاتَ الشِّمَالِ** ﴾ [الكهف : ١٨]، وَكَيْفَ أَعْظَمَ لَهُمُ الْحُرْمَةَ ، وَأَلْبَسَهُمُ ٱلمَهَابَةَ وَالْخَشْيَةَ ، حَتَّى يَقُولُ لأَكْرَمِ الْخَلْقِ ﷺ : ﴿ **لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُم فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُم رُعْباً** ﴾ [الكهف : ١٨] ، بَلْ كَيْفَ أَكْرَمَ كَلْباً تَبِعَهُمْ حَتَّى ذَكَرَهُ في كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ جَعَلَهُ مَعَهُم في الدُّنْيَا مَحْجُوباً ، وَيُدْخِلُهُ في الآخِرَةِ الْجَنَّة

خبرأصحاب الكهف

(أ) أي فرعون .

مُكَرَّماً ؛ فَهَذَا فَضْلُهُ مَعَ كَلْبٍ خَطَا خُطُواتٍ مَعَ قَوْمٍ عَـرَفُوهُ وَوَحَّـدُوهُ أَيَّامـاً مَعْـدُودَةً مِنْ غَيْرِ عِبَـادَةٍ أَوْ خِدْمَـةٍ ، فَكَيْفَ فَضْلُهُ مَعَ عَبْـدِهِ المُؤْمِنِ ، الَّذِي خَدَمَهُ وَوَحَّدَهُ وَعَبَدَهُ سَبْعِينَ سَنَةً ؟ وَلَوْ عَاشَ سَبْعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ كَـانَ قَاصِـداً لِلْعُبُودِيَّةِ .

عتاب الله لبعض أنبيائه

أَمَا سمعت كَيْفَ عَاتَبَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصلاة والسَّلامُ في دُعَائِهِ عَلَى المُجْرِمِينَ بِالْهَلاَكِ ؟

وَكَيْفَ عَاتَبَ مُوسَى عليـه الصلاة والسـلام في أَمْرِ قـارُونَ ، فَقَالَ : ٱسْتَغَاثَ بِكَ قارُونُ فَلَمْ تُغِثْهُ ؛ فَوَعِزَّتِي لَوْ ٱسْتَغَاثَ بِي لأَغَثْتُهُ وَعَفَوْتُ عَنْهُ .

وَكَيْفَ عَاتَبَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ في شَأْنِ قَوْمِـهِ : بِأَنَّـكَ تَحْزَنُ عَلَى شَجَرَةِ يَقطِينٍ، أَنْبَتُّهَا فِي سَاعَةٍ وَأَيْبَسْتُهَا في سَاعَةٍ، وَلاَ تَحْزَنُ عَلَى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَـزِيدُونَ ؟ ثُمَّ كَيْفَ قَبِـلَ عُذْرَهُمْ ، وَصَـرَفَ عَذَابَـهُ الْعَظِيمَ عَنْهُم بِعْـدَمَا أَضَلَّهُمْ .

ثُمَّ كَيْفَ عَـاتَبَ سَيِّدَ المُـرْسَلِينَ صَلى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَعَلَى آلِـهِ أَجْمَعِينَ وسلّم ، فِيمَا رُوِيَ[أ] أَنَّهُ دَخَلَ مِنْ بَاب بَنِي شَيْبَةَ ، فَرَأى قوماً يَضْحَكُونَ ، فَقَـالَ : لِمَ تَضْحَكُـونَ ؟ لاَ أَرَاكُمْ (تَضْحَكُـونَ)[١] ، حَتَّى إذَا كَـانَ عِنْـدَ الْحَجَرِ رَجَعَ إِلَيْهِمُ القَهْقَرَى فَقَالَ جَـاءَنِي جِبْرِيـلُ عَلَيْهِ السَّـلام فَقَالَ : يَـا مُحَمَّـدُ إِنّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُـولُ لَـكَ : لِمَ تُقَنِّطُ عِبَـادِي مِنْ رَحْمَتِي : ﴿ **نَبِّىءْ عِبَـادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُـورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الحجـر : ٤٩] وَهٰـذَا رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَلَّهُ أَرْحَمَ بِالْعَبْـدِ مِنَ الْوَالِـدَةِ الشَّفِيقَةِ بِـوَلَدِهَـا »[ب] . وَفِي الْخَبَرِ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ٨٦ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم : ٨٧ .

[٧٠/أ] المَشْهُورِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « إنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ / : فَوَاحِدَةٌ مِنْهَا قَسَّمَهَا بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ ؛ وَآدَّخَرَ مِنْهَا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ لِنَفْسِهِ ، لِيَرْحَمَ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(أ) .

وَإِذْ قَدْ أَعْطَاكَ اللَّه تعالى مِنَ الرَّحْمَةِ الْوَاحِدَةِ كُلَّ هٰذِهِ الْعَطَايَا الْكَرِيمَةِ الْعَزِيزَةِ ، مِنْ مَعْرفتِهِ سُبْحَانَهُ وتعالى ، وَالْكَوْنِ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ المَرْحُومَةِ ، ثُمَّ مَعْرِفَة السُّنةِ وَالْجَمَاعَةِ ، إِلَى سَائِرِ مَا لَدَيكَ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، فَمَرْجُوٌّ مِنْ فَضْلِهِ وكرمِهِ أنْ يُتِمَّ ذٰلِكَ ، فَإِنَّ مَنْ بَدَأَ بِالإِحْسَانِ فَعَلَيْهِ الإِتْمَامُ ، وَيَجْعَلُ لك مِنْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ رَحْمةً لَكَ الْحَظَّ الْوَافِرَ ، نَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لاَ يُخَيِّبَ آمالَنا مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمَ بِفَضْلِهِ ، إِنَّهُ السَّيِّدُ الْكَرِيمُ ، الْجَوادُ الرَّحِيمُ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ٨٨ .

الأصل الثالث
(في ذِكْرِ مَا وَعَدَ وَأَوْعَدَ في المَعَاد)

فَلْنَذْكُرْ في ذلِكَ الأَحْوَالَ الأَرْبَعَةِ : (١) المَوْتَ ، (٢) وَالْقَبْرَ ، (٣) وَالْقِيَامَة ، (٤) وَالْجَنَّةَ وَالنَّار ، وَما في كُلِّ مَقَامٍ مِنْهَا مِنَ الْخَطَرِ لِلْمُطِيعِينَ، وَالْعَاصِينَ، وَالْمُقَصِّرِينَ، وَالْمُجْتَهِدِينَ .

١ ـ أَمَّا المَوْتُ فَأَذْكُرُ فِيهِ حَالَ رَجُلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : مَا رُوِيَ عَنِ ٱبْنِ شُبْرُمَةَ أَنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ الشَّعْبِيِّ عَلَى رَجُلٍ مَرِيضٍ نَعُودُهُ وَهُوَ لِمَا بِهِ ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يُلَقِّنُهُ : لَا إِلَهَ إِلا ٱللَّهُ ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : ٱرْفُقْ بِهِ ، فَتَكَلَّمَ المَرِيضُ وَقَالَ : إن تُلَقِّنِّي أَوْ لَمْ تُلَقِّنِّي فَإِنِّي لَا أَدَعُهَا ! ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا** ﴾ [الفتح : ٢٦]، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّى صَاحِبَنَا .

وَالآخَرُ : مَا حُكِيَ أَنَّ تِلْمِيذاً لِلْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ ، حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْفُضَيْلُ وَجَلَسَ عِنْدَ رَأسِهِ ، وَقَرَأَ سُورَةَ (يسۤ) فَقَالَ : يَا أُسْتَاذُ لَا تَقْرَأْ، فَسَكَتَ ؛ ثُمَّ لَقَّنَهُ فَقَالَ قُلْ : لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ : لَا أَقُولُهَا لِأَنِي مِنْهَا بَرِيءٌ ، وَمَاتَ عَلَى ذٰلِكَ ؛ فَدَخَلَ الْفُضَيْلُ مَنْزِلَهُ وَجَعَلَ يَبْكِي أَرْبَعِينَ يوماً لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْبَيْتِ ، ثُمَّ رَآهُ في النَّوْمِ وَهُوَ يُسْحَبُ إلى جَهَنَّمَ ، فَقَالَ بِأَيِّ شَيءٍ نَزَعَ اللَّهُ المَعْرِفَةَ مِنْكَ وَكُنْتَ أَعْلَمَ تَلَامِذَتِي ؟ قَالَ : بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ :

أسباب نزع المعرفة بالله

أَوَّلُهَا : النَّمِيمَة ، فَإنِي قُلْتُ لأصْحَابِي بِخِلاَفِ مَا قُلْتُ لَكَ . وَالثَّانِي : الْحَسَد : حَسَدْتُ أَصْحَابِي . وَالثَّالِثُ : كَانَ بِي عِلَّةٌ فَجِئْتُ إِلَى الطَّبِيبِ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا ، قَالَ : تَشْرَبُ فِي كُلِّ سَنَةٍ قَدَحاً مِنْ خَمْرٍ ، فَإنْ لَمْ تَفْعَلْ تَبْقَى بِكَ الْعِلَّةُ ؛ فَكُنْتُ أَشْرَبُهُ / ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ الَّذِي لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ . [٧٠/ب]

رواية عن عبد الله بن المبارك

ثُمَّ أَذْكُرُ حَالَ رَجُلَيْنِ آخَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا مَا حُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، أَنَّهُ لَمَّا آحْتُضِرَ ، نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَضَحِكَ وَقَالَ : ﴿ لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصافات : ٦١] . وَسَمِعْتُ إِمَامَ الْحَرَمَيْنِ(أ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْكِي عَنِ الأُسْتَاذِ أَبِي بَكْرٍ(ب) رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : كَانَ لِي صَاحِبٌ أَيَّامَ التَّعْلِيمِ ، وَكَانَ مُبْتَدِئاً كَثِيرَ الْجَهْدِ فِي التَّعَلُّمِ ، تَقِيّاً مُتَعَبِّداً ، وَكَانَ لاَ يَحْصُلُ لَهُ مَعَ ذَلِكَ الاجْتِهَادِ إلاَّ الْقَلِيلُ ، وكُنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْ حَالِهِ ؛ فَمَرِضَ فَلَزِمَ مَكَانَهُ بَيْنَ الأَوْلِيَاءِ فِي الرِّبَاطِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ إِلَى بَيْتِ الْمَرْضَى(ج) ، وَكَانَ يَجْتَهِدُ مَعَ مَرَضِهِ ، فَآشْتَدَّ بِهِ الْحَالُ وَأَنَا بِجَانِبِهِ ؛ فَبَيْنَما هُوَ كَذلِكَ ، إِذْ شَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ لِي : يَا آبْنَ فُورَكَ : (لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ) وَتُوُفِّيَ عِنْدَ ذٰلِكَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

رواية عن مالك بن دينار

وَأَمَّا الآخَرُ ، فَنَحْوُ مَا رُوِيَ عَنْ مَالِكِ بنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى جَارٍ لَهُ آحْتُضِرَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا مَالِكُ : جَبَلاَنِ مِنْ نَارٍ بَيْنَ يَدَيَّ أُكَلَّفُ

(أ) إمام الحرمين : هو أبو المعالي عبد الملك الجويني ، ابن الشيخ أبي محمد ، من أصحاب الإمام الشافعي .

(ب) أبو بكر : هو محمد بن الحسن بن فورك .

(ج) بيت المرضى : جناح يخصص للمرضى من الطلبة ، يُفرَدون فيه للاعتناء والمعالجة .

الصُّعُودَ عَلَيْهِمَا ، فَسَأَلْتُ أَهْلَهُ فَقَالُوا : كَانَ لَهُ مِكْيَالاَنِ يَكِيلُ بِأَحدِهِمَاوَيَكْتَالُ بِالآخَرِ ، فَدَعَوْتُ بِهِمَا ، فَضَرَبْتُ أَحدَهُمَا بِالآخَرِ حَتَّى كَسَرْتُهُما ، ثُمَّ سَأَلْتُ الرَّجُلَ فَقَالَ : مَا يَزْدَادُ الأَمْرُ عَلَيَّ عِظَماً .

(٢) **وَأَمَّا الْقَبْرُ وَالْحَالُ بَعْدَ الموْتِ** ، فَأَذْكُرُ فِيهِ حَالَ رَجُلَيْنِ :

رواية عن سفيان الثوري

أَحدُهُمَا : مَا ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ قَالَ : رَأَيْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي النَّوْمِ بَعْدَ موته ، فَقُلْتُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا أَبَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ فَأَعْرَضَ عَنِّي وَقَالَ : لَيْسَ هٰذَا زَمَانَ الكُنَى ! فَقُلْتُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا سُفْيَانُ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ : [الطويل] :

نَظَرْتُ إِلَى رَبِّي عَيَاناً فَقَالَ لِي
هَنِيئاً رِضَائِي عَنْكَ يَا آبْنَ سَعِيدِ
لَقَدْ كُنْتَ قَوَّاماً إِذَا اللَّيْلُ قَدْ دَجَا
بِعَبْرَةِ مُشْتَاقٍ وَقَلْبٍ عَمِيدِ
فَدُونَكَ فَآخْتَرْ أَيَّ قَصْرٍ تُرِيدُهُ
وَزُرْنِي فَإِنِّي عَنْكَ غَيْرُ بَعِيدِ

وَالرَّجُلُ الثاني : مَا ذُكِرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ رُؤِيَ فِي النَّوْمِ شَاحِبَ اللَّون ، مَغْلُولَةً يَدَاهُ إلى عُنُقِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ فَأَنْشَدَ يَقُولُ : [المتقارب] :

تَوَلَّى زَمَانٌ لَعِبْنَا بِهِ ... وَهَذَا زَمَانٌ بِنَا يَلْعَبُ/ [٧١/أ]

رواية عن عمر بن عبد العزيز

وَحَالَ آخَرَيْنِ : **أَحدُهُمَا** : مَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ قَالَ : كَانَ لِيَ آبْنٌ آسْتُشْهِدَ ، فَلَم أَرَهُ فِي المَنَامِ إِلَى لَيْلَةٍ تُوُفِّي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِذْ تَرَاءَى لِي تِلْكَ الليلة ، فَقُلْتُ : يا بُنَيَّ أَلَمْ تَكُ مَيِّتاً ؟ فَقَالَ : لاَ ، وَلٰكِنِّي ٱسْتُشْهِدْتُ ، وَأَنَا حَيٌّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أُرْزَق ؛ فَقُلْتُ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ : نُودِيَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : أَلاَ لاَ يَبْقَى نَبِيٌّ وَلاَ صِدِّيقٌ وَلاَ شَهِيدٌ إِلاَّ وَحَضَرَ الصَّلاَةَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَجِئْتُ لأَشْهَدَ الصَّلاَةَ ، ثُمَّ جِئْتُكُمْ لأُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ .

وأما الآخَرُ : نحو مَا رُوِيَ عَنْ هِشَام بن حَسَّانَ أَنَّه قَالَ : مَاتَ لِيَ ٱبْنُ حَدَثٌ ، فَرَأَيْتُهُ في المنام ، فَإِذَا هُوَ أَشْيَبُ ، فَقُلْتُ : يَا بُنَيَّ مَا هٰذَا الشَّيْبُ ؟ فَقَالَ : لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا فُلاَنٌ ، زَفِرَتْ جَهَنَّمُ لِقُدُومِهِ زَفْرَةً لَمْ يَبْقَ مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ شَابَ . نَعُوذُ بِاللَّهِ الرَّحِيمِ مِنَ الْعَذَابِ الأَلِيمِ .

(٣) **وَأَمَّا الْقِيَامَةُ** ، فَتَأَمَّلْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمٰنِ وَفْداً ، وَنسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إلَى جَهَنَّمَ وِرْداً** ﴾ [مريم : ٨٦] .

فَوَاحِد يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ ، فَإِذا الْبُرَاقُ عَلَى رَأسِ الْقَبْرِ وَالتَّاجُ وَالْحُلَلُ ، فَيَلْبَسُ وَيَرْكَبُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، لاَ يُخَلَّى مِنْ عِزَّةٍ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى الْجَنَّةِ بِرِجْلَيْهِ .

وَآخَرُ يَخْرُجُ مِنَ قَبْرِهِ ، فَإِذَا الزَّبَانِيَةُ وَالأَنْكَالُ ، لاَ يُخَلُّونَ الشَّقِيَّ أن يَمْشِي إلَى النَّارِ بِرِجْلَيْهِ ، بَلْ يُسْحَبُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ عَلَى وَجْهِهِ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ الْعُلَماءِ يَرْوِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :[أ] : « إِذَا

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ٨٩ .

كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْـرُجُ قَوْمٌ مِنْ قُبُـورِهِمْ لَهُمْ نُجُبٌ يَرْكَبُـونَهَا ، لَهَـا أَجْنِحَةٌ خُضْرٌ ، فَتَطِيرُ بِهِمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى حِيطَانِ الْجَنَّةِ ، فَـإِذَا رَأَتْهُمُ المَـلاَئِكَـةُ قَـالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ فَيَقُـولُـونَ : مَـا نَدْرِي ، لَعَلَّهُمْ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّـدٍ ﷺ فَيَأْتِيهِمْ بَعْضُ المَـلاَئِكَةِ فَيَقُـولُونَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ وَمِنْ أَيِّ الأُمَمِ (أَنْتُمْ)[1] ؟ فَيَقُـولُونَ : نَحْنُ مِنْ أُمَّـةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ : هَلْ حُوسِبْتُمْ ؟ فَيَقُولُـونَ : لاَ ، فَيَقُولُـونَ : هَلْ وُزِنْتُمْ ؟ فَيَقُـولُونَ : لاَ ، فَيَقُـولُونَ : هَـلْ قَـرَأْتُمْ كُتُبَكُمْ ؟ فَيَقُـولُـونَ : لاَ ، فَتَقُـولُ المَـلاَئِكَةُ : ٱرْجِعُـوا فَكُلُّ ذٰلِـكَ وَرَاءَكُمْ ، فَيَقُولُـونَ : هَلْ أَعْـطَيْتُمُونَـا شَيْئاً فَنُحَاسَبَ عَلَيْهِ ؟ . وَفِي خَبَرٍ آخَرَ : مَا مَلَكْنَا شَيْئاً فَنَعْدِلَ وَلاَ نَجُورَ / ، وَلٰكِنْ [٧١/ب] عَبَـدْنَا رَبَّنَـا حَتَّى دَعَانَـا فَأَجَبْنَـاهُ ، فَيُنَادِي مُنَـادٍ : صَدَقَ عِبَـادِي ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيـلٍ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . أَمَـا تَسْمَـعُ قَـوْلَـهُ تَعَـالَى : ﴿ **أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [فصّلت : ٤٠]

فَأَعْظِمْ بِرَجُلٍ يُشَاهِدُ تِلْكَ الأَهْوَالَ وَالزَّلاَزِلَ وَالْوَقَائِـعَ ، وَهُوَ آمِنٌ لاَ يَدْخُلُ قَلْبَهُ فَزَعٌ ، وَلاَ يَكُـونُ عَلَى قَلْبِهِ ثِقَـلٌ . نَسْأَلُ اللَّهُ تعـالى أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أُولٰئِكَ السُّعَدَاءِ وَمَا ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ .

(٤) **وَأَمَّـا الجَنَّةُ وَالنَّـارُ** ، فَتَأَمَّـلْ بِهِمَا آيَتَيْنِ مِنْ كِتَـابِ اللَّهِ تَعَـالَى : إِحْدَاهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُم شَرَاباً طَهُوراً . إِنَّ هٰذَا كَـانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً** ﴾ [الإنسان : ٢١]. وَقَالَ تَعَالَى حِكَـايَةً عَنْ آخَرِينَ : ﴿ **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ . قَـالَ ٱخْسَئُوا فِيهَـا وَلاَ تُكَلِّمُونِ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٨]

وَرُوِيَ أَنَّهُم يَصِيرُونَ عِنْدَ ذٰلِكَ كِلاَباً يَتَعَاوَوْنَ فِي النـارِ . نَعُوذُ بِـاللَّهِ الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ مِنْ عَذَابِهِ الأَلِيمِ ؛ فَإِنَّ الأَمْرَ كَمَا قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : لاَ

نَدْرِي أيُّ المُصِيبَتَيْنِ أَعْظَمُ : فَوْتُ الْجَنَانِ ، أَمْ دُخُولُ النّارِ ؟ أَمّـا الْجَنَّةُ : فَلاَ صَبْرَ عَنْهَا ، وَأَمّا النَّارُ : فَلاَ صَبْرَ عَلَيْهَا ؛ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَوتُ النَّعِيمِ أَيْسَرُ مِنْ مُقَاسَاةِ الْجَحِيمِ .

ثُمَّ الطَّامَّةُ الكُبْرَى والمُصِيبَةُ الْعُظْمَى هِيَ الْخُلُودُ ، إِذْ لَوْ كَانَ (الأَمْرُ عَلَى كُلِّ)[1] حَالٍ مُنْقَطِعاً لَكَانَ الأمر هَيِّناً ؛ وَلٰكِنِ الشَّأْنُ في أَمَدٍ بِلاَ آخِرٍ ؛ فَأَيُّ قَلْبٍ يَحْتَمِلُ ذٰلِكَ ! وَأَيُّ نَفْسٍ تَصْبِرُ عَلَى ذٰلِكَ ؟ وَلِذٰلِـكَ قالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ : « ذِكْرُ الْخَالِدِينَ ، يَقْطَعُ قُلُوبَ الخَائِفِينَ » .

آخر مَن يخرج من النار

وَذُكِرَ عِنْدَ الْحَسَنِ[أ] أنَّ آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ من النَّارِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ هَنَّادٌ ، عُذِّب أَلْفَ عَامٍ ، يُنَادِي يَا حَنَّانُ يَا مَنَّـانُ ، فَبَكَى الْحَسَنُ وَقَالَ : يَـا لَيْتَنِي كُنْتُ هَنَّاداً ، فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ ، فَقَالَ : وَيْحَكُمْ ، أَلَيْسَ يوماً يَخْرُجُ ؟

خوف نَزْعِ المعرفة

قُلْتُ : يَـرْجِعُ الأَمْـرُ كُلُّهُ إِذَنْ إِلَى أَصْلٍ وَاحِـدٍ ، وَهِيَ النُّكْتَـةُ الَّتِي تَقْصِمُ الظُّهورَ ، وَتُصَفِّرُ الْوُجُوهَ ، وَتَقْطَعُ الْقُلُوبَ ، وَتُذِيبُ الأَكْبَادَ ، وَتَدمِي العُيُونَ مِنَ الْعِبَّادِ ، وَهِيَ خَوْفُ نَزْعِ المَعْرِفَةِ ، فَهٰذِهِ الْغَايَةُ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا خَوْفُ الْخَائِفِينَ ، وَتَبْكِي عَلَيْهَا أَعْيُنُ البَاكِينَ .

وَلَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْغُمُومَ ثَلاَثَةٌ : غَمُّ الطَّاعَةِ أَنْ لاَ تُقْبَلَ ، وَغَمُّ المَعْصِيَةِ أَنْ لاَ تُغْفَرَ ، وَغَمُّ المَعْـرِفَةِ أَنْ تُسْلَبَ ، وَقَـالَ المُخْلِصُونَ : بَـلِ الْغَمُّ كُلُّهُ وَاحِدٌ بِالْحَقِيقَـةِ ، وَهُوَ غَمُّ المَعْـرِفَةِ ، وَكُـلُّ غَمٍّ دُونَهُ جَلَلٌ إِذْ لَـهُ انْقِضَاءٌ .

[٧٢/أ] وَلَقَدْ بَلَغَنَا عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ رَحِمَهُ اللَّهُ / أَنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى

(أ) أي الحسن البصري .

سُفْيَانَ فَبَكَى لَيْلَهُ أَجْمَعَ ، فَقُلْتُ : بُكَاؤُكَ هٰذا عَلَى الذُّنُوبِ ؟ قَالَ : فَحَمَلَ تِبْناً وَقَالَ : الذُّنُوبُ عَلَى اللَّهِ أَهْوَنُ مِنْ هٰذَا ، إِنَّمَا أَخْشَى أَنْ يَسْلُبَنِي اللَّهُ الإِسْلاَمَ ، نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا المَنَّانَ سُبْحَانَهُ أَنْ لاَ يَبْتَلِينَا بِمُصِيبَةٍ ، وَأَنْ يُتِمَّ عَلَيْنَا بِفَضْلِهِ كَبِيرَ نِعْمَتِهِ ، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا عَلَى مِلَّةِ الإِسْلاَمِ ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . وَقَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَ سُوءِ الْخَاتِمَةِ وَمَعْنَاهَا فِي كِتَابِ : « إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » فَتَأَمَّلْهُ هُنَاكَ ، فَإِنَّ الْخَوْضَ فِيهِ هٰهُنَا خُرُوجٌ إِلَى الإِكْثَارِ ، فَتَأَمَّلْ هٰذِهِ الْجُمْلَةَ ، فَإِنَّ التَّفْصِيلَ أَكْثَرُ في أن يَأْتِي عَلَيْهِ الْوَهْمُ وَالذِّكْرُ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ .

بين الخوف والرجاء

فَإِنْ قُلْتَ : فَأَيُّ الطَّرِيقَيْنِ أَسْلُكُ : طَرِيقَ الْخَوْفِ ، أَمْ طَرِيقَ الرَّجَاءِ ؟

يُقَالُ لَكَ(١) : بَلِ الْمُرَكَّبِ بَيْنَهُمَا ، فَلَقَدْ قِيلَ : إِنّ من غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ صَارَ مُرْجِئاً(أ) بِهِ ، رُبَّمَا يُخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَصِيرَ خُرَّمِيّاً(ب) ، وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ صَارَ حَرُورِياً(ج) ؛ وَالمُرادُ أَنْ لاَ يَنْفَرِدَ بِأَحَدِهِمَا دُونَ الآخَرِ ؛ فَإِنَّ بِالحَقِيقَةِ الرَّجَاءَ الْحَقِيقِيَّ لاَ يَنْفَكُّ عَنِ الْخَوفِ الحَقِيقِيِّ ، وَالْخَوْفُ

(أ) المرجئة : هم جماعة يرجئون العمل عن النيّة ، أي يؤخرونه في الرتبة عنها . وكانوا يقولون : لا يضرّ مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، فهم يعطون الرجاء . وقيل : هم طائفة يرجئون الأعمال أي يؤخرونها ، فلا يرتبون عليها ثواباً ولا عقاباً ، بل يقولون : المؤمن يستحقّ الجنّة بالإيمان دون بقيّة الطاعات ، والكافر يستحقّ النار بالكفر ، دون بقيّة المعاصي . (راجع الملل والنّحل للشهرستاني) .

(ب) الخُرّمية : أصحاب بابك الخُرّمي . (راجع : الملل والنحل للشهرستاني) .

(ج) الحروريّة : فرقة من الخوارج ، منسوبة إلى حروراء، قرية قرب الكوفة ، لجأ إليها الخوارج بعد التحكيم في معركة صفين . (راجع : الملل والنّحل للشهرستاني) .

الْحَقِيقِّي ، لا يَنْفَكُّ عَنِ الرَّجَاءِ الْحَقِيقِيِّ ؛ وَلِذٰلِكَ قِيلَ الـرَّجَاء كُلُّهُ لِأَهْـلِ الْخَوْفِ إِلَا الْأَمْنِ ، وَالْخَوْفُ كُلُّهُ لِأَهْلِ الرَّجَاءِ إِلَا الْيَأْسِ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَهَلْ يَكُونُ أَحَدُهُمَا أَرْجَحَ وَأَكْثَرَ ذِكْراً بِحَالٍ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ صَحِيحاً قوِيًّا ، فَالْخَوْفُ أَوْلَى بِهِ ؛ وَإِنْ مَرِضَ وَضَعُفَ ، لَا سِيَّمَا إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الآخِرَةِ ، فَالـرَّجَاءُ أَوْلَى ؛ كَـذَا سَمِعْتُ الْعُلَمَاءَ يَقُولُونَ .

قُلْتُ وَذٰلِـكَ لَمَّـا رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَـالَى يَقُـولُ: «أَنَـا عِنْـدَ المنْكَسِـرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ مَخَـافَتِي»[أ]، فَيَصِيـرُ رَجَـاؤُهُ أَوْلَى فِي ذٰلِـكَ الْـوَقْتِ لِانْكِسَـارِ قَلْبِهِ ، وَخَوْفِهِ الْمُتَقَدِّمِ زَمَانَ الصِّحَّةِ وَالْقُوَّةِ وَالإِمْكَانِ ، وَلِذٰلِكَ يُقَالُ لَهُمْ : ﴿ **لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا** ﴾ [فصلت : ٣٠] .

فَـإِنْ قُلْتَ : أَلَيْسَ قَدْ جَـاءَتِ الْأَخْبَارُ الْكَثِيـرَةُ في حُسْنِ الظنِّ بِـاللَّهِ وَالتَّرْغِيبُ في ذٰلِكَ ؟

حسن الظن بالله

فَاعْلَمَ أَنَّ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالى الْحَذَرَ مِنْ مَعْصِيتِهِ ، وَالْخَـوْفَ مِنْ عِقَابِهِ ، وَالإِجْتِهَادَ فِي خِدْمَتِهِ . وَآعْلَم أَنَّ هٰهُنا أَصْلاً أَصِيلاً وَنُكْتَةً حَسنةً يَغْلَطُ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ ، وَهُوَ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْأُمْنِيَّةِ ، أَنَّ الرَّجَاءَ يَكُونُ عَلَى أَصْلٍ ، وَالتَّمَنِّي لَا يَكُونُ عَلَى أَصْلٍ ؛ مِثَالُهُ : مَنْ زَرَعَ وَآجْتَهَدَ وَجَمَعَ بَيْدَراً ، ثُمَّ يَقُولُ : أَرْجُو أَنْ يَحْصُلَ لِي مِنْهُ مِـائَةُ قَفِيـزٍ ، فَذٰلِـكَ مِنْهُ رَجاءٌ ؛ وَآخَرُ لَا يَزْرَعُ زَرْعاً، وَلا يَعْمَلُ يَوْمـاً ، فَذَهَـبَ وَنَـامَ وَأَغْفَلَ سَنَتَـهُ ، فَإِذَا / جَاءَ وَقْتُ الْبَيَادِرِ يَقُولُ : أَرْجُو أَنْ يَحْصُلَ لِي مِائَةُ قَفِيز : فَتَقُولُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هٰذَا الرَّجَاءُ ؟ وَإِنَّمَا ذٰلِكَ أُمْنِيـةٌ بِلَا أَصْـلٍ . فَكَذٰلِـكَ الْعَبْدُ إِذَا

بين الرجاء والتمني

[٧٢/ب]

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٩٠ .

ٱجْتَهَدَ في عِبَادَةِ اللَّهِ تَعالى ، وَٱنْتَهى عَنْ مَعْصِيَةِ ٱللَّهِ تَعالى ، يَقُولُ : أَرْجُو أَنْ يَتَقَبَّلَ ٱللَّهُ هٰذَا الْيَسِيرَ ، وَيُتِمَّ هٰذَا التَّقْصِيرَ ، وَيُعظِمَ الثَّوَابَ ، وَيَعْفُوَ عَنِ الزَّلَلِ ، وَأَحْسَنَ الظَّنَّ ، فَهٰذَا مِنْهُ رَجاءٌ .

فَأَمَّا إِذَا غَفَلَ وَتَرَكَ الطَّاعَاتِ ، وَٱرتَكَبَ المَعَاصِيَ ، وَلَمْ يُبَالِ بِسَخَطِ ٱللَّهِ تَعَالى وَلاَ رِضَاهُ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَرْجُو مِنَ اللَّهِ الْجَنَّةَ ، وَالنَّجاةَ مِنَ النَّارِ ، فَذٰلِكَ مِنْهُ أُمْنِيَةٌ لاَ حَاصِلَ تَحْتَهَا ، سَمَّاهَا رَجاءً وَحُسْنَ ظَنٍّ ، وَذٰلِكَ خَطَأٌ وَضَلاَلٌ . وَقَدْ نَظَمَ الْمَعْنَى الْقَائِلُ(أ) : [البسيط] :

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إِنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ (١)

قُلْتُ : وَمِمَّا يُبَيِّنُ هٰذَا الأَصْلَ مَا رَوَيْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنِ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الأَمَانِيَّ »(ب) وَفي ذٰلِكَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : إِنَّ أَقْوَاماً أَلْهَتْهُمْ أَمَانِيُّ المَغْفِرَةِ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ حَسَنَةٌ ، يَقُولُ : إِنِّي أُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّي ، وكَذَبَ لَوْ أَحْسَنَ الظنَّ بِرَبِّهِ لأَحْسَنَ الْعَمَلَ لَهُ ؛ ثُمَّ تَلاَ قَوْلَهُ تَعالى **﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾** [الكهف : ١١٠] الآية **﴿وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾** [فصّلت : ٢٣] وَعَنْ جَعْفَرٍ الضُّبُعِيِّ قالَ : رَأَيْتُ أَبَا مَيْسَرَةَ الْعَابِدَ وَقَدْ بَدَتْ أَضْلاَعُهُ مِنَ ٱلإِجْتِهَادِ(ج) ، قُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ؛ فَغَضِبَ وَقَالَ : هَلْ رَأَيْتَ (مِنِّي)(٢) مَا

(أ) يروى هذا البيت لعبد الله بن المبارك (كما في سراج الطالبين ٢/٣٤٤) وقبله :

مـا بالُ دِينِكَ تـرضى أن تُـدَنِّسَـهُ ... وثوبُكَ الدهرَ مغسولٌ من الدَّنَسِ

(ب) راجع تخريج الحديث رقم : ٩١ .

(ج) أي كثرة العبادة والاجتهاد فيها .

يَـدُلُّ عَلَى الْقُنُوطِ[أ] ؟ إِنَّ رَحْمَـةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ؛ قـالَ جَعْفَـرٌ فَأَبْكَانِي قَوْلُهُ .

فَـإِذَا كَانَ الـرُّسُلُ وَالأَبْـدَالُ وَالأَوْلِيَـاءُ ، مَـعَ كُـلِّ هـذَا الإِجْتِهَـادِ في الطَّاعَةِ ، وَالْحَذَرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ فَأَيْش تَقُولُ ؟ أَمَا كَانَ لَهُمْ حُسْنُ ظَنٍّ بِاللَّهِ ؟ بَلَى ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِسِعَةِ رَحْمَتِهِ وَأَحْسَنَ ظَنًّا بِجُودِهِ منه ، وَلٰكِنْ عَلِمُوا أَنَّ ذٰلِكَ دُونَ الإِجْتِهَادِ أُمْنِيَةٌ وَغُرُورٌ . فَٱعْتَبِرْ بِهٰذِهِ النُّكْتَةِ ، وَتَأَمَّلْ حَـالَهُمْ ، وَٱنْتَبِهْ مِنْ رَقْدَتِكَ ، وَٱللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

(أ) القنوط : اليأس من رحمة الله .

[٩٤/ب]

فصـــل

(خلاصة العقبة الخامسة ، عقبة البواعث)

كرامات الأولياء

وَجُمْلَةُ الأَمْرِ أَنَّكَ إذَا تَـذَكَّرْتَ سَعَـةَ رَحْمَـةِ اللَّهِ التِي سَبَقَتْ غَضَبَـهُ وَوَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، ثُمَّ إنْ كُنْتَ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ المَرْحُومَةِ / الْكَـرِيمَةِ عَلَى [٧٣/أ] اللَّهِ تَعالى ، ثُمَّ غَايَة(أ) فَضْلِهِ الكريم ، وَكَمَـالَ جُودِهِ القـديم ،وَجَعَلَ(ب) عُنْوَانَ كِتَابِهِ إلَيْكَ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ثُمَّ كَثْرَةَ أَيَادِيهِ إلَيْكَ وَنِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، مِنْ غَيْرِ شَفِيعٍ أَوْ قَدَمٍ سَـابِقَةٍ لَـكَ ؛ وَتَذَكَّـرْتَ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، كمالَ جَلاَلِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَعِظَمَ سُلْطَانِهِ وَهَيْبَتَهُ ؛ ثُمَّ شِدَّةَ غَضَبِهِ الَّـذِي لَا تَقُومُ لَـهُ السَّمٰـوَاتُ وَالأَرْضُ ؛ ثُمَّ غَـايَـةَ غَفْلَتِـكَ وَكَثْـرَةَ ذُنُـوبِـكَ وَجَفْوَتِكَ ، مَعَ دِقَّةِ أَمْرِهِ وَخَطَرِ مُعَامَلَتِهِ ، في إحَاطَةِ عِلْمِهِ وَبَصَرِهِ بِـالْعُيُوبِ وَالْغُيُـوبِ ؛ ثِمَّ حُسْنَ وَعْدِهِ وَثَـوَابِهِ ؛ الَّـذي لَا يَبْلُغُ كُنْهَهُ الأَوْهَـامُ ، وَشِدَّةَ وَعِيدِهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ ، الذي لَا يَحْتَمِلُ ذِكْرَهُ الْقُلُوبُ ، تَارَةً تَنْظُرُ إلى فَضْلِهِ ، وَتَارَةً تَنْظُرُ إلى عَذَابِهِ ، وَتَـارَةً تَنْظُرُ إلى رَحْمَتِـهِ ، وَرَأفته ، وَتَـارَةً تَنْظُرُ إلى نَفْسِكَ في جَفَوَاتِهَا وَجِنَايَاتِهَا ، فَإذَا فَعَلْتَ تودي بِكَ جَمِيع ذٰلِكَ إلَى الْخَوْفِ وَالـرَّجَاءِ ، وَكُنْتَ قَـدْ سَلَكْتَ السَّـبِيـلَ الشَّـارِعَ الْقَصْدَ(ج)، وَعَـدَلْتَ عَن

(أ) أي ثم تذكرت غاية فضله الكريم .

(ب) أي وإنه جَعَلَ الآية الأولى في القرآن الكريم بسم الله الرحمن الرحيم .

(ج) السبيل الشارع القصد : أي الطريق الأعظم الوسط. راجع سورة النحل الآية ٩ .

الْجَانِبيْنِ الْمُهْلِكَيْنِ : الأَمْنِ وَالْيَأْسِ ؛ وَلاَ تَتيهُ فِيهِما مَعَ التَّائِهِينَ ، وَلاَ تَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ ؛ وَشَرِبْتَ الشَّرَابَ المَمْزُوجَ الْعَدْلَ ، فَلاَ تَهْلِكُ بِبُرُودَةِ الرَّجَاءِ الصِّـرْفِ ، وَلاَ بِحَرَارَةِ الْخَـوْفِ الصِّـرْفِ ؛ فكَـأَنِّي بِـكَ وَقَـدْ وَصَلْتَ إِلَى الْمَقْصُودِ غَانِماً ، وَشُفِيتَ مِنَ الْعِلَّتَيْنِ سَالِماً ، وَوَجَدْتَ النَّفْسَ قَـدِ آنْبَعَثَتْ لِلطَّاعَةِ ، وَدَانَتْ في الْخِدْمَةِ لَيْلاً وَنَهَاراً مِنْ غَيْرِ فَتْـرَةٍ وَلاَ غَفْـلَةٍ ، وَاجْتَنَبَتِ المَخَازِيَ وَالمَعَاصِيَ وَهَجَرْتَهَا بِمَرَّةٍ . كمَا قالَ نَوْفٌ(أ) : « إِنَّ نَوْفاً إِذَا ذَكَرَ الْجَنَّةَ طَالَ شَوْقُهُ ، وَإِذَا ذَكَرَ النَّارَ طَارَ نَوْمُهُ » . وَصِرْتَ حِينَئِذٍ مِنَ الأَصْفِيَاءِ الْـخَـواصِّ الْعَابِـدِينَ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ آللَّهُ تَعَـالى بِقَوْلِـهِ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُـوا يُسَـارِعُونَ في الْخَيْـرَاتِ وَيَدْعُـونَنَـا رَغَبـاً وَرَهَبـاً وَكَـانُـوا لَنَـا خَـاشِعِينَ ﴾ [الأنبيـاء : ٩٠] وَكُنْتَ قَدْ خَلَّفْتَ هٰـذِهِ الْعَقَبَةَ الْخَـطِيرَةَ بِـإِذْنِ اللَّهِ تَعالى وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ ، فَكَمْ لَكَ مِنْ حَلاَوَةٍ وَصَفْوَةٍ في الدُّنْيَا ، وَكَمْ لَكَ مِنْ ذُخْـرٍ كَرِيمٍ وَأَجْرٍ عَظِيمٍ في الْعُقْبَى ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مَسْؤُولٌ أَنْ يُمِدَّكَ وَإِيَّانَا بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَأَجْوَدُ الأَجْوَدِينَ ، وَلاَ حَوْلَ / وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . [٧٣/ب]

(أ) أي نوف البكالي (راجع ترجمته) .

العقبة السادسة وهي عقبة القوادح

القادح الأول : عدم الإخلاص لله تعالى

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي أَيَّدَكَ آللَّهُ وَإِيَّانَا بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ ، بَعْدَ مَا آسْتَبَانَ لَكَ السَّبِيلِ ، وَآسْتَقَامَ لَكَ المَسِيرُ ، بِتَمْيِيزِ سَعْيِكَ وَصِيَانَتِهِ عَمَّا يُفْسِدُهُ وَيُضَيِّعُهُ عَلَيْكَ ، وَإِنَّمَا (لَزِمَكَ)[1] ذَلِكَ بِإِقامةِ الإِخْلَاصِ وَذِكْرِ المِنَّةِ ، وَالاجْتِنَابِ عَنْ ضِدِّهِ لأَمْرَيْن :

فائدة الإخلاص

أَحَـدُهُمَا : لِمَـا في فِعْلِهِ مِنَ الْفَائِـدَةِ ، وَهو حُسْنُ القَبُـولِ مِنَ اللَّهِ تَعالى وَفَوْزُ الثَّوابِ عَلَيْهِ .

(والثاني : لما في تـركه من عقـوبة وخطر)[2] فَتَكُونُ مَـرْدُوداً ذاهِبَ الثَّوَابِ ، كُلًّا أَوْ بَعْضاً ، عَلَى مَا رُوِيَ في الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُـولُ : « أَنَا أَغْنَى الأَغْنِيَـاءِ عنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِـلَ عَمَلاً فَـأَشْـرَكَ فِيـهِ غَيْـرِي فَنَصِيبِي لَـهُ ، فَـإِنِّي لَا أَقْبَــلُ إِلَّا مَـا كَــانَ (لي)[3] خَالِصاً »[أ] .

وَقِيلَ : إن اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِعَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِذَا الْتَمَسَ ثَوَابَ عَمَلِهِ : « أَلَمْ يُوَسَّعْ لَكَ فِي المَجَالِسِ ؟ أَلَمْ تَكُنِ الرئيس في الدُّنْيَـا ؟ أَلَمْ يَرْخص

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٩٢ .

بَيْعُكَ وَشِراؤُكَ ؟ أَلَمْ تُكَرَّمْ ؟ »[أ] هٰذَا وَأَشْبَاهُهُ مِنَ الْخَطَرِ وَالضَّرَرِ .

خطر الرياء فضيحتان

قُلْتُ : وَمِنْ خَطَرِ الرِّيَاءِ فَضِيحَتَانِ وَمُصِيبَتَانِ :

أَمَّا **الْفَضِيحَتَانِ** : **فَإِحْدَاهُمَا** فَضِيحَةُ السِّرِّ ، وَهِيَ اللَّوْمُ عَلَى رُؤُوسِ الْمَلاَئِكَةِ ، وَذٰلِكَ لِمَا رُوِيَ أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَصْعَدُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مجتهدين ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : « رُدُّوهُ إِلَى سِجِّينٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهِ »[ب] ، فَيَفْتَضِحُ ذٰلِكَ الْعَمَلُ وَالْعَبْدُ .

وَالثَّانِيَةُ : فَضِيحَةُ الْعَلاَنِيَةِ ، وَهِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ .

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّ الْمُرَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنَادَى بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ : يَا كَافِرُ ، يَا فَاجِرُ ، يَا غَادِرُ ، يَا خَاسِرُ ، ضَلَّ سَعْيُكَ ، وَبَطَلَ أَجْرُكَ ، فَلاَ خَلاَقَ لَكَ ، الْيَوْمَ الْتَمِسِ الأَجْرَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ يَا مُخَادِعُ »[ج] وَرُوِيَ أَنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُسْمِعُ الْخَلاَئِقَ : «أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ النَّاسَ ؟ خُذُوا أُجُورَكُمْ مِمَّنْ كُنتم عَمِلْتُمْ لَهُ ، فَإِنِّي لاَ أَقْبَلُ عَمَلاً خَالَطَهُ شَيْءٌ »[د] .

مصيبتان

وَأَمَّا الْمُصِيبَتَانِ فَإِحْدَاهُمَا : **فَوَاتُ الْجَنَّةِ** ؛ وَذٰلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّ الْجَنَّةَ تَكَلَّمَتْ وَقَالَتْ : أَنَا حَرَامٌ عَلَى كُلِّ بَخِيلٍ وَمُرَاءٍ »[هـ] وَالْخَبَرُ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ :

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ٩٣.

(ب) راجع تخريج الحديث رقم : ٩٤ .

(ج) راجع تخريج الحديث رقم : ٩٥ .

(د) راجع تخريج الحديث رقم : ٩٦ .

(هـ) راجع تخريج الحديث رقم: ٩٧.

أَحَدُهُمَا : أَنَّ هٰـذَا الْبَخِيلَ مَنْ يَبْخَـلُ بأقبح بخل ، وَهُـوَ قَوْلُ : لاَ إلٰهِ / إلاَّ آللَّهُ[1] ، مُحمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ؛ وَهٰذَا المُرَائِي مَنْ يُرَائِي بِأَقْبَحِ رِيَاءٍ ، [٧٤/ب] وَهُوَ المُنَافِقُ الّذِي يُرَائِي بِإِيمَانِهِ وَتَوْحِيدِهِ . وَفي هٰذَا الْقَوْلِ تَرْجِيَةٌ .

وَالثَّانِي : مَنْ لَمْ يَنْتَهِ عنِ الْبُخْلِ وَالرِّيَاءِ ، وَلَمْ يُرَاعِ نَفْسَـهُ ، فَفِيهِ خَـطَرَانِ : (أحدهمـا أن)[2] يَلْحَقَهُ شُؤْمُ ذٰلِـكَ ، فَيَقَعُ في الْكُفْـرِ ، فَتَفُوتُـه آلْجَنَّةُ رَأْساً وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ؛ (وَالآخَرُ سَلْبُ الإِيمَان ؛ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ النارَ . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُخْطِهِ وَشَدِيدِ غَضَبِهِ)[3] .

وَالمُصِيبَةُ الثَّانِيَة : دُخُولُ النَّار ، وَذٰلِكَ لِما رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ : « أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيامَةِ رَجُلٌ قَدْ جَمعَ الْقُرْآنَ ، وَرَجـلٌ قَاتَـلَ فِي سَبِيـلِ اللَّهِ ، وَرَجُـلٌ كَثِيـرُ المَـالِ ، فَيَقُـولُ آللَّهُ تَعَـالى لِلْقَارِىءِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: مَـاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ فَيَقُـولُ : يَا رَبِّ قُمْتُ بِـهِ آنَـاءَ اللَّيْـلِ وَأَطْـرَافَ النَّهَار ، فَيَقُولُ آللَّـهُ عَزَّ وجلّ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ : كَذَبْتَ ، ويقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالى : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فَلاَنٌ قارِىءٌ ، وَقَدْ قِيـلَ ذٰلِكَ . وَيُـؤْتَى بِصَـاحِبِ المَـالِ فَيَقُـولُ لَـهُ : أَلَمْ أُوَسِّـعْ[4] عَلَيْـكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْـكَ تَحْتَـاجُ إِلَى أَحَـدٍ ؟ فَيَقُـولُ : بَلَى يَـا ربِّ ، فَـيَقُـولُ : مـاذَا عَمِلْتَ فِيمَـا آتَيْتُكَ ؟ فَيَقولُ : كُنْـتُ أَصِـلُ بِـهِ الـرّحِم وأَتَصَـدَّقُ ، فَيَقُـولُ اللَّهُ[5] : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فلانٌ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذٰلِكَ . وَيُؤْتَى بِالَّـذي قُتِلَ فِي سَبِيـلَ اللَّهِ ، فَيَقُولُ: مَا فَعَلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالى : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ : كَذَبْتَ ، بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَـالَ فُلاَنٌ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذٰلِكَ . ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ عَلَى رُكْبَتِي ،

وَقالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ : أُولئِكَ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ يُسْعَرُ بِهِمْ نَارُ جَهَنَّمَ »[أ] .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ النَّارَ وَأَهْلَهَا يَعُجُّونَ مِنْ أَهْلِ الرِّيَاءِ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَعُجُّ النَّارُ ؟ قَالَ : مِنْ حَرِّ النَّارِ الَّتِي يُعَذَّبُونَ بِهَا »[ب] وَفِي هٰذِهِ الْفَضَائِح عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَبْصَارِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّ الْهِدَايَةِ بِفَضْلِهِ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَأَخْبِرْنَا عَنْ حَقِيقَةِ الإِخْلَاصِ وَالرِّيَاءِ وَحُكْمِهِمَا وَتَأْثِيرِهِمَا فِي الْعَمَلِ .

حقيقة الإخلاص

فَٱعْلَمْ أَنَّ الإِخْلَاصَ عِنْدَ عُلَمَائِنَا إِخْلَاصَانِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ ، وَإِخْلَاصُ طَلَبِ الأَجْرِ :

[٧٤/أ]

١ ـ فَأَمَّا **إِخْلَاصُ الْعَمَلِ** ، فَهُوَ / إِرَادَةُ التَّقَرُّبِ إِلى اللَّهِ تعالى وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ ، وَإِجَابَةُ دعوته ؛ وَالبَاعِثُ عَلَيْهِ هو الإِعْتِقَادُ الصَّحِيحُ .

النّفاق

وَضِدُّ هٰذَا الإِخْلَاصِ **النِّفَاقُ** ، وَهُوَ التَّقَرُّبُ إِلى من دُونَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتعالى . وَقَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ : النِّفَاقُ هُوَ الإِعْتِقَادُ الْفَاسِدُ الَّذِي هُوَ لِلْمُنَافِقِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ قَبِيلِ الإِرَادَاتِ لِعِلَّةٍ ذَكَرْنَاهَا فِي مَوْضِعِهَا .

٢ ـ وأَمَّا **إِخْلَاصُ طَلَبِ الأَجْرِ** ؛ فَهُوَ إِرَادَةُ نَفْعِ الآخِرَةِ بِعَمَلِ الْخَيْرِ . وَكَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ آللَّهُ يَقُولُ : إِنَّهُ إِرَادَةُ نَفْعِ الآخِرَةِ بِخَيْرٍ ، لَمْ يُرَدْ رَدًّا يَتَعَذَّرُ خَيْرُهُ ، بِحَيْثُ تُرْجَى بِهِ تِلْكَ الْمَنْفَعَةُ . وَقَدْ شَرَحْنَا هٰذِهِ الشَّرَائِطَ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ٩٨ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ٩٩ .

وَقالَ الْحَوَارِيُّونَ[أ] لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا الْخَالِصُ مِنَ الأَعْمَالِ ؟ قَالَ: الَّذي تَعْملهُ لِلَّهِ تَعالى وَلا يَجبُ أَنْ يَحْمَدَك عَلَيْهِ أَحَدٌ؛ وَهَذَا تَعَرُّضٌ لِتَرْكِ الرِّيَاءِ ، وَإِنَّمَا خَصَّهُ بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ أَقْوَى الأَسْبَابِ المُشَوِّشَةِ لِلإِخْلَاصِ .

وَقَالَ الْجُنَيْدُ : الإِخْلَاصُ تَصْفِيَةُ الأَعْمَالِ مِنَ الكُدُورَاتِ . وقَالَ الْفُضَيْلُ : الإِخْلَاصُ دَوَامُ المُرَاقَبَةِ وَنِسْيَانُ الْحُظُوظِ كُلِّهَا ، وَهٰذَا هُوَ الْبَيَانُ الْكَامِلُ .

وَالأَقاوِيلُ في هٰذَا كَثِيرَة ، فَلَا فَائِدَةَ في تَكْثِيرِ النَّقْلِ بَعْدُ انْكِشَافِ الْحَقَائِقِ؛ وَقَدْ قَالَ سَيِّدُ المرسلين الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ محمد ﷺ ، إِذْ سُئِلَ عَنِ الإِخْلَاصِ فَقَالَ: «تَقُولُ رَبِّي اللَّهُ ثُم تَسْتَقِيمُ كَمَا أُمِرْتَ»[ب] أَيْ لَا تَعْبُدْ هَوَاكَ وَنَفْسَكَ ، وَلاَ تَعْبُدْ إِلاَّ رَبَّكَ ، وَتَسْتَقِيمُ في عِبَادَتِك كَمَا أُمِرْتَ . وَهٰذِهِ إِشَارَةٌ إِلى قَطْعِ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ عَنْ مَجْرَى النَّظَرِ ، وَهُوَ الإِخْلَاصُ حَقًّا .

الرياء ونوعاه

وضِدُّ الإِخْلَاصِ الرِّيَاءُ[ج] ، وَهُوَ إِرَادَةُ نَفْعِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ .

ثُمَّ الرِّيَاءُ ضَرْبَان : رِيَاءُ مَحْضٌ ، وَرِيَاءُ تَخْلِيطٍ .

فَالْمَحْضُ : أَنْ تُرِيدَ بِهِ نَفْعَ الدُّنْيا لَا غَيْرُ ، **وَالتَّخْلِيطُ** : أَنْ تُرِيدَهُمَا جَمِيعاً ، نَفْعَ الدُّنْيَا وَنَفْعَ الآخِرَةِ ، هٰذَا حَدُّهُمَا .

(أ) الحواريون : جمع حواريّ ، وحواريّ الرجل : خالصته. وهو من الحَوَرْ أي البياض الخالص ، سُمّي به أصحاب عيسى ابن مريم عليه السلام لخلوص نيّتهم ونقاء سريرتهم .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ١٠٠ .

(ج) يلاحظ هنا الفرق بين الرياء والاخلاص ، والنفاق والاخلاص، فالنفاق اعتقاد والرياء عمل .

وَأَمَّا تَأْثِيرُهُمَا : فَإِنْ إِخْلَاصَ الْعَمَلِ أَنْ تَجْعَلَ الْفِعْلَ قُرْبَةً ، وإِخْلَاصُ طَلَبِ الْأَجْرِ أَنْ تَجْعَلَهُ مَقْبُولاً وَافِرَ الْأَجْرِ وَالتَّعْظِيمِ .

وَالنِّفَاقُ يُحْبِطُ الْعَمَلَ وَيُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ قُرْبَةً ، مُسْتَحقًّا عَلَيْهِ الثَّوَابُ بِالْوَعْدِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

فالرِّيَاءُ المَحْضُ لَا يَكُونُ مِنَ الْعَارِفِ ، عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ ، وَإِنْ كَانَ أَبْطَلَ لِنِصْفِ الثَّوَابِ / وَعِنْدَ بعضهم قَدْ يَكُونُ الرِّيَاءُ المحْضُ مِنَ الْعَارِفِ ، وَأَنَّهُ يَذْهَبُ بِنِصْفِ الأَضْعَافِ . وَالتَّخْلِيطُ يَذْهَبُ بِرُبْعِ الأَضْعَافِ .

[٧٥/أ]

وَالصَّحِيحُ عِنْدَ شَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ ، أَنَّ الرِّيَاءَ المَحْضَ لَا يَكُونُ مِنَ الْعَارِفِ مع تَذَكُّره الآخِرَةِ ، وَيَكُونُ مَعَ السَّهْوِ .

وَالمُخْتَارُ أَنَّ مِنْ تَأْثِيرِ الرِّيَاءِ رَفْعُ الْقَبُولِ وَالنُّقْصَانِ في الثَّوَابِ ، وَلَا تَقْدِيرَ لَه بِنِصْفٍ وَلا بِرُبْعٍ ، وَشَرْحُ هٰذِهِ المَسَائِلِ يَطُولُ ، وَقَدْ شَرَحْنَا في كِتَابِ : « إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » شَرْحاً مُسْتَقْصِياً ، وَأَشْبَعْنَا الْقَوْلَ « فِي أَسْرَارِ مُعَامَلَاتِ الدِّينِ » .

تأثير الرياء

فإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَوْضِعُ الْإِخْلَاصِ ، وَفي أَيِّ طَاعَةٍ يَقَعُ وَيَجِبُ ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ الأَعْمَالَ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

موضع الإخلاص

- قِسْمٌ يَقَعُ فِيهِ الْإِخْلَاصَان جَمِيعاً وَهُوَ الْعِبَادَاتُ الظَّاهِرَةُ الأَصْلِيَّةُ .

- وَقِسْمٌ لَا يَقَعُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُمَا ، وَهُوَ الأَعْمَالُ الْبَاطِنَةُ الأَصْلِيَّةُ .

- وَقِسْمٌ يَقَعُ فِيهِ إِخْلَاصُ طَلَبِ الأَجْرِ دُونَ إِخْلَاصِ الْعَمَلِ ، وَهُوَ المُبَاحَاتُ المَأْخُوذَةُ لِلعُدَّةِ .

قالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنّ كُلَّ عَمَلٍ يَحْتَمِلُ الصَّرْفَ إلى غَيْرِ اللَّهِ مِنَ

الْعِبَادَاتِ الأَصْلِيَّةِ يَقَعُ فِيهِ إِخلاَصُ الْعَمَلِ ، وَالْعِبَادَاتُ الْبَاطِنَةُ أَكْثَرُهَا يَقَعُ فِيهَا إِخْلاَصُ الْعَمَلِ .

٢ ـ وَأَمَّا إِخْلاَصُ طَلَبِ **الأَجْرِ** : قالَ مَشَايِخُ الْكَرَّامِيَّةِ :[أ] لاَ يَقَعُ فِي الْعِبَادَاتِ الْبَاطِنَةِ ، إِذْ لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ فَامْتَنَعَ مِنها دَوَاعِي الرِّيَاءِ ، فَلَمْ يُحْتَجْ إِلى إِخْلاَصِ طَلَبِ الأَجْرِ . وَكَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : إِذَا أَرَادَ مريدٌ مِنَ اللَّهِ تعالى بِالْعِبَادَاتِ الْبَاطِنَةِ نَفْعَ الدُّنْيَا فَهُوَ أَيْضاً رِيَاءٌ .

قُلْتُ أَنَا: وَلاَ يَبْعُدُ إِذَنْ أَنْ يَقَعَ في كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْبَاطِنَةِ الإِخْلاَصَانِ ، وَكَذٰلِكَ في النَّوَافِلِ ، يَجِبُ فِيهَا الإِخْلاَصَانِ جَمِيعاً عِنْدَ الشُّرُوعِ (فيها)[١] .

وَأَمَّا المُبَاحَاتُ المَأْخُوذَةُ لِلعُدَّةِ ، (فإنمَا)[٢] يَقَعُ فِيهَا إِخْلاَصُ طَلَبِ الأَجْرِ دونَ إِخْلاَصِ العَمَلِ ، إِذْ هِيَ لاَ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ بِنَفْسِهَا قُرْبَةً بَلْ هِيَ عُدَّةٌ عَلَى الْقُرْبَةِ .

فَإِنْ قُلْتَ : هٰذَا مَوْضِعُهُمَا ، فَبَيِّنْ لَنَا وَقْتَهُمَا مِنَ الْعَمَلِ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ إِخلاَصَ الْعَمَلِ مَعَ الْفِعْلِ يُقَارِنُهُ لاَ مَحَالَةَ وَلاَ يَتَأَخَّرُ عَنْهُ ، وَأَمَّا إِخْلاَصُ طَلَبِ الأَجْرِ ، فَرُبَّما يَتَأَخرُ عَنْهُ ، وَعِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاء يَعْتَبِرُونَ فِيهِ وَقْتَ الْفَرَاغِ مِنَ الْعَمَلِ ، فَإِذَا فَرَغَ عَلَى إِخْلاَصٍ أَوْ رِيَاءٍ فَقَدِ انْقَضَى الأَمْرِ ، وَلاَ يُمْكِنُهُ اسْتِدْرَاكَهُ بَعْدُ . وَعِنْدَ/ عَبْدانَ مِنْ المَشَايِخِ الْكَرَّامِيَّةِ : مَا لَمْ يَنَلِ المَنْفَعَةَ المَطْلُوبَةَ بِالرِّيَاءِ ، يُمْكِنُهُ إِقَامَةُ الإِخْلاَصِ في ذٰلِكَ الْعَملِ ، فَإِذَا نَالَ المَطْلُوبَ فَقَدْ فاتَ . [٧٥/ب]

(أ) الكرامية : فرقة من المشبّهة ، أصحاب عبد الله محمد بن كرام .

وَقالَ بَعْضُ الْعُلَماءِ : إنّ الْفَرِيضَةَ يُمْكِنُ إقَـامَةُ ٱلإخْـلاَصِ فِيهَا إلَى المَـوْتِ ،وَأَمَّا النَّوَافِلُ فَـلاَ سَبِيلَ إلى ذٰلِـكَ . قالَ : وَالْفَـرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الله أَدْخَلَ الْعَبْدَ في الْفَرِيضَةِ ، فَمَأْمُولٌ مِنْهُ التَّفَضُّلُ وَالتَّيْسِيرُ فِيهَا ؛ وَأَمَّـا النَّفْلُ فَالْعَبْدُ الَّذِي أدْخَلَ فِيهِ نَفْسَهُ وَتَكَلَّفَهُ ، فَطُولِبَ بِحَقِّ مَا تَكَلَّفَه .

قُلْتُ : وَفي هَذهِ المَسْئَلَةِ فائِـدَة ، وَهِيَ أنَّ مَنْ سَبَقَ مِنْهُ الـرِّيَاء ، أوْ تَرَكَ ٱلإخْلاَصَ في عَمَلٍ ، فَيُمْكِنُهُ ٱسْتِدْرَاكُ ذٰلِكَ وَتَـلاَفِيهِ عَلَى أَحَدِ ٱلْوُجُوهِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا . وَالمَقْصُودُ مِنْ نَقْلِ مَذَاهِبِ النَّاسِ في هٰذِهِ الـدَّقائِقِ ، عِلْمُنَـا الآنَ بِقِلَّةِ الْعَـامِلِينَ وَقِلَّةِ الرَّغْبَـةِ في سُلُوكِ هٰذا الـطَّرِيقِ ، وَالتَّقْـرِيبُ عَلَى الْمُبْتَدِيءُ في الْعِبَادَةِ، فَـإنْ لَمْ يَجِدْ لِعِلَّتِـهِ دَوَاءً في هٰذَا الْقَـوْلِ ، وَجَدَهُ في الآخَرِ لاِخْتِلاَفِ الأَعْرَاضِ وَعِلَلِ الأَعْمَالِ وَآفاتِهَا ، فَافْهَمْ رَاشِداً إنْ شَـاء الله .

فَإنْ قُلْتَ : أَكُلُّ عَمَلٍ يَحْتاجُ إلى إخْلاَصٍ مُفْرَدٍ ؟

[illegible]
الإخلاص في
الأعمال

فَاعْلَمْ أنّه قَدِ اخْتلَف في ذٰلِكَ، فَقِيلَ : إنَّهُ يَجِبُ لِكُـلِّ عَمَلٍ إخْـلاَصٌ مُفْرَدٌ ، وَقِيلَ : يَجوزُ تَنَاوُلُ الإخْـلاَصِ لِجُمْلَةٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ ، فَـالْعَمَلُ ذُو الأَرْكَـانَ كَالصَّـلاَةِ وَالْوُضُـوءِ يَكفِيهِمَا إخْلاَصٌ وَاحِـدٌ ، لِأَنَّ بَعْضَهَـا مُتَعَلِّقٌ بِبَعْضٍ صَلاَحاً وَفَسَاداً ، فَصَارَتْ كَشَيْءٍ وَاحِدٍ .

فَإنْ قُلْتَ : إنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ الْخَيْرَ مِنَ الله تَعَالى في ٱلدُّنْيَا وَلاَ يُرِيدُ مِنَ النَّاسِ شَيْئاً مِنْ مِدْحَةٍ أوْ سُمْعَةٍ أوْ مَنْفَعَةٍ ، أيَكُونُ ذٰلِكَ رِيَاءً ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ ذٰلِكَ مَحْضُ الرِّيَاء ، قالَ عُلَمَاؤُنَا رَحِمَهُمُ الله : الاِعْتِبَارُ في الرِّيَاء بِالْمُرَادِ، لاَ بِالَّذِي يُرِيدُ مِنْهُ ، فَإنْ كَـانَ مُرَادُكَ مِنْ عَمَـلِ الْخَيْرِ نَفْعـاً دُنْيَوِيّاً فَإنَّهُ رِيَاءٌ ، سَـوَاءٌ أَرَدْتَهُ مِنَ الله أوْ مِنَ النَّاسِ ، قالَ الله تَعالى : ﴿ مَنْ **كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ**

مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠] .

وَلَيْسَ الاعْتِبَارُ بِلَفْظَةِ الرِّيَاء وَٱشْتِقَاقِهَا مِنْ مَعْنَى الرُّؤْيَةِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هٰذِهِ ٱلإِرَادَةُ الْفَاسِدَةُ بِهٰذَا الاِسْمِ لِأَنَّهَا أَكْثَرُ مَا تَقَعُ . وَتَكُونُ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ وَرُؤْيَتِهِمْ ، فَافْهَمْ .

فَإِنْ / قُلْتَ : إِذَا كَانَ الْقَصْدُ فِي الدُّنْيَا الَّتِي يُرِيدُهَا مِنَ الله تَعَالى التَّعَفُّفَ عَنِ النَّاسِ ، وَالْعُدَّةَ عَلَى عِبَادَةِ آلله تَعَالى أَيَكُونُ ذٰلِكَ رِيَاءً ؟ . [٧٦/أ]

فَاعْلَمْ أَنَّ التَّعَفُّفَ لَيْسَ فِي كَثْرَةِ المَالِ وَالْجَاهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْقَنَاعَةِ وَالثِّقَةِ بِكِفَايَةِ الله تَعَالى .

وَأَمَّا الْعُدَّةُ عَلَى عِبَادَةِ الله سُبْحانَهُ ، فَإِذَا كانَ مُرَادُهُ ذٰلِكَ ، فَلاَ يَكُونُ رِيَاءً، وَكذٰلِكَ مَا يَتَّصِلُ بِأَمْرِ الآخِرَةِ وَأَسْبَابِها، وَيَصِيرُ لُطْفاً لِذٰلِكَ، فَإِنْ أُرِيدَ بِعَمَلِ الْخَيْرِ هٰذَا النَّوْعُ فَلاَ تَكُونُ تِلْكَ ٱلإِرَادَةُ رِيَاء ، لأنَّ هٰذِهِ الأُمُورَ (تَصِيرُ)[1] بِتِلْكَ النِّيَّةِ خَيْراً ، وَتَصِيرُ فِي حُكْمِ أَعْمَالِ الآخِرَةِ ، وَلاَ تَكُونُ إِرَادَةُ الْخَيْرِ رِيَاء .

وَكَذٰلِكَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ تَعْظِيمٌ عِنْدَ النَّاسِ ، أَوْ مَحَبَّةٌ عِنْدَ المَشَايِخِ وَٱلأَئِمَّةِ ، يَكُونُ قَصْدُكَ مِنْ ذٰلِكَ التَّمَكُّنَ مِنْ تَأْيِيدِ مَذْهَبِ الْحَقِّ والرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ ،والنَّشْرَ لِلْعِلْمِ أَوْ حَضَّ النَّاسِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَنَحْوَ ذٰلِكَ ، دُونَ أَنْ تَقْصِدَ بِذٰلِكَ شَرَفَ نَفْسِكَ ، مِنْ حَيْثُ هِيَ أَوْ دُنْيَا تَنَالَهَا ، فَإِنَّ هٰذِهِ كُلَّهَا إِرَادَات سَدِيدَةٌ وَنِيَّاتٌ مَحْمُودَةٌ ، لاَ يَدْخُلُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي بَابِ الرِّيَاء ، إِذِ المَقْصُودُ مِنْها أَمْرُ الآخِرَةِ بِالْحَقِيقَةِ .

وَٱعْلَمْ أَنِّي سَأَلْتُ بَعْضَ مَشَايِخِنَا عَمَّا يعتَادُهُ أولِيَاؤُنَا مِنْ قِرَاءةِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ فِي أَيَّامِ الْعُسْرَةِ ، أَلَيْسَ المُرَادُ بِذٰلِكَ أَنْ يَدْفَعَ الله تِلْكَ الشِّدَّةِ قراءة سورة الواقعة

عَنْهُمْ ، وَيُوَسِّعَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيا عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ ، فَكَيْفَ تَصِحُّ إرَادَةُ مَتَاعِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرةِ ؟ .

فَقالَ في جَوابِهِ رَحِمَهُ الله كَلاماً مَعْنَاهُ . أنَّ المُرَادَ منه أنْ يَرْزُقَهُمُ الله قَنَاعَةً أوْ قُوتاً يَكُونُ لَهُمْ عُدَّةً عَلى عِبَادَةِ الله تَعَالى وَقُوَّةً عَلى دَرْسِ الْعِلْمِ ؛ وَهٰذِهِ مِنْ جُمْلَةِ إرَادَاتِ الْخَيْرِ دُونَ الدُّنْيَا .

وَاعْلَمْ أنَّ هٰذِهِ السِّيرَةَ ، أعْنِي قِرَاءَةَ هٰذِهِ السُّورَةِ عِنْدَ الشِّدَّةِ في أمْرِ الرِّزْقِ وَالْخَصَاصَةِ[أ] ، إنَّمَا هُوَ شَيْء وَرَدَت بِهِ الأخْبَارُ المَأْثُورَة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ، وحَتَّى أنَّ ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، حِينَ عُوتِبَ في أمْرِ وَلَدِهِ ، إذْ لَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئاً ، قال : لَقَدْ خَلَّفْتُ لَهُمْ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ ، وَمِنْ ذٰلِكَ الأصْلِ في السَّنَةِ هٰذِهِ الْخَصْلَةُ في سِيَرَ عُلَمائِنا رَحِمَهُمُ الله ، وَإلاَّ فَلاَ مُبَالاَةَ بِحَمْدِالله /تَعَالى بِشِدَّةٍ في أمْرِ الدُّنْيَا [٧٦/ب] أوْ سَعَةٍ ، وَهُمُ الذِينَ يَغْتَنِمُونَ ضِيقَ الدُّنْيَا وَعُسْرَهَا ، وَيَتَغَالَونَ بِذٰلِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَيَعُدُّونَهُ مِنَ الله تَعَالى نِعمة عَظِيمَةً ، وَيَخَافُونَ إذَا بَدَا لَهُمْ سَعَةٌ مِنَ الدُّنْيَا ، الَّتِي لاَ يَعُدُّهَا أكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ الإِحْسَانَ وَالنِّعْمَةَ ، أنْ يَكُونَ ذٰلِكَ اسْتِدرَاجاً مِنَ الله تَعَالى وَمُصِيبَةً ؛ كَيْفَ وَبِطَانَتُهُمُ الأسْفَارُ وَالطَّيُّ[ب] في عُمُومِ أحَوالِهِمْ ، وَمُقَدَّمُوهُمْ يَقُولُونَ : الْجُوعُ رَأْسُ مَالِنَا ، فَهٰذَا وَضْعُ مَذْهَبِ أهْلِ التَّصَوُّفِ وَهُوَ مَذْهَبِي وَمَذْهَبُ أشْيَاخِي ، وَبِذٰلِكَ جَرَتْ سِيرَةُ سَلَفِنَا .

وَأمَّا تَقْصِيرُ بَعْضِ المُتَأخِّرِينَ فَلاَ يُعْتَبَرُ بِهِ . وَإنَّمَا ذَكَرْنَا هٰذَا الْفَصْلَ لِئَلاَّ يَغْمِزَ فِيهِمْ مُخَالِفٌ ، جَهْلاً مِنْهُ بِمَقَاصِدِ الْقَوْمِ في أُمُورِهِم أوْ يَغْلَطُ منهم مُبْتَدِىءٌ سَلِيمُ الصَّدْرِ ، لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الْعِلْمِ حَقَّهُ بِأنَّ يَقول : كَيْفَ يَلِيقُ هٰذَا

(أ) الخصاصة : الحاجة .

(ب) الطيّ والطوى : الجوع .

بِحَالِ أَهْلِ العِلْمِ وَالتَّجَرُّدِ وَأَرْبَابِ الصَّبْرِ وَالرِّيَاضَة ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ مَأْخُوذٌ مِنَ السُّنَّةِ .

ثُمَّ المَقْصُودُ حُصُولُ الْقَنَاعَةِ وَالْعُدَّةُ ، لَا اتِّبَاعُ الشَّرَهِ وَالشَّهْوَةِ أَوِ الضَّعْفِ عَنِ احْتِمَالِ العُسْرَةِ وَالشِّدَّةِ وَأَكْثَرُ مَا تَرَى فِي عَقِيبِ ذٰلِكَ[أ] ، قَنَاعَةٌ فِي الْقَلْبِ وَفَقْدُ كَلْبِ الجُوعِ[ب] وَضَعْفُهُ ، وَسُلُوُّهُ عَنِ الطَّعَامِ وَنَهْمَتِهِ ، عَلِمَ ذٰلِكَ مَنِ امْتَحَنَهُ ، فَاعْلَمْ هٰذِهِ الجُمْلَةِ موفّقاً إن شاء الله تَعَالى .

(أ) عقيب ذلك : أي بعد قراءة سورة الواقعة .

(ب) كلب الجوع : الألم الذي يحدثه الجوع في المعدة .

القادح الثاني : العُجْب

لزوم اجتناب العجب لأمرين :

وَإِنَّما يَلْزَمُكَ آجْتِنَابُهُ لِأَمْرَيْن :

الأول : أَنَّهُ يَحْجُبُ عَنِ التَّوْفِيقِ وَالتَّأْيِيدِ مِنَ الله تَعَالى ، فَإِنَّ الْمُعْجِبَ مَخْذُولٌ ، فَإِذَا انْقَطَعَ عَنِ الْعَبْدِ التَّأْيِيدُ وَالتَّوْفِيقُ فما أَسْرَعَ ما يَهْلِكُ ولِذٰلِكَ قال ﷺ : « ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهوىً مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ المَـرْءِ بِنَفْسِهِ »[أ].

الثَّاني : أَنَّهُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ ، وَلِذٰلِكَ قالَ المَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا مَعْشَرَ الحَوَارِيِّينَ كَمْ مِنْ سِرَاجٍ قَدْ أَطْفَأَتْهُ الرِّيحُ ، وَكَمْ مِنْ عَابِدٍ قَدْ أَفْسَدَهُ الْعُجْبُ .

وَإِذَا كانَ المَقْصُودُ وَالْفَائِدَةُ الْعِبَـادَةَ ، وَهٰذِهِ الْخَصْلَةُ تَحْـرِمُ الْعَبْدَ حَتَّى لَا يَحْصُلَ لَهُ خَيْرٌ ، فَإِنْ حَصَلَ فَقَلِيلٌ مِنْ ذٰلِكَ[ب] يُفْسِدُهُ ، حَتَّى لَا يَبْقَى بِيَدِهِ شَيْء ، فَحَقِيقٌ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَيَتَحَفَّظُ ، وَالله تَعَالى وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ .

[٧٧/أ] فَإِنْ قلت : فما حَقِيقَةُ الْعُجْبِ وَمَا مَعْنَاهُ وَمَا تَأْثِيرُهُ وَحُكْمُـهُ / فَبَيِّنْ لَنَا ذٰلِكَ؟

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ١٠١ .

(ب) من ذلك : أي من العجب .

حقيقة العُجب

فَاعْلَمْ أنّ حَقِيقَةَ الْعُجْبِ اسْتِعْظَامُ الْعمَلِ الصَّالِحِ ، وَتَفْصِيلُهُ عِنْدَ عُلَمَائِنَا رَحِمَهُمُ الله ، ذِكْرُ الْعَبْدَ حُصُولَ شَرَفِ الْعَمَلِ بِشَيْءٍ دُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ أوِ النّاسِ أوِ النَّفْسِ [1]. قالوا : وَقَدْ يَكُونُ الْعُجْبُ مُثَلَّثاً ، بِأنْ يُذْكَرَ ذٰلِكَ مِنْ هٰذِهِ الثَّلاَثَةِ جَمِيعاً : النَّفْسُ وَالْخَلْقُ وَالشَّيْءِ جميعاً[أ] وَمُثَنًّى ، بِأَنْ يَذْكُرَهُ مِن اثْنَيْنِ ، وَمُوَحَّداً ، بِأَنْ يَذْكُرَهُ مِنْ وَاحِدٍ .

وَضِدُّ العُجْبِ ذِكْرُ المِنّةِ ، وَهُوَ أنْ يَذْكُرَ أنّهُ بِتَوْفِيقَ الله ، وَأَنَّهُ الَّذي شَرَّفَهُ وَعَظَّمَ ثَوَابَهُ وَقَدْرَهُ ، وَهٰذَا الذِّكْرُ فَرْضٌ عِنْدَ دَوَاعِي العُجْبِ ، نَفْلٌ في سَائِرِ الأَوْقَاتِ .

تأثير العجب

وَأمَّا تَأْثِيرُ الْعُجْبِ في الْعَمَلِ ، قالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الْمُعْجِبُ يَنْتَظِرُ الإِحْبَاطَ ، فَإنْ تابَ قَبْلَ مَوْتِهِ سَلِمَ وَإلاَّ أُحْبِطَ ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ صَابِرٍ مِنْ شُيُوخِ الْكَرَّامِيَّةِ . وَالإِحْبَاطُ عِنْدَهُ : أنْ يَذْهَبَ عَنِ العَمَلِ جَمِيعُ الأَسْمَاءِ الحَسَنَةِ حَتَّى لاَ يَسْتَحِقَّ بِذٰلِكَ ثَوَاباً وَلاَ مِدْحَةً أَلْبَتَّةَ ، وَفي قَوْلِ غَيْرِهِ : هُوَ ذَهَابُ الإِضْعَافِ لاَ غَيْرُ[ب] .

فَإنْ قُلْتَ : كَيْفَ يَلْتَبِسُ عَلَى الْعَبْدِ الْعَارِفِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ (الَّذي)[2] وَفَّقَ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَعَظَّمَ قَدْرَهُ وَأَكْثَرَ ثَوَابَه بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ هٰهُنَا نُكْتَةً لَطِيفَةً وَذَخِيرَةً شَرِيفَةً ، وَهِيَ أَنَّ **النّاسَ في الْعُجْبِ عَلى ثَلاَثَةُ أَصْنَافٍ** :

أصناف المعجبين

ـ صَنْفٌ هُمُ المُعْجبُونَ بِكُلِّ حَالٍ ، وَهُمُ المُعْتَزِلَةُ والقدريّة ، وَالذِينَ لاَ

(أ) كرر اللفظة ليشير إلى حصول هذه الثلاثة مجتمعة .

(ب) أي مضاعفة الأجر من عند الله ، كما جاء في قوله تعالى ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء** ﴾ سورة البقرة الآية ٢٦١ .

يَرَوْنَ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنَّةً في أَفْعَالِهِمْ ، وَيُنْكِرُونَ الْعَوْنَ والتَّوفِيقَ الخَاصَّ وَاللُّطْفَ ، وَذٰلِكَ لِشُبْهَةٍ آسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمْ .

ـ وَصِنْفٌ هُمُ الذَّاكِرُونَ المِنَّةَ بِكُلِّ حَالٍ ، وَهُمُ المُسْتَقِيمُونَ ، لَا يَعْجَبونَ بِشَيْءٍ مِنَ الأَعْمَالِ ، وَذٰلِكَ لِبَصِيرَةٍ أُكْرِمُوا بِهَا وَتَأْيِيدٍ خُصُّوا بِهِ .

ـ وَالثَّالِثُ هُمُ المُخَلِّطُونَ ، وَهُمْ عَامَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، تَارَةً ، يَنْتَبِهُونَ فَيَذْكُرُونَ مِنَّةَ اللَّهِ ، وَتَارَةً يَغْفُلُونَ فَيَعْجَبُونَ ، وذٰلِكَ لِمَكَانِ[1] الْغَفْلَةِ العَارِضَةِ وَالْفَتْرَةِ في الاِجْتِهَادِ[أ] ، وَالنَّقْصِ في الْبَصِيرَةِ .

المعتزلة والأفعال

فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ حَالُ الْقَدَرِيةِ وَالمُعْتَزِلَةِ فِي أَفْعَالِهِم ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ في ذٰلِكَ آخْتِلَافاً فَقِيلَ إِنَّهُ مُحْبِطٌ لِمَكَانِ آعْتِقَادِهِمْ ؛ وَقِيلَ : لَا يَحْبِطُ عَمَلٌ بِاعْتِقَادٍ في الجُمْلَةِ مِنْ فِرَقِ الإِسْلَامِ حَتَّى يَخُصَّ كُلَّ / عَمَلٍ بِإِعْجَابٍ ؛ كما أَنَّ اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّةِ لَا يَمْنَعُ الْعُجْبَ في كُلِّ عَمَلٍ ، حَتَّى يَخُصَّهُ بِذِكْرِ المِنَّةِ .

[٧٧/ب]

قوادح أخرى في العمل

فَإِنْ قِيلَ : فَهَلْ سِوَى الْعُجْبِ وَالرِّياءِ مِنْ قَادِحٍ في الْعَمَلِ ؟

قِيلَ لَهُ : أَجَلْ ، إِنَّ فِيهِ لَقَوَادِحَ سِوَاهُمَا ؛ لٰكِنَّا خَصَّصْنَاهُمَا بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهُمَا الأَصْلُ الذِي يَدُورُ عَلَيْهِمَا مُعْظَمُ الباب . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ المَشَايِخِ : إِنَّ حَقَّ الْعَبْدِ أَنْ يَتَحَفَّظَ في العَمَلِ مِنْ عَشَرَةِ أَشْيَاءٍ : النِّفَاقِ ، وَالرِّيَاءِ ، وَالتَّخْلِيطِ ، وَالمَنِّ ، وَالأَذى ، وَالنَّدَامَةِ ، والعُجْبِ ، وَالحَسْرَةِ ، وَالتَّهَاوُنِ ، وَخَوْفِ مَلَامَةِ النَّاسِ .

القوادح وأضدادها

ثُمَّ ذَكَرَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ ضِدَّ كُلِّ خَصْلَةٍ مِنْهَا وَإِضْرَارَهَا بِالعَمَلِ ؛

(أ) الفترة في الاجتهاد : الفتور والكسل في العبادة .

فَضِدُّ النِّفَاقِ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ ، وَضِدُّ الرِّيَاءِ إِخْلَاصُ طَلَبِ الأَجْرِ ، وَضِدُّ التَّخْلِيطِ التَّفْرِيدُ ، وَضِدُّ المَنِّ تَسْلِيمُ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ ، وَضِدُّ الأَذَى تَحْصِينُ العَمَلِ ، وَضِدُّ النَّدَامَةِ تَثْبِيتُ النَّفْسِ ، وَضِدُّ العُجْبِ ذِكْرُ المِنَّةِ ، وَضِدُّ الحَسْرَةِ آغْتِنَامُ الخَيْرِ ، وَضِدُّ التَّهَاوِنِ تَعْظِيمُ التَّوْفِيقِ ، وَضِدُّ خَوْفِ مَلَامَةِ النَّاسِ الخشية .

تأثير هذه القوادح

وَاعْلَمْ أَنَّ النِّفَاقَ يُحْبِطُ العَمَلَ ، وَالرِّيَاءَ يُوجِبُ رَدَّهُ ؛ وَالمَنَّ وَالأَذَى يُحْبِطَانِ الصَّدَقَةَ أَصْلاً في الوَقتِ[أ] وَعِندَ بَعْضِ المشايخِ يُبطِلَانِ أَضْعافَهَا[ب] . وَأَمَّا النَّدَامَةَ فَإِنَّهَا تُحْبِطُ الْعَمَلَ في قَوْلِهِمْ جَمِيعاً[ج] ؛ وَالعُجْبُ يُذْهِبُ أَضْعَافَ العَمَلِ ؛ وَالحَسْرَةُ وَالتَّهَاوُنُ وَخَوْفُ المَلَامَةِ تُخَفِّفُ الْعَمَلَ فَتُذْهِبُ رَزَانَتَهُ .

قُلْتُ : فَالقَبُولِ وَالرَّدُّ عِنْدَ أَهْلِ التَّحْصِيلِ ، يَرْجِعَانِ إِلى ضُرُوبٍ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالاسْتِخْفَافِ ، وَالإِحْبَاطُ إِبْطَالُ مَنَافِعَ تَكُونُ بِالْفِعْلِ وَبِسَبَبِهِ . ثُمَّ تَارَةً يَكُونُ إِبْطالاً للثَّوابِ وَأُخْرَى إِبْطَالاً لِلتَّضْعِيفِ . وَالثَّوابُ مَنْفَعَةٌ يَقْتَضِيهَا الفِعْلُ بِعَيْنِهِ وَقَرَائِنِهِ وَأَحْوَالِه ؛ وَالتَّضْعِيفُ زِيَادَةٌ عَلَى هٰذَا ؛ وَالرَّزَانَةُ زِيَادَةٌ تَحْصُلُ لِمُقْتَضَى قَرَائِنَ وَأَحْوَالٍ أُخَرَ ، كَالإِحْسَانِ إِلى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ ، ثُمَّ إِلى الوَالِدَيْنِ ، ثُمَّ إِلى نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ . فَفِي الشَّيْءِ يَكُونُ رَزَانَةً فَلَا يَكُونُ تَضْعِيفاً[د] . فَهٰذَا تَهذِيبُ مَا تَحَقَّقْتُ في هٰذِهِ المَعَانِي فَاعْلَمْ ذٰلِكَ وَبِاللَّهِ التَّوفِيقُ .

(أ) في الوقت : أي في الحال ، وفي الوقت نفسه الذي تُقَدَّم فيه الصدقة .

(ب) يبطلان أضعافها : أي يبطلان أجرها المضاعف .

(ج) قولهم جميعاً : أي قول جميع العلماء .

(د) يكون العطاء رزانة : أي ففي مثل هذا الشيء من الأعمال، يكون العطاء والثواب رزانة وليس تضعيفاً .

فصـــــل
(في الرياء والعُجْب وخطرهما)

فَعلَيْـكَ بِقَطْعِ هٰـذِهِ الْعَقَبَةِ المُخـوفَةِ ، ذَاتِ المَقَـاطِعِ وَالمَتَـالِفِ في غَايَةِ[1] التَّحَرُّزِ ، فَإِنَّ صَاحِبَ بِضَاعَـةِ الطَّاعـاتِ قَدْ قَـطَعَ تِلْكَ الْعَقَبَاتِ ، وَتَحَمَّـلَ تِلْكَ المَشَقَّاتِ ، حَتَّى حَصَلَتْ لَـهُ بِضَاعَـةٌ / مِنَ الْعِبَـادَةِ عَـزِيـزَةٌ شَرِيفَةٌ ، فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ عَلَى بِضَاعَتِهِ تِلْكَ ، إِلاَّ فِي هٰذِهِ الْعَقَبَةِ ، فَإِنَّ فِيهَـا مَقَاطِعَ يَحْذَرُ أَنْ تُسْلَبَ فِيهَا بِضَاعَتُهُ ، وَمَتَالِفَ يَحْذَرُ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ مِنْهَـا آفاتٌ تُفْسِدُ عَلَيْهِ طَاعَاتِـهِ . ثُمَّ أَعْظَمُهَـا خَطَراً وَأَعَمُّهَـا وُقُوعـاً ، هٰذَانِ الْقَـاطِعَانِ اللَّذَانِ هُمَا : الرِّيَاءُ وَالْعُجْبُ . فَلْنَذْكُرْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أُصُولاً مُقْنِعَةً ، نُجَرِّدُهَا لَكَ . لَعَلَّكَ تُكْفَى مُؤْنَتَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[٧٨/أ]

(أصـــول الـــريـــاء)

أما الرِّيَاءُ فَأَذْكُرُ فِيهِ أَوَّلاً :

عدم الصدق في العبودية

(**الأصـل الأول**) : قَـوْلُ اللَّهِ سُبْحَـانَـهُ : ﴿ **اللَّهُ الَّـذِي خَلَقَ سَبْـعَ سَمٰـوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْـرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً** ﴾ [الطلاق : ١٢] ، كَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى يَقُولُ : إِنِّي خَلَقْتُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ، في كُلِّ هٰذِهِ الصَّنَائِعِ وَالْبَـدَائِعِ ، وَاكْتَفَيْتُ بِنَـظَرِكَ لِتَعْلَمَ أَنِّي عَالِمٌ قَـادِرٌ وَأَنْتَ

تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، مَعَ مَا فِيهِمَا مِنَ المَعَايِبِ وَالتَّقْصِيرِ ، فَلَا تَكْتَفِي بِنَظَرِي إِلَيْكَ ، وَبِعِلْمِي بِكَ ، وَثَنَائِي عَلَيْكَ ، وَشُكْرِي لَكَ ، حَتَّى تُحِبَّ أَنْ يَعْلَمَ الْخَلْقُ لِيَمْدَحُوكَ بِذٰلِكَ ، أَيَكُونُ ذٰلِكَ وَفَاءً ؟ أَيَكُونُ ذٰلِكَ عَقلاً يَرْضَاهُ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ ؟ وَيْحَكَ أَفَلَا تَعْقِلُ ؟

إرادة الدنيا دون الآخرة

الأصلُ الثّاني : أَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفِيسٌ ، يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْخُذَ في ثَمَنِهِ أَلْفَ أَلْفَ دِينَارٍ فَبَاعَهُ بِفَلْسٍ ، أَلَيْسَ يَكُونُ ذٰلِكَ خُسْرَاناً عَظِيماً وَغُبْناً فَظِيعاً ، وَدلِيلاً بَيِّناً عَلَى خِسَّةِ الْهِمَّةِ ، وَقُصُورِ الْعِلْمِ ، وَضَعْفِ الرَّأْيِ وَقِلَّةِ الْعَقْلِ ؟ فَمَا يَنَالُهُ الْعَبْدُ بِعَمَلِهِ مِنَ الْخَلْقِ مِنْ مِدْحَةٍ وَحُطَامٍ ، بِالإِضَافَةِ(أ) إلى رِضَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشُكْرِهِ وَثَنَائِهِ وَثَوَابِهِ ، لَأَقَلُّ مِنْ فَلْسٍ فِي جَنْبِ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَضْعَافِ ذٰلِكَ ؛ بَلْ في جَنْبِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَأَكْثَرُ وَأَكْبَرُ . أَلَا يَكُونُ مِنَ الْخُسْرَانِ الْمُبِينِ ، أَنْ تُفَوِّتَ نَفْسَكَ تِلْكَ الْكَرَامَاتِ الْعَزِيزَةِ الشَّرِيفَةِ ، بِهٰذِهِ الأُمُورِ الْحَقِيرَةِ الدَّنِيَّةِ ؟ ثُمَّ إِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ مِنْ هٰذِهِ الْخَسِيسَةِ ، فَاقْصِدْ أَنْتَ الآخِرَةَ تَتْبَعْكَ الدُّنْيَا ، بَلِ اطْلُبِ الرَّبَّ وَحْدَهُ يُعْطِكَ الدَّارَيْنِ ، إِذْ هُوَ مَالِكُهُمَا جَمِيعاً ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [النساء : ١٣٤] ، وقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَيُعْطِي الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ ، وَلَا يُعْطِي الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيا »(ب) . فَإِذَا أَنْتَ أَخْلَصْتَ النِّيَّةَ ، وَجَرَّدْتَ الْهِمَّةَ لِلآخِرَةِ ، حَصَلَتْ لَكَ الآخِرَةُ وَالدُّنْيَا جَمِيعاً ؛ وَإِنْ أَنْتَ أَرَدْتَ الدُّنْيَا ذَهَبَتْ عَنْكَ الآخِرَةُ في / الْوَقْتِ(ج) ، وَرُبَّمَا لا تَنَالُ الدُّنْيَا كَمَا تُرِيدُ ، وَإِنْ نِلْتَهَا فَلَا تَبْقَى لَكَ ؛ فَتَكُونُ [٧٨/ب]

(أ) بالإضافة : تعني هنا بالمقارنة مع .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم : ١٠٢ .

(ج) في الوقت : أي في الحال .

قَدْ خَسِرْتَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ، فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الْعَاقِلُ .

العمل للمبغض لا للمحب

الأصلُ الثَّالِثُ : أَنَّ المَخْلُوقَ الَّذِي لِأَجْلِهِ تَعْمَلُ ، وَرِضَاهُ تَطْلُبُ ، لَوْ عَلِمَ أَنَّكَ تَعْمَلُ لِأَجْلِهِ لَأَبْغَضَكَ وَلَسَخِطَ عَلَيْكَ وَآسْتَهَانَ بِكَ[1] وَآسْتَخَفَّ بِكَ ، فَكَيْفَ يَعْمَلُ الْعَاقِلُ الْعَمَلَ لِأَجْلِ مَنْ لَوْ عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ يَطْلُبُ رِضَاهُ لَسَخِطَ عَلَيْهِ وَأَهَانَهُ ؟

فَآعْمَلْ يَا مِسْكِينُ لِأَجْلِ مَنْ إِذَا عَمِلْتَ لِأَجْلِهِ ، وَقَصَدْتَهُ بِسَعْيِكَ[2] ، وَطَلَبْتَ رِضَاهُ بِذٰلِكَ ، أَحَبَّكَ وَأَعْطَاكَ ، وَأَكْرَمَكَ حَتَّى أَرْضَاكَ وَأَغْنَاكَ وَكَفَاكَ . فَهٰذِهِ هٰذِهِ ، فَافْطُنْ لَهَا إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ .

العمل على كسب رضا الناس لا رضا الله

الأصلُ الرَّابِعُ : أَنْ مَنْ حَصَلَ لَهُ سَعْيٌ يُمْكِنُ أَنْ يَكْتَسِبَ بِهِ رِضَا أَعْظَمِ مَلِكٍ فِي الدُّنْيَا ، فَطَلَبَ بِهِ رِضَا كَنَّاسٍ خَسِيسٍ بَيْنَ النَّاسِ ، أَفَلَا يَكُونُ ذٰلِكَ دَلِيلاً عَلَى السَّفَهِ وَرَدَاءَةِ الرَّأْيِ مِنْهُ وَسُوءِ الْحَظِّ ، وَيُقَالُ : مَا حَاجَتُكَ إِلَى رِضَا هٰذَا الكَنَّاسِ مَعَ إِمْكَانِكَ مِنْ رِضَا المَلِكِ ؟ فَكَيْفَ وَقَدْ سَخِطَ الكَنَّاسُ عَلَيْكَ بِسَبَبِ سَخْطِ المَلِكِ؟ فَفَاتَكَ الْكُلُّ، فَهٰذا حَالُ المُرَائِي .

وَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى إِرْضَاءِ مَخْلُوقٍ حَقِيرٍ ضَعِيفٍ مَهِينٍ ، وَهُوَ مُتَمَكِّنٌ مِنْ تَحْصِيلِ رِضْوَانِ اللّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الْكَافِي عَنِ الْكُلِّ ؟

فَإِنْ ضَعُفَتِ الْهِمَّةُ ، وَكَلَّتِ الْبَصِيرَةُ ، حَتَّى طَلَبْتَ رِضَا مَخْلُوقٍ لَا مَحَالَةَ ، فَسَبِيلُكَ أَنْ تُجَرِّدَ إِرَادَتَكَ ، وَتُخْلِصَ سَعْيَكَ لِلّٰهِ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ وَالنَّوَاصِيَ بِيَدِهِ ، فَهُوَ يُمِيلُ إِلَيْكَ الْقُلُوبَ ، وَيَجْمَعُ لَكَ النُّفُوسَ ، وَيَشْحَنُ مِنْ حُبِّكَ الصُّدُورَ، فَتَنَالُ بِذٰلِكَ مَا لَا تَنَالُ بِجَهْدِكَ وَقَصْدِكَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، وَقَصَدْتَ بِعَمَلِكَ رِضَا المَخْلُوقِينَ دُونَهُ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّهُ يَصْرِفُ عَنْكَ الْقُلُوبَ ، وَيُنَفِّرُ عَنْكَ النُّفُوسَ ، وَيُسخِطُ عَلَيْكَ الْخَلْقَ[3] ، فَيَحْصُلُ لَكَ بِهٰذَا الأَمْرِ سَخَطُ اللّٰهِ وَسَخَطُ النَّاسِ جَمِيعاً ، فَيَا لَهُ مِنْ خُسْرَانٍ وَحِرْمَانٍ .

وَلَقَدْ ذُكِرَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَأَعْبُدَنَّ اللَّهَ عِبَادَةً أُذْكَرُ بِهَا ؛ فَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ المَسْجِدَ وَآخِرَ خَارِجٍ مِنْهُ ، لَا يَرَاهُ أَحَدٌ حِينَ الصَّلَاةِ إِلَّا قَائِماً يُصَلِّي ، وَصَائِماً لَا يُفْطِرُ ، وَيَجْلِسُ إِلَى حِلَقِ الذِّكْرِ ، فَلَبِثَ كَذَا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِقَوْمٍ إِلَّا قَالُوا : فَعَلَ اللَّهُ بِهٰذَا المُرَائِي وَصَنَعَ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ بِاللَّوْمِ ، وَقَالَ : أُرَانِي فِي غَيْرِ شَيْءٍ/ لَأَجْعَلَنَّ عَمَلِي كُلَّهُ لِلَّهِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ قَبْلَ ذٰلِكَ إِلَّا أَنَّهُ تَغَيَّرَتْ نِيَّتُهُ [٧٩/أ] إِلَى الْخَيْرِ ؛ فَكَانَ بَعْدَ ذٰلِكَ يَمُرُّ بِالنَّاسِ فَيَقُولُونَ : رَحِمَ اللَّهُ فُلَاناً ، الآنَ أَقْبَلَ عَلَى الْخَيْرِ ؛ ثُمَّ قَرَأَ الْحَسَنُ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً** ﴾ [مريم : ٩٦] قَالَ : يُحِبُّهُم وَيُحَبِّبُهُمْ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ .

وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ : [مجزوء البسيط] :

يَا مُبْتَغِي الْحَمْدَ وَالنَّوَالا ... فِي عَمَلٍ تَبْتَغِي مُحَالَا
قَدْ خَيَّبَ اللَّهُ ذَا رِيَاءٍ ... وَأَبْطَلَ السَّعْيَ وَالْكَلَالَا
مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبٍّ ... أَخْلَصَ مِنْ خَوْفِهِ الْفِعَالَا
اَلْخُلْدُ وَالنَّارُ فِي يَدَيْهِ ... فَرَائِهِ يُعْطِكَ النَّوَالَا
وَالنَّاسُ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً ... فَكَيْفَ رَاءَيْتَهُمْ ضَلَالَا

(أصول العُجْب)

وَأَمَّا الْعُجْبُ فَلْنَذْكُرْ فِيهِ أُصُولاً :

أن لا يرى الإنسان منّة الله عليه في تقدير عمله

أَحَدُهَا : أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ إِنَّمَا صَارَتْ لَهُ قِيمَةٌ لِمَا وَقَعَ مِنَ اللَّهِ مَوْقِعَ الرِّضَا وَالقَبُولِ ، وَإِلَّا فَتَرَى الأَجِيرَ يَعْمَلُ طُولَ النَّهَارِ بِدِرْهَمَيْنِ، وَالْحَارِسُ يَسْهَرُ طُولَ اللَّيْلِ بِدَانِقَيْنِ، وَكَذٰلِكَ أَصْحَابُ الصِّنَاعَاتِ وَالحِرَفِ كُلُّ

وَاحِدٍ يَعْمَلُ فِي اللَّيْلِ وَالنهارِ، فَيَكُونُ قِيمَةُ ذَلِكَ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةً. فَإِنْ صَرَفْتَ العَمَلَ إلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَصُمْتَ لِلَّهِ تَعَالَى يَوماً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمر: ١٠]، وَفي الْخَبَرِ: « أعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »[أ] فَهٰذَا يَوْمُكَ الَّذِي قِيمَتُهُ دِرْهَمَانِ ، مَعَ آحْتِمَالِ التَّعَبِ الْعَظِيمِ ، صَارَت لَهُ هٰذِهِ القِيمَةِ ، بِتَأْخِيرِ غَدَاءٍ إلى عَشَاءٍ . وَلَوْ قُمْتَ لَيْلَةً لِلَّهِ تَعَالَى ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] فَهٰذَا الَّذِي قِيمَتُهُ دَانِقَانِ ودِرْهَمَانِ صَارَت لَهُ هٰذِهِ الْقِيمَةِ وَالْقَدْرِ ؛ بَلْ جَعَلْتَ لِلَّهِ تَعَالَى سَاعَةً ، تُصَلِّي فِيهَا رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ، بَلْ نَفَساً قُلْتَ : لاَ إلٰهَ إلاَّ اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠] فَهٰذِهِ ساعَةٌ مِنْ أَنْفَاسِكَ الَّتِي لاَ قِيمَةَ لَهَا عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلاَ عِنْدَكَ، فَكَمْ تُضَيِّعُها فِي لا شَيْءٍ، وَكَمْ تَمُرُّ عَلَيْكَ بِلاَ فَائِدَةٍ،وَصَارَ لَهُ[ب] هٰذَا الْقَدْرِ الْعَظِيمِ لماذا ؟ لمَّا أَنَّهُ وَقَعَ مَرْضِيّاً لِلَّهِ تَعَالَى ، فَعَظَّمَ قَدْرَهُ وَكَبَّرَ قِيمَتَهُ بِفَضْلِهِ . فَحَقٌّ إِذَنْ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَرَى حَقَارَةَ عَمَلِهِ ، وَقِلَّةَ قَدْرِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ ، وَأَنْ لاَ يَرَى إلاَّ مِنَّةَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا شَرَّفَ مِنْ قَدْرِ عَمَلِهِ ، وَأَعْظَمَ مِنْ جَزَائِهِ ، وَأَنْ يَحْذَرَ عَلَى فِعْلِهِ مِنْ أَنْ يَقَعَ عَلَى وَجْهٍ لاَ يَصْلُحُ لِلَّهِ تَعالَى، وَلاَ يَقَعُ مِنْهُ مَوْقِعَ الرِّضا، وَيَذْهَبُ عَنْهُ الْقِيمَةُ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ ، فَيَعُودُ إلى مَا كَانَ فِي الأَصْلِ مِن الثَّمَنِ الْحَقِيرِ مِنْ دَرَاهِمَ أَوْ دَوَانِقَ ، وَأَحْقَرَ وَأَخَسَّ مِنْ ذٰلِكَ .

[٧٩/ب]

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ١٠٣ .

(ب) صار له : أي صار للعمل .

وَمِثالُهُ ، أَنَّ العُنقُودَ مِنَ العِنَبِ ، وَالإِضْبَارَةَ(أ) مِنَ الرَّيْحَانِ ، يَكُونُ قِيمَتُهُ في السُّوقِ دَانِقاً ، فَإِنْ أَهْدَاهُ وَاحِدٌ إلى مَلِكٍ من الملوكِ فَاستَحسنَهُ ، فَوَقَع مِنْهُ مَوْقِعَ الرِّضا فوهَبَ لَهُ عَلَى ذٰلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ لِما وَقَعَ من الملكِ مَوْقِعَ الرِّضا ، فَصَارَ مَا قِيمَتُهُ حَبَّةً بِأَلفِ دِينَارٍ ، فَإِذَا لَمْ يَرْضَهُ المَلِكُ ، وَرَدَّهُ عَلَيْهِ ، رَجَعَ إلى قِيمَتِهِ الخَسِيسَةِ مِنْ حَبَّةٍ أو دَانِقٍ(ب) ؛ فَكَذٰلِكَ مَا نَحْنُ فِيهِ فَتَنَبَّهْ وَأَبْصِرْ مِنَّةَ اللَّهِ وَصُنْ فِعْلَكَ عَمَّا يَشِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

نسيان فضل الله

الأَصْلُ الثَّانِي : مَا تَعْلَمُ أَنَّ المَلِكَ في الدُّنْيَا إِذَا أَجْرَى عَلَى أَحَدٍ جِرَايَةً ، مِنْ طَعَامٍ أَوْ كِسْوَةٍ أَوْ دَرَاهِمَ أَوْ دَنَانِيرَ مَعْدُودَةٍ فانِيَةٍ ، فَإِنَّهُ يَسْتَخْدِمُهُ بضروب الخدمة آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، مَعَ مَا في ذٰلِكَ مِنَ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ ، وَيَقُومُ عَلَى رَأسِهِ حَتَّى تُخَدَّرَ رِجْلاهُ ، وَيَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا رَكِبَ ، وَرُبَّمَا يَحْتاجُ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَابِهِ طُولَ اللَّيْلِ حَارِساً ؛ وَرُبَّمَا يَبْدُو لَهُ عَدُوٌّ ، فَيَحْتَاجُ أَنْ يُقَاتِلَ عَدُوَّهُ ، فَيَبْذُلَ رُوحَهُ الَّتِي لَا خَلَفَ عَنْهَا لِأَجْلِهِ ، وَيَحْتَمِلُ كُلَّ هٰذِهِ الْخِدْمَةِ وَالْكُلْفَةِ وَالضرَرِ ، لِأَجْلِ تِلْكَ المَنْفَعَةِ النَّكِدَةِ الْحَقِيرَةِ ، مَعَ أَنَّها بِالحَقِيقَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنَّما هُوَ(ج) بِمَنْزِلَةِ سَبَبٍ في ذٰلِكَ ، فَرَبُّكَ الَّذِي خَلَقَكَ وَلَمْ تَكُ شَيئاً ، ثُمَّ رَبَّاكَ فَأَحْسَنَ التَّرْبِيَةَ ، ثُمَّ أَنْعَمَ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ ، في دِينِكَ وَنَفْسِكَ وَدُنْيَاكَ ، مَا لَا يَبْلُغُ كُنْهَهَا فَهْمُكَ وَوَهْمُكَ ، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ / ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [٨٠/أ] [إبراهيم : ٣٤]، ثُمَّ إِنَّكَ تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مَعَ مَا فِيهِمَا مِنَ المَعَايِبِ وَالآفَاتِ ، وَمَعَ مَا وَعَدَ عَلَيْهِمَا في المُسْتَقْبَلِ مِنْ حُسْنِ الثَّوابِ وَضَرب من

(أ) الإضبارة من الريحان : المجموعة من غصون شجر الريحان .

(ب) الحبّة : أصغر وحدة من النقود ، والدانق : سدس الدرهم .

(ج) أي الملك .

الكَرَامَاتِ ، حَتَّى تَسْتَعْظِمَ ذٰلِكَ وَتَعْجَبَ ، فَلَيْسَ هـذا مِنْ شَأنِ عَـاقِلٍ إِذَا نَظَرْتَ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

قلة تقدير العبد لعظمة الله

وَالأَصْـلُ الثَّـالِـثُ : أَنَّ المَلِكَ الَّـذِي مِنْ شَأنِـهِ أَنْ تَخْـدُمَـهُ المُلُوكُ وَالأُمَرَاءُ، وَتَقُومَ عَلَى رَأسِهِ السَّادَاتُ وَالْعُـظَمَاءُ، وَيَتَـوَلَّى خِدْمَتَـهُ الأَلِبَّاءُ[١] وَالْحُكَمَـاءُ، وَيَطْلُبُ مِـدْحَتَهُ الْعُقَـلَاءُ وَالْعُلَمَاءُ، وَيَمْشِي بَيْنَ يَـدَيْهِ الأَكَـابِـرُ وَالرُّؤَسَاءُ، إِذَا أَذِنَ لِسُوقِيٍّ أَوْ قُرَوِيٍّ[٢]، بِمُقْتَضَى رَأْفَةٍ وَعِنَايَةٍ لَهُ ، فِي بَابِهِ حَتَّى زَاحَمَ أُولٰئِـكَ المُلُوكَ وَالسَّـادَاتِ وَالأَكَـابِـرَ والفضـلاء ، فِي خِـدْمَتِــهِ وَمِدْحَتِهِ ، وَيَجْعَلَ لَهُ مَقَاماً مِنْ حَضْـرَتِهِ مَعْلُومـاً، وَيَنْظُرَ إلى خِـدَمتِهِ بِعَيْنِ الرِّضا ، وَإِنْ كَانَتْ مُشَوَّشَةً مَعِيبَةً ، أَلَيْسَ يُقَـالُ لَهُ : لَقَـدْ كَبُرَتْ عَلَى هٰـذَا الْحَقِيرِ المِنَّةُ مِنَ المَلِكِ ، وَعَظُمَتْ عِنَايَتُهُ بِهِ ، فَـإِنْ أَخَذَ هٰـذَا الْحَقِيرُ يَمُنُّ عَلَى المَلِكِ بِتِلْكَ الْخِدْمَةِ المَعِيبَةِ ، وَيَسْتَعْظِمُ ذٰلِكَ وَيَعْجَبُ بِهِ ، أَلَا يُقَالُ : إِنَّ ذٰلِكَ لَسَفِيهٌ جِدًّا وَمَجْنُونٌ لَا يَعْقِلُ شَيئاً ؟

وَلَمَّـا تَقَرَّرَ هٰـذَا ، فَإِنَّ إِلٰهَنَـا سُبْحَانَـهُ ، هُوَ المَلِكُ الَّـذِي يُسَبِّحُ لَـهُ السَّمٰـوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْـدِهِ ، وَالمَعْبُودُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً .

فَمِنَ الْخَدَمِ عَلَى بَابِهِ جِبْرِيلُ الأَمِينُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَعِزْرَائِيلُ ، وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ وَالْكَرُوبِيُّونَ[أ] وَالرُّوحَانِيُّونَ ، وسَائِرُ المَـلَائِكَةِ المُقَـرَّبِينَ ، الَّـذِينَ لَا يُحْصِي عَـدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَـالَمِينَ ، فِي مَنَـازِلِهِمُ الـرَّفِيعَـةِ وَأَنْفُسِهِمُ الطَّاهِرَةِ وَعِبَادَاتِهِم الْعَظِيمَةِ .

(أ) الكَروبيّون : بفتح الكاف وتخفيف الراء ، هم سادات الملائكة ، وهم الذين حول العرش ، الطائفون به ، لُقّبوا بذلك لأنهم متصدّعون للدعاء ، برفع الكرب عن الأمة، وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

ثُمَّ مِنَ الَّـذِينَ خَـدَمَ عَلَى بَابِـهِ : آدَمُ وَنُــوحٌ وَإبـرَاهِيمُ وَمُــوسَى ، وَعِيسَى ، وَمُحَمَّدٌ خَيْرُ العَالَمِينَ ، مَعَ سَـائِرِ الأنْبِيَـاءِ وَالمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، في مَرَاتِبِهِمُ المُنِيفَةِ ، وَمَنَـاقِبِهُم العَزِيـزَةِ الشَّرِيفَـةِ ، وَمَقَامَاتِهِمُ الكَرِيمَةِ ، وعِبادَاتِهِمُ الْجَلِيلَةِ الخَطِيرَةِ .

ثُمَّ من الْعُلَمَاءُ الأَئِمَّةُ الأَبْرَارُ وَالزُّهَّـادُ في مَرَاتِبِهِمُ[1] (العـظيمة)[2] الْفَـاخِـرَةِ ، وَأَبْـدَانِهِمُ النَّقِيَّـةِ الـطَّاهِـرَةِ ، وَعِبَــادَاتِهِمُ الكَثِيـرَةِ الْخَــالِصَـةِ المُتَظَاهِرَةِ .

وَأَذَلُّ الْخَدَمِ عَلَى بَابِهِ / مُلُوكُ آلدُّنْيَـا وَجَبَابِـرَتُهَا ، يَخِـرُّونَ لَهُ عَلَى [٨٠/ب] الأذْقَـانِ سَاجِـدِينَ صَاغِـرِينَ ، وَيُعَفِّرُونَ الْـوُجُـوهَ في التُّـرَابِ خَـاضِعِينَ ، وَيَرْفَعُونَ إلَيْهِ حَوَائِجَهُمْ بَاكِينَ ضَارِعِينَ ، وَيَعْتَرِفُونَ لَهُ بِالْعُبُـودِيَّةِ وَلأَنْفُسِهِم بِالنَّقْصِ ، عانين صَـاغِرِينَ ، حَتَّى رُبَّمَـا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ نَـظْرَةً ، وَيَقْضِي لَهُمْ بِفَضْلِهِ حَاجَةً ، أَوْ يَتَجَاوَزُ عَنْهُم بِكَرَمِهِ زَلَّةً ؛ فَمَعَ هٰذِهِ الْعَظَمَةِ وَالجَلاَلِ ، وَالمُلْكِ وَالكَمَالِ ، قَدْ أَذِنَ لَـكَ في حَقَارَتِـكَ وَعُيُوبِـكَ ، وَأَنْتَ الَّذِي لَـو آسْتَـأْذَنْتَ عَلَى رَئِيسِ بَلَدِكَ ، فَـرُبَّمَــا لاَ يَـأذَنُ لَــكَ ، وَإنْ كَلَّمْتَ أَمِيـرَ نَاحِيَتِكَ ، فَرُبَّمَا لاَ يُكَلِّمُكَ ، وَإِنْ سَجَدْتَ لِسُلْطَانِ بَلَدِكَ بِالأرضِ ، فَرُبَّمَا لاَ يَلْتَفِـتُ إِلَيْكَ ، أَذِنَ لَكَ اللَّهُ جَلَّ جَلاَلُهُ حَتَّى تَعْبُدَهُ وَتُثْنِي عَلَيْهِ وَتُخَاطِبَهُ ، بَل تُدِلُّ عَلَيْه بِالْمَسْئَلَةِ وَتُبَاسِطُهُ ، فَتَسْتَقْضِيَهُ حَاجَتَكَ ، وَتَسْتَكْفِيَهُ مُهِمَّاتِكَ ، ثُمَّ إنَّهُ يَرْضَى رَكْعَتَيْكَ في مَعَايِبِهِمَا ، بَلْ يُعِدُّ مِنَ الثَّوَابِ عليهما مَا لاَ يَخْطُرُ بِقَلْبِ بَشَـرٍ ، وَأَنْتَ مَـعَ ذٰلِـكَ تَعْجَبُ بِهَـاتَيْنِ الـرَّكْعَتَيْنِ ، وَتَسْتَكْثِـرُ ذٰلِــكَ وَتَسْتَعْــظِمُـهُ ، وَلاَ تَـرَى مِنَّـةَ اللَّهِ عَلَيْــكَ فِي ذٰلِـكَ ؛ فَمَــا أَسْــوَأَكَ مِنْ عَبْدٍ ، وَمَا أَجْهَلَكَ مِنْ إِنْسَانٍ ، وَاللَّهُ تَعَالى المُسْتَعَانُ ، وَإِلَيْهِ المُشْتَكَى مِنْ هٰذِهِ النَّفْسِ الْجَاهِلَةِ وَعَلَيْهِ التُّكلانُ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

فصــــل
(في من يُعْجَبُ بِعمَلِهِ وَيَنْسى فضْلَ اللَّهِ عليهِ)

وَعَلَى وَجْـهٍ آخرَ ، المَلِكُ الْعَـظِيمُ إذَا أَذِنَ بإدْخَـالِ الْهَـدَايَـا إلَيْـهِ ، فَيَدْخُلُ بِحَضْرَتِهِ الأُمَرَاءُ وَالْكُبَراءُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالنُّبَلاَءُ وَالأغْنِيَاءُ ، بِأَنْوَاعِ الْهَدَايَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ وَالذَّخَائِرِ النَّفِيسَةِ وَالأَمْوَالِ الْجَلِيلَةِ ؛ فَإِنْ جَاءَ بَقَّالٌ بِبَاقَةِ بَقْـلٍ ، أَوْ قَرَوِيٌّ بِسَلَّةِ عِنَبٍ تُسَـاوِي دَانِقاً أَوْ حَبَّـةً ، فَيَدْخُـلُ في حَضْرَتِـهِ وَيُزَاحِمُ أُولَئِكَ الأكَابِرَ وَالأَغْنِيَاءَ بِهَدَايَـاهُمُ الكَثِيرَةِ الشَّـرِيفَةِ ، وَهٰـذَا المَلِكُ يَقْبَلُ مِنْ هٰذَا الْفَقِيرِ هدِيَّتَهُ وَيَنْظُرُ إلَيْهِ بِنَظَرِ القَبُولِ وَالرِّضَا ، وَيَأمُرُ لَهُ بِأَنْفَسِ خِلْعَةٍ وَكَرَامَةٍ ، أَلاَ يَكُونُ مِنْهُ ذٰلِكَ غَايَةَ الْفَضْـلِ وَالْكَرَمِ ؟ فَـإِنْ أَخَذَ هٰـذَا الْفَقِيـرُ يَمُنُّ بِذٰلِـكَ عَلَى المَلِكِ وَيُعْجَبُ بِهِ ، وَيَسْتَعْـظِمُهُ وَيَنْسَى ذِكْـرَ مِنَّـةِ المَلِكِ ، أَلاَ يُقَـالُ هٰذَا مَجْنُـونٌ مُضْطَرِبُ الْعَقْـلِ ، أَوْ سَفِيهٌ سَيِّىءُ الخلقِ عَظِيمُ الْجَهْلِ ؟ فَالآنَ إنَّكَ إذَا قُمْتَ لِلَّهِ لَيْلَةً وَصَلَّيْتَ رَكْعَاتٍ ، فَإذَا فَرَغْتَ فَتَفَكَّرْ كَمْ قَامَ لله سُبْحَانَهُ في هٰذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ الْخَدَمِ في / أَقْطَارِ الأرضِ بَرِّهَا [٨١/أ] وَبَحْرِهَا ، وَجِبَالِهَا وَبِلاَدِهَا ، مِنْ أَصْنَافِ المُسْتَقِيمِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالخَائِفِينَ وَالمُشْتَاقِينَ ، وَالمُجْتَهِدِينَ وَالمُتَضَـرِّعِينَ ، وَكَمْ حَضَرَتْ في هٰـذِهِ السَّاعَـةِ بِبَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ عِبَادَةٍ صَافِيَةٍ ، وَخِدْمَةٍ خَـالِصَةٍ ، عَنْ أَنْفُسٍ خَـاشِعَةٍ وأبدانٍ طَاهِرَةٍ ، وَعُيُونٍ بَاكِيَةٍ وقُلوبٍ عَامِرَةٍ وَصُـدُورٍ نَقِيَّةٍ ، وَأَرْكَـانٍ تَقِيَّةٍ . وَصَلاَتُكَ إنْ كُنتَ بَذَلْتَ المَجْهُودَ في تَحْسِينِهَا وَأَحْكَامِهَا وَإِصْلاَحِهَـا ، فَلاَ

تَكَـادُ تَصْلُحُ بِحضْرَةِ هـذَا المَلِكِ ، وَلاَ تَتَبَيَّنُ في جَنْبِ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تُعْـرَضُ هُنَالـك ؛ كَيْفَ وَقَدْ كَـانَتْ مِنْكَ عَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ (مُخْتَلِطٍ بِأَنْـواعِ العُيُـوبِ ، وَبَدَنٍ نَجِسٍ بِـأَقْـذَارِ الـذُّنُـوبِ ، وَلِسَـانٍ)[1] مُتَلَطِّخٍ بِـأَنْـوَاعِ المَعْصِيَـةِ وَالْفُضُولِ ؛ فَكَيْفَ يَصْلُحُ هـذَا أَنْ يُحْمَـلَ إلى تِلْكَ الحَضْـرَةِ ، وَكَيْفَ يَسْتَأهِلُ أن يُهْدَى إلى رَبِّ الْعِزَّةِ ؟

قَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ : آنْظُرْ أَيُّهَا الْعَاقِلُ ، هَلْ وَجَّهْتَ قَطّ صَلاَةً مِنْ صَلَوَاتِكَ إلى السَّمَاءِ ، كَمَائِدَةٍ بَعَثْتَهَا إلى بُيُوتِ الأغْنِيَاءِ ؟

وَكَانَ أَبُو بَكْر الوَرَّاقُ يَقُولُ : مَا فَـرغْتُ مِنْ صَلاَةٍ إلاَّ اسْتَحَيْتُ مِنْهَـا حِينَ فَرَغْتُ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ حياءِ آمْرَأةٍ فَرَغَتْ مِنَ الزِّنَا . ثُمَّ إنَّ الرَّبَّ الكَرِيمَ سُبْحَانَهُ ، بِمَحْضِ كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ ، عَظَّمَ قَدْرَ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ ، وَوَعَدَ عَلَيْهِمَا مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ مَا وَعَدَ ، وَأَنتَ عَبْدُهُ وَفي جِـرَايَتِهِ ، وَعَمِلْتَ مـا عَمِلْتَ بِتَوْفِيقِهِ وَتَيْسِيرِهِ ثم مَعَ ذٰلِكَ تَعْجَبُ بِذٰلِكَ وَتَنْسَى مِنَّةَ اللَّهِ عَلَيْكَ . هٰذَا وَاللَّهِ أَعْجَبُ الْعَجَبِ لاَ يَكَادُ يذهَبُ مِثْلُهُ إلاَّ عَنْ جَاهِلٍ لاَ فِكْـرَ لَهُ ، وَغَـافِلٍ لاَ ذِهْنَ لَهُ ، وَقَلْبٍ مَيِّتٍ خاوٍ لاَ خَيْرَ فِيهِ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ ، نَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ السلامة بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ .

فصـــل
(في الدعوة الى التيقُّظ من الغفلة لاجتياز عقبة القوادح)

ثُمَّ أَقُولُ بَعْدَ هٰـذِهِ الْجُمْلَةِ : تَيَقَّظْ مِنْ رَقْدَتِـكَ أَيُّهَا الـرَّجُلُ في هٰـذِهِ الْعَقَبَةِ وَإِلاَّ كُنْتَ مِنَ الخَاسِرِينَ ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ الْعَقَبَةَ أَشَدُّ وَأَشَقُّ وَأَمَرُّ وَأَضَرُّ عَقَبَةً آسْتَقْبَلَتْكَ في هٰذِهِ الطَّرِيقِ ، إِذْ إِلَيْهَا تَنْتَهِي ثَمَرَةُ كُلِّ مَا مَضَى مِنَ الْعَقَبَاتِ ؛ فَإِنْ سَلِمْتَ غَنِمْتَ وَرَبِحْتَ ، وَإِن كَانَتِ الأُخْرَى ، فَقَدْ ضَاعَ السَّعْيُ كُلُّهُ ، وَخَابَ الأَمَلُ ، وَبَطَلَ العُمْرُ .

ثُمَّ الشَّأْنُ كُلُّهُ أنْ قَدِ آجْتَمَعَ في هٰذِهِ الْعَقَبَةِ هٰهُنَا ثَلاَثَةُ أُمُورٍ هي : أَنَّ الأَمْرَ دَقِيقٌ جِدّاً ، وَالْغَبْنَ شَدِيدٌ ، وَالخَطَرَ عَظِيمٌ(١) .

دوافع التيقظ

(١) أَمَّا دِقَّةُ الأَمْرِ ، فَإِنَّ مَجَارِيَ الرِّيَـاءِ وَالْعُجْبِ فِي الأَعْمالِ دَقِيقَـةٌ خَفِيَّةٌ بِالْغَايَةِ، فَلاَ يَكَادُ يَتَنَبَّهُ/ لِذٰلِـكَ إلاَّ كُلُّ نِحْـرِيرٍ في أَمْـرِ الدِّينِ، بَصِيـرٍ يَقْظَانِ الْقَلْبِ مُتَحرِّزٍ، وَأَنَّى يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الجَاهِلُ اللَّعُوبُ، وَالْغَافِلُ النَّئُومُ؟ [٨١/ب]

حكاية عن عطاء السلمي

وَلَقَـدْ سَمِعْتُ بَعْضَ عُلَمَائِنَـا رَحِمَهُمُ اللَّهُ بِنَيْسَابُـور يَحْكِي أَنَّ عَطَاءً السُّلَمِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، نَسَجَ ثَوْباً فَأَحْكَمَهُ وَحَسَّنَهُ جِدّاً ، ثُمَّ حَمَلَهُ إلى السُّوقِ فَعَرَضَهُ فَآسْتَرْخَصَهُ البَزّازُ(أ) وَقَالَ : إنّ فِيهِ عُيُوباً كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ فَأَخَذَهُ عَطَاءٌ

(أ) البزّاز : صانع البزّ ، وهو الخياط .

وَجلَسَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيداً ، فَنَدِمَ الرَّجُلُ عَلى ذٰلِكَ ، وَجَعَلَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، وَيَبْذُلُ لَهُ في ثَمَنِهِ مَا يُرِيدُ ؛ فَقَالَ عَطَاءٌ : لَيْسَ ذٰلِكَ ما تَظُنُّ ، إِنَّمَا أَنَا عَامِلٌ في هٰذِهِ الصِّنَاعَةِ ، وَقَدِ آجْتَهَدْتُ في إِحْكَامِ هٰذَا الثَّوبِ وَإِصْلاَحِهِ وَتَحْسِينِهِ ، حَتَّى لاَ يُوجَدَ بِهِ عَيْبٌ ، فَلَمَّا عُرِضَ عَلَى البَصِيرِ بِعُيُوبِهِ ، أَظْهَرَ فِيهِ عُيُوباً كُنْتُ عَنْهَا غَافِلاً ، فَكَيْفَ أَعْمَالُنَا هٰذِهِ ، إِذَا عُرِضَتْ غداً عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمْ يَبْدُو فِيهَا مِنَ العُيُوبِ وَالنُّقْصَانِ ، الَّذِي نَحْنُ اليَوْمَ عَنْهَا غافلون ؟

وَعَنْ بَعْضِ الصالِحِينَ قال : كُنْتُ لَيْلَةً في وَقْتِ السَّحَرِ في غُرْفَةٍ لي شَارِعَةٍ أَقْرَأُ سُورَةَ طٰهَ ، فَلَمَّا أَنْ خَتَمْتُهَا غفوتُ غَفْوَةً ، فَرَأَيْتُ شَخْصاً نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ بِيَدِهِ صَحِيفَةٌ ، فَنَشَرَهَا بَيْنَ يَدَيَّ ، فَإِذَا فِيهَا سُورَةُ طٰهَ ، وَإِذَا تحتَ كُلِّ كَلِمَةٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ مُثْبَتَةٍ إِلاَّ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، فَإِنِّي رَأَيْتُ مَكَانَهَا مَحْواً وَلَمْ أَرَ تَحْتَهَا شَيْئاً ؛ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأتُ هٰذِهِ الْكَلِمَةَ ، وَلاَ أَرَى لَهَا ثَوَاباً وَلاَ أَرَاهَا أُثْبِتَتْ ؛ فَقَالَ الشَّخْصُ : صَدَقْتَ ، قَدْ قَرَأْتَهَا وَكَتَبْنَاهَا ، إِلاَّ أَنَّا سَمِعْنَا مُنَادِياً مِنْ قِبَلِ العَرْشِ : آمْحُوهَا وَأَسْقِطُوا ثَوابَهَا ، فَمَحَوْنَاهَا ؛ قَالَ فَبَكَيْتُ في مَنَامِي وَقُلْتُ : لِمَا فَعَلْتُمْ ذٰلِكَ ؟قَالُوا : مَرَّ رَجُلٌ فَرَفَعْتَ صَوْتَكَ لأَجْلِهِ فَذَهَبَ ثَوَابُهَا ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

(٢) وَأَمَّا شِدَّةُ الغَبْنِ ، فَلأَنَّ الرِّيَاءَ وَالْعُجْبَ آفَةٌ تَقَعُ فِي لَحْظَةٍ ، فَرُبَّمَا تُفْسِدُ عَلَيْكَ عِبَادَةَ سَبْعِينَ سَنَةً .

وَحُكِيَ أَنَّ رَجُلاً أَضَافَ سُفْيَانَ الثَّورِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَصْحَابَهُ فَقَالَ لأَهْلِهِ : هَاتُوا الطَّبَقَ لاَ الَّذِي أَتَيْتُ بِهِ في الحَجَّةِ الأولى ، بَلِ الَّذِي أَتَيْتُ بِهِ في الحَجَّةِ الثَّانِيَةِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ سُفْيَانُ وقَالَ : مِسْكِينٌ قَدْ أَفْسَدَ عَلَيْهِ بِهٰذَا حَجَّتَيْهِ .

وَوَجْهٌ آخَرُ في الْغَبْنِ ، أَنَّ أَقَلَّ طَاعَةٍ سَلِمَتْ مِن هٰذَا الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ ، يَكُـونُ لَهَا مِنَ اللَّهِ عَـزَّ وَجَلَّ مِنَ القِيمَـةِ مَا لَا نِهَـايَةَ لَـهُ ، وَأَكْبَرُ طَاعَةٍ / إِذَا [٨٢/أ] أَصَابَتْهَا هٰذِهِ الآفَةُ ، بَقِيتْ لَا قِيمَةَ لَهَا ، إِلَّا أَنْ يَتَدَارَكَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، عَلَى مَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَقِلُ عَمَلٌ مَقبُولٌ أَلْبَتَّـةَ ، وَكَيْفَ يَقِلُّ عَمَلٌ مَقْبُولٌ[أ] ؟

وَسُئِلَ النُّخَعِيُّ ، عَنْ عَمَلِ كَذَا وَكَذَا : مَا ثَوَابُهُ ؟ فَقَالَ : إِذَا قُبِلَ لَا يُحْصَى ثَوَابُهُ .

وَعَنْ وَهْبٍ قَالَ : كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، رَجُلٌ عَبَدَ اللَّهَ سَبْعِينَ عَاماً صَـائِماً ، يُفْـطِرُ مِنْ سَبْتٍ إِلَى سَبْتٍ ، فَطَلَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَـالَى حَـاجَـةً فَلَمْ تُقْضَ ، فَـأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِـهِ وَقَالَ : مِنْ قِبَلِكِ أُتِيتُ ، لَـوْ كَـانَ عِنْـدَكِ خَيْـرٌ لَقُضِيَـتْ حَاجَتكِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَكاً فَقَالَ : يَا ٱبْنَ آدَمَ ، سَاعَتُكَ الَّتِي أَزْرَيْتَ بِنَفْسَكَ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَتِكَ الَّتِي مَضَتْ .

قلت : فَلْيَنْظُرُ الْعَاقِـلُ إِلَى هٰذَا الْكَـلَامِ . أَلَيْسَ مِنَ الْغَبْنِ أَنَّ وَاحِداً يَكْدَحُ وَيَتْعَبُ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَآخَرَ[١] يَتَفَكَّرُ سَاعَةً ، فَيَكُونُ فِكْرُهُ سَاعَةً أَفْضَلَ من سبعين سنة (عبادة)[٢] وخيراً ؟ أَلَيْسَ مِنَ الْغَبْنِ الْعَظِيمِ أَنَّكَ مُتَمَكِّنٌ مِنْ سَاعَةٍ خَيْرٍ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَتَتْرُكُ ذٰلِكَ مِنْ غَيْـرِ حَاجَـةٍ ؟ بَلَى إِنَّهُ لَأَعْـظَمُ الْغَبْنِ ، وَإِنَّ إِغْفَـالَـهُ لَأَشَـدُّ خُسْرَانـاً ، وَإِنَّ الْخَصْلَةَ الَّتِي لَهَـا هٰـذِهِ الْقِيمَـةُ وَالْخَطَرُ ، يَجِبُ أَنْ تُحْذَرَ وَتُجْتَنَبَ ، وَلِمِثْلِ هٰذَا المَعْنَى إِنَّمَا وَقَعَ نَظَرُ أُولِي

(أ) قال الكديري في سراج الطالبيـن (٤٢٢/٢) : « قد ورد هـذا القول في قـوت القلوب بلفظ : قال عليّ كرّم الله وجهه : كونوا بقبول العمـل أشدّ اهتمـاماً منكم بالعمل ، فإنّه لا يقلّ عمل مَعَ تقوى وكيف يقلّ عمل يُتَقَبَّل ؟ .

الأَبْصَارِ مِنَ الْعُبَّادِ فِي مِثْلِ هٰذِهِ الدَّقَائِقِ ، وَاَهْتَمُّوا بِمِثْلِ هٰذِهِ الأَسْرَارِ بِمَعْرِفَتِهَا أَوّلاً ، ثُمَّ رِعَايَتِهَا وَالتَّحَفُّظِ عَنْهَا ثَانِياً ، وَلَمْ تُغْنِهِمْ كَثْرَةُ الأَعْمَالِ بِالظَّاهِرِ ، وَقَالُوا : الشَّأْنُ فِي الصَّفْوَةِ لَا فِي الْكَثْرَةِ ، وَقَالُوا : جَوْهَرَةٌ وَاحِدَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ خَرَزَةٍ .

وَأَمَّا الَّذِينَ قَلَّ عِلْمُهُمْ ، وَكَلَّ فِي هٰذَا الْبَابِ نَظَرُهُمْ ، فَجَهِلُوا المَعَانِيَ ، وَأَغْفَلُوا مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ الْعُيُوبِ ، وَاَشْتَغَلُوا بِإِتْعَابِ النُّفُوسِ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، وَالإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَنَحْوِهِ ، فَغَرَّهُمُ العَدَدُ وَالْكَثْرَةُ ، وَلَمْ يَنْظُرُوا مَا فِيهَا مِنَ الْمُخِّ [أ] وَالصَّفْوَةِ ، وَمَا يُغْنِي عَدَدُ الْجَوْزِ وَلَا لُبَّ فِيها ؟ وَمَا يَنْفَعُ رَفْعُ السقُوفِ وَلَمْ تحْكَمْ مَبَانِيهَا ؟ وَمَا يَعْقِلُ هٰذِهِ الْحَقَائِقَ إِلَّا الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ الْمُكَاشَفُونَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ الْهِدَايَةِ بفضله .

(٣) وَأَمَّا عظم الخطر فمن وجوه :

أَحَدُهَا : أَنَّه (١) مَلِكٌ لَا نِهَايَةَ لِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ، ، (٢) وَلَهُ عَلَيْكَ نِعَمٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، (٣) وَلَكَ بَدَن / مَعِيبٌ بِعُيُوبٍ خَفِيَّةٍ ، مُؤُوفٍ[ب] بِآفَاتٍ كَثِيرَةٍ (٤) وَأمورٍ مَخُوفةٍ إِنْ وَقَعَ زَلَلٌ مَعَ تَسَارُعِ النَّفْسِ إِلَيْهِ ، فَتَحْتَاجُ أَنْ تَسْتَخْرِجَ عملاً صالحاً صَافِياً سَالِماً مِنْ بَدَنٍ مَعِيبٍ وَنَفْسٍ مَائلةٍ إِلَى الشَّرِّ ، أَمَّارَةٍ بِالسُّوءِ عَلَى وَجْهٍ يَصْلُحُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ فِي جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَكَثْرَةِ أَيَادِيهِ وَمِنَّتِهِ، وَيَقَعُ مِنْهُ مَوْقِعَ الرِّضَا وَالْقَبُولِ ، وَإِلَّا فَيَفُوتُكَ الرِّبْحُ الْعَظِيمُ [٨٢/ب]

(أ) المخّ : مخّ كل شيء : خالصه ، ومخّ العبادة : أصلها والغرض منها ،ومنه قوله ﷺ : الدعاء مخّ العبادة ، فهو امتثال أمر الله تعالى حيث قال : أدعوني استجب لكم ، فهو محض العبادة وخالصها ، وهو أيضاً توجّه إلى الله وحده وقطع الأمل عن سواه ، وهذا هو أصل العبادة.

(ب) مؤوف : أصابته آفة ، والفعل إيف كقيل فهو مؤوف ومَئيف .

الَّذِي لاَ تَسْمَحُ النَّفْسُ بِفَوْتِهِ ، بَلْ رُبَّمَا يُصِيبَكَ فِيهِ مُصِيبَةٍ لاَ طَاقَةَ لَكَ بِهَا ، وَهٰذَا وَآللَّهِ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَخَطْبٌ جَسِيمٌ .

(١) وَأَمَّا **جَلاَلُ المَلِكِ وَعَظَمَتُهُ** بِحَيْثُ أَنَّ المَلاَئِكَةَ المُقَرَّبِينَ الأَبْرَارَ ، قَائِمُونَ لَهُ بِالْخِدْمَةِ آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ حَتَّى أَنَّ مِنهُمْ مَنْ هُوَ مُنْذُ خَلَقَهُ آللَّهُ تَعَالى فِي قِيَامٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي رُكُوعٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي سُجُودٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي تَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ ، فَلاَ يُتِمُّ الْقَائِمُ قِيامَهُ ، وَلاَ الرَّاكِعُ رُكُوعَهُ ، وَلاَ السَّاجِدُ سُجُودَهُ ، وَلاَ المُسَبِّحُ تَسْبِيحَهُ ، مَادًّا بِهِ صَوْتَهُ إِلَى نَفْخِ الصُّورِ ؛ ثُمَّ لَمَّا فَرَغُوا مِنْ هٰذِهِ الْخِدمَةِ الْعَظِيمَةِ ، نَادَوْا بِأَجْمَعِهِمْ : سُبحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حقَّ عِبَادَتِكَ .

وهٰذَا سَيِّدُ المُرْسَلِينَ وَخَيْرُ الْعَالَمِينَ ، أَعْلَمُ الْخَلْق وَأَفْضَلُهُمْ ، مُحَمَّدٌ ﷺ يَقُولُ : « لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كما أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »[أ] يَقُولُ : أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُثْنِيَ عَلَيْكَ ثَنَاءً أَنتَ لَهُ أَهْلٌ ، فَضلاً عَنْ أَنْ أَعْبُدَكَ كمَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: « لَيْسَ أَحَدٌ يَدْخُلُ آلْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ ،قالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قالَ : لاَ أَنَا ، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي آللَّهُ بِرَحْمَتِهِ »[ب] .

(٢) **وَأَمَّا النِّعْمُ والأيادِي** ، فَكَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ آللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم : ٣٤] وَعَلى مَا رُوِيَ إِنَّهُ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاَثَةِ دَوَاوِينَ : دِيوَانِ الْحَسَنَاتِ ، وَدِيوَانِ السَّيِّئَاتِ ، وَدِيوَانِ النِّعَمِ ، فَتُقَابَلُ الحَسَنَاتُ بِالنِّعَمِ ، فَلاَ يُؤْتَى بِحَسَنَةٍ إِلاَّ أُتِيَ بِنِعْمَةٍ ، حَتَّى تعمّ الْحَسَناتِ بِالنِّعَمُ ، وَتَبْقَى السَّيئاتُ وَآلذُّنُوبُ ؛ فَلِلَّهِ تَعَالَى فِيهَا المَشِيئَةُ .

(أ) راجع تخريج الحديث رقم ١٠٤ .

(ب) راجع تخريج الحديث رقم ١٠٥ .

(٣) وَأَمَّا **عُيُوبُ النَّفْسِ وَآفَاتُهَا** فَقَدْ قَدَّمْنَاهَا في بَابِها ؛ (٤) **وَالأَمْرُ المَخُوفُ** أَنَّ العَبْدَ يَكْدَحُ وَيَدْأَبُ سَبْعِينَ سَنَةً غَافِلاً عَنْ عُيُوبِهِ وَآفَاتِهِ ؛ فَرُبَّما لاَ يَكُونُ وَاحِدٌ مِنْهَا مَقْبُولاً ، وَرُبَّمَا يَتْعَبُ أَعْوَاماً فَتَفْسُدُ ، بِسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَأَعْظَمُ خَطَراً مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ رُبَّمَا يَنْظُرُ ٱللَّهُ تعالَى إِلَى الْعَبْدِ وَهُوَ يُرَائِي النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَخِدْمَتِهِ ، جَعَلَ / ظَاهِرَهُ لِلَّهِ ، وقلبه وَبَاطِنَهُ لِلْخَلْقِ ، فَيَطْرُدُهُ طَرْداً لاَ مَرَدَّ لَهُ ، وَالْعِيَاذ بِاللَّهِ . [٨٣/أ]

روايات عن عدم قبول العمل

وَلَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ يَحْكِي عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهِ أَنَّهُ رُؤِيَ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : أَقَامَنِي ٱللَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ يَا حَسَنُ : أَتَذْكُرُ يَوْمَ كُنْتَ تُصَلِّي فِي الْمَسْجد ، إِذْ رَمَقَكَ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ فَزِدْتَ حُسْناً لِصَلاَتِكَ ، فَلَوْلاَ أَنَّ أَوَّلَ صَلاَتِكَ (كَانَ)[1] لِي خَالِصاً ، لَطَرَدْتُكَ الْيَوْمَ عَنْ بَابِي ، وَلَقَطَعْتُكَ عَنِّي مَرَّةً وَاحِدَةً .

وَلَمَّا كَانَ الأَمْرُ فِي الْجُمْلَةِ مِنَ الدِّقَةِ وَالصُّعُوبَةِ إِلَى حَدٍّ عَظِيمٍ ، نَظَرَ أُولُو الأَبْصَارِ فِيهِ ، فَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى جَمِيعِ مَا يُظْهِرُ لِلنَّاسِ مِنْ أَعْمَالِهِ ، حَتَّى حُكِي عَنْ رَابِعَةَ أَنَّهَا قالَتْ : مَا ظَهَرَ مِنْ أَعْمَالِي لاَ أَعُدُّهُ شَيْئاً ؛ وَقَالَ آخَرُ : اكْتُمْ حَسَنَاتِكَ كَمَا تَكْتُمُ سَيِّئَاتِكَ ، وَآخَرُ يَقُولُ : إِنْ أَمْكَنَكَ أَنْ تَجْعَلَ لَكَ خَبْئاً مِنَ الْخَيْرِ فَافْعَلْ ، قَدْ حُكِيَ أَنَّه قِيلَ لِرَابِعَةَ : بِمَ تَرْبَحِينَ أَكْثَرَ مَا تَرْتَجِينَ ؟ فقالَت : بِيَأْسِي مِنْ جُلِّ عَمَلِي .

رابعة العدوية

وَحُكِيَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ ، فَقَالَ مَالِكُ بن دينار : إِمَّا طَاعَةُ اللَّهِ أَوِ النَّارُ ؛ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ : إِمَّا رَحْمَةُ اللَّهِ أَوِ النَّارُ ، فَقَالَ مَالِكٌ : مَا أَحْوَجَنِي إِلَى مُعَلِّمٍ مِثْلِكَ .

أبو يزيد البسطامي

وَعَنْ أَبِي يَزِيدَ الْبُسْطَامِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : كَابَدْتُ الْعِبَادَةَ ثَلاَثِينَ

سَنَةً ، فَرَأَيْتُ قَائِلاً يَقُولُ لِي : يَا أَبَا يَزِيدَ : خَزَائِنُهُ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الْعِبَادَةِ ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ فَعَلَيْكَ بِالذِّلَّةِ وَالاِفْتِقَارِ .

وَسَمِعْتُ الأُسْتَاذَ أَبَا الْحَسَنِ ، يَحْكِي عَنِ الأُسْتَاذِ أَبِي الْفَضْلِ رَحِمَهُما آللَّهُ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَا أَعْمَلهُ مِنَ الطَّاعَاتِ غَيْرُ مَقْبُولةٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ ، فَأَجَابَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْفِعْلُ حَتَّى يَكُونَ مَقْبُولاً وَأَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَقُومُ بِذلِك، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا غَيْرُ مَقْبُولَةٍ ؛ قِيلَ لَهُ : فَلِمَ تَفْعَلُهَا ؟ قالَ عَسَى أَنْ يُصْلِحَنِي آللَّهُ تَعَالَى يَوْماً فَتَكُونَ النَّفْسُ مُتَعَوِّدَةً لِعَمَلِ آلْخَيْرِ ؛ أَفَلاَ أَحْتَاجُ إِلَى أَنْ أُعَوِّدَهَا ذٰلِكَ مِنَ آلرَّأْسِ ؟ فَهٰذِهِ حَالُ هٰؤُلاَءِ الأَعْلاَمِ ، وَذَوِي الْمُجَاهَدَاتِ والأَقْدَارِ . ولذلك قيل : [الكامل] :

فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ صُحْبَةً مَعْ غَيْرِهِمْ وَقَعَ الإِيَاسُ وَخَابَتِ الآمَالُ
هَيْهَاتَ تُدْرِكُ بِالتَّوَانِي سَادَةً كَدُّوا النُّفُوسَ وَسَاعَدَ الإِقْبَالُ / [٨٣/ب]

ثُمَّ رَأَيْتُ أَنِّي أُثْبِتُ هٰهُنَا الْخَبَرَ الْمَأْثُورَ عَنِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلاَمُهُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي غَيْرِ كِتَابٍ .

حديث معاذ

رُوِيَ عَنِ آبْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَنْ رَجُلٍ (وَهُوَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ)[١] أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذٍ رضي الله عنه : حَدِّثْنِي حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ، حَفِظْتَهُ وَذَكَرْتَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ شِدَّتِهِ وَدِقَّتِهِ ، قَالَ نَعَمْ ، ثُمَّ بَكَى بُكَاءً طَوِيلاً ، ثُمَّ قالَ : وَاشَوْقَاهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِلى لِقَائِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : بَيْنَا أَنَا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ، إذ رَكِب وأردفني ، ثُمَّ سِرْنَا فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ قالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَقْضِي فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ . يَا مُعَاذُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، قالَ : أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ إِنْ حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ ، وَإِنْ ضَيَّعْتَهُ آنْقَطَعَتْ حُجَّتكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يا مُعَاذ : « إِنَّ

اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلَاكٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ، لِكُلِّ سَمَاءٍ مَلَكاً، وَجَعَلَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمٰوَاتِ مَلَكاً بَوَّاباً عَلَى قَدْرِ الْبَابِ وَجَلَالَتِهِ ، فَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ ، لَهُ نُورٌ وَشُعَاعٌ كَالشَّمْسِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ به السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، وَالْحَفَظَةُ تَسْتَكْثِرُ عَمَلَهُ وَتُزَكِّيهِ ، فَإِذَا ٱنْتَهَى إِلَى الْبَابِ قَالَ المَلَكُ لِلْحَفَظَةِ : ٱضْرِبُوا بِهٰذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا صَاحِبُ الْغِيبَةِ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَ مَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ يَتَجَاوَزُنِي إِلَى غَيْرِي . العمل والغيبة

ثُمَّ يَجِيءُ الْحَفَظَةُ مِنَ الْغَدِ ، مَعَهُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ ، لَهُ نُورٌ ، تَسْتَكْثِرُهُ الحَفَظَةُ وَتُزَكِّيهِ حَتَّى إِذَا ٱنْتَهَوْا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ قَالَ لَهمْ المَلَكُ : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهٰذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهِ عَرَضَ الدُّنْيَا ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يَتَجَاوَزُنِي إِلَى غَيْرِي . فَتَلْعَنُهُ المَلَائِكَةُ حَتَّى يُمْسِيَ . العمل والدنيا

وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مُبْتَهِجاً، فِيهِ صَدَقَةٌ وَصِيَامٌ وَكَثِيرٌ مِنَ الْبِرِّ ، فَتَسْتَكْثِرُهُ الْحَفَظَةُ وَتُزَكِّيهِ ، فَإِذَا ٱنْتَهَوْا بِهِ إِلى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، قَالَ المَلَكُ الْبَوَّابُ : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا المَلَكُ صَاحِبُ الْكِبْرِ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يتجاوزُني إلى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ . العمل والكبر

وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ وَهُوَ يَزْهُو كَمَا تَزْهُو النُّجُومُ وَالْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ ، لَهُ دَوِيٌّ وَتَسْبِيحٌ بِصَوْمٍ وَصَلَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، فَإِذَا ٱنْتَهَوْا به إلى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهٰذَا الْعَمَلِ وَجْه / [٨٤/أ] صَاحِبِهِ ، أَنَا المَلَكُ صَاحِبُ الإِعْجَابِ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَدْخَلَ الْعُجْبَ فِيهِ . العمل والاعجاب

وَتَصْعَدُ الملائكة بِعَمَلِ الْعَبْدِ يُزَفُّ كَمَا تُزَفُّ الْعَرُوسُ إلى أَهْلِهَا ، العمل والحسد

حَتَّى إِذَا ٱنْتَهَوْا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ بِذٰلِكَ الْعَمَلِ الْحَسَنِ مِنْ جِهَادٍ وَحَجٍّ لَهُ ضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ ، فَيَقُولُ المَلَكُ الموكَل : أَنَا المَلَكُ صَاحِبُ الْحَسَدِ ، إِنَّهُ كَانَ يَحْسُدُ الناسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ سَخِطَ مَا رَضِيَ اللَّهَ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إلى غَيْرِي .

العمل والرحمة

وَتَصْعَدُ الملائكة بِعَمَلِ الْعَبْدِ بِوُضُوءٍ تَامٍّ ، وَصَلَاةٍ كَثِيرَةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ فَيَتَجَاوَزُون بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَيَقُولُ لهم المَلَكُ المُوَكَّلُ بِالْبَابِ : أَنَا صَاحِبُ الرَّحْمَةِ ، ٱضْرِبُوا بِهٰذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، إِنَّهُ لَمْ يَرْحَمْ قَطُّ إِنْسَاناً ، وإِنْ أُصِيبَ عَبْدٌ شَمِتَ بِهِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُتجَاوَزُنِي إلى غَيْرِي .

العمل والذكر

وَتَصْعَدُ المَلَائِكَةُ بِعَمْلِ الْعَبْدِ ، بِنَفَقَةٍ كَثِيرَةٍ وَصَوْمٍ وَصَلَاةٍ وَاجتِهَادٍ وَوَرَعٍ ، لَهُ صَوْتٌ كَصَوْتِ الرَّعْدِ ، وَضَوْءٌ كَضَوْءِ الْبَرْقِ ، فَإِذَا ٱنْتَهَوْا إِلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَقُولُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بالسَّمَاءِ : أَنَا صَاحِبُ الذِّكْرِ ، إِنَّ صَاحِبَ هٰذَا الْعَمَلِ أَرَادَ بِهِ الذِّكْرَ في المَجَالِسِ ، وَالرِّفْعَةَ عِنْدَ الْقُرَّاءِ ، وَالْجَاهَ عِنْدَ الْكُبَرَاءِ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إلى غَيْرِي ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ للهِ خَالِصاً فَهُوَ رِيَاءٌ ، وَلَا يَقْبَلُ ٱللَّهُ عَمَلَ المُرَائِي .

العمل والاخلاص

وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَصَدَقَةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَخُلُقٍ حَسَنٍ وَصَمْتٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ تَعَالى ، وَتُشَيِّعُهُ مَلَائِكَةُ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ ، حَتَّى تَقْطَعَ الْحُجُبَ كُلَّهَا إِلى اللَّهِ تعالى ، فَيَقِفُونَ بَيْنَ يَدَي الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَيَشْهَدُونَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ المُخْلِصِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالى : أَنْتُمُ الْحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي ، وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ ، إِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهٰذَا الْعَمَلِ ، وَلَا أَخْلَصَهُ لِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ بِعَمَلِهِ ؛ عَلَيْهِ لَعْنَتِي ، غَرَّ الآدَمِيِّينَ وَغَرَّكُمْ وَلَمْ يَغُرَّنِي وَأَنَا عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، المُطَّلِعُ عَلَى مَا

فِي الْقُلُوبِ ، لَا تَخْفَى عَلَيَّ خَافِيَةٌ ، وَلَا تَعْزُبُ عَنِّي عَازِبَةٌ ؛ عِلْمِي بِمَا كَانَ ، كَعِلْمِي بِما لَمْ يكن ، وَعِلْمِي بِمَا مَضَى ، كَعِلْمِي بِمَا بَقِيَ ؛ وَعِلْمِي بِالأَوَّلِينَ ، كَعِلْمِي بِالآخِرِينَ ؛ أَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، فَكَيْفَ يَغُرُّنِي عَبْدِي بِعَمَلِهِ ؟ إِنَّمَا يَغُرُّ الْمَخْلُوقِينَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، وَأَنَا عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، عَلَيْهِ لَعْنَتِي ، وَتَقُولُ المَلَائِكَةُ السَّبْعَةُ وَالثَّلَاثَة /الآلاف والْمُشَيِّعُونَ : يَا رَبَّنَا عَلَيْهِ [٨٤/ب] لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا ؛ وَتَقُولُ أَهْلُ السَّماءِ : عَلَيْهِ لَعْنَةُ آللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ » ثُمَّ بَكَى مُعَاذٌ رضي الله عنه وَآنْتَحَبَ آنْتِحَاباً شَدِيداً ، وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : كَيْفَ النَّجَاةُ مِمَّا ذَكَرْتُ ؟ قالَ : « يَا مُعَاذُ آقْتَدِ بِنَبِيِّكَ في الْيَقِينِ » . قُلْتُ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَا مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، كَيْفَ لِي النَّجَاةُ وَالخلَاصُ ؟ قالَ : نَعَمْ يَا مَعَاذُ ، إِنْ كَانَ في عَمَلِكَ تَقْصِيرٌ ، فَاقْطَعْ لِسَانَكَ عَنِ الْوَقِيعَةِ في النّاسِ ، وَعنْ إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ خَاصَّةً ، وَلْيَرُدَّكَ عَنِ الْوَقِيعَةِ في النَّاسِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِكَ ، وَلَا تُزَكِّ نَفْسَكَ بِذَمِّ إِخْوَانِكَ ، وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ بِوَضْعِ إِخْوَانِكَ ، وَلَا تُرَاءِ بِعَمَلِكَ كَيْ تُعْرَفَ فِي النَّاسِ ، وَلَا تَدْخُلْ في الدُّنْيَا دُخُولاً يُنْسِيكَ أَمْرَ الآخِرَةِ ، وَلَا تُنَاجِ رَجُلاً وَعِنْدَكَ آخَرُ ، وَلَا تَتَعَظَّمْ عَلَى النَّاسِ فَتَنْقَطِعَ عَنْكَ خَيْرَاتُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَلَا تَفْحُشْ فِي مَجْلِسِكَ كي يَحْذَرَ النـاس مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ ، وَلَا تُمَزِّقِ النَّاسَ بِلِسَانِكَ فَتُمَزِّقَكَ كِلَابُ جَهَنَّمَ » .قَوْلُهُ : ﴿ **وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً** ﴾ [النازعات : ٢] يقُولُ : تَنْزِعُ آللَّحْمَ عَنِ الْعِظَامِ ؛ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيقُ هٰذِهِ الْخِصَالَ ؟ قَالَ : « يَا مُعَاذُ إِنَّ الَّذِي وَصَفْتُ لَكَ يَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ آللَّهُ عَلَيْهِ ؛ إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ تُحِبَّ لِلنّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَتَكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ؛ فَإِذَنْ أَنْتَ قَدْ سَلِمْتَ »(١) .

---

(١) راجع تخريج الحديث رقم ١٠٦ .

قالَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ : وَكَانَ مُعاذٌ لَا يُكْثِرُ مِنْ تِلاوَةِ الْقُرْآنِ ، كَما يُكْثِرُ مِنْ تِلَاوَةِ هٰذَا الحَدِيثِ وَذِكْرِهِ في مَجْلِسِهِ .

العودة إلى الله

فإذا سَمِعْتَ أيها الرّجل هٰذَا الحَدِيثَ ، الْعَظِيمَ نَبَؤُهُ ، الْكَبِيرَ خَطَرُهُ ، الأَلِيمَ أَثَرُهُ ، الذِي تَطِيرُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَحِيرُ لَهُ الْعُقُولُ ، وَتَضِيقُ عَنْ حَمْلِهِ الصُّدُورُ ، وَتَجْزَعُ مِنْ هَوْلِهِ النُّفُوسُ ؛ فاعْتَصِمْ بِمَوْلَاكَ إِلٰهِ العَالَمِينَ ، وَالْزَمِ البَابَ بِالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ وَالْبُكَاءِ[1] آنَاء اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ مَعَ المُتَضَرِّعِينَ المُبْتَهِلِينَ ، فَإِنَّهُ لَا نَجَاةَ مِنْ هٰذَا الأَمْرِ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ، وَلَا سَلَامَةَ مِنْ هٰذَا الْبَحْرِ إِلَّا بِنَظَرِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَعِنَايَتِهِ ، فَتَنَبَّهْ مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ ، واعقل الأَمْرَ حَقَّهُ ، وَجَاهِدْ نَفْسَكَ في هٰذِهِ الْعَقَبَةِ المَخُوفَةِ لَعَلَّكَ لَا تَهْلِكَ مَعَ الْهَالِكِينَ وَالمُسْتَعَانُ بِالله تَعَالى عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّهُ خَيْرُ مُعِين ، وَهُوَ تَعَالى أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَلَا

[٨٥/أ] حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ / .

---

(١) راجع تخريج الحديث رقم (١٠٦) .

فصـــل
(في الإخلاص للّهِ بالطاعة)

وَجُمْلَةُ الأَمْرِ أَنَّكَ إِذَا أَحْسَنْتَ النَّظَرَ ، فَرَأَيْتَ قَدْرَ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَأَيْتَ عَجْزَ الْخَلْقِ وَضَعْفَهُمْ وَجَهْلَهُمْ ، فَلاَ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ بِقَلْبِكَ ، وَكُنْ زَاهِداً فِي ثَنَائِهِمْ وَمَدْحِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ، الَّذِي لاَ فائِدَةَ تَحْتَهُ ، فَلاَ تُرِدْ بِطاعَتِكَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، وَ(إِذَا)[1] رَأَيْتَ خِسَّةَ الدُّنْيَا وَحَقَارَتَهَا وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا ، فَلاَ تُرِدْهَا أَيْضاً بِطاعَتِكَ ، وتقول : يَا نَفْسُ أَثَنَاءُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشُكْرُهُ وإعزازه خيرٌ أم ثناء المَخْلُوقِينَ الْعَاجِزِينَ الْجَاهِلِينَ ، الذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ قَدْرَ عَمَلِكِ بِالْحَقِيقَةِ وَمَا تَحَمَّلْتِ فِيهِ وَمَا يَبْلُغُونَ حَقَّكِ فِيمَا عَمِلْتِ وَتَحَمَّلْتِ ؟ بَلْ رُبَّمَا يُفَضِّلُونَ عَلَيْكِ مَنْ هُوَ أَدْوَنُ حَالاً بِالأَلْفِ دَرَجَةٍ ، وَيُضَيِّعُونَكِ في أَحْوَجِ الأَوْقَاتِ وَيَنْسَوْنَكِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فَمَاذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَإِلَى مَاذَا تَبْلُغُ قُدْرَتُهُمْ ، ثُمَّ هُمْ في قَبْضَةِ اللهِ تَعَالَى يُصَرِّفُهُمْ كَيْفَ يَشَاء ، وَإِلَى مَا يَشَاءُ ؟ فَاعْقِلِي أَيَّتُها النَّفْسُ ، وَلاَ تُضَيِّعِي طَاعَاتِكِ الْعَزِيزَةَ بِهِمْ ، وَلاَ يَفُوتُكِ ثَنَاءُ مَنْ ثَنَاؤُهُ كُلُّ فَخْرٍ ، وَعَطَاءُ مَنْ عَطَاؤُهُ كُلُّ ذُخْرٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ : [الكامل] :

سَهَرُ الْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ بَاطِلٌ ... وَبُكَاؤُهُنَّ لِغَيْرِ عَفْوِكَ ضَائِعُ

وَقُلْ : يَا نَفْسُ ، أَجَنَّةُ الْخُلْدِ خَيْرٌ أَمْ لَطْخَةٌ مِنْ حَرَامِ الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا

النَّكِدِ الْفَانِي ؟ وَأَنْتِ مُتَمَكِّنَةٌ مِنْ أنْ تحصّلي بِطَاعَتَكِ هٰذَا النَّعِيمُ المُقِيمُ ، فَلاَ تَكُونِي خَسِيسَةَ الْهِمَّةِ ، رَدِيئَةَ الإِرَادَةِ ، دَنِيئَةِ الأَفْعَالِ ، أَمَا تَرَيْنَ الحَمَامَ إذَا كَانَ سَمَاوِياً[أ] ، كَيْفَ تَعْلُو قِيمَتُهُ وَيَزْدَادُ قَدْرُهُ ؟ فَارْفَعِي هِمَّتَكِ كُلَّهَا إلى السَّمَاء ، وَجَرِّدِي قَلْبَكِ للَّهِ تَعَالَى الوَاحِدِ، الَّذِي بِيَدِهِ الأَمْرُ كُلُّهُ ، وَلاَ تُضَيِّعِي مَا ظَفِرْتِ بِهِ مِنْ طَاعَتِكِ بِلاَ شَيْءٍ . وَكَذٰلِكَ إذَا أَحْسَنْتِ التَّأَمُّلَ فَرَأَيْتِ أَيَادِيَ الله تَعالى وَمِنَنَهُ الْعِظامَ عَلَيْكَ في هٰذِهِ الطاعَةِ ، بِأَنْ أَمْكَنَكِ مِنْهَا وَأَعْطَاكِ الآلَةَ أَوَّلاً ، ثُمَّ أَزَاحَ عَنْكِ الْعَائِقَ حَتَّى تَفَرَّغْتِ لِهٰذِهِ الطَّاعَةَ ثَانِياً ، ثُمَّ خَصَّكِ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّأْيِيدِ ، وَيَسَّرَهَا عَلَيْكِ وَزَيَّنَهَا في قَلْبِكِ ، حَتَّى عَمِلْتِهَا ثَالِثاً ، ثُمَّ مَع جَلاَلَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنْكِ وَعَنْ طَاعَتِكِ ، وَكَثْرَةِ نِعَمِهِ عَلَيْكَ أَعَدَّ لَكِ عَلَى هٰذَا/الْعَمَلِ الْيَسِيرِ، الثَّناء الْجزِيلَ والثَّوَابَ الْعَظِيمَ مَا لا تَسْتَحِقُّهُ رَابِعاً ، ثُمَّ شَكَرَكِ عَلَى ذٰلِكَ وَأَثْنَى عَلَيْكِ وَأَحَبَّكِ بِذٰلِكَ خَامِساً ، هَـٰذِهِ كُلُّهَا بِفَضْلِهِ الْعَظِيمِ لاَ غَيْرُ ، وَإِلاَّ فَبِأَيِّ آسْتِحْقَاقٍ لَكِ ، وَأَيِّ قَدْرٍ لِعَمَلِكِ الْحَقِيرِ ، المعيوب ؟ فَاذْكُرِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ مِنَّةَ رَبِّكِ الْكَرِيمِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ ، فِيمَا أَحْسَنَ إِلَيْكِ في هٰذِهِ الطَّاعَةِ ، وَآسْتَحْيِي مِنْ أَنْ تَلْتَفِتِي إلى عَمَلِكِ، بَلِ الْفَضْلُ وَالمِنَّةُ لله تَعالى عَلَيْنَا بِكُلِّ حَالٍ ، فَلاَ يَكُونُ لَكِ شُغْلٌ بَعْدَ حُصُولِ هٰذِهِ الطَّاعَةِ إِلاَّ التَّضَرُّعَ وَالابتِهَالَ إلى الله سُبْحانَهُ بِأَنْ يَتَقَبَّلَهَا .

[٨٠٦/ب]

أَمَا تسمع قَوْلَ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصلاة والسَّلاَمُ ، لَمَّا فَرَغَ مِنْ خِدْمَتِهِ في بِنَاء بَيْتِهِ ، كَيْفَ آبْتَهَلَ إليه في أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْقَبُولِ ، فَقَالَ : ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْت السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة : ١٢٧] وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ قالَ : ﴿ **رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** ﴾ [إبراهيم : ٤٠] فَلَئِنْ مَنَّ عَلَيْكِ بِقَبُولِ هٰذِهِ الْبِضَاعَةِ المُزْجَاةِ ، فَلَقَدْ أَكْمَلَ المِنَّةَ وَأَعْظَمَ النِّعْمَةَ ، وَيَا لَكِ مِنْ سَعَادَةٍ وَدَوْلَةٍ وَعِزّ وَرِفْعَةٍ ، وَكَمْ تَرَيْنَ لذلك مِنْ خِلْعَةٍ وَنِعْمَةٍ ، وَذُخْرٍ وَكَرَامَةٍ ، وَإِنْ تَكُن

(أ) الحمام السماوي : الحمام المرتفع في طيرانه .

الْأُخْرَى فَيَا لَكِ مِنْ خُسْرَانٍ وَغَبْنٍ وَحِرْمَانٍ ، فَاهْتَمَّ وَآشْتَغِلْ بِهَـذَا الشَّأْنِ ، فَإِذَا وَاظَبْتَ عَلَى مِثْلِ هـذا وَكَرَّرْتَـهُ عَلَى قَلْبِكَ عِنْـدَ الْفَرَاغِ مِنْ طَاعَتِكَ ، وَآسْتَعَنْتَ بِـالله عَـزَّ وَجَـلَّ ، صَـرَفَـكَ عَنِ الإِلْتِفَاتِ إِلَى الْخَلْقِ وَالنَّفْسِ ، وَشَغَلَكَ عَنْ مُـرَاءاة وَإِعْجَابٍ ، وَبَعَثَكَ عَلَى مَحْضِ الإِخْـلَاصِ لله تَعَالى فِي الطَّاعَاتِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِذِكْرِ مِنَّةِ الله تَعَالى عليك في جَمِيعِ الْحَالَاتِ ، وَيَحْصُلُ لَكَ أَرْجَى طَاعَاتٍ طَاهِرَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا ، وَخَيْرَاتٍ خَالِصَةٍ لَا شَوْبَ فِيهَا ، وَعِبَادَاتٍ مَقْبُولَةٍ لَا نَقْصَ فِيهَا ، بَلْ مِثْلُ هٰذِهِ الطَّاعَةِ ، وَإِنْ حَصَلَتْ فِي الْعُمْرِ مَثَلًا مَرَّةً وَاحِدَةً لَا غَيْرُ ، فَإِنَّهَا بِالْحَقِيقَةِ لَكَبِيرَةٌ . لَعَمْرِي وإِنَّهَا وَإِنْ قَلَّ عَدَدُهَا لَقَدْ كَثُرَ مَعْنَاهَا وَعَظُمَ قَدْرُهَا ، وَكَثُرَ نَفْعُهَا وَطَابَ عُقْبَاهَـا ، وَإِنَّ التَّوْفِيقَ لِمِثْلِهَا عَزِيزٌ ، وَالْفَضْلَ بِهِ لله تَعَالَى عَلَى العَبدِ لَكَبِيـرٌ . فَأَيُّ هَـدِيَّةٍ أَجَلُّ مِنْ هَدِيَّةٍ يَقْبَلُهَا رَبُّ الْعَـالَمِينَ ، وَأَيُّ سَعْيٍ أَكْرَمُ مِنْ سَعْيٍ يَشْكُـرُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ رَبُّ العَالَمِينَ ، وَأَيُّ بِضَاعَةٍ أَعَزُّ مِنْ بِضَاعَةٍ آخْتَارَهَا وَرَضِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟

فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الْمِسْكِينُ ، وَإِيَّاكَ / أَنْ تَكُونَ مِنَ المَغْبُونِينَ ، وَإِذَا جَرَى الأَمْـرُ عَلَى هٰـذِهُ الْجُمْلَةِ ، كُنْتَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ لله سُبْحَـانَـهُ وتَـعَـالى الخـالصين ، الذَّاكِـرِينَ لِمِنَنِهِ المَـرْضِيِّينَ ، وَكُنْتَ قَـدْ خَلَّفْتَ هٰـذِهِ الْعَقَبَـةَ المَخُوفَةَ ، وَسَلِمْتَ مِنْ آفاتِهَا ، وَسَبَقْتَ بِخَيْرَاتِهَا وَثَمَـرَاتِهَا فَائِزاً إِلَى الأَبَدِ بِكَرَامَاتِهَا وَسَعَادَاتِهَا ، وَالله سُبْحَانَهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ بِمَنِّهِ وَفضلِهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

[٨٦/أ]

العقبةُ السَّابعة : وهي عقبةُ الحمد والشكر

عَلَيْكَ ، وَفَّقَكَ اللهُ وَإِيَّانَا بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ ، بَعْدَ قَطْعِ هٰذِهِ الْعَقَبَاتِ ، وَالظَّفرِ بِالْمَقْصُودِ مِنْ هٰذِهِ الْعِبادَةِ ، السَّالِمَةِ مِنَ الآفَاتِ ، بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ للهِ سُبْحَانَهُ وتَعالى عَلَى هٰذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ وَالمِنَّةِ الْكَريمَةِ .

وَإِنَّما يَلْزَمُكَ ذٰلِكَ لِأَمْرَيْنِ :

لزوم الحمد والشكر لدوام النعمة

أَحدُهُما : لِدَوَامِ النِّعْمَةِ . **وَالثَّانِي** : لِحُصُولِ الزِّيَادَةِ .

ـ **فَأَمَّا دَوَامُ** النِّعْمَة ، فَلأَنَّ الشُّكْرَ قَيْدُ النِّعَمِ ، بِهِ تَدُومُ وَتَبْقَى ، وَبِتَرْكِهِ تَزُولُ وَتَحُولُ ، قالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد : ١١] وَقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ : ﴿ **فكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ ، فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النحل : ١١٢] . وَقالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ** ﴾ [النساء : ١٤٧] . وَقالَ ﷺ : « إِنَّ لِلنِّعَمِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الْوَحْشِ ، فَقَيِّدُوهَا بِالشُّكْرِ »[أ] .

ـ **وَأَمَّا حُصُولُ الزِيَادَةِ** ، فَلَمَّا كَانَ الشُّكْرُ هُوَ قَيْدَ النِّعْمَةِ ، **فَهُوَ يُثْمِرُ**

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (١٠٧) .

الزِّيَادَةَ ؛ قَالَ الله تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] - ﴿ وَالَّذِينَ ٱهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ - [محمد : ١٧] ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩]. وَلِلسَّيِّدِ الْحَكِيمُ إِذَا رَأَى الْعَبْدَ قَدْ قَامَ بِحَقِّ نِعْمَةٍ يَمُنُّ عَلَيْهِ بِأُخْرَى وَيَرَاهُ أَهْلاً لَهَا ، وَإِلاَّ فَيَقْطَعُ ذَلِكَ عَنْهُ .

النِّعم وأقسامها

ثُمَّ النِّعَمُ قِسْمَانِ : دُنْيَوِيَّةٌ ، وَدِينِيَّةٌ .

فَالدُّنْيَوِيَّةُ ضَرْبَانِ : نِعْمَةُ نَفْعٍ ، وَنِعْمَةُ دَفْعٍ .

فَنِعْمَةُ النَّفْعِ : أَنْ أَعْطَاكَ الْمَصَالِحَ وَالْمَنَافِعَ ؛

فَالْمَنَافِعُ ضَرْبَانِ : (١) الْخِلْقَةُ السَّوِيَّةُ في سَلاَمَتِهَا وَعَافِيَتِهَا ، (٢) وَالمَلاَذُّ الشَّهِيَّةُ مِنَ المَطْعَمِ وَالمَشْرَبِ وَالمَلْبَسِ وَالمَنْكَحِ وَغَيْرِهَا مِنْ فَوَائِدِهَا .

وَنِعْمَةُ الدَّفْعِ : أَنْ صَرَفَ عَنْكَ المَفَاسِدَ وَالمَضَارَّ . وَهِيَ ضَرْبَانِ :

أَحَدُهُما : بِأَنْ سَلَّمكَ مِنْ زَمَانَتِهَا وَسَائِرِ آفَاتِهَا وَعِلَلِهَا ؛

وَالثَّانِي : دَفْعُ مَا يَلْحَقُكَ بِهِ من ضَررٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَوَائِقِ ، أَوْ يَقْصِدُكَ بِسوءٍ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ وَسِبَاعٍ وَهَوَامَّ وَنَحْوِهَا / . [٨٦/ب]

وَأَمَّا النِّعَمُ ٱلدِّينِيَّةُ فَضَرْبَانِ : نِعْمَةُ التَّوْفِيقِ ، وَنِعْمَةُ الْعِصْمَةِ ؛

فَنِعْمَةُ التَّوْفِيقِ : أَنْ وَفَّقَكَ أَوَّلاً لِلإِسْلاَمِ ، ثُمَّ لِلسُّنَّةِ ، ثُمَّ لِلطَّاعَةِ ؛

وَنِعْمَةُ الْعِصْمَةِ : أَنْ عَصَمَكَ أَوَّلاً عَنِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ ، ثُمَّ عَنِ الْبِدْعَةِ وَالضَّلاَلَةِ ، ثُمَّ عَنْ سَائِرِ المَعَاصِي .

وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ لاَ يُحْصِيهِ إِلاَّ السَّيِّدُ الْعَالِمُ ، الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ ، كما

قالَ جَلَّ وَعَلاَ : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [مريم : ٣٤].

وَإِنَّ دَوَامَ هٰذِهِ النِّعَمِ كُلِّهَا بَعْدَ ما مَنَّ عَلَيْكَ بِهَا ، وَالزِّيَادَةَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ ، مَا لاَ يَبْلُغُهُ وَهْمُكَ ، كُلُّهَا تَتَعَلَّقُ بِشَيءٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ لله ، وَإِنَّ خَصْلَةً تَكُونُ لَهَا كُل هٰذِهِ الْقِيمَةُ ، وَتَكُونُ فِيهَا كُلُّ هٰذِهِ الْفَائِدَةِ ، لَحَقِيقٌ أَنْ يُتَمَسَّكَ بِهَا مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ بِحَالٍ ، فَإِنَّهُ جَوْهَرٌ ثَمِينٌ وَكِيمِيَاءُ عَزِيزَةٌ ، وَٱلله وَلِيُّ التَّوْفِيقِ بِفَضْلِهِ .

حقيقة الحمد والشكر

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا حَقِيقَةُ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ وَمَا مَعْنَاهُمَا وَحُكْمُهُمَا ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ فَرَّقُوا بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ عِنْدَ التَّحْصِيلِ ، أَنَّ الْحَمْدَ مِنْ أَشْكَالِ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ ، فَيَكُونُ مِنَ الْمَسَاعِي الظَّاهِرَةِ ؛ وَالشُّكْرُ مِنْ أَشْكَالِ الصَّبْرِ وَالتَّفْوِيضِ ، فَيَكُونُ مِنَ الْمَسَاعِي الْبَاطِنَةِ . وَلأَنَّ الشُّكْرَ يُقَابِلُ الكُفْرَان ، والْحَمْدَ يُقَابِلُ اللَّوْمَ والذمّ ، وَلِأَنَّ الْحَمْدَ أَعَمُّ وَأَكْثَرُ وَالشُّكْرَ أَقَلُّ وَأَخصُّ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبإ : ١٣] . فَثَبَتَ أَنَّهُمَا مَعْنَيَّان مُتَمَيِّزَانِ .

ثُمَّ الْحَمْدُ هُوَ الثَّنَاءُ عَلَى أَحَدٍ بِالْفِعْلِ الْحَسَنِ ؛ هٰذَا مُقْتَضَى كَلاَمِ شَيْخِنَا[١] رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَمَّا الشُّكْرُ فَتَكَلَّمُوا في مَعْنَاهُ وَأَكْثَرُوا ؛ فَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : الشُّكْرُ هُوَ الطَّاعَةُ بِجَمِيعِ الْجَوَارِحِ لِرَبِّ الْخَلق في السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ ؛ وَإِلى نَحْوِهِ ذَهَبَ بَعْضُ مَشَايِخِنَا فَقَالَ : الشُّكْرُ هُوَ أَدَاءُ الطَّاعَاتِ في الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ، ثُمَّ رَجَعَ إلى أَنَّهُ ٱجْتِنَابُ المَعَاصِي ظَاهِراً وَبَاطِناً .

---

(١) هو أبو بكر الورّاق .

وَقَالَ غَيْرُهُ : الشُّكْرُ الاحْتِرَاسُ عَنِ آخْتِيَارِ مَعَاصِي اللَّهِ تعالى، تَحْتَرِسُ عَلَى قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ وَأَرْكَانِكَ ، حَتَّى لَا تَعْصِيَ اللَّهَ تَعَالَى بِشَيءٍ مِنْ هٰذِهِ الثَّلاثَةِ ، بِوَجهٍ مِنَ الوُجُوهِ .

وَالفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِهِ(أ) وَبَيْنَ قَوْلِ الشَّيْخِ الأَوَّلِ(ب) ، أَنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ. جَعَلَ الاحْتِرَاسَ مَعْنًى مُثْبَتاً زَائِداً عَلَى الاجْتِنَابِ عَنِ المَعَاصِي ؛ وَأَمَّا الاجْتِنَابُ عَنِ المَعْصِيَةِ فَمَا هُوَ(١) إلَّا أَنْ لَا يَفْعَلَ المَعْصِيَةَ عِنْدَ دَوَاعِيهَا ، وَلَا يَكُونُ فِي نَفْسِهِ مَعْنًى مُحَصَّلاً ، يَكُونُ الْعَبْدُ بِهِ مُشْتَغِلاً ، وَعَنِ الكُفْرَانِ مُعْتَصِماً . وَقَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ : إنَّ الشُّكْرَ تَعْظِيمُ المُنْعِمِ عَلَى مُقَابَلَةِ / [٨٧/ أ] نِعْمَتِهِ ، عَلَى حَدٍّ يَمْنَعُهُ عَنْ جَفَاءِ المُنْعِمِ وَكُفْرَانِهِ(ج) . وَلَوْ قُلْتَ : تَعْظِيمُ المُحْسِنِ عَلَى مُقَابَلَةِ إحْسَانِهِ ، لَصَحَّ أن يَكُونَ مِنَ اللَّهِ الشُّكْرُ لِلْعَبْدِ(د) ، فَحَسَنٌ ؛ وَفِيهِ تَفَاصِيلُ قَدْ شَرَحْنَاهَا فِي كِتَابِ : « إحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ»(هـ) وَغَيْرِهِ ، وَلٰكِنَّ التَّحْصِيلَ أَنَّ الشُّكْرَ مِنَ الْعَبْدِ تَعْظِيمٌ يَمْنَعُ مِنْ جَفَاءِ مَنْ أَحْسَنَ إلَيْهِ ، وَذٰلِكَ بِتَذَكُّرِ إحْسَانِهِ وَحُسْنِ حال(٢) الشَّاكِرِ فِي شُكْرِهِ ، وَقُبْحِ حَالِ الكَافِرِ فِي كُفْرَانِهِ .

قُلْتُ : إنَّ أَقَلَّ مَا يَسْتَوْجِبُهُ المُنْعِمُ بِنِعْمَتِهِ ، أَنْ لَا يُتَوَصَّلَ بِهَا إلى مَعْصِيَةٍ ، وَمَا أَقْبَحَ حَالَ مَنْ جَعَلَ نِعْمَةَ المُنْعِمِ سِلَاحاً عَلَى عِصْيَانِهِ ، فَعَلَى

(أ) الضمير هنا يعود إلى الغير (قال غيره) .

(ب) الشيخ الأول : هو الذي عرّفه المصنّف بقوله : بعض مشايخنا .

(ج) الكفران : جحود النعمة والكفر بها .

(د) معنى شكر الله للعبد أن يوفقه لأن يشكره ويثني عليه بما هو أهله.

(هـ) يراجع كتاب الصبر والشكر، وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيّات من كتاب الإحياء (ج ٤ ص ٥٣) .

الْعَبْدِ إِذَنْ مِنْ فَرْضِ الشُّكْرِ فِي حَقِيقَتِهِ ، أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، مَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعَاصِيهِ عَلَى حَسَبِ تَذَكُّرِ نِعَمِهِ[1] ، فَإِذَا أَتَى بِذَلِكَ فَقَدْ أَتَى بِمَا هُوَ الأَصْلُ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَابِلُ ذَلِكَ بِجِدٍّ فِي الطَّاعَةِ ، وَجُهْدٍ فِي القِيَامِ بِالْخِدْمَةِ ، إِذْ هُوَ مِنْ حُقُوقِ النِّعْمَةِ ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الاِحْتِرَاسِ عَنِ المَعْصِيَةِ ، وَبِاللَّهِ التَّوفِيقُ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَوْضِعُ الشُّكْرِ ؟

موضع الشكر

فَاعْلَمْ أَنَّ مَوْضِعَهُ النِّعَمُ ؛ وَالنِّعَمُ دِينِيَّةٌ وَدُنْيَوِيَّةٌ عَلَى أَقْدَارِهِمَا . وَأَمَّا الشَّدَائِدُ وَالمَصَائِبُ فِي الدُّنْيَا ، فِي نَفْسٍ أَوْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ ، فَتَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ ، هَلَ يَلْزَمُ العَبْدَ الشُّكْرُ عَلَيْهَا ؟ قَالَ بَعْضُهُم : لاَ يَلْزَمُ الْعَبْدَ الشُّكْرُ عَلَيْهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ ، وَإِنَّمَا يَجِبُ فِيهَا الصَّبْرُ . وَأَمَّا الشُّكْرُ فَهُوَ عَلَى النِّعْمَةِ لاَ غَيْرُ . قَالُوا : وَلاَ شِدَّةَ إِلاَّ وَفِي جَنْبِهَا نِعَمُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَلْزَمِ الشُّكْرُ عَلَى تِلْكَ النِّعَمِ المُقْتَرِنَةِ بِهَا دُونَ نَفْسِ الشِّدَّةِ .

الشكر على النعمة

وَتِلْكَ النِّعَمُ مَا قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : مَا آبْتُلِيتُ بِبَلِيَّةٍ إِلاَّ كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ فِيهَا أَرْبَعُ نِعَمٍ : إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي دِينِي ، وَإِذْ لَمْ تَكُنْ أَعْظَمَ مِنْهَا ، وَإِذْ لَمْ أُحْرَمِ الرِّضَا ، وَإِذْ رَجَوْتُ الثَّوَابَ عَلَيْهَا . وَقَدْ قِيلَ أَيْضاً : مِنْ تِلْكَ النِّعَمِ أَنَّ تِلْكَ الشِّدَّةَ زَائِلَةٌ غَيْرُ دَائِمَةٍ ، وَأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى دُونَ غَيْرِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ بِسَبَبِ مَخْلُوقٍ ، فَإِنَّهَا لَكَ عَلَيْهِ ، لا لَهُ عَلَيْكَ ، فَإِذَنْ يَلْزَمُ الْعَبْدَ الشُّكْرُ عَلَى النِّعَمِ المَقْتَرِنَةِ بِالشِّدَّةِ .

وَقَالَ آخَرُونَ ، وَهُوَ الأَوْلَى عِنْدَ شَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّ شَدَائِدَ الدُّنْيَا مِمَّا يَلْزَمُ الْعَبْدَ الشُّكْرُ عَلَيْهَا ، لِأَنَّ تِلْكَ الشَّدَائِدَ نِعَمٌ بِالحقِيقَةِ ، بِدَلِيلِ أَنَّهَا تُعَرِّضُ الْعَبْدَ لِمَنَافِعَ عَظِيمَةٍ ، وَمَثُوبَاتٍ جَزِيلَةٍ ، وَأَعْوَاضٍ كَرِيمَةٍ

الشكر على الشدائد

[٨٧/ب] فِي العَاقِبَةِ ، تَتَلَاشَى فِي جَنْبِهَا / مَشَقَّةُ هٰذِهِ الشَّدَائِدِ ، وَأيّ نِعْمَةٍ تَكُونُ أَكْبَرَ مِنْ هٰذِهِ . وَمِثَالُ ذٰلِكَ مَنْ يَسْقِيكَ دَوَاءً كَرِيهاً مُرّاً لِدَاءٍ شَدِيدٍ ، أَوْ يَفْصِدُكَ أَوْ يَحْجُمُكَ لِعِلَّةٍ عَظِيمَةٍ مَخُوفَةِ الْخَطَرِ ، فَيُؤَدِّي ذٰلِكَ إلى صِحَّةِ النَّفْسِ ، وَسَلَامَةِ الْبَدَنِ ، وَصَفْوَةِ الْعَيْشِ ، فَيَكُونُ إيلامُهُ إيَّاكَ بِمَرَارَةِ الدّوَاءِ ، أوْ جِرَاحَةِ الْفَصْدِ ، وَالْحِجَامَةِ ، نِعْمَةً بَالِغَةً بِالْحَقِيقَةِ ، وَمِنَّةً ظَاهِرَةً ، وإن كَانَ فِي صُورَتِهِ مَكْرُوهاً ، يَنْفُرُ عَنْهُ الطَّبْعُ ، وَتَسْتَوْحِشُ مِنْهُ النَّفْسُ ، وَأَنْتَ تَحْمَدُ الَّذِي تَوَلَّى مِنْكَ هٰذَا ، بَلْ تُحسِنُ إِلَيْهِ مَا أَمْكَنَكَ .

وَكَذٰلِكَ حُكْمُ هٰذِهِ الشَّدَائِدِ ؛ أَمَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، كَيْفَ حَمَدَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ عَلَى الشَّدَائِدِ شُكْرَهُ عَلَى المَسَارِّ ، حَيْثُ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا سَاءَ وَسَرَّ »[أ] . أَمَا تَرَى كَيْفَ يَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ **وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً** ﴾ [النساء : ١٩] وَمَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى خَيْراً ، فَهُوَ أَكْثَرُ مِمَّا يَبْلُغُهُ وَهْمُكَ ؛ يُؤَكِّدُ هٰذَا الْقَوْلَ أنَّ النِّعْمَةَ لَيْسَتْ خَيْراً عَنِ اللَّذَّةِ وَمَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ بِمُقْتَضَى الطَّبْعِ ، إنَّمَا هُوَ مَا يَزِيدُ فِي رِفْعَةِ الدرجة ، وَلِذٰلِكَ تُسَمَّى نِعْمَةً فِي مَعْنَى الزِّيَادَةِ ؛ وَإِذَا كَانَتِ الشِّدَّةُ مِمّا تَصِيرُ سَبَباً في زِيَادَةِ شَرَفِ الْعَبْدِ وَرِفْعَةِ دَرَجَتِهِ ، فَتَكُونُ نِعَماً بِالْحَقِيقَةِ ، وَإِنْ كَانَتْ تُعَدُّ في الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ بِظَاهِرِهَا ، فَاعْلَمْ ذٰلِكَ مُوَفَّقاً .

مفاضلة بين الشكر والصابر

فَإِنْ قُلْتَ : فالشَّاكِرُ أفْضَلُ أمِ الصَّابِرُ ؟

فَاعْلَمْ أَنَّهُ قِيلَ : إنَّ الشَّاكِرَ أَفْضَلُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ [سبأ : ١٣] فَجَعَلَهُمْ أخصَّ الْخَوَاصِّ . وَقَالَ في نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلَامُ : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً** ﴾ [الإسراء : ٣] وَقَالَ في

(أ) راجع تخريج الحديث رقم (١٠٨) .

إِبْرَاهِيمَ : ﴿ **شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ** ﴾ [النحل : ١٢١]، وَلِأَنَّهُ فِي مَنْزِلَةِ الإِنْعَامِ وَالْعَافِيَةِ ، وَلِذٰلِكَ قِيلَ : لَأَنْ أُنْعِمَ فَأَشْكُرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِرَ .

وَقِيلَ : بَلِ الصَّابِرُ(١) أَفْضَلُ ، لَأَنَّهُ أَعْظَمُ مَشَقَّةً ؛ فَيَكُونُ أَعْظَمَ ثَوَاباً وَأَرْفَعَ مَنْزِلَةً . قَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ** ﴾ [صٓ : ٤٤] . وَقَالَ : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزُّمر : ١٠] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٦].

قُلْتُ أَنَا : الشَّاكِرُ بِالْحَقِيقَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا صَابِراً ، وَالصَّابِرُ بِالْحَقِيقَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا شَاكِراً ، لِأَنَّ الشَّاكِرَ فِي دَارِ الْمِحْنَةِ لَا يَخْلُو مِنْ مِحْنَةٍ يَصْبِرُ عَلَيْهَا لَا مَحَالَةَ وَلَا يَجْزَعُ ؛ فَإِنَّ الشُّكْرَ تَعْظِيمُ الْمُنْعِمِ عَلَى حَدٍّ يَمْنَعُ مِنْ عِصْيَانِهِ ، وَالْجَزَعُ عِصْيَانٌ / ، وَالصَّابِرُ لَا يَخْلُو مِنْ نِعْمَةٍ ؛ كَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الشَّدَائِدَ نِعَمٌ [٨٨/أ] بِالْحَقِيقَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمِ ، فَإِنَّهُ شَكَرَ بِالْحَقِيقَةِ إِذْ صَبَرَ، لِأَنَّهُ حَبَسَ نَفْسَهُ عَنِ الْجَزَعِ تَعْظِيماً لِلَّهِ تَعَالَى ، وَهٰذَا هُوَ الشُّكْرُ بِعَيْنِهِ ، إِذ هُوَ تَعْظِيمٌ يَمْنَعُ عَنِ الْعِصْيَانِ ؛ وَلِأَنَّ الشَّاكِرَ يَمْنَعُ نَفْسَهُ عَنِ الْكُفْرَانِ فَصَبَرَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، وَحَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى الشُّكْرِ ، وَصَبَرَ عَلَى الطَّاعَةِ ، فَصَارَ صَابِراً عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛ وَالصَّابِرُ عَظَّمَ اللَّهَ تَعَالَى ، حَتَّى مَنَعَهُ تَعْظِيمُهُ عَنِ الْجَزَعِ فِيمَا أَصَابَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى الصَّبْرِ ، فَقَدْ شَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى فَصَارَ شَاكِراً بِالْحَقِيقَةِ ؛ وَلِأَنَّ حَبْسَ النَّفْسِ عَنِ الْكُفْرَانِ مَعَ قَصْدِ النَّفْسِ (لَهُ)(٢) ، شِدَّةٌ يَصْبِرُ عَلَيْهَا الشَّاكِرُ ؛ وَتَوْفِيقُ الصَّبْرِ وَالْعِصْمَةِ نِعْمَةٌ يُشْكَرُ عَلَيْهَا الصَّابِرُ ، فَأَحَدُهُمَا لَا يَنْفَكُّ عَنِ الآخَرِ ، لِأَنَّ الْبَصِيرَةَ الْبَاعِثَةَ عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ بَصِيرَةُ الاِسْتِقَامَةِ فِي قَوْلِ بَعْضِ عُلَمَائِنَا ؛ فَمِنْ هٰذِهِ الْوُجُوهِ قُلْنَا : إِنَّ أَحَدَهُمَا لَا يَنْفَكُّ عَنِ الآخَرِ ، فَاعْرَفْ هٰذِهِ الْجُمْلَةَ ، وَبِاللَّهِ التَّوفِيقُ .

فصــــل
(في وجوب الحمد والشكر)

فَعَلَيْـكَ أَيُّهَا الـرَّجُلُ بِبَـذْلِ المَجْهُودِ في قَطْعِ هٰـذِهِ الْعَقَبَـةِ الْيَسِيـرَةِ المُؤْنَةَ ، الْكَبِيرَةِ الْجَدْوَى ، الْعَزِيزَةِ المُعْتَصَرِ[1] ، الْعَظِيمَةِ الْقَدْرِ ، وَتَأَمَّـلْ أَصْلَيْنِ :

أَحَـدُهُمَا : أَنَّ النِّعْمَـةَ إِنَّمَا تُعْـطَى مَنْ يَعْرِفُ قَـدْرَهَا ؛ وَإِنَّمَـا يَعْرِفُ قَدْرَهَا الشَّاكِرُ .

وَدَلِيلُ مَا قُلْنَاهُ ، قَوْلُـهُ سُبْحَانَـهُ فِي الْحِكَايَـةِ عَنِ الْكُفَّارِ وَالـرَّدِّ عَلَيْهِمْ ﴿ **أَهْؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْنِنَـا ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ بِـأَعْلَمَ بِـالشَّـاكِـرِينَ** ﴾ [الأنعام : ٥٣]، ظَنَّ أُولٰئِكَ الْجُهَّالُ أَنَّ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ وَالمِنَّةَ الْكَرِيمَةَ ، إِنَّمَا تُعْطَى مَنْ يَكُونُ أَكْثَرَهُمْ مَالاً ، وَأَشْرَفَهُمْ حَسَباً وَنَسَباً ، فَقَالُوا : مَا بَالُ هٰؤُلَاءِ الفُقَرَاءِ بزعمكم ، مِنَ الْعَبِيدِ وَالأَحْرَارِ ، أُعْطُوا هٰذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَـةَ بِزَعْمِكُمْ دُونَنَا ؟ فَقَالُوا عَلَى طَرِيقِ الاِسْتِكْبَارِ وَمَجْرَى الاِسْتِهْزَاءِ : ﴿ **أَهْؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَـا** ﴾ ؟ فَأَجَـابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهٰـذِهِ النُّكْتَـةِ الـزَّاهِـرَةِ ، فَقَالَ : ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ أَنَّ السَّيِّدَ الْكَرِيمَ ، إِنَّمَا يُعْطِي نِعْمَتَهُ مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَهَا ؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا مَنْ أَقْبَلَ بِنَفْسِهِ وَقَلْبِهِ فَاخْتَارَهَا عَلَى غَيْرِهَا ، وَلَا يَعْبَأُ بِمَا تَحَمَّلَ مِنْ أَعْبَاءِ المَؤُنَةِ في تَحْصِيلِهَا ؛ ثُمَّ لَا يَـزَالُ قائِمـاً بِالْبَـابِ يُؤَدِّي شُكْرَهَـا ، وَكَانَ فِي عِلْمِنَـا السَّـابِقِ أَنَّ هٰؤُلَاءِ

الضُّعَفَاءَ يَعْرِفُونَ هٰذِهِ النِّعْمَةِ ، وَيَقُومُونَ بِشُكْرِهَا ، فَكَانُوا أَوْلَى بِهٰذِهِ النِّعْمَةِ مِنْكُم ؛ فَلاَ ٱعْتِبَارَ بِغِنَاكُمْ وَثَرْوَتِكُم ، وَلاَ جَاهِكُمْ فِي الدُّنْيَا وحَشْمتكم ، ولا/ [٨٨/ب] نَسَبِكُمْ فِي الأَنْسَابِ ، وَلاَ حَسَبِكُمْ ، إِنَّمَا تَحْسِبُونَ النِّعْمَةَ كُلَّهَا ، الدُّنْيَا وَحُطَامُهَا ، وَالْحَسَبَ وَالنَّسَبَ وَعُلُوَّهُ ، لاَ الدِّينَ (والعلم)[١] وَالْحَقَّ وَمَعْرِفَتَهُ ؛ وَإِنَّمَا تُعَظِّمُونَ ذٰلِكَ وَتَتَفَاخَرُونَ بِهِ ؛ أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ لاَ تَكَادُونَ تَقْبَلُونَ هٰذَا[٢] الدِّينَ وَالْعِلَمِ وَالْحَقَّ إِلَّا بِمِنَّةٍ عَلَى مَنْ أَتَاكُمْ بِهِ ، وَذٰلِكَ لِاسْتِحْقَارِكُمْ ذٰلِكَ وَقِلَّةِ مُبَالاَتِكُمْ بِهِ ؟ وَأَنَّ هٰؤُلاَءِ الضُّعَفَاءَ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ ، وَيَبْذُلُونَ مُهْجَتَهُم فِيهِ ، وَلاَ يُبَالُونَ بِمَا فَاتَهُمْ وَلاَ بِمَنْ عَادَاهُمْ مَعَ ذٰلِكَ ، لِتَعْلَمُوا أَنَّهُم هُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا قَدْرَ هٰذِهِ النِّعْمَةِ ، وَرَسَخَ فِي قُلُوبِهِمْ تَعْظِيمُهَا ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ فَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهَا ، وَطَابَ لَهُمُ ٱحْتِمَالُ كُلِّ شِدَّةٍ ، وَيَسْتَغْرِقُونَ جَمِيعَ الْعُمُرِ فِي شُكْرِهِ ، فَلِذٰلِكَ ٱسْتَأْهَلُوا هٰذِهِ المِنَّة الْكَرِيمَةَ ، وَالنِّعْمَةَ (العَظِيمة)[٣] فِي سَابِقِ عِلْمِنا وَخَصَّصْنَاهُمْ بِهَا دُونَكُمْ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

لا يُقدِّر النعمة إلا أهلها

ثُمَّ أَقُولُ : وَكَذٰلِكَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنَ النَّاسِ ، خَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِنِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ ٱلدِّينِ ، عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ بِالحَقِيقَةِ أَعْرَفَ النَّاسِ بِقَدْرِها ، وَأَشَدَّهُمُ تَعْظِيماً لَهَا ، وَأَجَدَّهُمْ فِي تَحْصِيلِهَا ، وَأَعْظَمَهُمْ فِي إِكْرَامِهَا ، وَأَقْوَمَهُمْ بِشُكْرِهَا ؛ وَالَّذِينَ حَرَمَهُمُ ذٰلِكَ ، فَلِقِلَّةِ ٱحْتِفَالِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ لِحَقِّهَا بَعْدَ الْقَدْرِ السَّابِقِ ؛ فَلَو كَانَ تَعْظِيمُ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ فِي قُلُوبِ السُّوقَةِ وَالْعَامَّةِ مِثْلَ مَا هُو فِي قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَبِّدِينَ ، لِمَا آثَرُوا سُوقَهُمْ عَلَيْهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ تَرْكُهُ . أَلاَ تَرَى أَنَّ فَقِيهاً إِذَا ظَفِرَ بِتَعْلِيمِ مَسْئَلَةٍ كَانَتْ مُلْتَبِسَةً عَلَيْهِ ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهَا ، كَيْفَ يَرْتَاحُ قَلْبُهُ وَيَعْظُمُ سُرُورُهُ ، وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ ، حَتى رُبَّمَا لَوْ وَجَدَ أَلْفَ أَلْفَ دِينارٍ مَا كَانَ يَعْدِلُ ذٰلِكَ ، وَرُبَّمَا يَهُمُّهُ أَمْرُ مَسْئَلَةٍ فِي بَابِ الدِّينِ فَيَتَفَكَّرُ فِيهَا ، سَنَةً ، بَلْ عَشْراً بَلْ عِشْرِينَ

وَأَكْثَرَ، لاَ يَسْتَكْثِرْ ذلِكَ وَلاَ يَمَلُّ ، حَتَّى رُبَّمَا يرزُقَـهُ اللَّهُ فَهْمَ ذلِكَ ، فَيَعُـدُّهُ أَعْظَمَ مِنَّةٍ وَأَكْبَرَ نِعْمَةٍ ، وَيَرَى نَفْسَهُ بِذلِكَ ، أَغْنَى كُلِّ غَنِيٍّ ، وَأَشْرَفَ كُـلِّ شَرِيفٍ ؛ بَلْ رُبَّمَا يَتَبَيَّنُ مِثْلَ هـذِهِ المَسْئَلَةِ لِسُوقِيٍّ ، أَوْ لِمُتَعَلِّمٍ كَسْـلاَنَ ، يَرَى مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ مِثْلُهُ فِي الرَّغْبَةِ فِي الْعِلْمِ وَالمَحَبَّةِ لَـهُ ، فَلاَ يَسْتَمِـعُ إِلَيْهِ حَقَّهُ ، وَرُبَّمَا إِنْ طَالَ عَلَيْهِ الْكَلاَمُ يَمَلُّ وَيَنَامُ ، وإِن تَبَيَّنَ ذلِكَ لَهُ ، فَلاَ يَعُدُّهُ كَبِيرَ أَمْرٍ .

[٨٩/أ] كَذلِكَ المُنِيبُ إِلى اللَّهِ تَعَالَى ، كَمْ يَجْتَهِدُ وَيدأبُ بِالرِّيَاضَةِ وَصِيَانَةِ / النَّفْسِ عَنِ الشَّهَـوَاتِ وَاللَّذَّاتِ ، وَإِلْـجَـامِ الأَرْكَـانِ فِي الْـحَـرَكَـاتِ والسَّكَنَـاتِ، عَسَى أَنْ يُتَمِّمَ اللَّهُ تَعَالى لَـه رَكْعَتَيْنِ فِي آدَابٍ وَطَهَارَةٍ، وَكَمْ يَتضَرَّعُ إِلى اللَّهِ تَعَالَى ، عَسَى أَنْ يَرْزُقَهُ سَاعَةَ مُنَاجَاةٍ بِصَفْوَةٍ وَحَلاَوَةٍ ، فَلَئِن ظَفِرَ بِذلِكَ مرّةً فِي شهرٍ ، بَلْ فِي سَنَةٍ مَرَّةً ، بَلْ فِي العمْرِ كُلِّهِ مَرَّةً ، عَدَّ ذلِكَ أَكْبَرَ مِنَّةٍ وَأَعْظَمَ مِنَّةٍ؛ فَكَمْ يُسَـرُّ، وكَمْ يَشْكُرُ اللَّهَ تَعَـالَى ، وَلاَ يَكْتَرِثُ بِمَـا قَاسَاهُ مِنَ المَشَقَّاتِ ، وَكَابَدَ مِنَ اللَّيَالِي ، وَهَجَرَ مِنَ اللَّذَّاتِ فِيهَا .

جهل البعض بنعم الله

ثُمَّ تَـرَى الَّذِي يَـزْعُمُ أَنَّهُ رَاغِبٌ فِي الْعِبَادَةِ ، يُحِبُّ أَنْ يُحَصِّلَ مِنْهَـا شَيْئاً ، لَوِ ٱحْتَاجَ أَحَدُهُمْ فِي تَحْصِيلِ مِثْلِ هٰذِهِ الْعِبَادَةِ الصَّافِيَةِ إِلى نُقْصَانِ لُقْمَةٍ مِنْ عَشَائِهِمْ وَتَرْكِ كَلِمَةٍ لاَ تَعْنِيهِمْ، وَدَفْعِ نَوْمِ سَاعَةٍ عَنْ أَعْيُنِهِمْ ، فَـلاَ تَسْمَـحُ أَنْفُسُهُمْ بِذلِـكَ ، وَلاَ تَـطِيبُ قُلُوبُهُمْ ؛ وَإِنِ ٱتَّفَقَ لَهُمْ فِي النَّـادِرِ ، حُصُولُ عِبَادَةٍ فِي صَفْوَةٍ ، فَلاَ يَعُدُّونَهُ خَطِيراً ، وَلاَ يُقَدِّمُونَ فِيهِ كَثِيرَ شُكْرٍ ؛ إِنَّمَا يَعْظُمُ سُرُورُهُمْ ، وَيَكْثُرُ بِالظَّاهِرِ حَمْدُهُم ، إِذَا حَصَـلَ لَهُمْ دِرْهَمٌ ، أَوِ ٱسْتَقَامَتْ لَهُمْ كِسْرَةٌ أو طَـابَتْ لَهُمْ مَرَقَـةٌ ، أَوْ طَالَتْ لَهُمْ فِي سَـلاَمَةٍ، فِي الْبَدَنِ رَقْدَةٌ ، فَيَقُولُونَ عِنْـدَ ذلِكَ : الْحَمْـدُ لِلَّهِ هٰذَا مِنْ فَضْـلِ اللَّهِ ؛ فَأَنَّى يُسَاوِي هٰؤلاءِ الْغَافِلُونَ الْعَاجِزُونَ ، أُولٰئِكَ السُّعَدَاءَ المُجِدِّينَ المُجْتَهِدِينَ ؟

صَارَ هٰؤُلاَءِ المَسَاكِينُ عَنْ هٰذَا الْخَيْرِ مَحْرُومِينَ ، وَأُولٰئِكَ المُؤَيَّدُونَ بِهِ

ظَافِرِينَ فائِزِينَ ؛ وَكَذٰلِكَ قَسَّمَ الأَمْرَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ سُبْحَانَهُ ، هُوَ أَعْلَمُ بِالْعَالَمِينَ ؛ فَهٰذَا تَفْصِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٣] فَتَفَهَّمَ وَرَاءَهِ حَقَّهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَمْ تُحْرَم قَطُّ خَيْراً أَنْت تَتَمَنَّاهُ[1] إلَّا مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ ، فَابْذُلْ مَجْهُودَكَ لِتَعْرِفَ قَدْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ ، وَتُعَظِّمَهَا حَقَّ تَعْظِيمِهَا، فَتَكُونَ أَهْلاً لَهَا وَلإِعْطَائِهَا ؛ ثُمَّ يَمُنُّ عَلَيْكَ بِإِبْقَائِهَا ، كَمَا مَنَّ عَلَيْكَ بِابْتِدَائِهَا ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ فِي الأَصْلِ الثَّانِي ، إِنَّهُ هُوَ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ.

الأَصْلُ الثَّانِي : **أَنَّ النِّعْمَةَ إِنَّمَا تُسْلَبُ مِمَّنْ لاَ يَعْرِفُ قَدْرَهَا** ، وَالَّذِي لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا الْكَفُورُ الَّذِي كَفَرَهَا ، وَلاَ يُؤَدِّي شُكْرَها .

وَدَلِيلُ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف : ١٧٦] الآية ؛ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ أَنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى هٰذَا الْعَبْدِ بِالنِّعَمِ الْعِظامِ ، وَالأَيَادِي / الْجِسَامِ فِي بَابِ الدِّينِ ، بِمَا مَكَّنَّاهُ فِي ذٰلِكَ مِنْ تَحْصِيلِ الرُّتْبَةِ الْكَبِيرَةِ ، وَالمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ عَلَى بَابِنَا ويصير رَفِيعاً عِنْدَنَا ، عَظِيمَ الْقَدْرِ ، كَبِيرَ الْجَاهِ ، وَلٰكِنَّهُ جَهِلَ قَدْرَ نِعْمَتِنَا ، فَمَالَ إلى الدنْيَا الْخَسِيسَةِ الْحَقِيرَةِ ، وَآثَرَ شَهْوَةَ نَفْسِهِ الدَّنِيئَةِ (الرَّدِيئَةِ)[2] ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا لَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ أَدْنَى نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدِّينِ ، (ولا تساوي عنده)[3] جَنَاحَ **بَعُوضَةٍ**، وَكَانَ فِي ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْكَلْبِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الإِكْرَامَ مِنَ الإِهَانَةِ، وَالرِّفْعَةَ وَالشَّرَفَ مِنَ الْحَقَارَةِ، وَإِنَّمَا الْكَرَامَةُ كُلُّهَا عِنْدَهُ فِي كِسْرَةٍ يُطْعَمُ، أَوْ عُرَاقٍ[أ] مائِدَةٍ يُرْمَى إلَيْهِ، سَوَاءَ تُقْعِدُهُ عَلَى سَرِيرٍ مَعَكَ، أَوْ تُقِيمُهُ فِي التُّرَابِ وَالْقَذَرِ بَيْنَ يَدَيْكَ، نَهْمَتُهُ وَكَرَامَتُهُ وَنِعْمَتُهُ كُلُّهَا فِي ذٰلِكَ.

[٨٩/ب]

منزلة من لا يعرف ربَّه

(أ) العَرْق : العظم أُكِلَ لحمه ، وكذلك العُراق .

فَهٰذَا الْعَبْدُ السُّوءُ إِذَا جَهِلَ قَدْرَ نِعْمَتِنَا ، وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ مَا آتَيْنَاهُ مِنْ كَرَامَتِنَا ، وكَلَّتْ بَصِيرَتُهُ ، وَسَاءَ فِي مَقَامِ الْقُرْبَةِ أَدَبُهُ بِالالْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِنا ، وَالإِشْتِغَالِ عَنْ ذِكْرِ نِعْمَتِنَا ، بِدُنْيَا حَقِيرَةٍ وَلَذَّةٍ خَسِيسَةٍ ، فَنَظَرْنَا إِلَيْهِ نَظَرَ السِّيَاسَةِ ، وَأَحْضَرْنَاهُ مَيْدَانَ الْعَدْلِ ، وَأَمَرْنَا فِيهِ بِحُكْمِ الْجَبَرُوتِ ، فَسَلَبْنَاهُ جَمِيعَ خِلَعِنَا وَكَرَامَاتِنَا ، وَنَزَعْنَا مِنْ قَلْبِهِ مَعْرِفَتَنَا ، فَانْسَلَخَ عَارِياً عَنْ جَمِيعِ مَا آتَيْنَاهُ مِنْ فَضْلِنَا ، فَصَارَ كَلْباً طَرِيداً ، أو شَيْطَاناً رَجِيماً ، نَعُوذُ بِاللَّهِ ثُمَّ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ ، إِنَّهُ رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

مثل آخر لمن لا يقدّر نعمة الله عليه

ثُمَّ آقْنَعْ بِمِثَالِ مَلِكٍ يُكْرِمُ عَبْداً لَهُ ، فَيَخْلَعُ عَلَيْهِ خَاصَّةَ ثِيَابِهِ وَيُقَرِّبُهُ مِنْهُ ، وَيَجْعَلُهُ فَوْقَ سَائِرِ خُدَّامِهِ وَحُجَّابِهِ ، وَأَمَرَهُ بلزوم بَابِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنْ تُبْنَى له الْقُصُورُ ، وتُوضَعُ له الأَسِرَّةَ ، وَتُنْصَبَ لَهُ المَوَائِدُ ، وَتُزَيَّنَ لَهُ الْجَوارِي وَتُقَامَ لَهُ الْغِلْمَانُ ، حَتَّى إِذَا رَجَعَ مِنَ الْخِدْمَةِ ، أَجْلَسَ هُنَالِكَ مَلِكاً مَخْدُوماً مُكَرَّماً ، وَما بَيْنَ حَالِ خِدْمَتِهِ إِلى مُلْكِهِ وَوِلاَيَتِهِ إِلاَّ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ أَوْ أَقَلُّ ؛ فَإِنْ أَبْصَرَ هٰذَا الْعَبْدُ بِجَانِبِ بَابِ المَلِكِ سَائِساً للدَّوابِّ يَأْكُلُ رَغِيفاً ، أَوْ كَلْباً يَمْضُغُ عَظماً ، فَيَشْتَغِلُ عَنْ خِدْمَةِ المَلِكِ بِنَظَرِهِ إِلَيْهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهِ ؛ وَلاَ يَلْتَفِتُ إِلى مَا لَهُ مِنَ الْخِلَعِ وَالْكَرَامَةِ ، فَيَسْعَى إِلى ذٰلِكَ السَّائِسِ ، وَيَمُدّ يَدَهُ وَيَسْأَلُهُ كِسْرَةً مِنْ رَغِيفِهِ ، أَوْ يُزَاحِمُ الْكَلْبَ عَلَى عَظْمه ، يَغْبِطُهُمَا وَيُعَظِّمُ مَا هُمَا فِيهِ ، أَلَيْسَ المَلِكُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْحَالَةِ يَقُولُ : هٰذَا السَفِيهُ ، لَمْ يَعْرِفْ / حَقَّ كَرَامَتِنَا ، وَلَمْ يَرَ قَدْرَ إِعْزَازِنَا [٩٠/أ] إِيَّاهُ ، بِخِلَعِنَا وَالتَّقْرِيبِ إِلى حَضْرَتِنَا ، مَعَ مَا صَرَفْنَا إِلَيْهِ مِنْ عِنَايَتِنَا ، وَأَمَرْنَا لَهُ مِنَ آلذَّخَائِرِ وَضُرُوبِ الأَيَادِي ، مَا هَذَا إِلاَّ سَاقِطٌ عَظِيمُ الْجَهْلِ ، قَلِيلُ التَّمْيِيزِ ، آسْلُبُوهُ الْخِلَعَ وَآطْرُدُوهُ عَنْ بَابِنَا .

حال العابد والعالِمُ إذا مَالاَ إلى الدنيا

فَهٰذَا حَالُ الْعَالِمِ إِذَا مَالَ إِلى الدُّنْيَا ، وَالْعَابِدِ إِذَا اتَّبَعَ الْهَوَى ، فَبَعْدَمَا أَكْرَمَهُ بِعِبَادَتِهِ وَمَعْرِفَةِ أَيَادِيهِ وَشَرِيعَتِهِ وَأَحْكَامِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ ذٰلِكَ ، فَيَصِيرُ

إلى أَحْقَرِ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَهْوَنِهِ عِنْدَهُ ، فَيَرْغَبُ فِيهِ وَيَحْرِصُ عَلَيْهِ ، وَيَكونُ أَعْظَمَ شَيء في قَلْبِهِ وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ مَا يُعْطِيَ مِنْ تِلْكَ النِّعَمِ الْعَزِيزَةِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْحِكَمِ وَالْحَقَائِقِ .

وَكَذٰلِكَ مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالى بِأَنْوَاعِ تَوْفِيقِهِ وَعِصْمَتِهِ ، وَزَيَّنَهُ بِأَنْوَارِ خِدْمَتِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَيُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ ، وَيُبَاهِي بِهِ مَلائِكَتَهُ ، وَأَعْطَاهُ عَلَى بَابِهِ الْقِيَادَةَ وَالْوَجَاهَةَ ، وَأَحَلَّهُ مَحَلَّ الشَّفَاعَةِ ، وَأَنْزَلَهُ مَنْزِلَةَ الأَعِزَّةِ ، حَتَّى صَارَ بِحَيْثُ لَوْ دَعَاهُ لأَجَابَهُ وَلَبَّاهُ ، وَلَوْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ وَأَغْنَاهُ ، وَلَوْ شَفَعَ فِي عَالَمٍ لَشَفَّعَهُ فِيهِمْ وَأَرْضَاهُ ، وَلَوْ أَقْسَمَ عَلَيْهِ لأَبَرَّهُ وَأَوْفَاهُ ، وَلَوْ خَطَرَ بِبَالِهِ شَيْءٌ لأَعْطَاهُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهُ بِلِسَانِهِ ، فَمَنْ كَانَتْ هٰذِهِ حَالَهُ ، ثُمَّ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ هٰذَا الْمُنْعِمِ ، ولَمْ يَنْظُرْ إِلى قَدْرِ هٰذِهِ النعمة ، فَيَعْدِلَ عَنْ ذٰلِكَ إِلى شَهْوَةِ نَفْسٍ رَدِيئَةٍ لاَ حَيَاءَ لَهَا ، أَوْ لَعْقَةٍ مِنَ الدُّنْيَا الدَّنِيئَةِ الَّتِي لاَ بَقَاءَ لَهَا ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلى تِلْكَ الكرامات وَالْخِلَعِ ، وَالْهَدَايَا وَالْمِنَنِ وَالْعَطَايَا ، ثُمَّ مَا وَعَدَهُ وأَعَدَّ لَهُ في الآخِرَةِ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ؛ فَمَا أَحْقَرَهَا مِنْ نَفْسٍ ، وَمَا أَسْوَأَهُ مِنْ عَبْدٍ ، وَمَا أَعْظَمَ خَطَرَهُ لَوْ عَلِمَ ، وَمَا أَفْحَشَ صَنِيعَهُ لَوْ فَهِمَ ؛ نَسْأَلُ آللَّهَ البَارَّ الرَّحِيمَ ، أَنْ يُصْلِحَنَا بِعَظِيمِ فَضْلِهِ ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

بذل الجهد لمعرفة نِعَم الله

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ بِبَذْلِ الْمَجْهُودِ حَتَّى تَعْرِفَ قَدْرَ نِعَمِ آللَّهِ تَعَالى عَلَيْكَ؛ فإِذَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِنِعَمِ آلدِّينِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْتَفِتَ إِلى آلدُّنْيَا وَحُطَامِهَا، فَإِنَّ ذٰلِكَ لاَ يَكُونُ مِنْكَ إِلَّا بِضَرْبٍ مِنَ التَّهَاوُنِ، بِمَا أَوْلاَكَ رَبُّكَ مِنْ نِعَمِ آلدِّينِ ، أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ تَعَالَى لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ، لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ / أَزْوَاجاً مِنْهُمْ** ﴾ [٩٠/ب] الآيَةَ [الحجر : ٨٨] ؛ تَقْدِيرُهُ ؛ أَنَّ كُلَّ مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ، حُقَّ لَهُ

أَنْ لَا يَنْظُرَ إلى الدُّنْيَا الْحَقِيرَةِ نَظَرَةً بِاسْتِحْلَاءٍ ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيها رَغْبَةٌ ، وليلزم الشُّكْرَ عَلَى ذٰلِكَ ، فَإِنَّهَا الْكَرَامَةُ الَّتِي حَرَصَ خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ ، أَنْ يَمُنَّ (بها)[1] عَلَى أَبِيهِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَحَرَصَ حَبِيبُهُ الْمُصْطَفَى ﷺ أَنْ يَمُنَّ بِهَا عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فَلَمْ يَفْعَلْ .

الدنيا بلاء

وَأَمَّا حُطَامُ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَصُبُّهُ عَلَى كُلِّ كَافِرٍ وَفِرْعَوْنٍ وَمُلْحِدٍ وَزِنْدِيقٍ وَجَاهِلٍ وَفَاسِقٍ ، الَّذِينَ هُمْ أَهْوَنُ خَلْقِهِ عَلَيْهِ ، حَتَّى رقُوا فِيهِ ، وَيَصْرِفُهُ عَنْ كُلِّ نَبِيٍّ وَصَفِيٍّ وَصَدِيقٍ وَعَالِمٍ وَعَابِدٍ، الَّذِينَ هُمْ أَعَزُّ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَكَادُونَ يُصِيبُونَ كِسْرَةً وَخِرْقَةً ، وَيَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِأَنْ لَا يُلَطِّخَهُمْ بِقَذَرِهَا ، حَتَّى قَالَ ، عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ، لِمُوسَى (وهارون عَلَيْهِمَا)[2] السَّلَامُ : « وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أُزَيِّنَكُمَا بِزِينَةٍ ، علمَ فِرْعَوْنُ حِينَ يَرَاهَا أَنَّ مَقْدِرَتَهُ تَعْجِزُ عَنْهَا لَفَعَلْتُ ، وَلٰكِنِّي أَزْوِي عَنْكُمَا الدُّنْيَا وَأَرْغَبُ بِكُمَا عَنْهَا ، كَذٰلِكَ أَفْعَلُ بِأَوْلِيَائِي ؛ وَإِنِّي لَأَذُودُهُمْ عَنْ نَعِيمِهَا كما يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ إِبِلَهُ عَنْ مَبَارِكِ الْعُرَّةِ ، وَإِنِّي لَأُجَنِّبُهُمْ سُكُونَهَا وَعَيْشَهَا ، وَلَيْسَ ذٰلِكَ لِهَوَانِهِمْ عَلَيَّ ، وَلٰكِنْ لِيَسْتَكْمِلُوا حَظَّهُمْ مِنْ كَرَامَتِي »[أ] . وَقَالَ تعالى : ﴿ **وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ** . . . ﴾ الآيتين : [الزخرف : ٣٣ ـ ٣٤] ؛ فَانْظُرِ الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ إِنْ كُنْتَ مُبْصِراً وَقُلْ :

الشكر على نعمة الإسلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمَنَنِ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيائِهِ ، وَصَرَفَ عَنَّا فِتْنَةَ أَعْدَائِهِ ، لِنُخَصَّ بِالشُّكْرِ الْأَوْفَرِ ، وَالْحَمْدِ الْأَكْبَرِ ، وَالْمِنَّةِ الْكُبْرَى ، وَالنِّعْمَةِ الْعُظْمَى الَّتِي هِيَ الْإِسْلَامُ ، فَإِنَّهَا الْأُولَى وَالْأُخْرَى ، بِأَنْ لَا تَفْتُرَ لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ عَنْ شُكْرِهَا ، وَإِنْ كُنْتَ عَاجِزاً عَنْ عِرْفَانِ قَدْرِهَا ، فَاعْلَمْ بِالْحَقِيقَةِ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ١٠٩ .

أَنَّكَ لَوْ خُلِقْتَ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا ، وَأَخَذْتَ في شُكْرِ الإِسْلَامِ مِنْ أَوَّلِ الْوَقْتِ إلى الأَبَدِ لَمَا كُنْتَ تَقُومُ بِذٰلِكَ ، وَلَمَا قَضَيْتَ بَعْضَ الْحَقِّ ، لِمَا هُنَالِكَ مِنَ الفوزِ الْعَظِيمِ .

قُلْتُ : وَآعْلَمْ أَنَّ المَوْضِعَ لا يَحْتَمِلُ ذِكْرَ مَا يَبْلُغُهُ عِلْمِي مِنْ قَدْرِ هٰذِهِ النِّعْمَةِ ، وَلَوْ أَمْلَيْتُ فِيهِ أَلْفَ أَلْفِ وَرَقَةٍ ، لَكَانَ مَبْلَغُ عِلْمِي فَوْقَ ذٰلِكَ ، مَعَ آعْتِرَافِي بِأَنَّ مَا أَعْلَمُهُ / في جَنْبِ مَا لاَ أَعْلَمُهُ ، كَنُقْطَةٍ في بِحَارِ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا[1] . [٩١/أ]

أَمَا تَسْمَعُ وَيْحَكَ قَوْلَهُ تَعَالَى لِسَيِّدِ المُرْسَلِينَ ﷺ : **﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيمَانُ﴾** [الشورى : ٥٢] إلى أنْ قالَ : **﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ آللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾** [النساء : ١١٣]وَقالَ تَعَالى لِقَوْمٍ : **﴿ بَلِ آللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾** [الحجرات : ١٧] الآية .

أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ ﷺ ، وَقَدْ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الإِسْلَامِ فَقَالَ : « إِنَّكَ لَتَحْمَدُ آللَّهَ عَلَى نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ »[أ] وَلَمَّا قَدِمَ الْبَشِيرُ[ب] عَلَى يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَام ، قَالَ : عَلَى أَيِّ دِينٍ تَرَكْتَهُ ؟ قالَ : عَلَى الإِسْلَامِ ، قالَ : الآنَ تَمَّتِ النِّعْمَةُ[ج] .

وَقِيلَ : مَا مِنْ كَلِمَة أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالى ، وَلاَ أَبْلَغَ عِنْدَهُ في الشُّكْرِ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ١١٠ .

(ب) البشير : هو المبشّر بخبر يوسف عليه السلام ، وذكر المفسرون أن اسمه يهوذا، ذهب إلى يعقوب عليه السلام ليبشّره أن ابنه يوسف ما زال حيّاً بعد أن كان أخبره أن الذئب أكله .

(ج) هكذا ذكره النسفي في تفسيره . .

مِنْ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إِلى الإِسْلَام . وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلَ الشُّكْرَ وَتَغْتَرَّ بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ ، مِنَ الإِسْلَامِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ ، فَإِنَّ مَعَ ذٰلِكَ لَا مَوْضِعَ لِلأَمْنِ وَالْغَفْلَةِ ، فَإِنَّ الأُمُورَ بِالْعَوَاقِبِ .

وَكَانَ سُفْيَانُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالى يَقُولُ : مَا أَمِنَ أَحَدٌ عَلَى دِينِهِ إِلَّا سُلِبَ .

وَكَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ : إِذَا سَمِعْتَ بِحَالِ الْكُفَّارِ وَخُلُودِهِمْ فِي النَّارِ ، فَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ ، فَإِنَّ الأَمْرَ عَلَى الْخَطَرِ ، وَلَا تَدْرِي مَاذَا يَكُونُ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَمَاذَا سَبَقَ لَكَ فِي حُكْمِ الْغَيْبِ ؛ فَلَا تَغْتَرَّ بِصَفَاوةِ الأَوْقَاتِ ، فَإِنَّ تَحْتَهَا غَوَامِضَ الآفَاتِ .

وقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا مَعْشَرَ الْمُغْتَرِّينَ بِالْعِصَمِ ، إِنَّ تَحْتَهَا أَنْوَاعَ النِّقَمِ ، زَيَّنَ ٱللَّهُ إِبْلِيسَ بِأَنْوَاعِ عِصْمَتِهِ ، وَهُوَ عِنْدَهُ فِي حَقَائِقِ لَعْنَتِهِ ، وَزَيَّنَ بِلْعَامَ[أ] بِأَنْوَاعِ وِلَايَتِهِ ، وَهُوَ عِنْدَهُ فِي حَقَائِقِ عَدَاوَتِهِ .

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَكَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ ، وَكَمْ مِنْ مَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ .

وَقِيلَ لِذِي النُّونِ : مَا أَقْصَى مَا يُخْدَعُ بِهِ الْعَبْدُ ؟ قَالَ بِالأَلْطَافِ وَالْكَرَامَاتِ . كذٰلِكَ قالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [**الأعراف** : ١٨٢] (أي)[١] نُسْبِغُ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ وَنُنْسِيهِمُ الشُّكْرَ ؛ (كما قال الشاعر)[٢] : [**البسيط**] :

(أ) بلعام بن باعوراء : من علماء بني إسرائيل .

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالأَيَّـامِ إِذْ حَسُنَتْ   وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ القَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا   وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

وَاعْلَمْ أَنَّكَ كُلَّمَا صِرْتَ أَقْرَبَ ، فَأَمْرُكَ أَخْوَفُ وَأَصْعَبُ ، وَالمُعَامَلَةُ أَشَقُّ وَأَدَقُّ ، وَالْخَطَرُ عَلَيْكَ / أَعْظَمُ ، فَإِنَّ الشَّيْءَ كُلَّمَا كَانَ أَبْلَغَ عُلُوًّا إِذَا [٩١/ب] ٱنْقَلَبَ كانَ أَصْعَبَ وقُوعاً ، كَمَا قِيلَ : [مجزوء الكامل] :

مَا طَارَ طَيْرٌ فَارْتَفَعْ   إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعْ

فَإِذَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الأَمْنِ ، وَإِغْفَالِ الشُّكْرِ ، وَتَرْكِ الابْتِهَالِ فِي الْحِفْظِ بِحَالٍ . وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ رحمه الله تعالى يَقُولُ : كَيْفَ تَأْمَنُ وَإِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ : ﴿ **وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ** ﴾ [إبراهيم : ٣٥]. وَيُوسُفُ الصِّدِّيقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِماً**﴾ [يوسف : ١٠١] . وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، كَأَنَّهُ فِي سَفِينَةٍ يَخْشَى الغَرَقَ .

وَبَلَغَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ أَنَّهُ قَالَ : تَأَمَّلْتُ سُفْيَانَ الثَّورِيَّ لَيْلَةً ، فَبَكَى اللَّيْلَ أَجْمَعَ ، قُلْتُ : بُكَاؤُكَ هٰذَا عَلَى الذُّنُوبِ ؟ قَالَ: فَحَمَلَ تِبْنَةً، وَقَالَ : الذَّنْبُ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هٰذَا إِنَّمَا أَخْشَى أَنْ يَسْلُبَنِي اللَّهُ الإِسْلَامَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

وَسَمِعْتُ أَنَا بَعْضَ الْعَارِفِينَ يَقُولُ : إِنَّ بَعْضَ الأَنْبِيَاءِ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى عَنْ أَمْرِ بِلْعَامَ وَطَرْدِهِ بَعْدَ تِلْكَ الآيَاتِ وَالْكَرَامَاتِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لَمْ يَشْكُرْنِي يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ عَلَى مَا أَعْطَيْتُهُ ، وَلَوْ شَكَرَنِي عَلَى ذٰلِكَ مَرَّةً لَمَا سَلَبْتُهُ .

فَتَيَقَّظْ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، وَاحْتَفِظْ بِرُكْنِ الشُّكْرِ جِدًّا جِداً ، وَٱحْمَدِ اللَّهِ عَلَى منِنه فِي ٱلدِّينِ ، أَعْلَاهَا الإِسْلَامُ وَالمَعْرِفَةُ ، وَأَدْنَاهَا مَثَلاً تَوْفِيقٌ

لَتَسْبِيحٍ ، أَوْ عِصْمَةٍ ، عَنْ كَلِمَةٍ لَا تَعْنِيكَ ، عَسَى أَنْ يُتِمَّ نِعَمَهُ عَلَيْكَ وَلَا يَبْتَلِيكَ بِمَرَارَةِ الزَوَالِ ، فَإِنَّ أَمَرَّ الأُمُورِ وَأَصْعَبَهَا ، الإِهَانَةُ بَعْدَ الإِكْرَامِ ، والطَّرْدُ بَعْدَ التَّقْرِيبِ ، وَالْفِرَاقُ بَعْدَ الوِصَالِ ، وَاللَّهُ تَعالَى المَاجِدُ الكَرِيمُ ، الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ .

فصــــل
(في وجوب التضرّع إلى الله تعالى)

وَجُمْلَةُ الأَمْـرِ أَنَّـكَ إِذَا أَحْسَنْتَ النَّـظَرَ في مِنَنِ اللَّهِ تَعَـالى الْعِـظَامِ عَلَيْـكَ ، وَأَيَادِيـهِ الْجِسَامِ الْكِـرَامِ لَدَيْـكَ ، الَّتِي لاَ يحصرهـا قَلْبُكَ ، وَلاَ يُحِيطُ بِهَا وَهْمُكَ ، حَتَّى خَلَّفْتَ هٰذِهِ الْعَقَبَاتِ الصِّعَـابَ ، فَوَجَـدْتَ الْعُلُومَ وَالْبَصَائِـرَ، وَتَـطَهَّـرْتَ مِنَ الأَوْزَارِ وَالْكَبَـائِـرِ ، وَسَبَقْتَ الْعَــوَائِقَ ، وَدَفَعْتَ الْعَوَارِضَ ، وَظَفِرْتَ بِالْبَوَاعِثِ، وَسَلِمْتَ مِنَ الْقَوَادِحِ ، فَكَمْ حَصَلَ لَكَ فِيهَا مِنْ خَصْلَةٍ شَرِيفَةٍ ، وَرُتْبَةٍ مُنِيفَةٍ ، أَوَّلُهَا التَّبْصِيرُ وَالتَّعْرِيفُ ، وَآخِرُهَا التَّقْرِيبُ وَالتَّشْرِيفُ ، فَتَأَمَّلْتَ فِيهَا بِمِقْدَارِ عَقْلِكَ وَتَوْفِيقِكَ ، وَشَكَرْتَ اللَّهَ تعالى عَلَى قَدْرِ / طَوْقِكَ ، بِأَنْ يَشْغَلَ لِسَانَكَ بِحَمْدِهِ وَثَنَائِهِ ، وَيَمْـلأَ قَلْبَكَ بِعَـظَمَتِهِ ، [٩٢/أ] وَيُبَلِّغَـكَ مَبْلَغاً يَحُـولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِصْيـانِـهِ ، وَيَبْعَثَـكَ عَلَى الْخِـدْمَـةِ بِمَـا أَمْكَنَكَ ، أَوْ بِسَعَـةِ طَاقَتِكَ ، مُعْتَرِفاً بِالْقُصُـورِ عَنْ حَقِّ إِنْعَامِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَكُلَّمَـا أَغْفَلْتَ شُكْـرَهُ أَوْ فَتَـرْتَ أَوْ زَلَلْتَ ، عَـاوَدْتَ وَآجْتَهَـدْتَ وَتَضَـرَّعْتَ وَتَوَسَّلْتَ وَقُلْتَ : يَا أَللَّهُ يَا مَوْلاَيَ ، كَمَا بَدَأْتَ بِالإِحْسَانِ بِفَضْلِكَ مِنْ غَيْـرِ آسْتِحْقَــاقٍ ،(فَأَتْمِمْـهُ بِفَضْلِكَ أَيْضاً مِنْ غَيْـرِ آسْتِحْقَاقٍ)[١]، وَتُنَادِيهِ بِنِـدَاءِ أَوْلِيَائِهِ الَّـذِينَ وَجَدُوا تَـاجَ هِدَايَتِـهِ ، وَذَاقُوا حَـلاَوَةَ مَعْرِفَتِـهِ . فَخَافُـوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ حُرْقَةَ الطَّرْدِ وَالإِهَانَـةِ ، وَوَحْشَةَ الْبُعْـدِ وَالضَّلاَلَـةِ ، وَمَرَارَةَ الْعَـزْلِ وَالإِزَالَةِ ، فَتَضَرَّعُوا بِالْبَابِ مُسْتَغِيثِينَ ، وَمَدُّوا إِلَيْـهِ الأَكُفَّ مُبْتَهِلِينَ ، وَنَادَوْا

في الْخَلَوَاتِ مُسْتَصْرِخِينَ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] .

قُلْتُ أَنَا : تَقْدِيرُهُ - وَٱللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّا وَجَدْنَا مِنْكَ نِعْمَةً فَطَمِعْنَا في أُخْرَى ، لأَنَّكَ أَنْتَ الْجَوَادُ الْوَهَّابُ ، فَكَمَا وَهَبْتَ لَنَا مَزِيَّةَ الإِنْعَامِ في الإِبْتِدَاءِ ،فَهَبْ لنَا رَحْمَةَ الإِتْمَامِ فِي الإِنْتِهَاءِ . أَمَا تَسْمَعُ - وَيْحَكَ - أَنَّ أَوَّلَ دُعَاءٍ عَلَّمَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِبَادَهُ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ آصْطَفَاهُم الله مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ ، هٰذَا الدُّعَاءُ : قَوْلُهُ : ﴿ آهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٦] أَيْ ثَبِّتْنَا عَلَيْهِ وَأَدِمْهُ لَنَا ، هٰكَذَا تَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ فَإِنَّ الْخَطَرَ عَظِيمٌ .

وَقِيلَ : إِنَّ الْحُكَمَاءَ نَظَرُوا فَرَدُّوا مَصَائِبَ الْعَالَمِ وَمِحَنَها[أ] إلى خمْسٍ :

الْمَرَضِ فِي الْغُرْبَةِ ، وَالْفَقْرِ في الشَّيْبِ ، وَالْمَوْتِ في الشَّبَابِ ، وَالْعَمَى بَعْدَ الْبَصَرِ ، وَالنَّكِرَةِ[ب] بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ .

وَأَحْسَنُ مِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ مَنْ قالَ : [البسيط] :

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ ... وَلَيْسَ لِلَّهِ إِن فَارَقْتَ مِنْ عِوَضِ

وَلِغَيْرِهِ : [الطويل] :

إِذَا أَبْقَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ ... فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ

وَكَذٰلِكَ في كُلِّ نِعمٍ أَنْعَمَ الله بِهَا عَلَيْكَ ، وَتَأْيِيدٍ أَيَّدَكَ بِهِ فِي قَطْعِ عَقَبَةٍ مِنَ الْعَقَبَاتِ ، لِيُثَبِّتَ عَلَيْكَ مَا أَعْطَى ، وَيَزِيدَكَ فَوْقَ مَا تَوَدُّ وَتَتَمَنَّى ؛

(أ) مِحَنها : أي محن المصائب ، وفي رواية أخرى : محنهم : أي محن الناس .
(ب) النكرة : أي الإنكار ، والمقصود : إنكار نعم الله تعالى بعد معرفتها .

فَإذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ ، كُنْتَ قَدْ خَلَّفْتَ هٰذِهِ الْعَقَبَةَ الْخَطِيرَةَ ، وَكُنْتَ قَدْ ظَفِرْتَ بِالْكَنْزَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ الْعَزِيزَيْنِ ، اللَّذَيْنِ هُمَا : الإِسْتِقَامَةُ وَالإِسْتِزَادَةُ ، فَتَدُومُ لَكَ النِّعَمُ الْمَوجُودَةُ الَّتِي أَعْطَاكَهَا ، فَلاَ تَخْشَى زَوَالَهَا ، وَيَزِيدُكَ مِنَ النِّعَمِ الْمَفْقُودَةِ الَّتِي لَمْ تُعْطَ بَعْدُ مَا لاَ تُحْسِنُ أَنْ تَسْأَلَهَا وَتَتَمَنَّاهَا / فَلاَ تَخْشَى فَوَاتَهَا ، وكُنْتَ حِينَئِذٍ مِنَ الْعَارِفِينَ الْعُلَمَاءِ بِالدِّينِ ، التَّائِبِينَ الطَّاهِرِينَ ، الزَّاهِدِينَ في الدُّنْيَا ، الْمُتَجَرِّدِينَ لِلْخِدْمَةِ ، الْقَاهِرِينَ لِلشَّيْطَانِ ، الْمُتَّقِينَ حَقَّ التَّقْوى بِالْقَلْبِ وَالأَرْكَانِ ، الْقَاصِرِينَ لِلأَمَلِ ، النَّاصِحِينَ الْخَاشِعِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ ، الْمُتَوَكِّلِينَ الْمُفَوِّضِينَ ، الرَّاضِينَ الصَّابِرِينَ ، الْخَائِفِينَ الرَّاجِينَ ، الْمُخْلِصِينَ الذَّاكِرِينَ المِنَّةَ ، الشَّاكِرِينَ لأَنْعُمِ سَيِّدِكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ ثُمَّ تَصِيرُ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنَ الْمُسْتَقِيمِينَ المُكَرَّمِينَ الصِّدِّيقِينَ . فَتَأَمَّلْ هٰذَا الْكَلاَمَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذٰلِكَ ، لَقَدْ قَلَّ مِنَ النَّاسِ العَابِدُ لِهٰذَا المَعْبُودِ ، الْوَاصِلُ إِلَى هٰذَا المَقْصُودِ ، وَمَنِ الَّذِي يَقْوَى عَلَى هٰذِهِ المُؤَنِ وَتَحْصِيلِ هٰذِهِ الشَّرَائِطِ ؟

صعوبة تحصيل الشكر

فَاعْلَمْ أَنَّ الله تَعَالَى ، كَذٰلِكَ يَقُولُ : ﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ [سبأ : ١٣] ﴿ **وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ** ﴾ [يوسف : ٣٨] ﴿ **لاَ يَعْقِلُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٣] ، ﴿ **لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : ٢١ ، ٤٠ ، ٦٨].

ثُمَّ إِنَّ ذٰلِكَ يَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَعَلَى الْعَبْدِ الاِجْتِهَادُ ، وَعَلَى الله الْهِدَايَةُ . قالَ تَعَالَى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وَإِذا كَانَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ يَقُومُ بِمَا عَلَيْهِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِالرَّبِّ الْقَدِيرِ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ الرَّحِيمِ ؟ فَإِنْ قُلْتَ : فَالْعُمْرُ قَصِيرٌ ،

قطع العقبات وقصر العمر

وَهٰذِهِ عَقَبَاتٌ طَوِيلَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَكَيْفَ يَبْقَى الْعُمْر حَتَّى تَكْمُلَ هٰذِهِ الشَّرَائِطُ وَتُقْطَعَ هٰذِهِ الْعَقَبَاتُ ؟ .

فَلَعَمْرِي إنَّ هٰذِهِ الْعَقَبَاتِ طَوِيلَةٌ ، والشَّرَائِطُ فِيهَا شَدِيدَةٌ ، ولٰكِنْ إذَا أَرَادَ الله تَعَالَى أنْ يَجْتَبِي عَبْدَهُ ، قَصَّرَ عَلَيْهِ طَوِيلَها ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ شَدِيدَهَا ، حَتَّى يَقُولَ بَعدَ قَطْعِهَا : مَا أَقْرَبَ هٰذِهِ الطَّرِيقَ وَأَقْصَرَهَا ، وَمَا أَهْوَنَ هٰذَا الأمْرَ وَأَيْسَرَهُ .

قطع العقبات بتوفيق الله

وفي مِثْلِ ذٰلِكَ قُلْتُ أنا عِنْدَ وُقُوفِي عَلَى هٰذِهِ الْغَايَةِ : [الكامل] :

عَلَمُ الْمَحَجَّةِ وَاضِحٌ لِمُرِيدِهِ وَأَرَى الْقُلُوبَ عَنِ المَحَجَّةِ في عَمَى
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِهَالِكٍ وَنَجَاتُهُ مَوْجُودَةٌ وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ نَجَا

حَتَّى أنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعُ هٰذِهِ الْعَقَبَاتِ في سَبْعِينَ سَنَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعُهَا في عِشْرِينَ سَنَة ،(وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعها)[1] في عَشْرِ سِنِينَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَحْصُلُ لَهُ في سَنَة ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعُهَا في شَهْرٍ بَلْ في جُمُعةٍ ، بَلْ في سَاعَةٍ ، حَتَّى أنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُحَصِّلَه في لَحظَةٍ بِتَوْفِيقٍ خَاصٍ وَعِنَايَةٍ سَابِقَةٍ .

[٩٣/أ]

أصحاب الكهف

أَمَا تَذْكُرُ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ؟ كَانَتْ[2] مُدَّتُهُمْ خَطِرَةً حَيْثُ رَأَوُا/ التَّغَيُّرَ في وَجْهِ مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوس[أ] فَقَالُوا : ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية [الكهف : ١٤]. حَصُلَتْ لَهُمُ المَعْرِفَةُ وَأَبْصَرُوا مَا في هٰذا الطَّرِيقِ مِنَ

(أ) في كتب التفسير إنه دقيانوس الجبّار ، وهو ممن عبد الأصنام وذبح للطواغيت ، وقتل من خالفه ، وكان ينزل قرى الروم ، فلا يترك في قرية نزلها أحداً إلاّ فتنه عن دينه حتى يعبد الأصنام أو يقتله .

الْحَقَائِقِ ، وَقَطَعُوا هٰذا الطريقَ فَصَارُوا مُفَوَّضِينَ مُتَوَكِّلِينَ مُسْتَقِيمِينَ ، إذْ قالُوا : ﴿ **فَأْوُوا إلى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ** ﴾ الآية [الكهف : ١٦] ، وَكُلُّ ذٰلِكَ إنَّمَا حَصَلَ لَهُمْ في مِقْدَارِ سَاعَةٍ أوْ لَحْظَةٍ .

سحرة فرعون

أمَا تَذْكُرْ سَحَرَةَ فِرْعَوْنَ ؟ مَا كَانَتْ مُدَّتُهُمْ إلا لَحَظَةً حَيْثُ رَأوْا مُعْجِزَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قالُوا : ﴿ **آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهٰرُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٢٢] فَأبْصَرُوا الطَّرِيقَ وَقَطَعُوهُ بِحقِّه ، فَصَارُوا مِنْ سَاعَةٍ إلى سَاعَةٍ ، بَلْ أقَلَّ ، مِنَ الْعَارِفِينَ بِالله ، الرَّاضِينَ بِقَضَاء الله تَعَالى ، الصَّابِرِينَ عَلَى بَلائِهِ ، الشَّاكِرِينَ لآلاَئِهِ ، الْمُشْتَاقِينَ إلى لِقَائِهِ ، فَنَادَوْا : ﴿ **لا ضَيْرَ إنَّا إلى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ** ﴾ [الشعراء : ٥٠]

إبراهيم بن أدهم

وَلَقَدْ حَكَيْنَا أنَّ إبْرَاهِيمَ بْنَ أدْهَمَ ، كَانَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا ، فَعَدَلَ وَقَصَدَ هٰذَا الطَّرِيقَ ، فَلَمْ يَكُنْ إلَّا مِقْدَارُ سَيْرِهِ مِنْ بَلْخٍ إلى مَرْو ، حَتَّى صَارَ بِحَيْث أشَارَ إلى رَجُلٍ سَقَطَ مِنَ الْقَنْطَرَةِ في المَاء الْكَثِير هُنَالِكَ ، أنْ قِفْ ، فَوَقَفَ الرَّجُلُ مَكَانَهُ في الْهَوَاء فَتَخَلَّصَ .

رابعة البصرية

وَأنَّ رَابِعَةَ الْبَصْرِيَّةَ كَانَتْ أمَةً كَبِيرَةَ السِّنِّ ، يُطَافُ بِهَا في سُوقِ الْبَصْرَةِ ، لاَ يَرْغَبُ فِيهَا أحَدٌ لِكِبَرِ سِنِّهَا ، فَرَحِمَهَا بَعْضُ التُّجَّارِ فَاشْتَرَاهَا بِنَحْوِ مِائَةِ دِرْهَمٍ وَأعْتَقَهَا ، فَاخْتَارَتْ هٰذا الطَّرِيقَ وَأقْبَلَتْ عَلَى الْعِبَادَةِ ، فَما تَمَّتْ لَهَا سَنَةٌ حَتَّى زَارَهَا عُبَّادُ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤهَا وَعُلَمَاؤهَا لِعِظَمِ مَنْزِلَتِهَا .

وَأمَّا الَّذِي لَمْ تُسْبِقْ لَهُ الْعِنَايَةُ ، وَلَمْ يُعَامَلْ بِالْفَضْلِ فَيُوكَلُ إلى نَفْسِه ، فَرُبَّمَا يَبْقَى في شُعْبَةٍ مِنْ عَقَبَةٍ وَاحِدَةٍ سَبْعِينَ سَنَةٍ لاَ يَقْطَعُها، وَكَمْ يَصِيحُ وَيَصْرُخُ ، مَا أظْلَمَ هٰذَا الطَّرِيقَ وَأشْكَلَهُ ، وَأعْسَرَ هٰذَا الأمْرَ وَأعْضَلَهُ ،

فَـإِنَّ الشَّأْنَ كُلَّهُ إِلَى أَصْـلٍ وَاحِدٍ ، وَذٰلِـكَ تَقْدِيـرُ الْعَزِيـزِ الْعَلِيمِ ، الْعَدْلِ الْحَكِيمِ .

فَإِنْ قُلْتَ : لِمَ آخْتُصَّ هٰذَا بِالتَّوْفِيقِ الْخَاصِّ وَحُرِمَ هٰـذَا ، وَكِلاَهُمَـا مُشْتَرِكَانِ فِي رِبْقَةِ الْعُبُودِيَّةِ ؟ .

[٩٤/أ] فَعِنْدَ هٰذَا السُّؤَالِ تُنَادَى مِنْ سُرَادِقَاتِ الْجَـلاَلِ : أَنِ الْزَمِ ٱلأَدَبَ ، وَآعْرِفْ سِرَّ الرُّبُوبِيَّـةِ وَحَقِيقَةَ الْعُبُـودِيَّةِ ، فَـإِنَّهُ ﴿ **لَا يُسْئَـلُ عَمَّا يَفْعَـلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

قُلْتُ أَنَا : وَمِثَالُ هٰـذَا الطَّرِيقِ فِي آلـدُّنْيَا الصِّـرَاطُ فِي الآخِرَةِ ، فِي عَقَبَاتِهَا وَمَسَافَاتِهَا وَمَقَاطِعِهَا/ ، وَاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الخلائق فِيهَا ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ ، وَآخَرُ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ وَآخَرُ كَالطَّائـرِ ، وَآخَرُ يَمْشِي ، وَآخَـرُ يَزْحَفُ حَتَّى يَصِيـرَ فَحْمَةً ، وَآخَرُ يَسْمَعُ حَسِيسَهَا ، وَآخَرُ يُؤْخَذُ بِكَلاَلِيبَ فَيُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ .

وكَذٰلِكَ حَالُ هٰذَا الطَّرِيقِ مَعَ سَـالِكِيهِ فِي ٱلدُّنْيَـا ، فَهُمَا صِـرَاطَانِ : صِرَاطُ ٱلدُّنْيَا ، وَصِرَاطُ الآخِرَةِ ؛ فَصِـرَاطُ الآخِرَةِ لِـلأَنْفُسِ ، يَرَى أَهْوَالَهَا أَهْـلُ الأَبْصَـارِ ، وَصِـرَاطُ آلـدُّنْيَـا لِلْقُلُوبِ ، يَـرَى أَهْـوَالَهَـا ذَوُو الْبَصَـائـرِ وَٱلأَلْبَابِ ، وَإِنَّمَا آخْتَلَفَتِ ٱلأَحْوَالُ لِلسَّالِكِينَ فِي الآخِرَةِ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ فِي آلدُّنْيَا ، فَتَأَمَّلْ ذٰلِـكَ حَقَّهُ ، فَهٰذِهِ هٰذِهِ .

فصـــــل
(في أن طريق الآخرة روحاني تسلكه القلوب)

ثُمَّ ٱعْلَمْ مَا هُوَ التَّحْقِيقُ في هٰذَا الْبابِ ، وَهُو أَنّهُ لَيْسَ هٰذَا الطَّرِيقُ في طُولِهِ وَقِصَرِهِ مِثْلَ المَسَافَاتِ المَكَانِيَّةِ التِي تَسْلُكُهَا الأَنْفُسُ ، فَتَقْطَعُهَا بِالأَقْدَامِ فيكون قَطْعُهَا عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ ٱلأنفُسِ وَضَعْفِهَا ، إنَّما هُوَ طرِيقٌ رَوْحَانِيٌّ تَسْلُكُهُ الْقُلُوبُ ، فَتَقْطَعُهُ بِالأَفْكَارِ عَلَى حَسَبِ الْعَقَائِدِ وَالْبَصائرِ ، أصْلُهُ نُورٌ سَمَاوِيٌّ وَنَظَرٌ إلٰهِيٌّ ، يَقَعُ في قَلْبِ الْعَبْدِ يَنْظُرُ نَظْرَةً فَيَرى بِهَا أَمْرَ الدّارَيْنِ بِالْحَقِيقَةِ ، ثُمَّ هٰذَا النُّورُ رُبّمَا يَطْلُبُهُ الْعَبْدُ مِائَةَ سَنَةٍ فَلا يَجِدْهُ وَلَا أثَراً مِنْهُ ، وَذٰلِكَ لِخَطَئِهِ في الطَّلَبِ ، وَتَقْصِيرِهِ في ٱلاِجْتِهَادِ ، وَجَهْلِهِ بِطَرِيقِ ذٰلِكَ ، وَآخَرُ يَجِدُهُ فِي خَمْسِينَ وَآخَرُ فِي عَشْرٍ ، وَآخَرُ فِي يَوْمٍ ، وَآخَرُ فِي سَاعَةٍ وَلَحْظَةٍ بِعِنَايَةِ رَبِّ العالمين ، وَهُوَ تَعَالَى وَلِيُّ الْهِدَايَةِ ، لٰكِنِ الْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِالاجْتِهَادِ ، فَعَلَيْهِ بِمَا أُمِرَ ، وَالأَمْرُ مَقْسُومٌ مَقْدُورٌ ، والرَّبُّ حَكَمٌ عَدْلٌ ، يَفْعَلُ مَا يَشاء وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ .

فَإنْ قُلْتَ : فَمَا أَعْظَمَ هٰذَا الْخَطَرِ وَأَشَدَّ هٰذَا الأمْرِ ، وَأَكْثَرَ مَا يَحْتَاجُ إلَيهِ هٰذَا الْعَبْدُ الضعيفُ ، فَكُلُّ هٰذَا الْعَمَلِ وَالْجُهْدِ وَتَحْصِيلِ هٰذِهِ الشَّرَائِطِ لِماذَا ؟

فَأَقُولُ لَعَمْرِي : إنَّكَ لَصَادِقٌ في قَوْلِكَ ، إنّ ٱلأمْرَ شَدِيدٌ ، وَالْخَطَرَ عَظِيمٌ ، وَلِذٰلِكَ قالَ تَعَالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ في كَبَدٍ ﴾ [البلد : ٤]

وَقالَ تَعَالى : ﴿ إنّا عَرَضْنا ٱلأمَانَةَ عَلى السَّمٰوَاتِ وَالْأرْضِ وَالْجِبَالِ فَأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَهَا وَأشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلأنْسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

وَلِذٰلِكَ قال سَيِّدُ المُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ ٱلله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ « لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيراً / وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً »(أ).

وَرُوِي أنَّ المُنَادِي يُنَادِي مِنَ السَّمَاء : « لَيْتَ الْخَلْقَ(١) لَمْ يُخْلَقُوا وَلَيْتَهُمْ إذْ خُلِقُوا عَلِمُوا لِمَاذَا خُلِقُوا ».

وَكَذٰلِكَ يَقُولُ السَّلَفُ رَضِيَ الله عَنْهُمْ ، فَعَنْ أبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱلله عَنْهُ أنَّهُ قالَ : وَدِدْتُ أنِّي كُنْتُ خَضْرَاء تَأْكُلُني الدَّوَابُّ مَخَافَةَ الْعَذَابِ .

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ أنَّهُ سَمِعَ إنْسَاناً يَقْرَأُ : ﴿ هَلْ أتَى عَلَى ٱلإنْسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾[الإنسان : ١] فقال لَيْتَهَا تَمَّتْ .

وَقالَ أبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ : وَدِدْتُ أنِّي كَبْشٌ ، فَيَتَفَرَّقَ لَحْمِي وَيَتَحَسَّى مَرَقِي وَلَمْ أُخْلَقْ .

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ رحمه الله : خُلِقَ آبْنُ آدَمَ أحْمَقَ ، وَلَوْلا حَمْقُهُ مَا هَنَأهُ عيْشٌ .

وَعَنِ الفُضَيْلِ : إنِّي لا أغْبِطُ مِلكاً مُقَرَّباً وَلا نَبِيًّا مُرْسَلاً وَلا عَبْداً صَالِحاً ، ألَيْسَ هٰؤلاء يُعَاتَبُونَ (يَوْمَ)(٢) القِيَامَةِ ؟ إنَّما أغْبِطُ مَنْ لَمْ يُخْلَقْ .

وَعَنْ عَطَاء السُّلَمِيِّ(ب) لَوْ أنَّ نَاراً أُجِّجت وَقِيلَ مَنْ ألْقى نَفْسَهُ فِيهَا

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ١١١ .
(ب) والأصح السليمي ، وهذا القول ورد في الحلية (٢١٥/٦) .

صَارَ لَا شَيْء ، لَخَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ مِنَ الْفَرَحِ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلى النَّارِ .

فَالأَمْرُ إِذَنْ أَيُّهَا الرَّجُلُ شَدِيدٌ كَمَا تَقُولُ، بَلْ هُوَ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِمَّا تَظُنُّ وَتَتَوَهَّمُ ، وَلٰكِنَّهُ أَمْرٌ سَبَقَ فِي الْعِلْمِ الْقَدِيمِ ، وَتَدْبِيرٍ أَجْرَاهُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ، وَلَا حِيلَةَ لِلْعَبْدِ إِلَّا بَذْلَ المَجْهُودِ فِي الْعُبُودِيَّةِ ، وَالاعْتِصَامَ بِحَبْلِ الله ، وَالابْتِهَالَ دَائماً إِلى الله تعالى ، عَسَى أَنْ يَرْحَمَهُ فيسلمه بفَضْلِه .

وَأَمَّا قَوْلُكَ كُلُّ هٰذَا لِمَاذَا ؟

فَهٰذَا كَلَامٌ يَدُلُّ مِنْكَ عَلَى غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ ، بَلِ الصَّوَابُ أَنْ تَقُولَ : كُلَّ هٰذَا فِي جَنْبِ مَا يَطْلُبُهُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ مَاذَا[أ] ؟ أَتَدْرِي مَا يَطْلُبُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ ؟

مطلب العبد

أَقَلُّ مَا يَطْلُبُهُ عَلَى الْجُمْلَةِ شَيْئَانِ، أَحَدُهُما : السَّلَامَةُ فِي الدَّارَيْنِ ، وَالثَّانِي : المُلْكُ فِي الدَّارَيْنِ .

أَمَّا السَّلَامَةُ فَإن الدُّنْيا وَفِتْنَتَهَا وَغَوَائِلَهَا[ب] ، بِحَيْثُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ ، فَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ[ج] ، حَتَّى رُوِيَ أَنَّهُ إِذَا عُرِجَ بِرُوحِ الْعَبْدِ إِلى السَّمَاء ، تَقُولُ مَلَائِكَةُ السَّمٰوَاتِ مُتَعَجِّبِينَ : كَيْفَ نَجَا هٰذَا مِنْ دَارٍ فَسَدَ فِيهَا خِيَارُنَا ؟ وَأَنَّ الآخِرَةَ فِي أَهْوَالِهَا وَشَدَائِدِها ، بِحَيْثُ تَصْرُخُ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ : نَفْسِي نَفْسِي ، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا

(أ) أي : أي شيء هو ؟

(ب) أي : أن الدنيا مخلوقة هي وفتنتها وغوائلها ، فإذا طلبت الدنيا أخذتها مع ما فيها وما معها .

(ج) هاروت وماروت : من الملائكة العابدين الصالحين. انظر خبرهما في كتب التفسير، تفسير سورة البقرة الآية ١٠٢ (وعلى الأخص تفسير الخازن) .

نَفْسِي .حَتى رُوِي إنّـهُ : لَوْ كَـانَ لِرَّجُـلِ عَمَلُ سَبْعِينَ نَبِيّـاً ، لَظَنَّ أنّـهُ لَنْ يَنْجُو . فَمَنْ أرَادَ أنْ يَسْلَمَ مِنْ فِتَنِ هٰذِهِ ، فَيَخْرُجَ مِنْها بِالإسْلاَمِ سَالِماً ، لاَ تُصِيبُهُ فِتْنَـةٌ مِنْ أهْوَالِ هٰذِهِ/ فَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ سَالِماً ، لاَ تُصِيبُهُ نَكْبَةٌ ، أيَكُونُ ذَلِكَ أمْراً هَيِّناً ؟

وَأمّـا المُلْكُ وَالْكَرَامَـةُ ، فَإنَّ المُلْكَ نَفَـاذُ التَّصَرُّفِ وَالمَشِيئَـةِ ، وَإنَّ ذَلِكَ بِالْحَقِيقَةِ في الدُّنْيا لِأوْلِيَاء الله عَزَّ وَجَلَّ وَأصْفِيَائِهِ ، الرَّاضِينَ بِقَضَائِهِ ، البَرُّ وَالْبَحْرُ وَالأرْضُ لَهُمْ قَدَمٌ ، وَالْحَجَرُ وَالمَدَرُ لَهُمْ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ ، وَالْجِنُّ وَالإنْسُ، وَالْبَهَائِمُ والطُّيُور لَهُمْ مسَخَّرُونَ، لاَ يَشَاءُونَ شَيْئاً إلاَّ وَهُو كَائِنٌ، لِأنَّهُمْ لاَ يَشَاءونَ إلاَّ مَا شَاء الله ، وَمَا شَاء الله كَانَ ، وَلاَ يَهابُونَ أحَـداً مِنَ الْخَلْقِ ، وَيَهَابُهُمْ كُل الْخَلْقِ ، وَلاَ يَخْدِمُونَ أحَداً إلاَّ الله وَيَخْدُمُهُمْ كُلُّ مَنْ دُونِ الله ، وَأيْنَ لِمُلُوكِ الدُّنْيَا بِعُشْرِ مِعْشَارِ هٰذِهِ الرُّتْبَةِ ، بَلْ هُمْ أقَلُّ وَأذَلُّ ، وَأمَّـا مُلْكُ الآخِرَةِ فَيَقُـولُ الله تعالى : ﴿ **وَإذَا رَأيْتَ ثَمَّ رَأيْتَ نَعِيمـاً وَمُلْكـاً كَبِيراً** ﴾ [الإنسان: ٢٠] وَأعْظَمُ بما يَقُولُ رَبُّ العِزَّةِ إنَّهُ مُلْكٌ كَبِيرٌ، وَأنْتَ تَعْلَمُ أنَّ الدُّنْيَا بِأسْرِهَا قَلِيلَةٌ، وَأنَّ بَقَاءَهَا مِنْ أوَّلِهَا إلى آخِرِهَا قَلِيلٌ، وَنَصِيبَ أحَدِنَا مِنْ هٰذَا الْقَلِيلِ قَلِيلٌ، ثُمَّ الْوَاحِدُ مِنَّا قَدْ يَبْذُلُ مَالَهُ وَرُوحَهُ. حَتَّى يَظْفَرَ بِقَدْرٍ قَلِيلٍ مِنْ هٰذَا الْقَلِيلِ في بَقَاء قَلِيل، وَإنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ فَيُعْذَرُ بَلْ يُغْبَطُ ، وَلاَ يَسْتَكْثِرُ مَا بَذَلَ فِيهِ مِنَ المَالِ وَالنفْسِ ، نَحْوَ مَا ذُكِرَ عَنِ آمْرِىءِ الْقَيْسِ حَيْثُ يَقُولُ : [الطويل] :

[٩٣/ب]

بَـكَـى صَـاحِـبِـي لَـمَّـا رَأى الـدَّرْبَ دُونَـهُ
وأيـقـن أنّـا لاَحِـقَـانِ بِـقَـيْـصَـرَا[1]
فَـقُـلْتُ لَـهُ لاَ تَـبْـكِ عَـيْـنُـكَ إنَّـمَـا
نُـحَـاوِلُ مُـلْكـاً أوْ نَـمُـوتَ فَـنُـعْـذَرَا

فَكَيْفَ حَالُ مَنْ يَطْلُبُ المُلْكَ الْكَبِيرَ في دَارِ النَّعِيمِ الْخَالِدِ المُقِيمِ ؟ أَيَسْتَكْثِرُ مَعَ ذٰلِكَ أَنْ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ لله تَعالى ، أَوْ يُنْفِقَ دِرْهَمَيْنِ ، أَوْ يَسْهَرَ لَيْلَتَيْنِ ؟ كَلاَّ ، بَلْ لَوْ كَانَ لَـهُ أَلْفُ أَلْفِ نَفْسٍ ، وَأَلْف أَلْفِ رُوحٍ ، وَأَلْفُ أَلْفِ عُمْرٍ ، كُلَّ عُمْـرٍ ، مِثْلُ عُمْـرِ الدُّنْيـا وَأَكْثَرَ ، فَبَـذَلَ ذٰلِكَ كُلَّهِ فِي هٰـذَا المَطْلُوبِ الْعَزِيزِ ، لَكَانَ ذٰلِكَ قَلِيلاً ، وَلَئِنْ ظَفِرَ بَعْدَهُ بِما طَلَبَ ، كَانَ ذٰلِكَ غُنْماً عَظِيماً ، وَفَضْلاً مِن الَّذِي أَعْطَاهُ كَبِيراً ، فَتَنَبَّهْ أَيُّهـا الْمِسْكِينُ مِن رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ .

ثُمَّ إِنِّي تَأَمَّلْتُ مَا يُعْطِي ٱلله تعالى الْعَبْدَ إِذَا أَطَاعَهُ ، وَلَزِمَ خِـدْمَتَهُ ، وَسَلَكَ هٰذِهِ الطَّرِيقَ عُمْرَهُ ، فَوَجَـدْتُهَا عَلَى الْجُمْلَةِ أَرْبَعِينَ كَرَامَـةً وَخِلْعَةً ، عِشْرونَ مِنْهَا / في الدُّنْيَا ، وَعِشْرونَ في الْعُقْبَى . [٩٥/أ]

أَمَّا الَّتي في الدُّنْيا :

كرامات الأولياء في الدنيا

فَٱلأولى : أَنْ يَذْكُرَهُ ٱلله سُبْحَانَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ، وَأَكْرِمْ بِعَبْدٍ يَكُـونُ رَبُّ الْعَالَمِينَ في ذِكْرِهِ وَثَنَائِهِ .

وَالثَّانِيَةُ : أَنْ يَشْكُرَهُ جَلَّ جَلاَلُهُ وَيُعَظِّمُهُ ، وَلَوْ شَكَرَكَ مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ مِثْلُكَ وَعَظَّمَكَ ، لَشَرُفْتَ بِهِ ، فَكَيْفَ بِآلِهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ؟

وَالثـالِثَـةُ : أَنْ يُحِبَّـهُ ، وَلَـوْ أَحَبَّــكَ رَئِيسُ مَحَلَّةٍ ، أَوْ أَمِيـرُ بَلْدَةٍ ، لاَفْتَخَـرْتَ بِذٰلِـكَ ، وَٱنْتَفَعْتَ بِهِ في مَـوَاطِنَ عَـزِيـزَةٍ ، فَكَيْفَ بِمَحَبَّـةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؟

الرَّابِعَةُ : أَنْ يَكُونَ لَهُ وَكِيلاً يُدَبِّرُ أُمُورَهُ[١] .

الْخَامِسَةُ : أَنْ يَكُونَ لِرِزْقِهِ كَفِيلاً يُوَجِّهُهُ إِلَيْهِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ أَوْ زَوَالٍ[٢] .

السَّادِسَةُ: أنْ يَكُونَ لَهُ نَصِيراً يَكْفِيهِ كُلَّ عَدُوٍّ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ قاصِدٍ بِسُوءٍ.

السَّابِعَةُ: أنْ يَكُونَ لَهُ أنِيساً، لا يَسْتَوْحِشُ بِحالٍ، وَلاَ يَخافُ التَّغْيِيرَ وَالاِسْتِبْدَالَ.

الثَّامِنَةُ: عِزُّ النَّفْسِ[أ]، فَلاَ يَلْحَقُهُ ذُلُّ خِدْمَةِ الدُّنْيَا وَأهْلِهَا، بَلْ لاَ يَرْضَى أنْ تَخْدُمَهُ مُلُوكُ الدُّنْيَا وَجَبَابِرَتُهَا،

التَّاسِعَةُ: رَفْعُ الْهِمَّةِ، فَيَتَرَفَّعُ عَنِ التَّلَطُّخِ بمقاذر الدُّنْيَا وَأهْلِهَا وَلاَ يَلْتَفِتُ إلى زَخَارِفِهَا وَمَلاَهِيهَا، تَرَفُّعِ الرِّجَالِ الأولياء[1] عَنْ مَلاَعِبِ الصِّبْيَانِ والنِّسْوَانِ.

العَاشِرَةُ: غِنَى الْقَلْبِ، فَيَكُونُ أغْنَى كُلِّ غَنِيٍّ في الدُّنْيَا، لاَ يَزَالُ طَيِّبَ النَّفْسِ، فَسِيحَ الصَّدْرِ، لاَ يَفْزَعُهُ حَدَثٌ وَلاَ يَهُمُّهُ عُدْمٌ.

الإحْدَى عَشْرَةَ: نُورُ الْقَلْبِ، فَيَهْتَدِي بِنُورِ قَلْبِهِ إلى عُلُومٍ وَأسْرَارٍ وَحِكَمٍ، لاَ يَهْتَدِي إلى بَعْضِهَا غَيْرُهُ إلاَّ بِجُهْدٍ جَهِيدٍ، وَعُمْرٍ مَدِيدٍ.

الثَّانِيَة عَشْرَةَ: شَرْحُ الصَّدْرِ، فَلاَ يَضِيقُ ذَرْعاً بِشَيء مِنْ مِحَنِ الدُّنْيَا وَمَصَائِبِهَا، وَمُؤَنِ النَّاسِ وَمَكَايِدِهِمْ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: المَهَابَةُ وَالمَوْقِعُ في النُّفُوسِ، يَحْتَرِمُهُ الأخْيَارُ وَالأشْرَارُ، وَيَهَابُهُ كُلُّ فِرْعَوْنَ وَجَبَّارٍ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: المَحَبَّةُ في الْقُلُوبِ، يَجْعَلُ لَهُ الرَّحْمنُ وُدّاً، فَتَرَى الْقُلُوبَ كُلَّهَا مَجْبُولَةً عَلَى حُبِّهِ، وَالنُّفُوسَ كُلَّهَا بِأجْمَعِهَا مَطْبُوعَةً عَلَى تَعْظِيمِهِ وَإكْرَامِهِ.

(أ) عِزّ النفس: أي عزيز النفس.

الْخَامِسَةَ عَشَرَةَ : الْبَرَكَةُ الْعَامَّةُ في كُلِّ شَيْءٍ ، مِنْ كَلامٍ أَوْ نَفْسٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ ثَـوْبٍ(أ) أَوْ مَـكَانٍ(ب) حَتَّى يُتَبَرَّكَ بِتُرَابٍ وَطِئَهُ ، وَبِمَكَانٍ جَلَسَ فِيهِ يَوْماً ، وَإِنْسَانٍ رَآهُ وَصـحِبَهُ حِينــاً .

السَّادِسَةَ عَشَرَةَ : تَسْخِيرُ الأَرْضِ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إِنْ شَاء سَارَ في الْهَوَاء أَوْ مَشَى عَلَى المَاء ، أَوْ قَطَعَ وَجْهَ الأَرْضِ / بِأَقَلَّ مِنْ سَاعَةٍ . [٩٥/ب]

السَّابِعَةَ عَشَرَةَ : تَسْخِيرُ الْحَيَـوَانِ مِنَ السِّبَاعِ وَالْـوُحُوشِ ، وَالْهَـوَامِّ وَغَيْرِهَا فَتُجِيبُهُ الْوُحُوشُ وَتُبَصْبِصُ لَهُ الأُسُودُ .

الثَّامِنَةَ عَشَرَةَ : مِلْكُ مَفَاتِيحِ الأَرْضِ ، فَحَيثما يَضْرِبُ يَدهُ فَلَهُ كَنْزٌ إِنْ أَرَادَ، وَحَيْثُمَا يَضْرِبُ رِجْلَهُ فَلَهُ عَيْنُ (مَـاء)(١) إن آحْتَاجَ ، وَأَيْنَمـا نَزَلَ فَلَهُ مَائِدَةٌ تَحْضُرُهُ إِنْ قَصَدَ .

التَّاسِعَةَ عَشَـرَةَ : الْقِيَادَةُ وَالْـوَجَاهَـةُ عَلَى بَابِ رَبِّ الْعِـزَّةِ، فَيَبْتَغِي الْخَلْقُ الْـوَسِيلَةَ إلى آللهِ تَعَالى بِخِـدْمَتِهِ ، وَتُسْتَنْـجَـحُ الْحَاجَـاتُ إلى آللهِ بِوَجَاهَتِهِ وَبَرَكَتِهِ .

الْعِشْـرُونَ : إِجَابَـةُ الدَّعْـوَةِ مِنَ اللهِ ، وَلاَ يَسْـأَلُ آللهَ تَعَـالى شَيْئـاً إِلاَّ أَعْـطَاهُ ، وَلاَ يَشْفَعُ لِأَحَـدٍ إِلاَّ شُفِّعَ ، وَلَـوْ أَقْسَمَ عَلَى آللهِ تَعَالى لَأَبَـرَّهُ بِمَـا شَاءَ ، حَتَّى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَشَارَ إِلَى جَبَلٍ لَزَال ، فَلا يَحْتَاجُ إِلَى السُّؤَالِ بِاللِّسَانِ، وَلَوْ خَطَرَ بِبَالِهِ شَيْءٌ لَحَضَرَ، وَلاَ يَحْتَاجُ إلى الإِشَارَةِ بِالْيَـدِ، فَهٰذِهِ كَرَامَاتٌ فِي الدُّنْيَا.

(أ) ثاب ثوباً : رَجَعَ ، أي فعل فعلاً أو رَجَعَ عن فعلٍ .
(ب) مكان : أي مكان حَلَّ فيه أو وطئه .

كرامات الأولياء في العقبى

وَأَمَّا الَّتي في الْعُقْبَى :

فَالإحدى وَالْعِشْرُونَ : أنْ يُهَوِّنَ عَلَيْهِ أوَّلاً سَكَرَاتِ المَوْتِ ، وَهِيَ الَّتي وَجِلَتْ قُلُوبُ الأَنْبِيَاءِ منها ، حَتَّى سَأَلُوا اللَّه أنْ يُهَوِّنَهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ المَوْتُ عِنْدَهُ مِثْلَ شُرْبَةِ المَاء الزُّلَالِ لِلظَّمْآنِ ، قالَ اللَّه تَعَالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِين ﴾ [النحل : ٣٢]

وَالثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : التثبيتُ عَلى المَعْرِفَةِ وَالإيْمَانِ ، وَهُوَ الَّذِي منهُ الْخَوْفُ وَالفَزَعُ ، وَعَلَيْهِ كُلُّ البُكَاءِ وَالْجزَعِ ، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

وَالثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: إرْسَالُ الرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ بِالبُشْرَى وَالأَمَانِ، قَوْلُهُ ﴿ أنْ لَا تخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصّلت : ٣٠] فلَا يَخَافُ مِمَّا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ في الْعُقْبَى ، وَلاَ يَحْزَنُ عَلَى مَا خَلَّفَهُ في الدُّنْيَا .

وَالرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ : الْخُلُودُ في الْجِنَانِ ، وَمُجَاوَرَةِ الرَّحْمٰن .

وَالْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ : الحياة(١) في السِّرِّ لِرُوحِهِ ، فَيَعْرُجُ عَلَى مَلاَئِكَةِ السَّمٰوَاتِ بِالإكْرَامِ وَالإلْطَافِ وَالإنْعَامِ ، وَلِبَدَنِهِ في الْعَلاَنِيَةِ ، بِتَعْظِيمِ جَنَازَتِهِ ، وَالمُزَاحَمَةِ عَلَى الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ، وَالمُبَادَرَةِ إلَى تَجْهِيزِهِ ، يَرْجُونَ ذٰلِكَ أَكْبَرَ ثَوَابٍ وَيَعُدُّونَهُ أعْظَمَ غُنْمٍ .

[٩٦/أ]

وَالسَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ : الأمَانُ مِنْ فِتْنَةِ سُؤَالِ / الْقَبْرِ وَتَلْقِين الصَّوَابِ ، فَيَأْمَنْ مِنْ ذٰلِكَ الْهَوْلِ .

وَالسَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ : تَوْسِيعُ الْقَبْرِ وَتَنْوِيرُهُ ، فَيَكُونُ في رَوْضَةٍ مِنْ رِياضِ الْجَنَّةِ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ : إينَاسُ رُوحِهِ وَنَسَمَتِهِ وَإِكْرَامُهَا ، فَتُجْعَلُ في أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ مَعَ الإِخْوَانِ الصالِحِينَ ، فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ بِمَا آتَاهُمُ آللهُ مِنْ فَضْلِهِ .

وَالتاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ : الْحَشْرُ وَالْعِزُّ وَالْكَرَامَةُ ، مِنْ حُلَلٍ وَتَاجٍ وَبُرَاقٍ .

وَالثَّلاَثُونَ : بَيَاضُ الْوَجْهِ وَنُورُهُ ، قَالَ آللهُ تَعَالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٣] وَقَالَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس : ٣٩]

وَالْحَادِيَةُ وَالثَّلاَثُونَ : ألأَمْنُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، قالَ الله تَعَالى : ﴿ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [فصّلت : ٤٠]

وَالثانِيَةُ وَالثَّلاثُون : الْكِتَابُ بِالْيَمِينِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَى الْكِتَابَ رَأْساً .

وَالثَّالِثَةُ وَالثَّلاَثُونَ : تَيْسِيرُ الْحِسَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يحَاسَبُ أَصْلاً .

وَالرَّابِعَةُ وَالثَّلاَثُونَ : ثِقَلُ الْمِيزَانِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُوقَفُ لِلْوَزْنِ أَصْلاً .

وَالْخَامِسَةُ وَالثَّلاَثُونَ : وُرُودُ الْحَوْضِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَيَشْرَبُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أبداً .

وَالسَّادِسَةَ وَالثَّلاَثُونَ : جَوَازُ الصِّرَاطِ وَالنَّجاةُ مِنَ النَّارِ ، حَتَّى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَسْمَعُ حَسِيسَهَا ، وَتُخْمَدُ له النَّارُ .

وَالسَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ : الشَّفَاعَةُ في عَرَصَاتِ[1] الْقِيامَةِ نَحْواً مِنْ شَفَاعَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالمرسلين .

وَالثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ : مِلْكُ الأَبَد في الجَنَّةِ .

وَالتَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ : الرِّضْوَانُ الأَكْبَرُ .

وَالأَرْبَعُونَ : لِقَاءُ رَبِّ العَالَمِينَ ، إِلهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، بِلَا كَيْفٍ ، جَلَّ جَلَالُهُ .

ثُمَّ أَقُولُ: وَإِنَّمَا عَدَدْتُ ذٰلِكَ عَلَى حَسَبِ فَهْمِي[2] وَمَبْلَغِ عِلْمِي وَقُصُورِهِ وَنَقْصِهِ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ أَجْمَلْتُ وَأَوْجَزْتُ، وَذَكَرْتُ مِن الأُصُولِ وَالجُمَلِ ، وَلَوْ فَصَّلْتُ ذٰلِكَ لَمَا ٱحْتَمَلَهُ الْكِتَابُ . أَلَا تَرَى أَنِّي جَعَلْتُ مُلْكَ الأَبَدِ خِلْعَةً وَاحِدَةً ، وَلَوْ فَصَّلْتُهَا لَارْتَفَعَتْ عَلَى أَرْبَعِينَ خِلْعَةً مِنْ نَوعِ الحُورِ وَالقُصُورِ وَاللِّبَاسِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ ؛ ثُمَّ كُلُّ نَوعٍ يَشْتَمِلُ عَلَى تَفَاصِيلَ لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، الَّذِي هُوَ خَالِقُهَا وَمَالِكُهَا ، وَأَيُّ مَطْمَعٍ لَنَا فِي مَعْرِفَةِ ذٰلِكَ ، واللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ [السجدة : ١٧] ، ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَلَقَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[أ] وَإِنَّ المُفَسِّرِينَ يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿**لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي**﴾ [الكهف : ١٠٩] إِنَّ هٰذِهِ هِيَ الكَلِمَاتُ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِ الجَنَّةِ فِي الجَنَّةِ بِاللُّطْفِ وَالإِكْرَامِ ؛ وَمن تَكُونُ حَالُهُ هٰذِهِ ، فَأَنَّى يَبْلُغُ جُزْءاً مِن أَلْفِ أَلْفِ جُزْءٍ وَهُمْ بَشَرٌ ، وَيُحِيطُ بِهِ عِلْمُ مَخْلُوقٍ ؟

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ١١٢ .

كَلاَّ بَلْ تَقَاعَدَتِ الْهِمَمُ ، وَتَقَاصَرَتْ دُونَـهُ الْعُقُولُ ، وَحَقَّ أَنْ يَكُـونَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ ، وَهُوَ عَطَاءُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، عَلَى مُقْتَضَى الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، وَحَسَبِ الْجُـودِ الْقَـدِيمِ . أَلاَ فَلْيَعْمَـلِ الْعَـامِلُونَ ، وَلْيَبْـذُلِ الْمُجْتَهِـدُونَ جُهْدَهُمْ لِهٰذَا الْمَطْلُوبِ الْعَظِيمِ ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ ذٰلِكَ كُلَّهِ أَقَلُّ قَلِيلٍ فِي جَنْبِ مَا هُمْ إِلَيْهِ مُحْتَاجُونَ ، وَإِيَّاهُ يَطْلُبُونَ ، وَلَهُ يَتَعَرَّضُونَ .

وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ الْعَبْدَ لاَ بُدَّ لَهُ فِي الْجُمْلَةِ مِنْ أَرْبَعَةٍ : الْعِلْمُ ، وَالْعَمَلُ ، وَالإِخْلاَصُ ، وَالْخَوْفُ ، فَلْيَعْلَمْ أَوَّلاً الطَّرِيقَ ، وَإِلاَّ فَهُوَ أَعْمَى ؛ ثُمَّ يَعْمَلُ بِالْعِلْمِ وَإِلاَّ فَهُوَ مَحْجُوبٌ ؛ ثُمَّ يُخْلِصَ الْعَمَلَ وَإِلاَّ فَهُوَ مَغْبُونٌ ، ثُمَّ لاَ يَزَالُ يَخَافُ وَيَحْذَرُ مِنَ الآفَاتِ إِلى أَنْ يَجِدَ الأَمَانَ ، وَإِلاَّ فَهُوَ مَغْرُورٌ .

وَلَقَدْ صَدَقَ ذُو النـونِ رحمه الله حَيْثُ قـالَ : الْخَلْقُ كُلُّهُمْ مَوْتَى إِلاَّ الْعُلَمـاءُ ، وَالْعُلَماءُ كُلهُمْ نِيـامٌ إِلاَّ الْعَامِلِينَ ، وَالْعَـامِلُونَ كُلُّهُمْ مُغْتَرُّونَ إِلاَّ الْمُخْلِصِينَ ، وَالمُخْلِصونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ .

قُلْتُ أَنَا : وَالْعَجَبُ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ أَرْبَعَةٍ :

أحدُها : مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمٍ ؛ أَمَا يَهْتَمُّ بِمَعْرِفَةِ مَا بَيْنَ يَـدَيْهِ ؟ أَمَـا يَتَعَـرَّفُ مَا هُـوَ مُطَّلِعٌ بَعْـدَ الْمَوْتِ عَلَيْـهِ بِالنَّـظَرِ فِي هٰذِهِ آلـدَّلاَئِـلِ وَالْعِبَـرِ وَالاسْتِمَاعِ إِلَى هٰذِهِ الآيَاتِ وَالنُّذُرِ وَالانْزِعَاجِ لِهٰذِهِ الْخَوَاطِرِ وَالهَوَاجِسِ فِي النَّفْسِ ؟ قَالَ ٱللَّهُ تَعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَـا خَلَقَ ٱللَّهُ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [الأعراف : ١٨٥] وَقَـالَ تَعَالى : ﴿ **أَلاَ يَـظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [المطففين : ٥]

وَالثَّانِي : مِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ ؛ أَمَا يتذكَّر مَا يَعْلَمُ يَقِيناً مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ

مِنَ الأَهْوَالِ الْعِظَامِ وَالْعَقَبَاتِ الصِّعَابِ ، وَهٰذَا هُوَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ؟

وَالثَّالِثُ : مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ مُخْلِصٍ ، أَمَا يَتَأَمَّلُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا / يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [٩٠/أ] [الكهف : ١١٠] .

وَالرَّابِعُ : مِنْ مُخْلِصٍ غَيْرِ خَائِفٍ ، أَمَا يَنْظُرُ إِلَى مُعَامَلَاتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ مَعَ أَصْفِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَخَدَمِهِ ، الدَّالَّةِ بَيْنَه وَبَيْنَ خَلْقِهِ ، حَتَّى يَقُولَ لِأَكْرَمِ الْخَلْقِ محمد ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [الزُّمر : ٦٥] وَنَحْوَهَا . حَتَّى حُكِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ يَقُولُ : «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا »[أ] .

ثُمَّ جُمْلَةُ الأَمْرِ وَتَفْصِيلُهُ ، مَا قَالَهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون ١١٥] ثُمَّ قَالَ عزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَآتَّقُوا آللَّهَ إِنَّ آللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر : ١٨] . ثُمَّ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

ثُمَّ أَجْمَلَ الكُلَّ فَقَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦] .

وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُ آللَّهَ مِنْ كُلِّ مَا زَلَّ بِهِ الْقَدَمُ ، أَوْ أَطْغَى بِهِ الْقَلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِنْ أَقَاوِيلِنَا الَّتِي لَا تُوَافِقُ أَعْمَالَنَا ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا آدَّعَيْنَاهُ وَأَظْهَرْنَاهُ مِنَ الْعِلْمِ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى ، مَعَ التَّقْصِيرِ فِيهِ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِنْ كُلِّ خَطْرَةٍ

(أ) راجع تخريج الحديث رقم : ١١٣ .

دَعَتْنَا إِلَى تَصنُّعٍ وَتَزَيُّنٍ ، في كِتابٍ سَطَّرْنَاهُ أَوْ كَـلامٍ [1] نَظَّمْنَـاهُ ، أَوْ عِلْمٍ أفَدْنَاهُ؛ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مَعْشَـرَ الإِخْوَانِ، بِمَـا عَلِمْنَاهُ [2] عَـامِلِينَ، وَلِـوَجْهِهِ بِـهِ مُرِيـدِينَ ، وَأَنْ لَا يَجْعَلُهُ وَبَالاً عَلَيْنَـا ، وَأَنْ يَضَعَـهُ فِي مِيـزَانِ الصَّالِحَاتِ إِذَا ردَّتْ أَعْمَالُنَا إِلَيْنا ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

فَهذَا مَا أَردنا أَنْ نَذْكُرَهُ فِي شَرْحِ كَيْفِيَّـةِ سُلُوكِ طَرِيقِ الآخِـرَةِ ، وَقَد وُفِّينَـا بِالْمَقْصُـودِ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ مَـوْلُودٍ دَعَـا إِلَى أَفْضَلِ مَعْبُـودٍ ، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وَسلَّمَ تَسليماً كَثِيراً .

تمّ كتاب «منهاج العابدين» بحمد الله تعالى وعونه، وحسن توفيقه

الملاحق والفهارس العامة

الملاحق

١ ـ الملحق الأول : تخريج الأحاديث .
٢ ـ الملحق الثاني : تراجم الأعلام .
٣ ـ الملحق الثالث : هوامش التحقيق .

الفهارس العامة

١ ـ الفهرس الأول : فهرس الأحاديث .
٢ ـ الفهرس الثاني : فهرس الأعلام .
٣ ـ الفهرس الثالث : فهرس أسماء الكتب الواردة في المنهاج .
٤ ـ الفهرس الرابع : فهرس القوافي والأشعار .
٥ ـ الفهرس الخامس : فهرس أهم مصادر التحقيق .
٦ ـ الفهرس السادس : فهرس الموضوعات .

الملحق الأول

تخريج الأحاديث

١ ـ **(إن الجنة حُفّت بالمكاره، وان النار حُفّت بالشهوات)** .

ـ رواه مسلم (٤/٢١٧٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، بلفظ (حُفّت الجنة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات). (الحديث رقم ٢٨٢٢).

ـ ورواه البخاري (٨/١٢٧) في الرِّقاق ، باب حجبت النار بالشهوات ، عن أبي هريرة بلفظ : (حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره).

ـ ورواه الحاكم في المستدرك (١/٢٦) .

ـ وفي سنن أبي داود (كتاب السنة ، باب في خلق الجنة والنار) (٥/١٠٨) عن أبي هريرة برواية أخرى طويلة تبدأ بـ (لمّا خلق الله الجنة قال لجبريل. . .) (الحديث رقم ٤٧٤٤) .

ـ وفي سنن الدارمي (٢/٣٣٩) عن أنس قال رسول الله ﷺ : (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات).

ـ وفي مسند ابن حنبل رواية أخرى عن أبي هريرة بلفظ (حفت الجنة بالشهوات وحفت النار بالمكاره) (٢/٢٦٠) . وهذه الرواية فريدة . كما أورد ابن حنبل هذا الحديث مرات عدة مع استبدال لفظ حفت بلفظ حجبت .

راجع ابن حنبل (٢/٢٦٠، ٣٣٣، ٣٥٤، ٣٧٣، ٣٨٠ و ٣/١٥٨، ٢٥٤، ٢٨٤).

٢ ـ **(ألا وإنّ الجنة حَزَنٌ بربوة ، ألا وإنّ النار سَهْل بسهوةٍ)** .

ـ رواه ابن حنبل (١/٣٢٧) عن ابن عباس، وهذا جزء من حديث ، وتمامه

كالتالي : (من أَنْظَرَ مُعْسِراً أو وضع له ، وَقاهُ الله من فيح جهنم، ألا إنّ عمل الجنة حَزَنٌ بربوة ثلاثاً ، ألا إن عمل النار سهل بسهوة ، والسعيد من وقي الفتن، وما من جرعة أحب إلي من جرعة غيظ يكظمها عَبْدٌ ما . كَظَمَهَا عَبدٌ لله ، إلَّا مَلأ الله جَوْفَه إيماناً) .

- وأورد السيوطي (الجامع الصغير ٢/٥٠٤) القسم الاول من هذا الحديث بلفظ : (من أَنْظَرَ مُعْسِراً أو وَضَعَ عنه، أظلَّه الله في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظله) وقد صححه (الحديث رقم ٨٥٣٧).
راجعْ أيضاً : فيض القدير للمناوي (٦/٨٩) (الحديث رقم ٨٥٣٧).
- وأورد مسلم في صحيحه (٤/٥٣) من كتاب الزهد والرقائق حديثاً طويلاً لقصة أبي اليسر صاحب رسول الله ﷺ ، وفي آخره قوله : (من انظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله) (الحديث رقم ٣٠٠٧) .

٣ - (ان النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح . . .) .

- رواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿**فمن يُرِدِ الله أنْ يهديَه يشرحْ صدره للإسلام**﴾ فقال رسول الله ﷺ : (إنّ النور إذا دخل الصدر انفسح . فقيل : يا رسول الله : هل لذلك مِنْ عِلْمٍ يعرف ؟ قال : نعم ، التجافي عن دار الغرور، والأمانة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله) .

وفي رواية الذهبي (إذا دخل القلب) والباقي لا خلاف فيه. وتعقّب الذهبي رجال هذا الحديث، فذكر ان عديّ بن الفضل ساقط . راجع المستدرك ٤/٣١١ .

- وورد هذا الحديث في « الإحياء » بصيغ ثلاث : إن النور إذا دخل الصدر انفسح (٤/٤٦٠) و (إذا دخل في القلب انشرح له) (٤/٢٢٠) . و (إذا قذف في القلب) (١/٧٧).

وقال العراقي : أخرجه ابن ابي الدنيا في قِصَر الأمل، والبيهقي في الزهد والحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود.

٤ ـ (**إنَّ فَضْل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أمتي**) .

ـ ورد هذا الحديث في الإحياء (١/٦) بلفظ : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي) .

ـ وفي سنن ابن ماجه (١ / ٨٠) باب فضل العلماء، ورد هذا الحديث ضمن حديث طويل عن أبي الدرداء وفيه : (. . . وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . .) (الحديث رقم ٢٢٣) .

ـ وفي كشف الخفاء (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) . (٢/١١١) الحديث رقم ١٨٢٨ ، وقال في تخريجه : رواه الترمذي وحسّنه عن أبي أمامة مرفوعاً . ونقل النجم عن الترمذي أنّه صحيح . وأضاف العجلوني مُتتبّعاً رواياته :
وللحارث بن أبي أسامة عن أبي سعيد : (فضل العالم على العابد كفضلي على امتي) . ورواه الخطيب عن أنس : (فضل العالم على غيره كفضل النبي على امته) وابن عساكر عن ابن عباس : (فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة) .

٥ ـ (**نظرة إلى العالم أحب إليّ من عبادة سنة، صيامها وقيامها**) .

ـ جاء في كشف الخفاء (٢/٤٢١) في التعليق على الحديث رقم ٢٨١١ ونصه : (نظرة في وجه العالم أحب إلى الله من عبادة ستين سنة صياماً وقياماً) .
قال : أورده الديلمي بلا سند عن أنس مرفوعاً بلفظ : (النظر إلى وجه العالم عبادة، وكذا في الجلوس معه والأكل والكلام) ولا يصح شيء من ذلك كله .

ـ وورد في ضعيف الجامع الصغير وزياداته (٦ / ١٤) :
(نظر الرجل إلى اخيه على شوق، خير من اعتكاف سنة في مسجدي هذا) (الحديث رقم ٥٩٧١) وفيه أنه ضعيف، وقد ورد في كتاب الأحاديث الضعيفة تحت رقم ٤٦٩٠ .

٦ ـ (ألا أدلكم على أشرف أهل الجنة ؟ قَالوا : بلى يا رسـول الله ، قال : هم علماء أمتي) .

ـ قال الكديري : (١/ ٧٤٠) وأورد الفشني : (العلماء أهل الجنة، خلفـاء الأنبياء). ومن مراجعة كتب الحديث المتوفرة لدينا صحيحـه وضعيفه لم نعثر على هذا الحديث ، ولا على ما يقاربه ، ولعل الغزالي جمع في هذا الحديث عدة معانٍ وردت في أحاديث مختلفة منها :
(العلماء ورثة الأنبياء) حديث صحيح عن أبي الدرداء وحديث (العلماء يحشـرون مع الأنبيـاء) حـديث موضوع (انـظر كشف الخفـاء ٢/ ٨٤ ، الحديث رقم ١٧٤٧). وحديث (من قرأ القرآن وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد استوجب النار) .(انظر سنن ابن ماجه ١/ ٧٨ ، الحديث رقم ٢١٦) .

ـ وفي الجـامـع الصغيـر للسيـوطي : (ألا ادلكم على الخلفــاء مني ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي ؟ هم حملة القرآن والأحاديث عني وعنهم في الله ولله). (الحديث رقم ٢٨٧٥) .
وقـد ذكر الالبـاني في تخريـج هـذا الحـديث أنـه مـوضـوع ، وورد في الأحاديث الضعيفة برقم ٢٣٧٥).

٧ ـ (العلم أمام العمل ، والعمل تابعه) .

ـ وتمام هذا الحديث : (يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء).
ـ قال الكديري في سراج الطالبين (١/ ٧٧) :
هكـذا رواه أبـو نعيم في الحليـة وأبـو طــالب المكي في قـوت القلوب والخطيب البغدادي في تاريخ بغـداد، وابن القيم وغيرهم مـوقوفـاً ، كما رواه ابو نعيم في المعجم. وابن عبد البر مرفوعاً، وقال في آخره : حديث حسن ولكن ليس له إسناد قوي .

٨ ـ (إن نوماً على علم خَيْرٌ من صلاة على جهل) .

ـ رواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٨٥) بلفظ : (نوم على علم خير من صلاة

على جهل) وقال كذا رواه الأعمش عن أبي البختري ، وارسله أبو البختري عن سلمان أيضاً .

- وذكره الجلال السيوطي في (اللباب) بلفظ : (نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل) (الكديري ١/٨٩) .

- وذكره السيوطي أيضاً في الجامع الصغير (٢/٥٨٥) (الحديث رقم ٩٢٩٤) برواية الحلية عن سلمان ، وأشار إلى ضعفه . وقال المناوي (فيض القدير ٦/٣٩١) ذكره الذهبي في الضعفاء .

- وذكره الالباني في ضعيف الجامع الصحيح (رقم ٥٩٨٥) وأشار إلى ضعفه ، وإنه مروي في الأحاديث الضعيفة برقم ٤٦٩٧ .

٩ - (إنه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء) .

- هذا جزء من حديث أوله : (العلم إمام والعمل تابعه) وقد سبق تخريجه . انظر الحديث رقم ٧ .

١٠ - (طلب العلم فريضة على كل مسلم) .

- رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك في باب : فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/٨١)، الحديث رقم ٢٢٤) .

- وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢/٩٧ - ٩٨) بروايات عدة وأسانيد متنوعة وقد صححه (الحديث رقم ٥٢٦٤ وما بعده) .

- وذكر العراقي في تخريجه لهذا الحديث (إحياء ١/٢) أن أحمد بن حنبل والبيهقي وغيرهما ضعفاء .

- وتتبع الإمام السخاوي أسانيد هذا الحديث تتبعاً وافياً وذكر أقوال العلماء فيه كقول البيهقي : (متنه مشهور وإسناده ضعيف ، وقد روي من أوجه كلها ضعيفة) . وقول الحافظ النيسابوري : « إنه لم يصح عن النبي ﷺ فيه إسناد » .

١١ ـ **(من طلب العلم ليفاخرَ به العلماء ، أو ليماريَ به السفهاء أو ليصرفَ بـه وجوه الناس إليه ، ادخله الله النار)** .

ـ رواه ابن ماجه عن ابن عمر، باب الانتفـاع بالعلم والعمـل به (١/٩٣) بلفظ : (**من طلب** العلم ليماري به السفهاء أو ليباهي بـه العلماء . .) (الحديث رقم ٢٥٣) .

ـ وذكره السيوطي في الجـامع الصغيـر (٢/٥٣٦) عن الترمذي بروايتـه عن كعب بن مالك وأشار إلى أنه حسن .

ـ وذكـر المنـاوي في فيض القـديـر (٦/١٧٦) في شـرحـه وتتبّعـه لهـذا الحديث : (وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة ، قال الذهبي في الكبائر : (واهٍ) وقـال غيره : مُتَكَلَّمٌ فيـه من قِبَلِ حِفْـظه ، وقال العـلائي : هذه الأحاديث بواطيل ، وقال في المهذب عن الدارقطني : إسحاق متروك . وفي رواية ابن ماجه عن هشام بن عمار عن حماد بن عبد الرحمن ، عن أبي كـرب الأزدي عن نافـع عن ابن عمر ، قـال في الزوائـد : إسنـاده ضعيف لضعـف حماد وأبي كرب .

١٢ ـ **(اطلعت ليلة المعراج على النار فـرأيت أكثر أهلهـا الفقراء . قـالوا : يـا رسول الله من المال ؟ قال لا : بل من العلم . . .)** .

ـ لم يـرد هذا الحـديث ولا معناه أيضـاً في صحيـح مسـلم عن أهـل النـار وصفـاتهم (٤/٢١٨٦) ولا في البخاري أيضـاً (٤/١٤٢) ، وقد ورد فيه عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ **قال** : (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء) . وكذلـك ورد في صحيح مسلم (٤/٢٠٩٦) في (كتاب الرقاق) .

والملاحظ ان الحديث الذي ذكره الغزالي يشير إلى فقـراء العلم وليس إلى فقراء المال . ولهذا ظهر الالتباس . كذلك لم يرد هذا الحديث في إحياء علوم الدين ، ولم يخرجه الكديري في سراج الطالبين . ولم نجد له أصلاً نبينه ، والله أعلم .

١٣ ـ **(إذا كذب العبد تنحّى عنه الملكان من نَتْن ما يخرج من فيه)** .

ـ اخرجه أبو نعيم في الحلية (١٩٧/٨) عن ابن عمر بلفظ : (إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به)
وقال : غريب من حديث عبد العزيز عن نافع ، تفرّد به عبد الرحيم .

ـ واخرجه الترمذي في الزهد وقال : جيد غريب . تفرد به عبد الرحيم بن هرون . وقال الدارقطني في عبد الرحيم : متروك الحديث يكذب ، وذكر له ابن عدي مناكير . وقد رمز السيوطي لِحُسْنِهِ تبعاً لتجويد الترمذي له .
(انظر الجامع الصغير ١/ ١١٠ ، الحديث رقم ٨٤٠ ، وراجع شرح هذا الحديث وتعليق المناوي عليه في فيض القدير ١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥) .

١٤ ـ **(الندم توبـة)** .

ـ رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة (٢/ ١٤٢٠) الحديث رقم ٤٢٥٢ .

ـ كذلك رواه الحاكم النيسابوري في مستدركه (٤/ ٢٤٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه اللفظة . وقد وافقه الذهبي على صحته .
وراوي الحديث هو عبد الله بن مسعود ، وكذلك رواه أنس بن مالك .

ـ قال العراقي (إحياء ٣/٤) : اخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود ، ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس ، وقال صحيح على شرط الشيخين .

١٥ ـ **(خياركم كُلّ مُفَتَّنٍ تَوّاب)** .

ـ رواه أحمد بن حنبل عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب بلفظ : (قال رسول الله ﷺ : إن الله يحب العبد المؤمن المُفَتَّنَ التواب) (١/ ٨٠ ، ١٠٣) .

ـ وقال العراقي : رواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن علي كرم الله

وجهه (الإحياء ٤ / ٣٩ ، بيان اقسام العباد في دوام التوبة) .

- وورد هذا الحديث في الجامع الصغير (١ / ٥٤٢) بلفظ : (خياركم كل مُفَتَّنٍ تواب) عن البيهقي برواية علي بن أبي طالب وقد رمز إليه بإشارة (صح) (انظر : الحديث رقم ٣٩٩٦) .

- وفي ضعيف الجامع الصحيح للالباني (٣ / ١٣١) أنه حديث ضعيف ، وأنه ورد في كتاب الأحاديث الضعيفة برقم ٢٢٣٩ (انظر الحديث رقم ٢٨٧٢) .

١٦ - (مَنْ أَحَبَّ دُنْياه أَضَّرَ بآخرته ، ومن أحب آخرته أَضَّر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى) .

- رواه الإمام أحمد (٤ / ٤١٢) ، والحاكم في المستدرك (٤ / ٣٠٨) عن أبي موسى الاشعري وقال : صحيح على شرط الشيخين . ولم يخرّجاه ، وذكر أن فيه انقطاعاً.

- ورواه السيوطي في الجامع الصغير (٢ / ٤٧٨ ، الحديث برقم ٨٣١٣) وذكر أنه حديث صحيح .

- وأضاف العراقي أن من رواه أيضاً : البزار والطبراني وابن حبان (إحياء ٣ / ٢٠٢).

١٧ - (ركعتان من رجل عالم زاهد قلبه ، خير وأحب إلى الله عزّ وجلّ من عبادة المتعبدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً) .

- روى السيوطي في الجامع الصغير (١ / ٦٠٠) ما نصه : (ركعة من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله) (الحديث ٤٤٦٤) عن الشيرازي في الالقاب عن علي بن أبي طالب، وذكر السيوطي أنه ضعيف . ولكن الالباني لم يذكره في الأحاديث الضعيفة.

- وروى السيوطي أيضاً (١ / ٦٠٢) : (ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم) (الحديث رقم ٤٤٧٦) عن ابن النجار عن

محمد بن علي مرسلاً . وذكر السيوطي أنه حسن .

- وذكر السيوطي أيضاً عن الديلمي في مسند الفردوس ما رواه أَنس بلفظ : (ركعتان من رجل ورع افضل من ألف ركعة من مخلّط) وذكر السيوطي أنه ضعيف .

(راجع الحديث رقم ٤٤٧٥ في الجامع الصغير) .

١٨ - (إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم ، وخفّت أماناتهم . . الزم بيتك ، وأملك عليك لسانك ، وخذ بما تعرف ، ودع ما تنكر ، وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة) .

- أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الملاحم ، بروايتين عن عبد الله بن عمرو بن العاص (٥١٣/٤ و ٥١٤) الحديث رقم ٤٣٤٢ والحديث رقم ٤٣٤٣ .

- وأخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن ١٣٠٧/٢) عن عبد الله بن عمر بن العاص أيضاً مع خلاف بسيط في بعض الألفاظ (الحديث رقم ٣٩٥٧) .

- كذلك رواه السيوطي في الجامع الصغير (٨٢/١) عن ابن عمرو بن العاص (الحديث رقم ٦٢٦) .

- وقد وهم الكديري في سراج الطالبين (٢١٨/١) فيما نقله عن ابن عبد الحق ، عندما ذكر أن هذا الحديث رواه الحاكم ، فرواية الحاكم هي لحديث آخر في ذكر أيام الهرج عن ابن مسعود . (راجع الحديث رقم ١٩) .

- وذكره الغزالي في الإحياء (٢٣٢/٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وقال العراقي : أخرجه أبو داود والنسائي في (اليوم والليلة) بإسناد حسن .

١٩ - (. . . ذاك أيام الهرج ، قيل : وما أيام الهرج ؟ قال : حين لا يأمن الرجل جليسه) .

- رواه الحاكم في المستدرك (٤٢٧/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي على صحته في تلخيص المستدرك.
وهذا الحديث رواه ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع، والمضطجع فيها خير من القاعد، . . . قلت يا رسول الله: ومتى ذلك؟ قال: ذلك أيام الهرج، حين لا يأمن الرجل جليسه. قلت: فبم تأمرني ان أدركت ذلك الزمان؟ قال: اكفف نفسك ويدك وآدخل دارك. قال: قلت: يا رسول الله: أرأيت انه دخل علي داري؟ قال: فادخل بيتك. قال: قلت: أفرأيت انه دخل علي بيتي، قال: فادخل مسجدك واصنع هكذا - وقبض بيمينه على الكوع - وقل: ربِّيَ الله حتى تموت على ذلك).
- وذكر الغزالي هذا الحديث في الاحياء (الفائدة الثالثة من فوائد العزلة ٢٣٣/٢) قال العراقي: أخرجه أبو داود مختصراً، والخطابي في العزلة بتمامه، وفي إسناده عند الخطابي انقطاع، ووصله أبو دواد بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته.

٢٠ - (**إنْ يُدْفَعْ عن عمرك فسيأتي عليك زمان كثير خطباؤه، قليل علماؤه. .**).

- رواه ابن حنبل (١٥٥/٥) عن أبي ذر بلفظ آخر، وفيه: (سيأتي على الناس زمان يقلّ علماؤه ويكثُر خطباؤه).
- وانظر سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم (٤٥٤/٤) (الحديث رقم ٤٢٥٥).
- وانظر أيضاً الجامع الصغير للسيوطي (٢٨/٢) الحديث رقم ٤٧٣٥، وفيض القدير (١١٧/٤).
- ويراجع على العموم ما جاء في كتب الحديث في باب الفتن والملاحم والأهوال وأشراط الساعة وعلامات آخر الزمان، ففيها الكثير من الأحاديث المتشابهة والقريبة المعنى من الحديث المذكور.

٢١ - (**أكثروا من معرفة المؤمنين، فإن لكل مؤمن شفاعة**).

- أخرج الحاكم في تاريخه عن أنس (أكثروا من المعارف من المؤمنين،

فإن لكل مؤمن شفاعة عند الله يوم القيامة) عن (سراج الطالبين ١/٢٢٥).

كذلك أخرج الحاكم في المستدرك (٤/٥٩٨ - ٦٠٠) في حديث طويل تناول خبر الدَّجّال ثم عرض الخلائق على الله تعالى ثم الشفاعة فقال : (. . . ثم تشفع الملائكة والنَّبيُّون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله . . فيجيء برجل فيُشَفَّع فيقول : من عرف أحداً فليخرجه ، فيجيء فلا يعرف أحداً ، فيناديه رجل فيقول : أنا فلان فيقول : ما اعرفك . .).

- واحاديث الشفاعة كثيرة في كتب الحديث ، منها ما رواه ابن حنبل (٣/٢٠ ، ٦٣ ، ٤٦٩) كقوله ﷺ : (. . . وإن الرجل ليشفع للفئام من الناس فيدخلون الجنة ، وإن الرجل ليشفع للقبيلة ، وإن الرجل ليشفع للعصبة ، وإن الرجل ليشفع للثلاثة وللرجلين وللرجل) .
- وانظر الدارمي (٢/٣٢٧) باب في الشفاعة ، وابن ماجه (٢/١٤٤٠).

٢٢ - **(إذا ظهرت البدع وسكت العالِم ، فعليه لعنة الله).**

- ورد هذا الحديث في الجامع الصغير للسيوطي (١/٩٩) (الحديث رقم ٧٥١) بلفظ : **(إذا ظهرت البدع ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فلينشره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد)** قال السيوطي : رواه ابن عساكر عن معاذ . وذكر أنه حديث ضعيف ، وذكره الالباني في ضعيف الجامع الصغير (١/٢٠٥) (رقم الحديث ٦٨٨) وأشار إلى أن رقمه في الأحاديث الضعيفة هو (١٥٠٦).
- ورواه أيضاً الديلمي عن ابن عساكر بلفظ : **(إذا ظهرت البدع في أمتي وشُتِمَ أصحابي فليُظْهر العالم علمه، فإن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله)**.

- وراجع المناوي، فيض القدير (١/٤٠٢) **في شرح الحديث رقم ٧٥١ .**

٢٣ - **(عليكم بالجماعة ، فإن يد الله تعالى مع الجماعة).**

- ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢/٦٥٥) عن ابن عباس بلفظ : (يد

الله على الجماعة) (الحديث رقم ١٠٠٠٤) وذكر المناوي في فيض القدير (٦/٤٥٩) أنه في رواية أخرى (مع الجماعة). وكلام المصنف (أي السيوطي) أن هذا هو الحديث بتمامه ، والأمر بخلافه ، بل بقيته عند مخرجه الترمذي (من شذ شذ إلى النار).

- ورواه الطبراني بلفظ : (يد الله مع الجماعة ، والشيطان مع من خالف يركض) ورجاله كما قال الهيثمي ثقات.
- ورواه الترمذي في الفتن عن ابن عباس وقال : غريب لا نعرفه عن ابن عباس إلا من هذا الوجه، وقد رمز المصنف لحسنه ، قال ابن حجر : لكن له شواهد كثيرة منها موقوف صحيح.

٢٤ - (إن الشيطان ذئب الإنسان يأخذ الشاذة والناحية والقاصية والفاذة).

- رواه أحمد بن حنبل (٥/٢٣٢) عن معاذ بن جبل بلفظ : (إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة ، القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة ، والمسجد).
- وأورده السيوطي في الجامع الصغير (١/٢٧١) وحسّنه (الحديث رقم ٢٠٢٢)، وذكره المناوي في فيض القدير (٢/٣٥٠) بلفظه ، ونقل عن الحافظ العراقي أن رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً . وأضاف المناوي : وبيّنه تلميذه الهيثمي فقال : العلاء بن زياد لم يسمع من معاذ، والرجال ثقات .

والجدير بالذكر هنا أن ابن حنبل لم يذكر أن العلاء بن زياد سمعه من معاذ ، بل من رجل حدّثه يثق به ولم يذكر اسمه.

- وقال العراقي (إحياء ٢/٢٢٤) أخرجه أحمد والطبراني ، ورجاله ثقات إلا أن فيه إنقطاعاً.

٢٥ - (إن الشيطان مع الفذ ، وهو من الاثنين أبعد).

- رواه ابن حنبل (١/١٨ ، ٢٦) عن عمر بن الخطاب وهو جزء من حديث وتمامه :

(استوصوا بأصحابي خيراً ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، ثم

يفشو الكذب، حتى أن الرجل ليبتدىء بالشهادة قبل أن يُسْألها، فمن أراد منكم بحبحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، لا يَخْلُوَنَّ أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن) ورواه أيضاً ابن حنبل عن عبد الله بن عامر عن أبيه برواية مختلفة أولها : (من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية) وفيها : (إن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين ابعد) (ابن حنبل ٣/٤٤٦).

- وفي مستدرك الحاكم (٤/٥٥٥) عن عبد الله بن مسعود : (الزموا هذه الطاعة والجماعة . . . وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة . . .) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٢٦ - (الزم بيتك وعليك بالخاصة ، ودع أمر العامة).

- هذا جزء من حديث ورد سابقاً (راجع تخريج الحديث رقم ١٨).

٢٧ - (الابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقي بهم الغيث ، وينتصر بهم على الاعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب).

- رواه ابن حنبل في مسنده (١/١١٢ و٥/٣٢٢) وقد أورد الترمذي حديث الابدال في نوادر الأصول من قول أبي الدرداء عن جماعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً.

٢٨ - (رهبانية أمتي الجلوس في المساجد).

- ورد في الإحياء (٤/٣٧١) بلفظ : (رهبانية أمتي القعود في المساجد). وقال العراقي : لم أجد له أصلاً.

- وورد هذا الحديث في كتاب كشف الخفاء (١/٥٢٦) وذكر انه لم يوجد ، أي لا يوجد له أصل (الحديث رقم ١٤٠٦).

٢٩ - (زُرْ غِبّاً تزدد حُبّاً).

- رواه السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٣) الحديث رقم (٤٥٥) عن أبي هريرة في شعب الإيمان للبيهقي والمعجم الأوسط للطبراني. كما روى هـذا الحديث عن ابن عمر وعن عائشة وعن ابن عمـرو وعن حبيب بن مسلمة الفهري.
وقـد تتبع العلمـاء أسانيـده ورجالـه ، ووجد البعض فيـه ضعفاً ، وقبله البعض الآخر. فالسيوطي مثلاً ذكر أنه حسن، والألبـاني لم يذكـره في الأحاديث الضعيفة ، وتابع الإمام السخاوي أسانيده في المقاصد الحسنة (ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وأشار إلى كثرة رواته وطرقه وقال : (وبمجمـوعها يتقوى الحديث).
- وقد رواه أيضاً أبـو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٢) عن طلحـة بن عمرو عن عطاء بن رباح عن أبي هريرة ، وطلحـة هذا هـو سبب ضعف الحديث عند العلماء الذين ضعفوه ، لأنـه غير قـوي على حد قـول البيهقي في شعب الإيمان. وقد أورده الذهبي في الضعفاء.
- وقد ذكره أيضاً المناوي في فيض القدير (٤/ ٦٢) وتابع طرقه ورواتـه. وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٥٢٨) وتابع طرقه ورواته أيضاً.

٣٠ ـ (إنّ ذِكْرَ الله في جنب الشيطان كالأكلة في جنب ابن آدم).

- قال الكديري : (١/ ٢٩٢) لم اقف عليه أصلاً ، إلا أن معناه صحيح ، فقد أخرج أبو يعلى في مسنده عن أبي بكر الصديق (عليكم بلا إلّه إلا الله والاستغفار، فأكثروا منهما، فإن إبليس قال : أهلكت الناس بالذنوب واهلكـوني بـلا إلّـه إلا الله والإستغفـار ، فلمـا رأيت ذلـك أهلكتهم بالأهواء).
- وفي صحيـح البخاري (٤/ ١٥١) بـاب بدء الخلق ، قـال النبي ﷺ : « تعوَّذ بالله من الشيطان » وفي رواية أخرى (٤/ ١٥٣) أن رسول الله ﷺ قال : (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. . . كانت له حِرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمْسِي).

ـ وفي مسند ابن حنبل (٤ / ٦٠) رواية شبيهة برواية البخاري لفظاً ومعنى .
وكذلك في موطأ مالك (١ / ١٦٤) .

ـ وكذلك رواه ابن ماجه (٢ / ١٢٧٢) في كتاب الدعاء الحديث (٣٨٦٧) .

٣١ ـ (إذا وُلد لابن آدم مولود ، قرن الله سبحانه به ملكاً وقرن الشيطان به شيطاناً) .

ـ هذا الحديث لم نجد له أصل بهذا اللفظ ، لكن معناه صحيح .
فقد ورد في مسند ابن حنبل (١ / ٣٨٥) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة . قالوا : وإياك يا رسول الله؟ قال : وإياي ، ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بحق) .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشياطين . قالوا : وأنت يا رسول الله؟ قال : نعم ، ولكن الله اعانني عليه فأسلم) (ابن حنبل ١ / ٢٥٧) .

ـ وفي صحيح البخاري (٤ / ١٥١) كتاب بدء الخلق ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد . .) .

٣٢ ـ (للشيطان لمّة بابن آدم وللملك لمة) .

ـ قال العراقي (الإحياء ٣ / ٢٧) : أخرجه الترمذي وحسّنه ، والنّسائي في السنن الكبرى من حديث ابن مسعود . (راجع الترمذي ، كتاب التفسير ، عند ذكر تفسير الآية ٣٥ من سورة آل عمران : ﴿ . . . **وإني سميتها مريم ، وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** . ﴾ .

وقد ورد هذا الحديث بتمامه في الاحياء (٣ / ٢٧) بهذا النص :
(في القلب لمتان : لمّة من الملك ، إيعاز بالخير وتصديق بالحق ،

فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه ، وليحمد الله ، ولمة من العدوّ ، إيعاز بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم .) .

٣٣ ـ **(العجلة من الشيطان إلا في خمس . . .)**

ـ ورد هذا الحديث في الإحياء (٣٣/٣) بلفظ : (العجلة من الشيطان والتأنّي من الله تعالى) وذكر العراقي تخريجه من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة . وقال حسن .

ـ وقد ذكره الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ١٥١) بلفظ : (التأني من الله والعجلة من الشيطان) وتتبع رواته ورواياته وذكر أنه مرفوع عن أنس وذكر رواية الغزالي عن حاتم الأصم وهي بلفظ: (العجلة من الشيطان إلَّا في خمسة فإنها من سنة رسول الله ﷺ: إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب).

ـ وكذلك فعل العجلوني في كشف الخفاء (٣٥٠/١) الحديث رقم ٩٤٣) . ويلاحظ أن نص الحديث في المنهاج ورد باستبدال عبارة (وقرى الضيف إذا نزل) بعبارة (وتزويج البكر) .

٣٤ ـ **(إنما سمي المتقون متقين لتركهم ما لا بأس به حذراً عما به بأس) .**

ـ رواه ابن ماجه (١٤٠٩/٢) في باب الورع والتقوى بلفظ : قال رسول الله ﷺ : (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به ، حذراً لما به البأس) . (الحديث رقم ٤٢١٥) .

ـ ورواه الترمذي وقال : حسن غريب .

ـ ورواه الحاكم في المستدرك (٣١٩/٤) عن عطية بن سعد أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الرجل لا يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس) قال: هذا حديث صحيح الإسناد، لم يخرجاه. ووافقه الذهبي على صحته.

٣٥ ـ (إن النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن تركه ابتغاء مرضاة الله ، أعطاه الله إيماناً في قلبه يجد حلاوته) .

ـ قال العراقي (الإحياء ١/٢٣٤) : أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة .

ـ وقد ورد هذا الحديث في الإحياء بلفظ : (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله ، فمن تركها خوفاً من الله آتاه عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه) (الإحياء ١/٢٣٤ ، ٣/١٠٢ ، ٤/٧٥) .

ـ وقد ورد في مسند ابن حنبل (٥/٢٦٤) عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها) .

ـ وفي سنن ابن داود (٢/٦١١) أن رسول الله ﷺ قال : (إن المرأة تقبل في صورة شيطان . . .) (الحديث رقم ٢١٥١) .

ـ وقد ورد هذا الحديث كما رواه ابن حنبل عن ابن أُمامة في الجامع الصغير للسيوطي (٢/٤٥١) الحديث رقم ٨٠٩٥ مع اختلاف بسيط في بعض ألفاظه ، وذكر أنه ضعيف وقد شرحه وخرّجَهُ المناوي (فيض القدير ٥/٤٩٦) وقال : ضعّفه المُنذري ولم يبيّن ، وبيّن الهيثمي فقال : فيه علي بن زيد ، وهو متروك .

ـ كذلك خرّجه الالباني (ضعيف الجامع الصغير. ٥/١٢٦) وقال إنه ضعيف ، وأورده في الأحاديث الضعيفة برقم ١٠٦٤ ، راجع تخريج هذا الحديث ورقمه ٥٢٢٥ .

ـ وفي مستدرك الحاكم (٤/٣١٤) عن حذيفة : (النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة ، فمن تركها من خوف الله أثابَهُ جل وعزّ إيماناً يجد حلاوته في قلبه (قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه (أي مسلم والبخاري) وعلّق الذهبي عليه فقال : إسحاق واهٍ ، وعبد الرحمن هو الواسطي ضعّفوه ، وذلك عند تتبعه رجال هذا الحديث .

٣٦ ـ **(قل ربي الله ثم استقم).**

ـ هذا قسم من حديث رواه ابن حنبل من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي بأكثر من لفظ وكلها في المعنى ذاته . (مسند ابن حنبل ٣/٤١٣) وتمامه : (عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت يا رسول الله حدّثني بأمر أعتصم به ، قال : قل ربي الله ثم استقم ، قال : قلت يا رسول الله : ما اخوف ما تخاف علي ؟ قال : فأخذ بلسان نفسه ثم قال : هذا).

ـ كذلك رواه ابن ماجه (٢ / ١٣١٤) عن سفيان بن عبد الله أيضاً (الحديث رقم ٣٩٧٢).

ـ ورواه أيضاً مسلم في صحيحه ((١/ ٦٥) كتاب الإيمان ، لكنه توقف عند القسم الاول من الحديث وبرواية : (قل آمنت بالله ثم استقم) وهذه الرواية عن سفيان بن عبد الله الثقفي أيضاً.

ـ وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢/٢١٦) وصححه ، وأشار إلى رواته وهم : ابن حنبل ومسلم والترمذي والنسائي والبيهقي (راجع الحديث رقم (٦١٤٣) وراجع أيضاً فيض القدير ٤/ ٥٢٣).

٣٧ ـ **(إنّ ابن آدم إذا اصبح بكرت الأعضاء كلها إلى اللسان . وقلن له : ننشدك أن تستقيم فإنك إن استقمت استقمنا ، وإن آعوججت آعوججنا).**

ـ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٦١) برواية : (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفّر اللسان فتقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا (الحديث رقم ٤٥٤).

ـ وشرح المناوي ألفاظ هذا الحديث وقال : تكفر اللسان بمعنى تذل وتخضع له . وأضاف : رواه الترمذي في الزهد وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري .

ـ قال العراقي : (احياء ٣/١٠٩) ووقع في الاحياء عن سعيد بن جبير مرفوعاً ، وإنما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفعه . ورواه الترمذي موقوفاً على عمار بن زيد وقال : هذا اصح .

وأضاف المناوي : ومع ذلك إسناد الرفع جيد، لكن الموقوف أجود والله أعلم (راجع فيض القدير ١/٢٨٦ ـ ٢٨٧ ، رقم الحديث ٤٥٤).
ولفظ الحديث في الإحياء : (إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تـذكر اللسـان أي تقول : اتق الله فينـا فإنـك ان استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا).

٣٨ - (من كثر لغطه كثر سقطه).

- اورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : (من كثر كلامه كثر سقـطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به) عن روايـة الطبـراني في المعجم الأوسط عن ابن عمر . ولم يـذكـر صفتـه (الحديث رقم ٨٩٩٠ ، ج ٢ ص ٥٥٢) وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤٢٦) إن هذا الحديث رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والعسكري وغيرهم من حديث ابن عجلان وبعضهم من حديث يحيى بن أبي كثير كلاهما عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً . وقال العسكري : حسبه وهماً ، وإن الصواب إنه عن عمر من قوله وساقه من جهة مالك بن دينار عن الأحنف قـال : قال لي عمـر : يـا احنف : من كثـر ضحكـه قلَّت هيبته ، ومن مزح استُخِفّ به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثـر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قـل ورعه مـات قلبه، وكـذا أورده من جهة معـاويـة بن أبي سفيـان، ويضيف المنـاوي (٦/٢١٣ ـ ٢١٤) في شرح هـذا الحديث والتعليق عليه : قال الهيثمي : وفيه من لا أعرفهم ، واعاده في موضع آخر وقال : فيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا ، وفي الميزان انه خبر ساقط .
- وقال العراقي (الاحياء ٣/١١١) : أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف، وقد رواه أبو حـاتم بن حبان في روضـة العقلاء البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بن الخطاب.

وقال أبو نعيم في الحلية عندما ذكر هذا الحديث ضمن ترجمة يحيى بن أبي كثير (٣/٧٤): هذا حديث غريب من حديث يحيى ونافع مرفوعاً ومتصلاً.

٣٩ - **(ليلة أسريَ بي رأيت في النار قوماً يأكلون الجيف ، فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس)** .

- هناك اختلافات في رواية هذا الحديث وهو من المشاهد التي شاهدها رسول الله ﷺ عندما عرج به إلى السماء ورأى النار ومن فيها ، فقد ورد عن ابن عباس عندما ذكر هذا الحديث : (. . . ورأيت رجالاً يُرْمَوْن بشُهُبٍ من نارٍ، فتقع في افواههم وابصارهم وتخرج من أقفيتهم ، فقلتُ : من هؤلاء يا أخي جبريل؟ قال : هؤلاء الذين كانوا يبهتون الناس، ويرمون بينهم الفتنة) .
(راجع معراج الإمام ابن عباس، ص ١٩ ، طـ ١ مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٩٦٥) .

٤٠ - **(اقطع لسانك عن حملة القرآن وطلاب العلم، ولا تمزّق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار)** .

- لم أجد له أصلاً .

- وقال الكديري في سراج الطالبين (٣٨٨/١): هذا الحديث رواه ابن المبارك عن خالد بن معدان .

٤١ - **(إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأبشاركم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)** .

- رواه مسلم عن أبي هريرة (١٩٨٧/٤) بروايتين الأولى : (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم) . والثانية : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) (الحديث رقم ٢٥٦٤) .

- كذلك رواه ابن ماجه (١٣٨٨/٢) عن أبي هريرة أيضاً . والملاحظ أن لفظة أبشاركم غير موجودة فيما ذكرنا .

- وقال العراقي (إحياء ٣٦٢/٤) : أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة .

٤٢ - (إن في الجسد مُضْغَةً إذا صلحت صلح الجسد كله . . .) .

- هذا هو الجزء الأخير من حديث مشهور رواه النعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ وبدايته : (الحلال بيِّن والحرام بين . . .) .
- وقد رواه البخاري (١/ ٢٠) كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه .
- ورواه أيضاً مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٢٠) كتاب المُساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات الحديث رقم ١٥٩٩ .
- ورواه ابن حنبل في مسنده (٤/ ٢٧٠) بلفظ : (ألا وان في الإنسان مضغة . . .) .
- ورواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣١٨ - ١٣١٩) باب الوقوف عند الشبهات ، في كتاب الفتن ، رقم الحديث ٣٩٨٤ .
- كذلك رواه الدارمي في سننه (٢/ ٢٤٥) من كتاب البيوع ، باب في الحلال بيّن والحرام بيّن) .

وكلهم رووه عن النعمان بن بشير مع توافق في معظم ألفاظه .

٤٣ - (إن أخْوَفَ مما أخاف عليكم اثنتان : طول الأمل ، واتباع الهوى ، الا وإن طول الأمل ينسي الآخرة ، واتباع الهوى يصد عن الحق . ألا وأن الدنيا قد ولّت فداء ، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء ، اصطبها صاحبها ، ألا وأن الآخرة قد أقبلت ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ، فإن كل ولد سيلحق بأمّه يوم القيامة . (وإنّا اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل) .

- ذكر البخاري بعضاً من هذا الحديث لعلي بن أبي طالب في باب الرقاق (٨/ ١١٠) .
- وقال العراقي : أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل . ورواه أيضاً من حديث جابر بنحوه ، وكلاهما ضعيف (احياء ٤/ ٤٥٣) .
- وقال الكديري في سراج الطالبين (١/ ٤٢٧) : هكذا بطوله ذكره الشريف الموسوي في نهج البلاغة (راجع نهج البلاغة ١/ ٧٢ شرح محمد عبده) .

ـ ورواه الحاكم النيسابوري في التاريخ ، والديلمي من حديث جابر . ورواه ابن النجار ، وقال العقيلي فيه يحيى بن مسلمة بن قعنب ، حدّث بالمناكير ، وقد رواه ابن عساكر في التاريخ من حديث علي موقوفاً .

٤٤ ـ **(أما تعجبون من أسامة المشتري الوليدة بصبر شهر ؟ إن أسامة لطويل الأمل ، والله ما وضعت قدَماً فظننت أني أرفعها ، ولا لقمةً فظننت إني اسيغها حتى يدركني الموت)** .

ـ قال العراقي : أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ، والطبراني في مسند الشاميين ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب ، بسند ضعيف . (احياء ٤/٤٥٣) .

٤٥ ـ **(ستة يدخلون النار بستة : العرب بالعصبية ، والامراء بالجور ، والدهاقين بالكبر ، والتجار بالخيانة ، وأهل الرساتيق بالجهل ، والعلماء بالحسد)** .

ـ قال العراقي (احياء ٣/١٨٨) أخرجه أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .

٤٦ ـ **(الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)** .

ـ رواه أبو داود في سُنَنِه ، كتاب الأدب ، باب في الحسد (٥/٢٠٨) عن أبي هريرة ، ان النبي ﷺ قال : (إيّاكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) .

وذكر المعلّق على هذا الحديث في الحاشية أن أحد رواته وهو إبراهيم بن أبي أسيد ذكره البخاري في التاريخ الكبير وقال : لا يصح .

ـ ورواه أيضاً ابن ماجه في سننه (٢/١٤٠٨) عن أنس بن مالك ان رسول الله ﷺ قال : (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار . والصلاة نور المؤمن ، والصيام جُنّة من النار) وذُكر في التعليق على هذا الحديث عن كتاب

الـزوائد أن إسنـاد حـديث أنس بن مـالـك فيـه عيسى بن أبي عيسى وهـو ضعيف .

- وورد هـذا الحديث في الجـامع الصغيـر للسيـوطي (١/٥١٨) بـروايـة أنس بن مالك ، وذكر أنه حسن . (الحـديث رقم ٣٨١٧) وكذلـك ذكـره المناوي في فيض القدير (٣/٤١٣) .

- وقال الحافظ العراقي في تخريج هذا الحديث : قال البخاري لا يصح ، وهو عند ابن مـاجه من حـديث أنس بإسنـاد ضعيف ، وفي تاريـخ بغداد بإسناد حسن . (إحياء ١/٤٥) وقد ورد هذا الحديث في الإحيـاء ثلاث مرات (١/٤٥، ٣/١٨٧ ، ٣/٣٨٩) .

٤٧ - **(إن ديننا هذا متين فأوغل فيه برفق ، فإن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)** .

- روى ابن حنبل هذا الحديث في قسمه الاول عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيـه برفق) . وصححـه السيوطي في الجامع الصغير (١/٣٣٨ ، الحـديث رقم ٢٥٠٨) . أما رواية البَزّار في مسنده عن جابر ، وهي الرواية التي يذكرها الغزالي بلفظ (إن هذا الدين متين. . .) فقد ضَعّفها السيوطي ، كذلك قال المنّاوي في تعليقـه على هذا الحـديث (فيض القديـر ٢/٥٤٤ ، الحديث رقم ٢٥٠٧) قال الهيثمي : وفيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل وهو كذاب .
- ورواه البيهقي في السنن من طرق وفيه اضطراب ، روي موصولاً ومرسلاً ومرفوعاً وموقوفاً ، واضطرب في الصحابي أهو جابر أم عائشة أم عمر ؟ ورجّح البخاري في التاريخ إرساله .
- ويورد الغزالي نصين لهذا الحديث : **الاول** ذكره بلفظ : (لا تُشَادّوا هذا الدين فإنّه متين ، فمن يشادّه غلبه ، فلا تبغّض إلى نفسك عبادة الله) .
قال العراقي في تخريجه : أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (لـن يشادّ هذا الدين أحداً إلا غَلَبَه ، فسَدِّدوا وقاربوا) وللبيهقي من حـديث جابر : (إن هذا الدين متين فـأوغل فيـه برفق ، ولا تُبَغِّض إلى نفسـك

عبادة الله) ولا يصحّ إسناده (انظر الاحياء ١/٣٤٤) .
والثاني : ذكره بلفظ : (إن هـذا الدين متين ، فـأوغل فيـه برفق ، ولا تُبَغِّض إلى نفسـك عبادة الله ، فـإن المنبتّ لا أرضاً قـطع ، ولا ظهـراً أبقى) .
وقال العراقي في تخريجه : أخرجه أحمد من حديث أنس ، والبيهقي من حديث جابر ، (انظر الاحياء ٤/٧٩) .

٤٨ ـ (**الكبرياء ردائي ، والعَظَمَة إزاري ، فمن نازعني في واحد منهمـا أدْخَلْتُه نار جهنم**) .
ـ رواه ابن حنبل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ وفيه : (**ألقيته في النار**) و (**أدخلته جهنم**) و (**قـذفته في النـار**) و (**ألقيته في جهنم**) (راجـع مسند ابن حنبل ٢/٢٤٨ ، ٣٧٦، ٤٢٧ ، ٤١٤ ، ٤٤٣) .
ـ كذلك رواه أبو داود في سننه (٤/٣٥٠) كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكِبْر . الحديث رقم ٤٠٩٠ .
ـ ورواه أيضاً ابن ماجه (٢/١٣٩٧) كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبـر (الحديث رقم ٤١٧٤، ٤١٧٥) .

٤٩ ـ (**لا حَسَد إلا في اثنين : رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هَلَكَتِهِ في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**) .
ـ رواه البخـاري (١/٢٨) كتـاب العلـم ، بـاب الاغتبـاط في الـعلم والحكمة .
ـ ورواه ابن مـاجه في سننـه (٢/١٤٠٧) كتاب الـزهد ، بـاب الحسد ، الحديث رقم ٤٢٠٨) .
ـ وكذلك رواه ابن حنبل (٢/٩) : (**لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في الحق آناء الليل والنهار**) . وله رواية أخرى مشابهة مع خلاف بسيط في اللفظ (٢/٣٦) .

٥٠ ـ (**كُلُّ لحمٍ نَبَتَ من سُحْتٍ فالنار أولى به**) .
ـ رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣١) من حديث أبي بكر بلفظ : (كل جسد) .

- وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢/٢٣٥) عن الطبراني في المعجم الصغير والحلية بلفظ : (كل جسد) (الحديث رقم ٦٢٩٦) .
- وذكر المنَاوي (فيض القدير ٥/١٨) إن سنده ضعيف ، ففيه عبد الواحد ابن واصل ، أورده الذهبي في الضعفاء ، وضعّفه الأزدي ، وقال البخاري والنسائي : متروك .
- وورد هذا الحديث في الاحياء بلفظ : (كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به) (٢/٦ ، ٩٠) .
- وقال العراقي : هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ : (سحت) وهو عند الترمذي ، وحسنه ، بلفظ : (لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به) .
- وقال الكديري في سراج الطالبين (١/٤٨٢) ورواه أيضاً ابن عباس ، كما في المعجم الصغير للطبراني .
- وفي سنن الدارمي (٢/٣١٨) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال : (يا كعب بن عجرة ، لن يدخل الجنة لحم نبت من سحت) .

٥١ - (كم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر ، وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ) .

- رواه ابن حنبل عن أبي هريرة بلفظ : (رُبَّ صائم حظُّه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر) (٢/٣٧٣) وفي رواية أخرى له عن أبي هريرة أيضاً : (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر (٢/٤٤١) .
- كذلك رواه ابن ماجه (١/٥٣٩) الحديث رقم ٦٩٠) وذكر في تخريجه عن الزوائد أن إسناده ضعيف .
- كذلك رواه الدارمي (٢/٣٠١) بلفظ : (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر) .
- وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/٥٩٣) بروايتين متشابهتين في الألفاظ ، عن أبي هريرة وعن ابن عمر، وصححه في الروايتين . (الحديث رقم ٤٤٠٤ و ٤٤٠٥) .

ـ وذكره المناوي (٤/١٦) وروي عن الحافظ العراقي قوله : إسناده حسن ، وقال الهيثمي : رجاله موثقون .

٥٢ ـ (لا تُميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب ، فإن القلب يموت كالزرع إذا كَثُر عليه الماء).

ـ قال العراقي (الاحياء ٣/٨١) : لم أقف له على أصل .

ـ وذكر الكديري في سراج الطالبين (١/٤٨٥) حديثاً لرسول الله ﷺ بلفظ : (ثلاث تورث قسوة القلب : حُبّ النوم ، وحبّ الراحة ، وحبّ الأكل) ، وقال : هكذا ذكره السيوطي في اللباب .

٥٣ ـ (ما فضلكم أبو بكر بفضل صومٍ أو صلاة ، وإنما هو بشيء وَقَرَ في صدره).

ـ ورد هذا الحديث في الاحياء (١/٢٣) بلفظ : (ما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ، ولكن بشيء وقر في صدره).

ـ وفي رواية أخرى أوردها الغزالي (الاحياء ١/١٠٠) : (ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره).

ـ قال العراقي : (إحياء (١/٢٣): أخرجه الترمذي في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ولم أجده مرفوعاً .

٥٤ ـ (الحلال لا يَأتِيكَ إلا قوتاً ، والحرام يأتيك جُزَفاً جُزَفاً).

ـ لم نجد له أصلاً في ما بين أيدينا من كتب الحديث .

٥٥ ـ (أصل كل داء البَرَدَة ، وأصل كل دواء الأزْمة).

ـ ورد في الاحياء (٣/٨٧) حديث : (البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء ، وعوّدوا كل بدن بما اعتاد) قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

ـ وفي الجامع الصغير للسيوطي (١/١٤٠) ورد النصف الاول من الحديث (أصل كل داء البَرَدَة) رواه الدارقطني في العلل عن أنس ، وابن السني وأبو نعيم في الطب النبوي عن علي بن أبي طالب وعن أبي سعيد الخدري وعن الزهري مرسلاً . ولم يشر السيوطي إلى درجته من الصحة أو الضعف (راجع الحديث رقم ١٠٨٧).

ـ وذكر المناوي في فيض القدير (١/٥٣٢) في الشرح والتعليق على هذا الحديث إن مخرّجه الدارقطني تعقبه بتضعيفه ، فهو مروي من حديث محمد بن جابر عن تمام بن نجيح عن الحسن البصري عن أنس بن مالك .

ـ وقال ابن الجوزي : قال ابن حيان : تمّام مُنْكَرُ الحديث ، يروي أشياء موضوعة عن الثقات ، كان يعتمدها . قال ابن عدي والعقيلي حديثه منكر ، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه ،وفي الميزان : محمد هذا ـ أي محمد بن جابر ـ لعل البلاء منه .

وفي الطب النبوي لابن السني وأبي نعيم والمستغفري كلهم رووه عن علي بن أبي طالب وفيه إسحق بن نجيح الملطي كان يضع الحديث .

وقال بعضهم : ولا يصح شيء من طرقه وقال ابن عدي : باطل بهذا الإسناد .

(راجع فيض القدير : الحديث رقم ١٠٨٧) .

٥٦ ـ (**ولا انقص من آخرتك شيئاً**) .

ـ قال العراقي (احياء ٣/٢١٢) : أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلاً ورواه أحمد والطبراني متصلاً من حديث أبي مويهبة في أثناء حديث فيه : (إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة . . .) وسنده صحيح .

ـ وفي مسند ابن حنبل (٣/٤٨٩) روي هذا الحديث عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ بلفظ : (إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنة قال : قلت : بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة) .

ويلاحظ أن القسم الذي يذكره الغزالي لم يرد في رواية أبي مويهبة كما يذكرها ابن جنبل .

ـ راجع أيضاً سراج الطالبين (١/٤٩٦) للكديري ففيه تفصيل ذلك .

٥٧ ـ (**الدنيا حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، وزينتها إلى تَباب**) .

ـ قال العراقي : أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه موقوفاً على علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ ، «وحرامها النار» ولم أجده

مرفوعاً. (الإحياء ٣/ ٢٢٠).

٥٨ - (**بُعِثْتُ بالحنيفية السمحة**).

- قال العراقي (احياء ٤/ ١٥١) أخرجه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف . وله وللطبراني من حديث ابن عباس (أحبُّ الدينِ إلى الله الحنيفية السمحة) وفيه محمد بن إسحق رواه بالعنعنة .
- وقد ورد هذا الحديث في الاحياء (٤/ ١٥١) بزيادة لفظة (السهلة) على آخره . وهي لم ترد في روايات هذا الحديث .
- وقد روى البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان) أنه ﷺ قال : (احب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) (١/ ١٦) .
- كذلك رواه ابن حنبل في مسنده بلفظ (الأديان) (١/ ٢٣٦).
- وله رواية أخرى بلفظ : (بعثت بالحنيفية السمحة) (٥/ ٢٦٦) وهذه الرواية تتفق مع رواية الغزالي للحديث الذي نحن بصدده.
- ويروي ابن حنبل أيضاً هذا الحديث بلفظ: (إني أرسلت بحنيفية سمحة (٦/ ١١٦ ٢٣٣).

٥٩ - (**من طلب الدنيا حلالاً مباهياً مكاثراً مفاخراً مرائياً لقي اللّهُ وهو عليه غضبان**)

- ورد هذا الحديث في الاحياء بلفظ : (من طلب الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان ، ومن طلبها استعفافاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر) (احياء ٣/ ٢٢١).

قال العراقي : أخرجه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

وقد رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١١٠، ٨/ ٢١٥) عن أبي هريرة من حديث مكحول وقال أبو نعيم : غريب من حديث مكحول ، لا اعلم له راوياً عنه إلا الحجاج . ورواية منهاج العابدين تتفق مع رواية الحلية في جميع ألفاظ الحديث .

٦٠ - (. . . **حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، وزينتها إلى تباب**).

- ورد هذا الحديث في الاحياء بهذا اللفظ دون ذكر القسم الأخير منه

(٣/٢٢٠) وورد برواية أخرى بلفظ : (حرامها عذاب) (٤/٣٧١) .
قال العراقي (احياء ٣/٢٢٠) أخرجه ابن أبي الدنيا، والبيهقي في الشعب من طريقه موقوفاً على علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ : (وحرامها النار) ولم أجده مرفوعاً.

- وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ١٩٦) وأشار إلى انقطاع سنده . وأضاف : وفي مسند الفردوس عن ابن عباس رفعه : يا ابن آدم ما تصنع بالدنيا ؟ حلالها حساب وحرامها عقاب .

وفي حاشية المقاصد ذكر أن محيي الدين بن العربي اسنده في المسامرات عن أبي هريرة. ولعل الزيادة الأخيرة في هذا الحديث هي من عند الغزالي والله أعلم .

٦١ - **(من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسئلة ، وتعطفاً عن جاره ، وسعياً على عياله جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر)**.

- راجع الحديث رقم ٥٩ الذي سبق ذكره وتخريجه.

٦٢ - **(أصل كل دواء الحمية)**.

- هذا جزء من حديث سبق ذكره (رقم ٥٥) بلفظ : (. . وأصل كل دواء الأزمة) أي الحمية . وقال العراقي : لم أجد له أصلاً . (راجع التعليق على هذا الحديث) .

- وأورد السخاوي في المقاصد الحسنة هذا الحديث بلفظ : (المعدة أصل الداء والحمية رأس الدواء) وقال : لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره . وهو عند ابنَ أبي الدنيا في الصمت من جهة وهب بن منبه قال : أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية .

ثم قال السخاوي : لا يعرف هذا من كلام النبي ﷺ ، إنما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن انجر .

وفي الحاشية : رواه العقيلي من طريق الحميدي عن سفيان عن عبد الرحمن بن عبد الملك عن ابيه .

(انظر المقاصد الحسنة ص ٣٨٩ ، الحديث رقم ١٠٣٥).

٦٣ ـ **(احفظ الله تجده حيث اتجهت)** .

ـ هذا جزء من حديث طويل رواه ابن حنبل (١/٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (يا غلام ، إني مُعَلِّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله . الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف) .

ـ كذلك رواه الترمذي (القيامة ٥٩) وقال : حديث حسن صحيح .

٦٤ ـ **(من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله)** .

ـ ذكر السيوطي في الجامع الصغير (٢/٥٢٦) النصف الاول من هذا الحديث فقط ، عن ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل بروايته عن ابن عباس ، ورَمَزَ لحسنه .

ـ وقال المناوي (٦/١٥٠) ورواه بهذاَ اللفظ الحاكم والبيهقي وأبو يعلى وإسحاق وعبد بن حميد والطبراني وأبو نعيم كلهم من طريق هشام بن زياد بن أبي المقدام عن محمد القرظي عن ابن عباس . وقال البيهقي في الزهد : تكلموا في هشام بسبب هذا الحديث .

ـ وقال العراقي (أحياء ٤/٢٤٤) : رواه الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف .

ـ ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/٢١٨) بتمامه بلفظ : (من احب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحبّ أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه . . .) والحديث طويل وله بقيّة .

٦٥ ـ **(كيف بك إذا بقيت بين قوم يُخَبِّئون رزق سنتهم لضعف اليقين)** .

ـ قال الكديري (٢/٨٠) : رواه أحمد والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر .

٦٦ ـ **(لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً)**

ـ رواه ابن حنبل (١/ ٣٠، ٥٢) عن عمر بن الخطاب بلفظ : لو أنكم توكلتم) و (لو أنكم تتوكلون) .

ـ وورواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٩٤) باب التوكل ، الحديث رقم (٤١٦٤) عن عمر بن الخطاب أيضاً .

ـ وورواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣١٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي على ذلك .

ـ وورواه الترمذي في الزهد ، وقال : حسن صحيح .

ـ ونقل الكديري في سراج الطالبين (٢/ ٨٧) عن الزبيدي قوله : (رواه أيضاً ابن المبارك وأبو داود الطيالسي في الزهد ، والنّسائي وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي كلهم من حديث عمر رضي الله عنه .

٦٧ ـ (**الرزق مقسوم مفروغ منه ، ليس تقوى تَقيٍّ بزائدة ، ولا فُجُور فاجراً بناقِصه**) .

ـ ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ١١٣) بأطول من ذلك برواية العسكري عن ابن مسعود مرفوعاً ، (الحديث رقم ٢٢٤) وعلق السخاوي على هذا الحديث قائلاً : (وقوله في حديث ابن مسعود : ولا فجور فاجر بناقصه) يعارض ظاهره ظاهر حديث : (أن الرجل ليحرم الرزق بذنب يصيبه) وقد تكلم السخاوي بإسهاب عن ذلك عند ذكره حديث : (إن الله لا يعذب بقطع الرزق) (حديث رقم ٢٣٦) كما بين ان إسناده ضعيف .

ـ كذلك ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٦٦ و١/ ٥١٧ حديث رقم ٧٠٥ و ١٣٨١) .

٦٨ ـ (**هاك ، لو لم تأتها لأتتك**) .

ـ وفي رواية الاحياء (٤/ ٢٥٧) : (**خُذْها**) والمعنى واحد .

ـ قال العراقي : أخرجه ابن حِبّان في كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل ابن شرحبيل ووصله الطبراني عن هذيل عن ابن عمر ، ورجاله رجال الصحيح .

٦٩ ـ (**أربعة قد فرغ منهن : الخَلق ، والخُلق ، والرزق ، والأجل**) .

ـ أورده السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ١٧٢ حديث رقم ٥٨٤٨) بلفظ :

(فرغ إلى ابن آدم من أربع : الخَلق، والخُلق ، والرزق ، والأجل)
ونسبه للطبراني في معجمه الأوسط عن ابن مسعود، ورمز لصحته.
ونقل العلامة المناوي في فيض القدير (٤/ ٤٢٩) عن الهيثمي قوله :
فيه عيسى بن المسيب البجلي ، وهو ضعيف عند الجمهور ، ووثقه
الدارقطني في سننه ، وضعفه في غيرها .

٧٠ - (**إياكم والطمع ، فإنه فقر حاضر**).

- ذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٣٩٧) برواية الطبراني في
المعجم الأوسط عن جابر بلفظ : (إيّاكم والطمع ، فإنه الفقر الحاضر ،
وإياكم وما يُعْتذر منه) وقد أشار السيوطي إلى ضعفه . (أنظر الحديث
رقم ٢٩٢٧) وفي فيض القدير للمناوي (٣/ ١٣٢) عن الهيثمي قال :
فيه ابن حميد ، مُجْمَعٌ على ضعفه .
- وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ١٣٥) هذا الحديث، وأكّد
ضعفه بسبب ابن حميد المجمع على ضعفه ، لا سيما وقد رواه
القعنبي .
ويضيف لكن له شواهد عند العسكري من حديث محمد بن زياد عن
ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : قيل : يا نبي الله ما الغنى ؟ قال :
اليأس مما في أيدي الناس، وإياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر (راجع
المقاصد الحسنة : تخريج الحديث رقم ٢٧٣).
- كذلك أشار الالباني إلى ضعفه (ضعيف الجامع الصغير ٢/ ٢٥٧) ورقم
الحديث عنده (٢٢٠١) ورواه أيضاً الحاكم النيسابوري في مستدركه
(٤/ ٣٢٦) كتاب الرقاق . عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده
قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أوصني وأوجزْ فقال له :
(عليك بالاياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ،
وَصَلِّ صلاتك وانت مودِّع ، وإياك وما تعتذر منه) قال الحاكم : هذا
حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي في تعليقه على هذا
الحديث : صحيح .

٧١ - (**اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه**).

ـ أخرجه أبو داود (٤/١١٦) ، « كتاب الأشربة » باب ما يقول إذا شرب اللبن ، الحديث رقم (٣٧٣٠) بلفظ : (إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ، وإذا سقي لبناً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه لا يجزىء من الطعام والشراب إلا اللبن) .

ـ وأخرجه الترمذي في الدعوات ، حديث ٣٤٥١ ، باب ما يقول إذا أكل طعاماً . وقال حسن .

ـ كذلك أخرجه ابن ماجه (٢/١١٠٣) في باب اللبن ، الحديث رقم (٣٣٢٢) ولفظه قريب من لفظ أبي داود .

٧٢ ـ **(أشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الأمثل فالأمثل) .**

ـ رواه البخاري (٧/١٤٩) كتاب الطب أو المرض ، وفيه : (أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاول فالاول) .

ـ ورواه ابن ماجه (٢/١٣٣٤) كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء ، من حديث سعد (الحديث رقم ٤٠٢٣) ومن حديث أبي سعيد (الحديث رقم ٤٠٢٤) .

ـ ورواه ابن حنبل (١/١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٦/٣٦٩) .

ـ ورواه الحاكم في المستدرك (٤/٣٠٧) عن أبي سعيد قلت : يا رسول الله ، أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الانبياء ، قلت : ثم من ؟ قال : ثم الصالحون) وصححه الحاكم على شرط مسلم .

ـ ورواه الترمذي في كتاب الزهد بلفظ : (قلت يا رسول الله : أي الناس أشد بلاء قال : الانبياء ، ثم الأمثل فالأمثل) وقال الترمذي حسن صحيح .

ـ ورواه الدارمي في الرقاق (ص ٣٢٠) باب في أشد الناس بلاء .

ـ وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/١٣٦) . رواه من حديث سعد وصححه (رقم الحديث ١٠٥٤) ومن حديث أخت حذيفة ، وحسنه ، بلفظ : (أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل) . (رقم الحديث ١٠٥٦) .

وتجدر الإشارة إلى أن جميع روايات هذا الحديث ، والتي أشرت إلى

إمـاكنها لم تـذكر لفـظة (العلماء) كمـا وردت عند الغـزالي في روايته الأخرى.

- ووجدت في المستدرك للحاكم (١/ ٤٠ - ٤١) رواية أخرى له من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ : (قال : يا رسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال : الانبياء . قال : ثم من ؟ قال : العلماء . قال : ثم من ؟ قـال : الصالحون . . .).
- وهكذا رواه الذهبي في ذيل المستدرك (١/ ٤١) وذكر أنه صحيـح على شرط مسلم .

٧٣ - (**ما أُعطي أحدٌ من عطاءٍ خيراً ، وأوسع من الصبر**) .

- هـذا هو القسم الأخيـر من حديث رواه أبـو سعيد الخـدري أنَّ ناسـاً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ ، فأعطاهم ، ثم سألوه فـأعطاهم ، حتى نفـد ما عنـده فقال (مـا يكون عنـدي من خير فلن أدَّخـرَ عنكم ، ومن يستعفف يُعِفُّه الله ، ومن يستغن يُغْنِهِ الله ، ومن يتصبَّر يصبِّرْه الله ، وما أعطِي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر).

رواه البخاري (٢/ ١٥١ - ١٥٢) كتاب الـزكاة ، بـاب الاستعفاف عن المسألة . ورواه أيضاً في كتاب الرقاق باب الصبر (٨/ ١٢٤) .

- كذلك رواه مسلم (٢/ ٧٢٩) كتاب الزكاة ، باب فضل التعفّف والصبر ، الحديث رقم (١٠٥٣) .
- ورواه ابن حنبل (٣/ ١٢) بلفظ : (ما أجد لكم رزقاً أوسع من الصبر) وبلفظ : (وما رُزِقَ العبد رزقاً أوسع من الصبر) (٣/ ٤٧) وبلفظ ثالث (ولن تعطوا عطاء خيراً أوسع من الصبر (٣/ ٩٣) .
- ورواه أيضـاً أبـو داود في سننـه (٢/ ٢٩٥) كتـاب الـزكـاة بـاب في الاستعفاف .
- كـذلـك رواه الـدارمي في سننـه (١/ ٣٨٧) كتـاب الـزكـاة. بـاب في الاستعفاف عن المسألة.
- ورواه الترمذي في البرّ ، ما جاء في الصبر ، حديث رقم (٢٠٥٢) .
- ورواه أيضاً النَّسائي في الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسـألة ، حـديث رقم (٢٥٨٩) .

٧٤ ـ **(مكتوب على ظهر الحوت والثور : رِزْقُ فلان بن فلان ، فلا يزداد الحريص إلا جهداً)** .

ـ لم أجد له أصلاً .

٧٥ ـ **(لِيَقِلَّ همك ، وما قُدِّر يكن ، وما لم تُرزق لم يأتك)** .

ـ ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٧١) بلفظ : (**لا يكثر همك** ، ما يقدر يكن وما ترزق يأتك) وقال : قاله لابن مسعود .ـ رواه أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وهو مختلف في صحبته ، ورواه الاصبهاني في ترغيبه من رواية مالك بن عمر والمعافري به مرسلاً . (راجع المقاصد الحسنة الحديث رقم ١٣٢٧) .

ـ وذكر العجلوني في كشف الخفاء (٢/٥٠٥) إضافة إلى ما ذكره السخاوي أن لأبي نعيم أيضاً عن أنس قال : خدمت النبي عشر سنين فما لامني فيما نسيت ولا فيما ضيَّعت ، فإن لامني بعض أهله قال دعوه ، فما قدر فهو كائن ، وفي رواية أخرى : فما قدر سيكون (الحديث رقم ٣١٣٠) . وفي رواية لابن ماجه في سننه (١/٣٠) في باب القدر (. . . فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأنّ ما اخطأت لم يكن ليصيبك) . الحديث رقم ٧٧ .

٧٦ ـ **(من لم يرض بقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر نعمائي ، فليتخذ إلَهاً سوائي)** .

ـ رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن أنس بن مالك كما جاء في الجامع الصغير للسيوطي (٢/٥٥٨) الحديث رقم ٩٠٢٧ ولفظه : (من لن يرض بقضاء الله ، ويؤمن بقدر الله فليلتمس إلَهاً غير الله) وأشار السيوطي إلى ضعفه .

ـ وذكره الالباني في ضعيف الجامع الصغير (٥/٢٥٠) الحديث رقم (٥٨٥٤) وأشار إلى ضعفه أيضاً وإلى وروده في الأحاديث الضعيفة برقم (٥٠٦) وفي الروض النضير برقم (١١٩) .

ـ وقال الكديري في سراج الطالبين (٢/١٩٨ ـ ١٩٩) : قال العراقي :

رواه الطبراني في الكبير ، وابن حِبّان في الضعفاء من حديث أبي هند الداري ، وإسناده ضعيف .

٧٧ ـ **(إنّي لأزودُ أوليائي عن نعيم الدنيا كما يذود الراعي الشقيق إبِلَهُ عن مبارك العِرّة)** .

ـ قال الكديري في سراج الطالبين (٢/٢١١) : هذا الخبر أورده أبو نعيم في الحليـة ، ومكّي بن طالب في قـوت القلوب ، طـويـلاً عن وهب بن منبّه .

٧٨ ـ **(لَلّهُ أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها)** .

ـ قـال العـراقي (احيـاء ٤/٥٤٥ : : متفق عليـه من حـديث عمـر بن الخطاب ، وفي أوله قصـة المرأة من السَّبي إذ وجـدت صبياً في السبي فأخذته ببطنها فأرضعته .

ـ وروى هذا الحديث البخاري (٨/٩) كتاب الأدب ، باب رحمة الولد ، بلفظ : (لله أرحم بعباده من هذه بولدها) .

ـ وهكذا رواه مسلم (٤/٢١٠٩) كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله ، الحديث رقم ٢٧٥٤ .

ـ في سنن ابن ماجه (٢/١٤٣٦) خبر آخر عن ابن عمر عن امرأة تحصب تنّورها قالت لرسـول الله ﷺ : (أو ليس الله بأرحم بعبـاده من الأم بولـدها ؟ قال : نعم ، وفي التعليق على هذا الحديث ذكر في الزوائد أن الإسناد بهذا الحديث ضعيف لضعف إسماعيل بن يحيى (أحد رواته) ، متفق على تضعيفه (الحديث رقم ٤٢٩٧) .

ـ وفي سنن أبي داود (٣/٤٦٩) كتاب الجنائز (الحديث ٣٠٨٩) روايـة أخرى بلفظ : (لله أرحم بعباده من أم الافراخ بفراخها) .

٧٩ ـ **(إذا أحب الله قوماً إبتلاهم)** .

ـ رواه ابن حنبل (٥/٤٢٧ ٤٢٩) من حديث محمود بن لبيد ، وتمـامه : (. . . فمن صبر فله الصبر ، ومن جزع فله الجزع) .

ـ ورواه ابن مـاجـه في سننـه (٢/١٣٣٨) عن أنس بن مـالـك ، بلفظ :

(عِظَمُ الجزاء من عِـظَمِ البلاء وإن الله إذا أحب قـوماً ابتـلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط) (الحديث رقم ٤٠٣١) .
ـ وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/٤٨) وصححه ، الحـديث رقم (٣٥٤) كما رواه الطبراني في المعجم الأوسط والمعجم الكبير ، والبيهقي ، والضياء المقدسي، عن أنس. قال الهيثمي : رجال الطبراني موثّقون . وقال المنذري رواته ثقات . (راجع فيض القدير ١/٢٤٦) .

٨٠ ـ **(أشد الناس بلاء الانبياء ، ثم الشهداء ، ثم الأمثل فالأمثل)** .
راجع تخريج الحديث رقم ٧٢ .

٧١ ـ **(لو أُخِذْنا أنا وعيسى بما كسبت هاتان لَعُذِّبْنا عذاباً لم يعذَّبْه أحد)** .
لم أجد له أصلاً .

٨٢ ـ **(شَيَّبتني هود وأخواتها)** .
ـ ذكـر السيوطي في الجـامع الصغيـر (٢/٥٠) هذا الحـديث مع زيـاداته فبلغت ثمـانية أحـاديث بـروايـات ومصـادر عـدة وقـد حسنهـا جميعهـا (الأحاديث من رقم ٤٩١١ حتى رقم ٤٩١٨) .
أما الحديث الذي نحن بصدده فقد رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عقبة بن عامر وعن أبي جحيفة ، وأشار السيوطي إلى صحته . (راجع فيض القدير للمناوي ٤/١٦٨ ـ ١٦٩) .

٨٣ ـ **(أفلا أكون عبداً شكوراً)** .
ـ روى الإمـام مسلم (٤/٢١٧١) عن المغيـرة بن شعبـة أنـه قـال : قـام النبي ﷺ حتى ورمت قدماه، قالوا : قد غفر الله لك ما تقـدَّم من ذنبك وما تأخر . قال : **(أفلا أكون عبداً شكوراً)** (الحديث رقم ٢٨١٩) .
وروى هذا الحديث عطاء عن عائشة، أخرجه أبو الشيـخ ابن حبان في كتاب اخلاق رسول الله ﷺ ، ومن طريقه ابن الجوزي في الوفاء ، وفيه أبو جناب ، ضعَّفه الجمهور ، ورواه ابن حِبّـان في صحيحه من روايـة عبد الملك هكذا قاله العراقي (إحياء ٤/٨١) .

٨٤ ـ (**لو اني وعيسى أوخذنا بما كسبت هاتان لعُذِّبْنا عـذاباً لم يُعَـذَّبْه أحـد من العالمين**) .

انظر تخريج الحديث رقم ٨١ .

٨٥ ـ (**أعوذ بعفوك من عقـابك ، وبـرضاك من سخـطك ، وأعوذ بـك منك لا أُحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك**) .

ـ رواه مسلم (١/٣٥٢) كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود (الحـديث رقم ٤٨٦) بلفظ : (اللهم أعـوذ بـرضـاك من سخـطك ، وبمعافاتك من عقوبتك . .) .

ـ كذلك رواه أبو داود في سننه (١/٥٤٧) كتاب الصلاة ، باب الدعاء في الركوع والسجود الحديث رقم (٨٧٩) عن عائشة بلفظ مسلم .

ـ ورواه ابن ماجه في سننه (١/٣٧٣) كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في القنوت في الوتر الحديث رقم (١١٧٩) عن علي بن أبي طالب .

ـ ورواه ابن حنبل في مسنده (١/٩٦، ١١٨، ١٥٠، ٦/٥٨، ٢٠١) وذكـر دعاء رسول الله ﷺ في قنوت الوتر وفي دعاء السجود .

٨٦ ـ (**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكَيْتم كثيراً**)

ـ أخرجه أحمد بن حنبل من حـديث أبي هريـرة (٢/٣١٢ ، ٤٣٢ ، ٤٥٣) ومن حـديث أنس (٣/١٨٠ ، ١٩٣ ، ٢١٠) ، ومن حـديث عـائشـة (٦/٨١ ، ١٦٤) .

ـ وأخرجه ابن ماجه (٢/١٤٠٢) الحديث رقم ١٩٠ بزيادة من حديث أبي ذر .

ـ وقال العراقي : (احياء ٤/١٤٥) متفق عليه من حديث أنس وقد أخرجه ابن حِبان في صحيحه من حديث أبي هريرة . وقال العجلوني في كشف الخفاء : (٢/٢٠٢ الحديث رقم ٢٠٩٦) متفق عليه عن أنس مرفوعاً، وعن أبي هريرة وجماعة . ورواه الحاكم عن أبي ذر وزاد فيه .

٨٧ ـ (**لَلَّهُ أرحم بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها**) .

سبق ذكره وتخريجه راجع الحديث رقم ٧٨ .

٨٨ ـ (إن لله مائة رحمة)

ـ رواه مسلم (٤/٢١٠٨) كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى ، عن أبي هريرة وعن سلمان الفارسي بألفاظ متقاربة وبمعنى متشابه . الحديث رقم (٢٧٥٢) (٢٧٥٣) .

ـ كذلك رواه ابن ماجه في سننه (٢/١٤٣٥) عن ابي هريرة وعن ابي سعيد (الحديث رقم ٤٢٩٣ و ٤٢٩٤) . وفي الزوائد : حديث أبي سعيد صحيح ورجاله ثِقات .

ـ وقال العراقي (إحياء ٤/١٥١) : متفق عليه من حديث أبي هريرة .

ـ ورواه أيضاً الحاكم في مستدركه (١/٥٦) كتاب الإيمان ، قال : صحيح على شرط الشيخين .

٨٩ ـ ﴿ إذا كان يوم القيامة ، يخرج قوم من قبورهم ، لهم نُجُبٌ يركبونها ، لها اجنحة خضر فتطير بهم في عرصات القيامة ، حتى إذا أتوْا على حيطان الجنة ، فإذا رأتهم الملائكة قال بعضهم لبعض : من هؤلاء ؟ فيقول : ما ندري ، لعلهم من أمة محمد ﷺ ، فيأتيهم بعض الملائكة فيقولون من أنتم ؟ ومن أي الأمم ؟ فيقولون : نحن من أمة محمد ﷺ . فتقول الملائكة : هل حوسبتم ؟ فيقولون : لا ، فيقولون : هل وزنتم ؟ فيقولون : لا ، فيقولون : هل قرأتم كتبكم ؟ فيقولون : لا ، فتقول الملائكة : إرجعوا ، فكل ذلك وراءكم . فيقولون : هل أعطيتمونا شيئاً فنحاسب عليه ؟ وفي خبر آخر : ما ملكنا شيئاً فنعدل ، ولا نجور ولكن عبدنا ربنا حتى دعانا فأجبناه ، فينادي مناد : صدق عبادي ، ما على اللّه من سبيل ، والله غفور رحيم ﴾ .

لم أجد له أصلاً .

٩٠ ـ قال ﷺ فيما يرويه عن ربِّه : (أنا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي) .

ـ ذكره السخاوي في المقاصد (ص ٩٦ حديث رقم ١٨٨) بلفظ : (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي) .

ـ وكذا ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/٢٣٤ ، حديث رقم ٦١٤) ونقل قول القاري : (ولا يخفى أن الكلام في هذا المقام لم يبلغ

الغاية . قلت ، وتمامه : (وأنا عند المندرسة قلوبهم لأجلي) ولا أصل لهما في المرفوع .

٩١ - (**الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنّى على الله عز وجل الأماني**).

- رواه ابن حنبل (٤/ ١٢٤) عن شداد بن أَوْس .

ورواه أيضاً ابن ماجه (٢/١٤٢٣) كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له (الحديث رقم ٤٢٦٠) .

- ورواه كذلك الحاكم في مستدركه (١/٥٧) كتاب الإيمان ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه . وعلق الذهبي على أحد رواة هذا الحديث وهو أبو بكر بن أبي مريم فقال : أبو بكر واهٍ ، أي ضعيف . وقال ابن ظاهر : مدار الحديث عليه أي على أبي بكر - وهو ضعيف جداً (فيض القدير ٥/٦٨) .

ويلاحظ أن الغزالي أضاف إلى هذا الحديث لفظه الأخير فالكل توقف عند عبارة : وتمنى على الله . ويلاحظ أيضاً أن الغزالي أورد هذا الحديث في الاحياء (٢/٣٣١، ٣٧٩، ٤/٦٨، ٣٩٦) وفي كل هذه المرات توقف عند عبارة : وتمنى على الله لكنه استبدل لفظة (الاحمق) بلفظة (العاجز) .

- وذكره السيوطي في الجامع الصغير وصححه (الحديث رقم ٦٤٦٨) .

٩٢ - قال ﷺ : إن الله سبحانه وتعالى يقول :

(**أنا أغنى الاغنياء عن الشرك ، من عمل عملاً فأشرك فيه غيري ، فنصيبي له ، فإنّي لا أقبل إلا ما كان لي خالصاً**) .

- رواه مسلم (٤/ ٢٢٨٩) كتاب الزهد والرقائق : باب من أشرك في عمله غير الله . رواه عن أبي هريرة بلفظ : (قال الله تبارك وتعالى : أنا اغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشِرْكَه) وفي بعض النسخ : وشريكه (الحديث رقم ٢٩٨٦) .

- ورواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٥) كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة بروايتين الأولى عن أبي هريرة بلفظ : (أنا اغنى الاغنياء عن الشرك ،

فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء ، وهو للذي أشرك)
وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات (الحديث رقم ٤٢٠٢) .
والثانية عن أبي سعد أبي فضالة الأنصاري . وكان من الصحابة ، قال :
قال رسول الله ﷺ : (إذا جمع الله الأولين والآخرين ، يوم القيامة ليوم لا ريب فيه ، نادى منادٍ : من كان أشرك في عمل له لله ، فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله اغنى الشركاء عن الشرك) . (الحديث رقم ٤٢٠٣) .

- وروى هذا الحديث ابن حنبل في مسنده (٢/٣٠١ و ٤٣٥) عن أبي هريرة بلفظ : (قال الله عز وجل : أنا خير الشركاء ، من عمل لي عملاً فأشرك فيه غيري أنا منه بريء ، وهو للذي أشرك) .
- وروى ابن حنبل أيضاً عن شداد بن أوس (٤/١٢٦) حديث آخر بمعنى الحديث السابق ولكن بلفظ مختلف يقول فيه : (إن الله عز وجل يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بي ، من أشرك بي شيئاً فإنّ عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به ، وأنا عنه غنيّ) .
- وذكره السيوطي في الجامع الصغير (الحديث رقم ١٩٣١) وحسنه .
- وعلق المنّاوي في فيض القدير على هذا الحديث (٢/٣١١) بقول الهيثمي : فيه شهر بن حوشب وثّقه أحمد وغيره ، وضعفه غير واحد ، وبقية رجاله ثقات .

٩٣ - قيل : إن الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة إذا التمس ثواب عمله :
(ألم يُوَسَّع لك في المجالس ؟ ألم تكن الرئيس في الدنيا ؟ ألم يرخص بيعك وشراؤك ؟ ألم تكرم ؟

- هذا القول مأخوذ من حديث رواه أبو هريرة عن رؤية العبد يوم القيامة ربَّه حيث يقول الله تعالى له : (. . . ألم أكرمك وأسوِّدْكَ وأزوِّجك وأسخّر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ؟ . .) .
- رواه مسلم في صحيحه (راجع الأحاديث القدسية ص ٤١٨) .
- وأخرج الترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري مختصراً لرواية مسلم . وقال الترمذي : حديث صحيح غريب . (الأحاديث القدسية ص ٤٢٠) .

ـ ورواه البيهقي أيضاً في البعث كما ذكر الكدبي في سراج الطالبين (٢/٣٥٣).

ـ روي إن الملائكة تصعد بعمل العبد مجتهدين فيقول الله تعالى :

٩٤ ـ (**رُدُّوهُ إلى سجين ، فإنه لم يُرِدْني به**) .

ـ قال العراقي (إحياء ٣/٢٩٤) : أخرجه ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الإخلاص .وأبو الشيخ في كتاب العظمة من رواية حمزة بن حبيب مرسلاً ، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات . . ورواية الاحياء : (إن الله تعالى يقول للملائكة : (إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجّين) .

٩٥ ـ (**إن المرائي يوم القيامة ينادي بأربعة أسماء : يا كافر ، يا فاجر ، يا غادر ، يا خاسر . .**) .

ـ قال العراقي (احياء ٣/٢٩٤) : أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسمّ ، وزاد (يا كافر يا خاسر) ولم يقل (يا مرائي) وإسناده ضعيف

٩٦ ـ روي أنه ينادي منادٍ يوم القيامة يُسمع الخلائق :

(**أين الذين كانوا يعبدون الناس ؟ خذوا أجوركم ممن كنتم عملتم له ، فإني لا أقبل عملاً خالطه شيء**) .

ـ روى ابن ماجه في سننه (٢/١٤٠٦) كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة قول رسول الله ﷺ : (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك في عمل له لله ، فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإني أغنى الشركاء عن الشرك)(الحديث رقم ٤٢٠٣) راجع الحديث رقم ٩٢ .

٩٧ ـ (**إنّ الجنة تكلّمت وقالت : أنا حرام على كل بخيل ومراء**) .

ـ لم أجد له أصلاً .

٩٨ ـ (**إن أول من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن ، ورجل قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال**) .

- رواه مسلم (٣/١٥١٤) في كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء عن أبي هريرة بلفظ : (إنّ أول الناس يقضي يوم القيامة عليه . . .)
- ورواه ابن حنبل (٢/٣٢٢) عن ابي هريرة بلفظ : (إنّ أول الناس يقضي فيه يوم القيامة ثلاثة . . .).
كذلك رواه الترمذي (باب الزهد ٤٨) والنَّسائيّ (باب الجهاد ٢٢).

٩٩ - (**إن النار وأهلها يَعُجّون من أهل الرياء، قيل: يا رسول الله، وكيف تَعجّ النار؟ قال: من حَرِّ النار التي يعذبون بها**).
- لم أجد له أصلاً.

١٠٠ - (**تقول: ربي الله تعالى ، ثم تستقيم كما أُمرت**) .

- روى مسلم في صحيحه (١/٦٥) كتاب الإيمان ، عن سفيان بن عبد الله الثقفي ، قال ، قلت يا رسول الله : قل لي في الإسلام قولاً لا اسأل عنه أحداً بعدك ، قال : (قل آمنت بالله ثم استقم) (الحديث رقم ٦٨).

- وذكره الغزالي في الاحياء (٤/٣٨٢) وخرجه العراقي فقال : لم أره بهذا اللفظ، وللترمذي وصححه ، وابن ماجه ، من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قلت : يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال : (قل ربي الله ثم استقم) .

١٠١ - (**ثلاث مهلكات : شح مُطاع ، وهوى مُتَّبع ، وإعجابُ المرء بنفسه**).
- رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك من حديث قتادة بلفظ : (ثلاث مهلكات وثلاث منجيات. .) قال أبو نعيم : حديث غريب (٢/٣٤٣) .

- ورواه أيضاً برواية ثانية عن أنس بن مالك من حديث زياد النميري بلفظ : (ثلاث كفارات ، وثلاث درجات ، وثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، . . . فأما المهلكات ، فشح مطاع ، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه) (٦/٢٦٩).
وفي رواية ثالثة يذكرها أبو نعيم عن ابن عباس بلفظ : (ثلاث مهلكات :

شح مطاع، وهوى متبع، وعجب كل ذي رأي برأيه) (٣/٢١٩).

- وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٤٦٩/١) (الحديث رقم ٣٤٧١ و٣٤٧٢) عن أبي الشيخ في التوبيخ ، وعن المعجم الأوسط للطبراني بروايته عن أنس ، وأشار إلى ضعفه كذلك في المعجم الأوسط أيضاً بروايته عن ابن عمر . وأشار إلى ضعفه أيضاً.
- وقال المنّاوي في فيض القدير (٣٠٨/٣) في تعقُّبه هذا الحديث : قال العلاء : سنده ضعيف ، وعده في الميزان من المناكير، قال الهيثمي : فيه ابن لهيعة ومن لا يُعرف.
- وتجدر الإشارة هنا إلى أن الالباني في (ضعيف الجامع الصغير) لم يذكر هذا الحديث فهو لم يعتبره ضعيفاً .
- وقد ذكر الغزالي هذا الحديث مرات عديدة . وقال الحافظ العراقي في تخريجه : أخرجه البَزّار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس ، بإسناد ضعيف (إحياء ١٥/١) ووافقه العجلوني في كشف الخفاء (ص ٣٨٦) .

١٠٢ - **(إن الله ليعطي الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يعطي الآخرة بعمل الدنيا)** .

- رواه ابن المبارك في كتاب الزهد عن أنس ، وهكذا نقله عنه السيوطي في الجامع الصغير (٢٥٧/١) بلفظ : (إن الله تعالى يعطي الدنيا على نيّة الآخرة ، وأبى أن يعطي الآخرة على نيّة الدنيا) وأشار إلى ضعفه .
- وقد ذكره الالباني في (ضعيف الجامع الصغير) برقم (١٧٤٤) وأشار إلى ضعفه أيضاً وذكر رقمه في الأحاديث الضعيفة (٣١٥٦) .
- ويذكر المنّاوي في فيض القدير (٣٠٤٤/٢) أن الديلمي خرّجه في مسنده الفردوس ، مسنداً عن أنس بهذا اللفظ .
- وفي سراج الطالبين (٣٩٤/٢) أن الديلمي رواه بإسناد ضعيف .
- قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه :

١٠٣ - **(أعددت ، لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)** .

- رواه مسلم (٢١٧٤/٤) : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها بلفظ :

(قـال الله عز وجـل : اعددت لعبـادي الصالحين . .) حـديث رقم (٢٨٢٤).

ـ ورواه البخاري (٤/١٤٣) باب صفة الجنة ، وفي تفسير سورة السجدة (٦/١٤٥).

ـ وفي سنن ابن ماجه (٢/١٤٤٧) باب صفة الجنة : (يقول الله عزّ وجلّ : أعددتَ لعبادي الصالحين . .) (حديث رقم ٤٣٢٨).

ـ وأخرجه الترمذي (٢/٢٢٥) في تفسير سورة الواقعة باللفظ نفسه .

١٠٤ ـ كان رسول الله ﷺ يدعو ويقول :

(لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك).

ـ هذا جزء من حديث رواه مسلم (١/٣٥٢) كتاب الصلاة : باب ما يقال في الـركوع والسجـود ، ورقم الحديث (٢٢٢) وهـو دعاء ولفـظه : « **اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتـك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك**).

ـ كذلك رواه مالك في الموطأ (١/١٦٧) باب ما جاء في الدعاء .

ـ ورواه أيضاً أبو داود في سننه (١/٥٤٧) كتاب الصلاة: باب الدعاء في الركوع والسجود ، الحديث رقم (٨٧٩) والروايات الثـلاثة السـابقة كلها عن عائشة رضي الله عنها .

ـ كذلك أخرجه ابن ماجه عن علي بن أبي طالب، كواحد من أدعية الوتر (١/٣٧٣) كتـاب إقامـة الصلاة ، بـاب ما جـاء في القنوت والـوتـر الحديث رقم (١١٧٩) ثم عاد ابن ماجه وأخرجه برواية ثانية عن عائشة رضي الله عنهـا (٢/١٢٦٣) في كتـاب الـدعـاء ، الحـديث رقم (٣٨٤١).

ـ وأخـرجه الإمـام أحمد عن علي بن أبي طـالب رضي الله عنه (١/٩٦، ١١٨ ، ١٥٠) وعن عائشة أيضـاً (٦/٥٨) وتتفق جميع الـروايات في جميع كتب السنة على ألفاظ هذا الحديث بلا زيادة ولا نقصان . ورواه أيضاً النسائي في قيام الليل ، والترمذي في الدعوات .

١٠٥ ـ **(ليس أحد يدخل الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : لا وأنا ، إلا أن يتغمّدني الله برحمته)** .

ـ رواه البخاري عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لن يدخل أحداً عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسدِّدوا وقاربوا، ولا يتمنّينَّ أحدكم الموت ، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب » (١٥٧/٧) (كتاب المرضى) .

ـ كذلك رواه البخاري أيضاً (كتاب الرقاق ١٢٣/٨) عن عائشة عن النبي ﷺ قال : سددوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لا يدخل أحداً الجنة عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمّدني الله بمغفرة ورحمة) .

ـ ورواه مسلم في صحيحه (٤ /٢١٦٩ ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : لن يدخل أحد الجنة بعمله عن أبي هريرة بلفظ : (لن ينجي أحداً منكم عمله . .) .

كذلك يرويه بأكثر من لفظ ، أو بتبديل مواضع العبارات ، وكلها بمعنى واحد (راجع أحاديث الباب المذكور من رقم ٧١ حتى ٧٨) .

ـ وكذلك رواه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة (كتاب الزهد ، باب التوقّي على العمل ٢ /١٤٠٥ الحديث رقم ٤٢٠١ ، وأشار إلى حسن إسناده كما يقول الهيثمي في الزوائد .

ـ ورواه الدارمي في سننه (٢ /٣٠٥ ، باب لا ينجي أحدكم عمله) عن جابر ، والمعنى واحد .

ـ ويروي ابن حنبل هذا الحديث في مسنده خمساً وعشرين مرة عن أبي هريرة وعن أبي سعيد الخدري ، وعن جابر بن عبد الله ، وعن عائشة وبألفاظ متقاربة مع إضافة عبارة (ولا ينجيه من النار) .

ـ راجع ابن حنبل ٢ /٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ . .) .

١٠٦ ـ **(. . إن الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض لكل سماء ملكاً . .)** .

ـ أورد الغزالي هذا الحديث بطوله ، وأسند روايته إلى عبد الله بن المبارك

عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ . وذكر الغزالي هذا الحديث في الاحياء (٣/٢٩٥) في ربع المهلكات ، باب الرياء وما ورد في ذمه ، وقد ذكره مختصراً عن عبد الله بن المبارك عن رجل لم يسمه عن معاذ بن جبل : وأخرجه الإمام العراقي فقال : (رواه ابن المبارك في الزهد ، وفي إسناده كما ذكر من لم يسمّ) إشارة إلى أن الغزالي أغفل في الاحياء ذكر اسم الرجل الذي نقل عنه ابن المبارك رواية معاذ بن جبل ، علماً بأن الغزالي ذكر هنا في منهاج العابدين ان الرجل هو خالد بن معدان ، ولعل العراقي لم يطلع على هذه الرواية ثم يضيف العراقي : (رواه ابن الجوزي في الموضوعات).

١٠٧ ـ (**إنّ للنعم أَوَابِدَ كأوابد الوحش ، فقَيِّدوها بالشكر**) .

ـ ذكر السخاوي في المقاصد حديثاً في المعنى نفسه عند كلامه على حديث (إن الله لا يعذب بقطع الرزق) (الحديث رقم ٢٣٦) عن السيدة عائشة أنه ﷺ قال لها : (يا عائشة أحسني جوار نعم الله ، فإنها قلما نَفَرَت عن أهل بيت أن ترجع إليهم) .

وهذا الحديث رواه الخرائطي في كتاب (فضيلة الشكر لله على نعمته) ص ٥٧ رقم ٦٨ .

١٠٨ ـ (**الحمد لله على ما ساء وسر**).

ـ لم أعثر على هذا الحديث بنصّه كما رواه الغزالي ، لكن معناه معروف مشهور . فقد روى الحاكم في مستدركه (١/٥٠٢) كتاب الدعاء عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قال : (أوّلُ من يُدعى إلى الجنة الذين يحمدون الله في السراء والضراء).

قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين .

ـ وفي رواية أخرى يذكرها الغزالي (٤/٨١) :

(ينادى يوم القيامة : لِيَقُم الحمّادون . . قيل : ومن الحَمّادون ؟ قال : الذين يشكرون الله تعالى على كل حال) وفي لفظ آخر : (الذين يشكرون الله على السرّاء والضراء).

ـ قال العراقي في تخريج هذا الحديث : أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحليـة والبيهقي في الشعب من حديث ابن عبـاس بلفظ : (أول من يُدعى إلى الجنة الحمّادون قال : وفيه قيس بن الربيع ضعّفه الجمهور (انـظر الحلية ٥/٦٩ وفيـه : أول من يدعى إلى الجنـة الحمّـادون ، الذين يحمدون الله على السراء والضراء) .

١٠٩ ـ قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام :

(لو أشاء أن أُزَيِّنكما بزينةٍ علم فرعون حين يراهـا أنّ مقدرتـه تعجز عنها لفعلت ولكني أزوي عنكما الدنيا وأرغب بكما عنها ، وكذلك أفعل بأوليائي . .) .

ـ قال الكديري في سراج الطالبين (٢/٤٩٩) : أورده صـاحـب الحليـة وصاحب القوت عن وهب بن منبه .

ـ وذكر الغزالي في الاحياء حديثاً بنفس المعنى تقريباً وهو قـوله ﷺ (إن الله ليحمي عبـده المؤمن من الـدنيـا وهـو يحبـه كمـا يحمي أحـدكم مريضه) .

قـال العراقي : أخـرجه التـرمذي وحسنـه الحـاكم وصححـه (احيـاء ٤/١٢٨) .

ـ ورواية الحاكم في مستدركه عن قتادة بن النعمان بلفظ : (إذا أحب الله عبـداً حماه الـدنيا كمـا يحمي أحدكم مـريضه المـاء) قال : حـديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه (٤/٣٠٩ ، كتاب الرقاق) .

١١٠ ـ **(إنك لتحمد الله على نعمة عظيمة)** .

ـ رواه الخرائطي في كتاب فضيلة الشكر لله على نعمته (طبعة دار الفكر ، دمشق ص ٣٨ ، رقم ١٥) بلفظ : (مرَّ النبي ﷺ برجل وهو يقول : الحمد لله الذي هداني للإسلام وجعلني من أمة محمد ، فقال رسول الله ﷺ لقد شكرت عظيماً) .

١١١ ـ **(لو علمتم ما أعلم ، لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً)** .

ـ رواه البخـاري عن عائشـة (٢/٤٣) باب الصـلاة في كسوف الشمس ،

بلفظ : (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله . . يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً).

ـ ورواه البخاري أيضاً في كتاب النكاح، باب الغيرة (٧/ ٤٥) عن عائشة أيضاً. ورواه في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ : لو تعلمون ما أعلم (٨/ ١٢٧) عن أبي هريرة.

ـ ورواه أيضاً مسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف (٢/ ٦١٨) عن عائشة ضمن حديث طويل فيه وصف لصلاة النبي ﷺ في كسوف الشمس.

ـ ورواه ابن ماجه في الزهد، باب الحزن والبكاء (٢/ ١٤٢) عن أنس بن مالك (الحديث رقم ٤١٩١) مقتصراً على ما لدينا.

ـ ورواه الدارمي عن أنس بن مالك أيضاً (٢/ ٣٠٦).

ـ وفي موطأ الإمام مالك (١/ ١٤٩) عن عائشة، يروي حديث الكسوف، وفي ختامه قوله ﷺ (يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم . .).

ـ وفي مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٢٣) ورد هذا الحديث عن أبي هريرة بلفظ : (والذي نفس محمد بيده، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً).

كما ورد في الصفحات التالية من هذا الجزء (٤١٨ ، ٤٣٢ ، ٤٥٣ ، ٤٦٧ ، ٤٧٧ ، ٥٠٣).

١١٢ ـ (**خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**).

ـ رواه مسلم (٤/ ٢١٧٥) : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. (الحديث رقم ٢٨٢٥) عن سهل بن سعد الساعدي بلفظ : (شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة، حتى انتهى . ثم قال ﷺ : (فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) .

١١٣ ـ (**شيبتني هود وأخواتها**).

ـ راجع تخريج هذا الحديث الذي ورد سابقاً تحت رقم ٨٢ .

الملحق الثاني

تراجم الأعلام

الملحق الثاني

تراجم الأعلام

١ ـ إبراهيم بن أدهم (ت١٦٢ هـ) :

إبراهيم بن أدهم بن منصور ، من كورة بلخ ، القدوة الإمام العارف ، سيّد الزهاد .

كان ورعاً ، وهو من رجال الصوفية الأوائل ، صحب سفيان الثوري ، والفُضَيْل بن عياض بعد أن ترك الدنيا وزينتها ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع . وتوفي سنة اثنتين وستين ومئة .

سير اعلام النبلاء ٣٨٧/٧

انظر ترجمته وأخباره في :

التاريخ الكبير : ٢٧٣/١ ، المعرفة والتاريخ : ٤٥٥/٢ ، الجرح والتعديل : ٨٧/٢ ، مشاهير علماء الأمصار : ١٨٣ ، حلية الأولياء : ٣٦٧/٧ حتى ٥٨/٨ ، الكامل لابن الأثير : ٥٦/٦ ، عبر الذهبي : ٢٣٨/١ ، فوات الوفيات : ١٣/١ ـ ١٤ ، الوافي بالوفيات : ٣١٨/٥ ـ ٣١٩ ، البداية والنهاية : ١٣٥/١٠ ـ ١٤٥ ، طبقات الأولياء : ٥ ـ ١٥ ، تهذيب التهذيب : ١٠٢/١ ـ ١٠٣ ، خلاصة تهذيب الكمال : ١٥ ، شذارت الذهب ٢٥٥/١ ـ ٢٥٦ ، تهذيب ابن عساكر : ١٧٠/٢ ـ ١٩٩ .

٢ ـ إبراهيم التيمي (ت ٩٢ هـ) :

إبراهيم بن يزيد بن شريك الكوفي من تيم الرباب ويكنّى أبا أسماء . كان من العُبَّاد ، ثقة صالح الحديث ، قتله الحجاج ولم يبلغ أربعين سنة ، وقد

توفي في حبس الحجاج سنة ٩٢ هـ.

سير اعلام النبلاء ٥/٦٠

انظر ترجمته وأخباره في :
طبقات ابن سعد ٦/٢٨٥ ، طبقات خليفة : ١٥٥ ، التاريخ الكبير ١/٣٣٣ـ٣٣٤ ، الجرح والتعديل ٢/١٤٦ ، اللباب ١/١٩٠ ، تهذيب الكمال : ١٨ ، تاريخ الإسلام ٣/٣٣٧ ، العبر ١/١٠٦ طبقات القراء ١/٢٩ ، تهذيب التهذيب ١/١٧٦ ، النجوم الزاهرة ١/٢٢٥ ، طبقات الحفاظ : ٢٩ ، خلاصة تهذيب الكمال : ٢٣ .

٣ ـ **إبراهيم الخوّاص** (ت ٢٩١ هـ) :
أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخوّاص ، من اقران الجُنَيْد ، وله في التوكل والرياضيات حَظّ كبير . توفي بالريّ سنة ٢٩١ هـ.
انظر ترجمته وأخباره في :
طبقات الصوفية ص ٢٨٤ ، حلية الأولياء ١٠/٣٢٥ ـ ٣٣١ ، صفة الصفوة ٤/٨٠ ـ ٨٤ ، الرسالة القشيرية ص ٣١ ، طبقات الشعراني ١/١١٣ ـ ١١٥ ، تاريخ بغداد ٦/٧ ـ ١٠ ، نتائج الأفكار القدسية ج ١ ص ١٧٥ ، طبقات المناوي ١/١٨٤ ـ ١٨٨ .

ـ إبراهيم بن علي .
را . **أبو إسحاق الشيرازي** .

ـ **إبراهيم بن محمد** .
را . **أبو إسحاق الاسفرايني** .

٤ ـ **إبراهيم النَّخَعي** (ت ٩٦ هـ)
إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود . . . بن النَّخَع (بفتحتين) قبيلة من مذحج . توفي سنة ٩٦ هـ. تابعي ، من الأئمة المشاهير .

سير اعلام النبلاء ٤/٥٢٠

انظر ترجمته وأخباره في :
طبقات ابن سعد ٦/٢٧٠ ، طبقات خليفة ت ١١٤٠ ، تاريخ البخاري ١/٣٣٣ ، المعارف ٤٦٣ ، المعرفة والتاريخ ٢/١٠٠ و ٦٠٤، الجرح

والتعديل القسم الأول من المجلد الأول ١٤٤ ، الحلية ٤/٢١٩ ، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٢ ، تهذيب الاسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ١٠٤ ، وفيات الاعيان ١/٢٥ ، تهذيب الكمال ص ٦٨ ، تذكرة الحفاظ ١/٦٩ ، تاريخ الإسلام ٣/٣٣٥ ، العبر ١/١١٣ ، البداية والنهاية ٩/١٤٠ ، غاية النهاية ت ١٢٥ ، تهذيب التهذيب ١/١٧٧ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٩ ، شذارت الذهب ١/١١١ .

٥ ـ **ابن السَّمَّاك** (ت ١٨٣ هـ) :

هو الزاهد القدوة ، سيد الوُعّاظ ، أبو العباس محمد بن صبيح العجلي الكوفي ، مولى بني عجل ، كان كبير القدر ، دخل على الرشيد فوعظه وقال له : يا أمير المؤمنين : إنّ لك بين يدي الله مقاماً ، وإنّ لك من مقامك مُنْصَرَفاً ، فانظر إلى أين تكون . فبكى الرشيدكثيراً. توفي ابن السماك سنة ثلاث وثمانين ومئة .

سير اعلام النبلاء ٨/٢٩١

انظر أخباره وترجمته في :
المعرفة والتاريخ : ٢/٦٧١ ، الجرح والتعديل : ٧/٢٩٠ ، حلية الأولياء : ٨/٢٠٣ ـ ٢٠٧ ، وفيات الاعيان : ٤/٣٠١ ـ ٣٠٢ ، العبر : ١/٢٨٧ ، ميزان الاعتدال ، ٣/٥٨٤ ، الطبقات الكبرى للشعراني : ٥٢ ، الكواكب الدرّية للمناوي : ص : ١٦٨ ، شذارت الذهب ١/٣٠٣ ، صفة الصفوة ٣/١٠٥ ، طبقات المعتزلة ٤٢ ، الوافي بالوفيات ٣/١٥٨ ، تاريخ بغداد ٥/٣٦٥ .

ـ **ابن شُبْرُمَة**

را . عبد الله بن شبرمة .

٦ ـ **ابن فُوْرَك** (ت ٤٠٦ هـ) :

الإمام العلامة الصالح ، شيخ المتكلمين أبو بكر ، محمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني الأصولي ، والأديب النحوي الواعظ . بلغت مصنفاته في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنف . وكانت وفاته سنة ٤٠٦ هـ ودفن بالحيرة .

سبر اعلام النبلاء ١٧/٢١٤

انظر ترجمته وأخباره في :
الرسالة القشيرية ٣١٠ ، تبيين كذب المفتري ٢٣٢ ، إنباه الرواة ٣/١١٠، ١١١ ، وفيات الأعيان ٤/٢٧٢ ، ٢٧٣ ، العبر ١/٩٥، الوافي بالوفيات ٢/٣٤٤، مرآة الجنان ٣/١٧، ١٨ ، طبقات السبكي ٤/١٢٧ ـ ١٣٥ ، طبقات الاسنوي ٢/٢٦٦ ، ٢٦٧ ، النجوم الزاهرة ٤/٢٤٠ ، شذارت الذهب ٣/١٨١، ١٨٢ ، تاج العروس ٧/١٦٧ ، هدية العارفين ٢/٦٠ .
وفُوْرَك : ضبطها ابن خلكان والسمعاني وابن الأثير والصفدي والسيوطي وابن العماد بضم الفاء وسكون الواء وبعدها كاف ، وضبطها الزبيدي بضم الفاء وفتحها .

٧ ـ ابن مطيع (ت ٧٣ هـ) :
هو عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة ، القرشي العدوي ، المدني ، ولد في حياة النبي محمد ﷺ ، ولأبيه صُحْبه . كان من رجال قريش ، وقد قتل مع ابن الزبير بمكة عام ٧٣ هـ وكان قد استعمله على الكوفة ، قال الزبير عنه : كان عبد الله بن مطيع من جِلّة قريش شجاعة وجلداً .
انظر ترجمته وأخباره في :
الوافي بالوفيات ١٧/٦٢٠ (ت ٥٢٣) ، تاريخ الإسلام ٣/١٨٥ ـ ١٨٦ ، الاستيعاب ٣/٩٩٤ المعارف لابن قتيبة ٣٩٥ ، أُسد الغابة ٣/٢٦٢ ، البداية والنهاية ٨/٣٤٥ ، تهذيب التهذيب ٦/٣٦ (ت ٥٩)، شذارت الذهب ١/٨٠ .

٨ ـ **أبو إسحاق الاسفراييني** (ت ٤١٨ هـ) :

الإمام العلامة الأوحد الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الفقيه العارف المتكلم الأصولي الشافعي ، صاحب التصانيف الجليلة ، واحد المجتهدين في عصره ، ارتحل في طلب الحديث، وقد حدّث عنه البيهقي والقشيري وأبو الطيب الطبري وبنيت له بنيسابور مدرسة مشهورة ، وقد توفي بنيسابور سنة ثماني عشرة واربع مئة هـ .

سير اعلام النبلاء ١٧/٣٥٣

انظر ترجمته وأخباره في :
طبقات الشيرازي ١٠٦ ، الأنساب ١/٢٣٧ ، تبيين كذب المفتري ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، معجم البلدان ١/١٧٨ ، اللباب ١/٥٥ ، تهذيب الاسماء واللغات ٢/١٦٩ ، ١٧٠ ، وفيات الاعيان ١/٢٨ ، المختصر في أخبار البشر ٢/١٥٦ ، العبر ٣/١٢٨ ، الوافي بالوفيات ٦/١٠٤ ـ ١٠٥ ، مرآة الجنان ٣/٣١ طبقات السبكي ٤/٢٥٦ ـ ٢٦٢ ، طبقات الاسنوي ١/٥٩ ، ٦٠ ، البداية والنهاية ١٢/٢٤ ، كشف الظنون ١/٥٣٩ ، شذارت الذهب ٣/٢٠٩ ـ ٢١٠ ، هدية العارفين ١/٨ ، طبقات الأصوليين ١/٢٨ ، ٢٢٩ .

٩ ـ **أبو إسحاق الشيرازي** (ت ٤٧٦ هـ)

الشيخ الإمام ، القدوة ، المجتهد ، شيخ الإسلام ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف ، الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي ، نزيل بغداد .
ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة ، وقدم بغداد سنة خمس عشرة وأربع مئة . قال السمعاني : هو إمام الشافعية ، ومدرّس النظامية ، وشيخ العصر ، رحل الناس اليه من البلاد وقصدوه ، وتفرد بالعلم الوافر مع السيرة الجميلة ، صنّف في الأصول والفروع والخلاف والمذاهب ، وكان زاهداً ورعاً متواضعاً . وقد توفي سنة ست وسبعين وأربع مئة ببغداد .
سير اعلام النبلاء ١٨/٤٥٢

انظر ترجمة واخباره في :
الأنساب ٩/٣٦١ ـ ٣٦٢ ، تبيين كذب المفتري : ٢٧٦ ـ ٢٧٨ ، المنتظم ٩/٧ ـ ٨ ، صفة الصفوة ٤/٦٦ ـ ٦٧ ، معجم البلدان ٣/٣٨١ ، الكامل لابن الأثير ١٠/١٣٢ ـ ١٣٣ ، اللباب ٢/٤٥١ ، تهذيب الاسماء واللغات ٢/١٧٢ ـ ١٧٤ وفيات الاعيان ١/٢٩ ، ٣١ ، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٤ ـ ١٩٥ ، دول الإسلام ٢/٧ ، العبر ٣/٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : ٤٢ ـ ٤٦ ، تتمة المختصر ١/٥٧٣ ـ ٥٧٤ ، الوافي ٦/٦٢ ـ ٦٦ مرآة الجنان ٣/١١٠ ـ ١١٩ ، طبقات السبكي ٤/٢١٥ ـ ٢٥٦ ، طبقات الأسنوي ٢/٨٣ ـ ٨٥ ، البداية والنهاية ١٢/١٢٤ ـ ١٢٥ ، وفيات ابن قنفذ : ٢٥٦ ، النجوم الزاهرة ٥/١١٧ ـ ١١٨ مفتاح السعادة ٢/٣١٨ ـ ٣٢١ ، تاريخ الخميس

٢/٣٥٩ ـ ٣٦٠ ، كشف الظنون ١/٣٣٩، ٣٩١، ٤٨٩، ٢/١٥٦٢، ١٧٤٣، ١٨١٨، ١٩١٢، شذرات الذهب ٣/٣٤٩ ـ ٣٥١، هدية العارفين ١/٨، ذيل بروكلمان ١/٦٦٩، الفتح المبين في طبقات الأصوليين ١/٢٥٥ ـ ٢٥٧ ، وانظر «الإمام الشيرازي: حياته وآراؤه الأصولية» للدكتور محمد حسن هيتو ، ومقدمة كتابه «طبقات الفقهاء» (بيروت ـ ١٩٧٠) لإحسان عباس .

١٠ ـ أبو بكر الصدّيق (ت ١٣ هـ) :

ابن أبي قحافة ، صاحب رسول الله ، ولد سنة ٥٧٣ م بعد عام الفيل بثلاث سنين . وقد تولى خلافة رسول الله ﷺ عام ١١ هـ ـ ٦٣٢ م وبقي فيها حتى عام ١٣ هـ ـ ٦٣٤ م .

انظر ترجمة وأخباره في :

ـ تاريخ الطبري ـ الكامل لابن الأثير ـ تاريخ أبي الفدا ـ أسد الغابة .

ـ تهذيب الاسماء واللغات للنووي ـ طبقات ابن سعد ٣/١٦٩ ـ ١٩٢ .

١١ ـ أبو بكر الطُّرطُوشي :

هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطُّرطُوشي الفقيه المالكي الزاهد المعروف بابن أبي رندقة ، من أهل طُرطُوشة وهي مدينة في آخر بلاد المسلمين بالأندلس على ساحل البحر .

رحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة ،وحج ودخل بغداد والبصرة ومصر وفلسطين ولبنان وأقام مدة في الشام،كان إماما عالماً عاملاً زاهداً ورعاً دَيِّناً متواضعاً متقشفاً متقللاً من الدنيا راضياً عنها باليسير .

من كتبه: كتاب كبير عارض به احياء علوم الدين للغزالي . وله من التصانيف « سراج الملوك » وكتاب « بر الوالدين » وكتاب « الفتن » وغير ذلك .

كانت ولادة الطُرطُوشي سنة إحدى وخمسين واربعمائة تقريباً ، توفي سنة عشرين وخمسمائة بثغر الاسكندرية .

انظر ترجمته واخباره في : وفيات الاعيان ٤/٢٦٢ ـ ٢٦٥ ، الديباج المذهب ٢٧٦ ، نفح الطيب ١/٣٦٧ ، بغية الملتمس ١٢٥ ، حسن المحاضرة ١/٢٥٦ دائرة المعارف الإسلامية ١٧٧ : بروكلمان ١/٦٠٠ .

١٢ ـ أبو بكر محمد بن سابق :
الواعظ الصقلي . كان بالشام ، وله شعر ، ولم نعثر على ترجمته .

١٣ ـ أبو بكر الورّاق :
محمد بن عمر الحكيم ، أصله من ترمذ وأقام ببلخ . لقي أحمد بن خضرويه وصحبه وصحب محمد بن سعد بن إبراهيم الزاهد .
له الكتب المشهورة في أنواع الرياضات والمعاملات والأداب . وقد أسند الحديث طبقات الصوفية ص ٢٢١ .
انظر ترجمته واخباره في :
ـ صفة الصفوة ٤/١٦٥ ، ـ الرسالة القشرية ١/١٣٥ ، ـ حلية الأولياء ١٠/٢٣٥ ، ـ طبقات الشعراني ١/١٠٦ ، ـ نتائج الأفكار القدسية ١/١٦٦ ، ـ كنوز الأولياء ١١٧ ، ـ الكواكب الدرّية ٢/٤٣ ، ـ حلية الأولياء ١٠/٢٣٥ .

١٤ ـ أبو جعفر الحداد
أبو جعفر الحداد الكبير الصوفي . سافر ودخل دمشق . وهو من أقران الجنيد ورُوَيْم وأبي تراب النخشبي . وهو أستاذ أبي جعفر الحداد الصغير . وكان شديد الاجتهاد معروفاً بالإيثار . من رؤساء الصوفية .

انظر ترجمته في :
طبقات الصوفية ص ٢٣٤ ، تاريخ دمشق ٤٧/٢٩ ـ ٣٧ (مخطوط) تاريخ بغداد ١٤/٤١٢ ، حلية الأولياء ١٠/٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

١٥ ـ أبو حامد الاسفراييني (ت ٤٠٦ هـ) :
الأستاذ العلامة شيخ الإسلام أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الاسفراييني شيخ الشافعية ببغداد .
ولد سنة أربع واربعين وثلاث مئة ، وقدم بغداد وله عشرون سنة ، فتفقّه على أبي الحسن بن المرزبان ، وبرع في المذهب، وأربى على المتقدمين، وعظم جاهه عند الملوك، حدّث عنه من تلامذته القاضي أبو

الحسن الماوردي . وقد توفي في سنة ست واربع مئة .

سير اعلام النبلاء ١٧/١٩٣

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات العبادي ١٠٧ ، طبقات الشيرازي ١٠٣ ، تاريخ بغداد ٣٦٨/٤ ـ ٣٧٠ ، الأنساب ٢٣٧/١ ، المنتظم ٢٧٧/٧ ـ ٢٧٨ ، معجم البلدان ١٧٨/١ ، تعذيب الاسماء واللغات ٢٠٨/٢ ـ ٢١٠ ، وفيات الاعيان ٧٢/١ ـ ٧٤ ، المختصر في أخبار البشر ١٥٢/٢ ، العبر ٩٢/٣ ، دول الإسلام ٢٤٣/١ ، الوافي بالوفيات ٣٥٧/٧ ، مرآة الجنان ١٥/٣ ، طبقات السبكي ٦١/٤ ـ ٧٤ ، طبقات الاسنوي ٥٧/١ ، البداية والنهاية ٢/١٢ ـ ٣ النجوم الزاهرة ٢٣٩/٤ ، طبقات ابن هداية الله ١٢٧ ـ ١٢٨ ، شذارت الذهب ١٧٨/٣ ، تاج العروس ٢٣٦/٩ .

١٦ ـ **أبو الدرداء** (ت ٣٢ هـ) :

الإمام القدوة ، قاضي دمشق وصاحب رسول الله أبو الدرداء ، واسمه عويمر ، وقيل عامر بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري روى عنه ابن عمر وابن عباس وأنس وغيرهم وكثير من التابعين . كان فقيهاً حكيماً زاهداً ، شهد ما بعد أحد من المشاهد مع رسول الله ﷺ ، توفي عام ٣١ هـ أو ٣٢ هـ وقبره بدمشق .

سير اعلام النبلاء ٣٣٥/٢

انظر ترجمته وأخباره في :

مسند أحمد : ٩٤/٥ و٤٤٠/٦ ، ٤٤٥ ، طبقات ابن سعد ٣٩١/٧ ، ٣٩٣ ، طبقات خليفة : ٩٥ ، ٣٠٣ ، التاريخ الكبير : ٧٦/٧ ـ ٧٧ ، المعارف : ٢٥٩ ، ٢٦٨ ، الجرح والتعديل ٢٦/٧ ـ ٢٨ الاستبصار ١٢٥ ـ ١٢٧ ، الاستيعاب : ١٦٤٦/٤ ، تاريخ ابن عساكر ١/٣٦٦/١٣ ، أسد الغابة : ٩٧/٦ ، تهذيب الكمال : ١٠٦٨ ـ تاريخ الإسلام : ١٠٧/٢ ، العبر : ٣٣/١ ، تذكرة الحفاظ : ٢٤/١ ، معرفة القراء : ٣٨ ، مجمع الزوائد : ٣٦٧/٩ ، طبقات القراء : ٦٠٦/١ ، ٦٠٧ ، تهذيب التهذيب : ١٧٥/٨ ـ ١٧٧ ، الإصابة : ١٨٢/٧ ، خلاصة تذهيب الكمال ،

٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، كنز العمال : ١٣/ ٥٥٠ ـ ٥٥٣ ، شذارت الذهب: ١/ ٣٩، ٤٤ .

١٧ ـ **أبو ذَرّ الغفاري** (ت ٣٢ هـ) :

اسمه جُنْدُب (بضم الجيم وضم الدال وفتحها) بن جنادة ، وكان أبو ذر رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام ، ومن الصحابة المشهورين . كان زاهداً متقلّلاً من الدنيا ، وقد وصفه رسول الله ﷺ بأنّه اصدق الناس لهجة أي كلاماً وهو أول من حيًّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام ، وهي قوله : السلام عليكم . وقد توفي بالرَّبْذة (موضع قرب المدينة) سنة ٣٢ هـ.

سير اعلام النبلاء ٢/ ٤٦

انظر ترجمته وأخباره في :

مسند أحمد : ٥/ ١٤٤ ، طبقات ابن سعد : ٤/ ٢١٩ ـ ٢٣٧ ، طبقات خليفة : ٣١ ، تاريخ خليفة : ١٦٦ ، التاريخ الكبير : ٢/ ٢٢١ ، المعارف : ٢٠٢، ٦٧، ١٥٢، ١٩٥، ٢٥٢، ٢٥٣، أنساب الأشراف : ٤/ ٥٤١ ، تاريخ الطبري : ٤/ ٢٨٣ ، معجم الطبراني الكبير : ٢/ ١٥٥ ، ارستبصار : ١٢٥ ، حلية الأولياء : ١/ ١٥٦، ١٧٠ ، الاستيعاب : ١/ ١٦٩، ١٧٧ ، جامع الأصول : ٩/ ٥٠ ـ ٥٩ ، أسد الغابة : ١/ ٣٥٧ و٦/ ٩٩، ١٠١، تهذيب الكمال : ١٦٠٢ ، تاريخ الإسلام : ٢/ ١١١، العبر ١/ ٣٣ ، مجمع الزوائد : ٩/ ٣٢٧ ، تهذيب التهذيب : ١٢/ ٩٠ ـ ٩١ ؛ الإصابة : ١١/ ١١٨ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٤٤٩، كنز العمال: ١٣/ ٣١١ ، شذرات الذهب : ١/ ٢٤ و٥٦ و٦٣ .

١٨ ـ **أبو سعيد الخُدري** (ت ٦٤ أو ٧٤ هـ) :

الإمام المجاهد ، مفتي المدينة ، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي الخُدري ، صحابي جليل ، كثير الرواية عن رسول الله ﷺ وعن جماعة من الصحابة كأبي بكر وعمر وغيرهما . وكان أحد الفقهاء المجتهدين ، وقد حدَّث عنه خلق كثير منهم: ابن عمر وأنس وجابر ، توفي سنة ٦٤ أو ٧٤ هـ ودفن بالمدينة .

سير اعلام النبلاء ٣/ ١٦٨

انظر أخباره وترجمته في :

طبقات خليفة ت ٦٠١ ، المحبّر ٢٩١ ، ٤٢٩ ، المعارف ٢٦٨ ، مشاهير علماء الأمصار ت ٢٦ ، جمهرة أنساب العرب ٣٦٢ ، معجم الطبراني الكبير ٦/٤٠ ، الاستيعاب ٦٠٢ ، تاريخ بغداد ٥/٢٦٧ ، طبقات الشيرازي ٥١ ، الجمع بين رجال الصحيحين١/١٥٨ ، أسد الغابة ٢/٢٨٩ و ٥/٢١١ تهذيب الكمال ٤٧٦ ، تاريخ الإسلام ٣/٢٢٠ ، تذكرة الحفاظ ١/٤١ ، العبر ١/٨٤ ، الوافي بالوفيات ١٥/١٤٨ ، مرآة الجنان ١/١٥٥ ، البداية والنهاية ٩/٣ ، الإصابة ٢/٣٥ تهذيب التهذيب ٣/٤٧٩ ، النجوم الزاهرة ١/١٩٢ ، شذرات الذهب ١/٨١ ، تهذيب ابن عساكر ٦/١١٠ .

١٩ ـ **أبو سعيد الخَرَّاز** (ت ٢٧٧ أو ٢٨٦ هـ) :

أحمد بن عيسى البغدادي ، العارف ، شيخ الصوفية وصاحب التصانيف ، وكان من المتوكلين .

ويقال : إنه أول من تكلّم في علم الفناء والبقاء . هو إمام القوم في كل فن من علومهم ، وهو أحسن القوم كلاماً خلا الجُنَيْد فإنّه الإمام .

مات سنة ٢٧٧ هـ وقيل ٢٨٦ هـ .

والخرَّاز : نسبة إلى خَرْز الجلود كالقِرَب وغيرها .

سير اعلام النبلاء ١٣/٤١٩

انظر ترجمته في :

طبقات الصوفية : ٢٢٨ ـ ٢٣٢ ، حلية الأولياء ١٠/٢٤٦ ـ ٢٤٩ ، تاريخ بغداد ٤/٢٧٦ ـ ٢٧٨ ، شرح الرسالة القشيرية : ١/١٦٧ ـ ١٦٨ ، المنتظم ٥/١٠٥ ، اللباب ١/٤٢٩ ، العِبَر ٢/٧٧ ، الوافي بالوفيات ٧/٢٧٥ ، البداية والنهاية ١١/٥٨ ، طبقات الأولياء ٤٠ ـ ٤٥ ، شذرات الذهب ٢/١٩٢ ـ ١٩٣ .

٢٠ ـ **أبو سعيد الصوفي** :

(صديق في العبادة للغزالي) لم نعثر على ترجمته .

ـ **أبو سليمان الكوفي** را . **الأعمش** .

٢١ ـ أبو الطيب الطبري (ت ٤٥٠ هـ)

الإمام العلامة ، شيخ الإسلام ، القاضي أبو الطيب ، طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري ، الشافعي ، فقيه بغداد . ولد سنة ثمان واربعين وثلاث مئة بآمل ، وسمع الحديث بجرجان وبنيسابور وبغداد حيث استوطن ودرَّس وأفتى وأفاد وولي القضاء . وكان أبو الطيب ورعاً عاقلاً عارفاً بالأصول والفروع ، محققاً ، حسن الخلق ، صحيح المذهب .

سير اعلام النبلاء ١٧/٦٦٨

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات العبادي ١١٤ ، تاريخ بغداد ٩/٣٥٨ ـ ٣٦٠ ، طبقات الشيرازي ١٢٧ ، الانساب ٨/٢٠٧ المنتظم ٨/١٩٨ ، اللباب ٢/٢٧٤ ، الكامل في التاريخ ٩/٦٥١ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٤٧ ، ٢٤٨ ، وفيات الاعيان ٢/٥١٢ ـ ٥١٥ ، المختصر في أخبار البشر ٢/١٧٩ ، العبر ٣/٢٢٢ ، دول الإسلام ١/٢٦٥ ، تتمة المختصر ١/٥٤٩ الوافي بالوفيات ١٦/٤٠١ ، مرآة الجنان ٣/٧٠ ـ ٧٢ ، طبقات السبكي ٥/١٢ ـ ٥٠ ، طبقات الاسنوي ٢/١٥٧ ـ ١٥٨ ، البداية والنهاية ١٢/٧٩ ـ ٨٠ ، النجوم الزاهرة ٥/٦٣ ، طبقات ابن هداية الله : ١٥٠ ، ١٥١ ، كشف الظنون ٤٢٤ ١١٠٠ ، شذرات الذهب ٣/٢٨٤ ، روضات الجنات ٣٣٨ هدية العارفين ١/٤٢٩ ، تاريخ التراث العربي لسزكين ٢/١٩٥ .

٢٢ ـ أبو عبيدة بن الجراح

صحابي جليل ، وقائد إسلامي مشهور ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري المكي . أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة . شهد له النبي بالجَنّة ، وَسمَّاه أمين الأمة ، ومناقبه شهيرة جمّة . روى أحاديث معدودة وغزا غزوات مشهورة . وكان أبو عبيدة موصوفاً بحسن الخلق وبالحلم الزائد وبالتواضع . وقد توفي أبو عبيدة سنة سبع عشرة للهجرة .

سير اعلام النبلاء ١/٥

انظر ترجمته وأخباره في :

مسند أحمد ١/١٩٥ ـ ١٩٦ ، الزهد لابن حنبل ١٨٤ ، طبقات ابن

سعد : ٣/٤٠٩ ، نسب قريش : ٤٤٥ ، طبقات خليفة ٢٧، ٣٠٠ ، تاريخ خليفة : ١٣٨ ، التاريخ الكبير ٦/٤٤٤ ـ ٤٤٥، التاريخ الصغير : ١/٤٨ ، المعارف : ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ، تاريخ الطبري ٣/٢٠٢ ، الجرح والتعديل : ٦/٣٢٥ ، مشاهير علماء الامصار ت ١٣ ، البدء والتاريخ ٥/٨٧ ، معجم الطبراني : ١/١١٧ ـ ١٢٠ ، حلية الأولياء : ١/١٠٠ ـ ١٠٢ ، الاستيعاب : ٥/٢٩٣ ـ ٢٩٧ ، تاريخ ابن عساكر : ٧/١٥٧ جامع الأصول : ٩/٥ ـ ١٨ ، أسد الغابة : ٣/١٢٨ ـ ١٣٠ ، الكامل في التاريخ : ٢/٣٢٥ ـ ٣٣٢ ، تهذيب الاسماء واللغات : ٢/٢٥٩ ، الرياض النضرة : ٢/٣٠٧ ، تهذيب الكمال : ٦٤٥ ، دول الإسلام ١/١٥ ، تاريخ الإسلام : ٢/٢٣ ، العبر ١/١٥، ٢٤ ، العقد الثمين : ٥/٨٤ ، تهذيب التهذيب : ٥/٧٣ ، الإصابة : ٥/٢٨٥ ـ ٢٨٩ ، تاريخ الخميس : ٢/٢٤٤ ، كنز العمال ١٣/٢١٤ ـ ٢١٩ ، شذرات الذهب : ١/٢٩ ، تهذيب تاريخ دمشق : ٧/١٦٠ ـ ١٦٨ ، صفة الصفوة ١/١٤٢ .

٢٣ ـ **أبو العتاهية** : (ت ٢١١ هـ) :

إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي ، مولاهم الكوفي ، نزيل بغداد لُقِّب بأبي العتاهية لاضطراب فيه ، وقيل : كان يحب الخلاعة ، فيكون مأخوذاً من العتوّ .

سار شعره لجودته وحسنه وعدم تقعّره . وقد تنسَّك في آخر أيامه وقال في المواعظ والزهد فأجاد .

سير اعلام النبلاء ١٠/١٩٥

انظر ترجمته وأخباره في :

الشعر والشعراء : ٤٩٧ ـ ٥٠١ ، طبقات ابن المعتز : ٢٢٨ ، تاريخ الطبري ١٠/٢٧٨ ، مروج الذهب ٧/٨٢ ـ ٨٨ ، الموشح : ٢٥٤ ـ ٢٦٣ ، الأغاني ٤/١ ـ ١١٢ ، الفهرست : ١٨١ ، تاريخ بغداد ٦/٢٥٠ ـ ٢٦٠ ، وفيات الاعيان ١/٢١٩ ـ ٢٢٦ ، المختصر في أخبار البشر ٢/٣١ ، ميزان الاعتدال ١/٢٤٥ ، العبر ١/٣٦٠ ، مرآة الجنان ٢/٤٩ ـ ٥٢ ، البداية والنهاية ١٠/٢٦٥ ، لسان الميزان ١/٤٢٦ ، روضات الجنات : ١٠٢ ، ١٠٣ ، معاهد التنصيص ٢/٢٨٥ ، شذرات

الذهب ٢ / ٢٥ ، دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٣٧٧ .

٢٤ ـ **أبو قِلابة** (ت ١٠٦ هـ) :
عبد الله بن زيد البصـري الجَرَمي ، كـان رأساً في العلم والعمـل ، طُلِبَ للقضاء فهرب إلى الشام وتوفّي بها سنة ١٠٦ هـ.
سير اعلام النبلاء ٤ /٤٦٨

انظر ترجمته وأخباره في :
طبقات ابن سعد ٧ /١٢٦ ، طبقـات خليفة ت ١٧٣٠ ، تـاريخ البخـاري ٥ /٩٢ ، المعارف ٤٤٦ ، المعرفـة والتاريـخ ٢ /٦٥ ، تاريخ داريا ٦٠ ، الحليـة ٢ /٢٨٢ ، طبقات الفقهـاء للشيـرازي ٨٩ ، تـاريـخ ابن عسـاكـر ٩ /١٥٦ ، تهذيب الكمال ص ٦٨٥ ، ١٦٤٥ ، تاريخ الإسـلام ٤ /٢٢١ ، تذكرة الحفاظ ١ /٨٨ ، العبر ١ /١٢٧ ، البداية والنهـاية ٩ /٢٣١ تهـذيب التهذيب ٥ /٢٢٤ ، النجوم الزاهرة ١ /٢٥٤ ، طبقـات الحفاظ للسيـوطي ص ٣٦ ، خـلاصة تـذهيب التهذيب ١٩٨ ، شـذرات الذهـب ١ /١٢٦ ، تهذيب ابن عساكر ٧ /٤٢٩ .

٢٥ ـ **أبو مطيع البلخي** (ت ١٩٩ هـ) :
واسمه الحكم بن عبد الله صاحب أبي حنيفة ، كان بصيراً بالرأي ، علامة كبير الشأن تولّى قضاء بلخ ، وكان مرجئاً . وقد لقي عبد الرحمن بن حرملة وغيـره ، وهو ضعيف عنـدهم في الحديث ، وكـان مكفوفـاً . مـات سنـة ١٩٩ هـ. انـظر ترجمتـه واخباره في طبقـات ابن سعـد ٧ /٣٧٤ ، ميـزان الاعتدال ١ /٥٧٤ ـ ٥٧٥ ، لسان الميزان ٢ /٣٣٤ ـ ٣٣٦ .

٢٦ ـ **أبو المعالي الجُوَيْني** (ت ٤٧٨ هـ) :
هو إمام الحرمين ضياء الدين عبد الملك ابن الشيخ محمد بن عبـد الله بن أبي يعقوب . . . الجويني ، نسبة إلى جُوَين في نيسابور . ولد عام ٤١٩ هـ وَجاور بمكة والمدينة أربع سنين يفتي ويدرِّس ويجمع طرق الشافعي . ومن ثَمّ لُقِّب بإمام الحرمين . ثم عاد إلى نيسابور ، فبنى له الوزير نظام الـدين المدرسة النظامية فيها . وبقي قريباً من ثلاثين سنة يخطب ويجلس للمناظرة

والوعظ والتدريس . توفي في سنة ٤٧٨ هـ.

سير اعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات العبادي : ١١٢ ، دمية القصر ٢/١٠٠٠ ـ ١٠٠٢ ، الأنساب ٣/٣٨٦ ـ ٣٨٧ ، تبيين كذب المفتري : ٢٧٨ ـ ٢٨٥ ، المنتظم ٩/١٨ ـ ٢٠ معجم البلدان ٢/١٩٣ ، الكامل ١٠/١٤٥ ، اللباب ١/ ٣١٥ ، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار : ٨٥ ـ ٩٥ ، وفيات الأعيان ٣/١٦٧ ـ ١٧٠ ، المختصر في اخبار البشر ٢/١٩٦ ـ ١٩٧ ،دول الإسلام ٢/ ٨ ، العبر ٣/٢٩١ ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : ١٧٤ ـ ١٧٥ ، تتمة المختصر ١/٥٧٦، مرآة الجنان ٣/١٢٣ ـ ١٣١ ، طبقات السبكي ٥/١٦٥ ـ ٢٢٢ ، طبقات الإسنوي ١/٤٠٩ ـ ٤١٢ ، البداية والنهاية ١٢/١٢٨ ـ ١٢٩ ، وفيات ابن قنفذ : ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، العقد الثمين ٥/٥٠٧ ـ ٥٠٨ ، النجوم الزاهرة ٥/١٢١ ، مفتاح السعادة ٢/١١٠ ـ ١١١ ، تاريخ الخميس ٢/٣٦٠ ، طبقات ابن هداية الله : ١٧٤ ـ ١٧٦ ، شذرات الذهب ٣/٣٥٨ ـ ٣٦٢ ، الفوائد البهية : ٢٤٦ ، روضات الجنات : ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ، إيضاح المكنون ١/٢٨٨ ، هدية العارفين ١/٦٢٦، وانظر «الجويني إمام الحرمين » للدكتورة فوقية حسين محمود من سلسلة اعلام العرب (رقم ٤٠) ١٩٦٥ .

٢٧ ـ **أبو معاوية الأسود** :

من كبار أولياء الله . صحب سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وغيرهما وكان يُعَدّ من الأبدال . وله مواعظ وحكم . وهو من رجال القرن الثاني للهجرة .

سير اعلام النبلاء ٩/٧٨

وانظر ترجمته وأخباره في :

حلية الأولياء ٨/٢٧١ .

٢٨ ـ **أبو ميسرة العابد** :

لم نعثر على ترجمته . ولعل أبا ميسرة العابد هذا من رجال أوائل القرن الثالث أو أواخر القرن الثاني للهجرة .

٢٩ ـ **أبو هريرة (ت ٥٩ هـ)**

هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ ، ثم لازمه الملازمه التّامَّة رغبة في العلم ، وكان يدور معه حيثما دار . كان أحفظ الصحابة رضي الله عنهم لحديث رسول الله ﷺ . توفي في المدينة عام ٥٩ هـ ودفن بالبقيع .

سير اعلام النبلاء ٢ /٥٧٨ .

انظر ترجمته وأخباره في :

مسند أحمد :٢/٢٢٨ ، ٥ / ١١٤ ، طبقات ابن سعد : ٢/٣٦٢ ـ ٣٦٤ ، و ٤/٣٢٥ ـ ٣٤١ ، طبقات خليفة ١١٤ ، تاريخ خليفة : ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ، المعارف : ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٨٥ ، تاريخ الفسوي ١/٤٨٦ و ٣ /١٦٠ ـ ١٦٢ ، أخبار القضاة : ١/١١١ ١١٢ ، الاستبصار : ٢٩١ ، الإستيعاب : ٤/١٧٦٨ ، حلية الأولياء : ١/٣٧٦ ـ ٣٨٥ ، ابن عساكر : ١٩/١٠٥/١ ، جامع الأصول : ٩/٩٥ ، أسد الغابة : ٦/٣١٨ ، تهذيب الكمال : ١٦٥٤ ، تاريخ الإسلام : ٢/٣٣٣ ، العبر : ١/٦٣ ، معرفة القراء : ٤٠ ، البداية والنهاية : ٨/١٠٣ ١١٥ ، مجمع الزوائد : ٩/٣٦١ ، طبقات القراء : ١/٣٧١ ، ٣٧٢ ، تهذيب التهذيب : ١٢/٢٦٢ ـ ٢٦٧ ، الإصابة : ١٢/٦٣ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٤٦٢ ، شذرات الذهب : ١/٦٣ .

٣٠ ـ **أبو يزيد البسطامي (ت ٢٣٤ هـ) :**

أبو يزيد طيفور بن عيس البسطامي ، نسبة إلى بسطام ، بلد بطريق نيسابور كان جده مجوسياً فأسلم . سلطان العارفين وأحد الزهاد المشهورين . ويحكى عنه في الشطح أشياء ، منها ما لا يصح ، أو يكون مقولاً عليه . وتوفي البسطامي عن ثلاث وسبعين سنة ، وذلك في عام احدى وستين ومائتين .

سير اعلام النبلاء ١٣/ ٨٦

انظر ترجمته في :

طبقات الصوفية : ٦٧ ـ ٧٤ ، حلية الأولياء : ١٠/٣٣ ـ ٤٢ ، المنتظم : ٥/٢٨ ـ ٢٩ ، معجم البلدان : « بسطام » ، اللباب : ١/١٥٢ ـ ١٥٣ ،

وفيات الأعيان : ٢/٥٣١ ، ميزان الإعتدال : ٢/٣٤٦ - ٣٤٧ ، عِبَر الذهبي : ٢/٢٣ ، البداية والنهاية : ١١/٣٥ طبقات الأولياء : ٢٤٥ ٣٩٨ - ٤٠٢ ، النجوم الزاهرة : ٣/٣٥ ، شذرات الذهب : ٢/١٤٣ - ١٤٤ .

٣١ - أبو يعقوب النهرجوري (ت ٣٣٠ هـ) :

الأستاذ العارف ، أبو يعقوب إسحق بن محمد النهرجوري . صحب أبا عمرو المكي وأبا يعقوب السوسي والجُنَيْد وغيرهم .

جاور مدة ومات بمكة ، وقد توفي سنة ثلاثين وثلاث مئة .

سير اعلام النبلاء ١٥/٢٣٢

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات الصوفية : ٣٧٨ - ٣٨١ ، حلية الأولياء : ١٠/٣٥٦ ، المنتظم : ٦/٣٢٦ - ٣٢٧ ، العبر : ٢/٢٢١ ، الوافي بالوفيات : ٨/٤٢٣ - ٤٢٤ ، مرآة الجنان : ٢/٢٩٧ البداية والنهاية : ١١/٢٠٣ ، طبقات الأولياء : ١٠٥ - ١٠٦ ، النجوم الزاهرة : ٣/٢٧٥ ، شذرات الذهب : ٢/٣٢٥ .

- أحمد بن أبي طاهر :

را . **أبو حامد** الاسفراييني .

٣٢ - أحمد بن أرقم البلخي :

أحد الصالحين . لم نعثر على ترجمته .

- أحمد بن عيس البغدادي :

را . : **أبو سعيد** الخراز .

٣٣ - أسامه بن زيد :

مولى رسول الله ﷺ ، ابن حارثة بن شراحيل بن عبد العُزَّى بن امرىء القيس .

حِبُّ رسول الله ﷺ ومولاه وابن مولاه .

استعمله الرسول على جيشٍ لغزو الشام ، وفي الجيش عمر والكبار فلم يَسِرْ حتى توفي رسول الله ﷺ .

كان شديد السواد ، خفيف الروح ، شاطراً ، شجاعاً ، ربّاه النبي ﷺ وأحبّه كثيراً .

سير اعلام النبلاء ٢/٤٩٦

انظر ترجمته وأخباره في :

مسند أحمد : ٥/١١٩ ، طبقات ابن سعد : ٤/٦١ ـ ٧٢ ، التاريخ لابن معين ٢٢ ، طبقات خلفية ٦ و٢٩٧ ، تاريخ خليفة : ١٠٠ ٢٢٦ ، التاريخ الكبير : ٢/٢٠ ، المعارف لابن قتيبة : ١٤٤ ـ ١٤٥ ، ١٦٤، ١٦٦، تاريخ الفسوي : ١/٣٠٤ ، الجرح والتعديل : ٢/٢٨٣ ، معجم الطبراني الكبير : ١/١٢٠ ـ ١٤٤ ، الاستبصار ٣٤ و٨٧ ، الإستيعاب : ١/٧٥ ، أسد الغابة : ١/٧٩ ، تهذيب الكمال : ٧٨ ، تاريخ الإسلام : ٢/٢٧٠ ، العبر: ١/٥٩ ، مجمع الزوائد : ٩/٢٨٦ ، تهذيب التهذيب : ١/٢٠٨ ، الإصابة : ١/٥٤ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٢٦ ، كنز العمال : ١٣/٢٧٠ ، تهذيب ابن عساكر : ٢/٣٩٤، ٤٠٢ .

-**إسحاق بن محمد** را . **أبو يعقوب النهرجوري** .

- **إسماعيل بن يحيى** را . **المزني** .

٣٤ ـ **الأعمش** (ت ١٤٨ هـ):

سليمان بن مهران الكوفي الإمام شيخ الإسلام ، شيخ المقرئين والمحدِّثين أبو محمد الاسدي ، مولاهم ، الحافظ ، كان ثقة ، عالماً فاضلًا ، رأى أنس بن مالك وحكى عنه وعن كثيرٍ من التابعين كما روى عنه خلق كثير منهم أبو حنيفة والأوزاعي وشعبة . قيل عنه : هو علامة الإسلام .

توفي سنة ثمانية واربعين ومئة .

سير اعلام النبلاء ٦/٢٢٦

انظر أخباره وترجمته في :

طبقات ابن سعد ٦/٣٤٢ ، تاريخ خلفة ٢٣٢ ؛ ٤٢٤ ، طبقات خليفة ١٦٤ ، التاريخ الصغير : ٢/٩١ ، الجرح ولتعديل ٤/١٤٦ ، مشاهير علماء الأمصار ١١١ ، حلية الأولياء ٥/٤٦ ـ ٦٠ ، تاريخ بغداد ٩/٣ ، الكامل في التاريخ ٥/٥٨٩ ، وفيات الاعيان ٢/٤٠٠ ـ ٤٠٣ ، تهذيب الكمال ٥٤٨ ـ ٥٤٩ ، تاريخ الإسلام ٦/٧٥ ، ميزان الإعتدال ٢/٢٢٤ ، تذكرة الحفاظ ١/١٥٤ ، غاية النهاية ١/٣١٥ ، تهذيب التهذيب

٤/٢٢٢ - ٢٢٦ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٥٥ ، شذرات الذهب ١/٢٢٠ - ٢٢٣ .

- **إمام الحرمين** را . **أبو المعالي** ، الجويني .

٣٥ - **امرؤ القيس** (ت ٨٠ ق . هـ) :

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، أشهر شعراء العرب على الاطلاق ، اشتهر بلقبه ، وكان ابوه ملك أسد وغطفان، وامه اخت المهلهل الشاعر. وقد ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه ، فخرج طالباً ثأر ابيه ، وقال في ذلك شعراً كثيراً . وقد مات في انقرة على أثر قروح ظهرت في جسمه عندما كان هناك يطلب مساعدة قيصر الروم في القسطنطينية . وقد جمع ما نُسِبَ إليه من شعر في ديوان صغير طبع بتحقيق عبد السلام هارون . وتوجد دراسات عديدة تناولت حياته وشعره.

انظر ترجمته وأخباره في :

الأغاني (طبعة دار الكتب ٩/٧٧ ، تهذيب ابن عساكر ٣/١٠٤ ، شرح شواهد المغني ٦ ، جمهرة أشعار العرب ٣٩، شرح المعلقات للزوزني ٢ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣١، خزانة الأدب للبغدادي ١/١٦٠، دائرة المعارف الإسلامية ٢/٦٢٢ .

٣٦ - **أُوَيْس القَرَني** (ت ٣٧ هـ) :

هو اويس بن عامر القرني (محرّكة) روى له مسلم قصة مختصرة في آخر صحيحه . وهو سيد التابعين : قتل بصفّين . وكان يسكن الكوفة .

سير اعلام النبلاء ٤/١٩

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٦/١٦١ ، طبقات خليفة ت ١٠٤٤ ، الحلية٢/٧٩، أسد الغابة١/١٥١، الإصابة ت ٥٠٠ ، تهذيب التهذيب ١/٣٨٦ ، لسان الميزان ١/٤٧١ ، شرح المقامات الحريرية ٢/٢١٧ ، تاريخ الإسلام ٢/١٧٣ ، خلاصة تذهيب الكمال ٤١ ، تاج العروس مادة (أوس) تهذيب ابن عساكر ٣/١٥٧ .

٣٧ - **بلعام بن باعوراء** :

من علماء بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام ، وهو المعني بقوله

تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٧٥)
وكان مستجاب الدعوة عند الله .

ـ ثوبان بن إبراهيم :

را . : **ذو النون المصري** .

٣٨ ـ جعفر الضُبَعي (ت ١٧٨ هـ) :

جعفر بن سليمان الضُبَعي(والضبيعي كما في الحلية) الشيخ العالم الزاهد، محدّث الشيعة ، أبو سليمان الضُبَعي البصري . كان ينزل في بني ضُبَيْعة فنُسب اليهم . صحب العباد ونقل عنهم وعن الزهاد ، صحب مالك بن دينار وفرقداً السبخي وغيرهما . وقد روى عن مالك أقوالاً عدة ، فقد اختلف إليه عشر سنين يأخذ عنه ويصلّي معه صلاة الليل . كان ثقة .

سير أعلام النبلاء ١٧٦/٨

انظر أخباره وترجمته في :
حلية الأولياء ٢٨٧/٦ ـ ٢٩٦ ، الترجمة رقم ٣٧٧ ، خلاصة تذهيب الكمال ص ٥٤ ، التاريخ لابن معين ٨٦ ، ابن سعد ٢٨٨/٧ ، طبقات خليفة ٢٢٤ ، الجرح والتعديل ٤٨١/٢ مشاهير علماء الأمصار ت ١٢٦٣ ، تهذيب الكمال ١٩٧ ، تذكرة الحفاظ ٢٤١/١ ، ميزان الاعتدال ٤٠٨/١ ، العبر ٢٧١/١ ٣٣١ ، تهذيب التهذيب ٩٥/٢ .

ـ جندب بن جنادة :

را . : **أبو ذر الغفاري** .

٣٩ ـ الجُنَيْد (ت ٥٤٧ هـ) :

الجنيد بن محمد ، الزاهد المشهور ، والإمام القدوة المحدّث ، أبو القاسم شيخ الصوفية . كان مولده سنة ست وستين واربع مئة . ومات في سنة سبع واربعين وخمس مئة .

قيل عنه : كان فقيهاً فاضلاً ومحدّثاً صدوقاً موصوفاً بالعبادة .

سير أعلام النبلاء ٢٧٢/٢٠

انظر ترجمته وأخباره في :
الأنساب ٣٧/١٠ (القايني)؛ التحبير ١٦٧/١ ـ ١٧١ ، الوافي بالوفيات ٢٠٣/١١ ، ٢٠٤ ، طبقات السبكي ٥٤/٧ ـ ٥٦ ، طبقاا الأسنوي ٣٦٥/١ ،

٣٦٦، حلية الأولياء١٠/٢٥٥، جامع كرامات الأولياء ١/٣٨٣، الرسالة القشيرية ١/١١٦ .

- **الجويني** را . **أبو المعالي الجويني** .

٤٠ - **حاتم الاصم** (ت ٢٣٧ هـ)

هو أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان الاصم ، ويقال حاتم بن يوسف، من أكابر مشايخ خراسان . له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم . كان يقال له : لقمان هذه الأمة . وقد توفي حاتم سنة سبع وثلاثين ومئتين .

سير أعلام النبلاء ١١/٤٨٤ .

انظر ترجمته وأخباره في :

الجرح والتعديل ٣/٢٦٠ ، حلية الأولياء ٨/٧٣ ٨٣ ، تاريخ بغداد ٨/٢٤١ ٢٤٥ الأنساب ١/٢٩٤ ٢٩٥ ، اللباب ١/٥٧ وفيات الأعيان ٢/٢٦ ، العبر ١/٤٢٤ ، مرآة الجنان ٢/١١٨ ، طبقات الأولياء ١٧٨ ، ١٨١ ، النجوم الزاهرة ٢/٢٩١ ، شذرات الذهب ٨٧١، طبقات الصوفية ٩١، ٩٧، الرسالة القشيرية/٢٠ ، طبقات الشعراني ١/٩٣.

- **الحارث بن أسد** را. **المحاسبي** .

٤١ - **الحارث** بن **عميرة** (ت ٧٠ هـ) :

ولد على عهد رسول الله ﷺ، وروي عن عمر وابن مسعود أحاديث توفي سنة ٧٠ هـ.

٤٢ - حرملة (**ت ٢٤٣ هـ**) :

أبو عبد الله حرملة بن يحيى بن عبد الله ، صاحب الإمام الشافعي ولزمه وتفقّه به ، وحدث عن ابن وهب فأكثر جداً ، وكان أعلم الناس به .

ولد سنة ١٦٦ هـ ومات في سنة ٢٤٣ هـ).

سير أعلام النبلاء ١١/٣٨٩ .

انظر ترجمته وأخباره في :

التاريخ الكبير ٣/٦٩ ، الجرح والتعديل ٣/٢٧٤ ، الفهرست : ٢٦٥، طبقات الفقهاء (للشيرازي) : ٨٠ ، اللباب ١/١٦٩ ، تهذيب الاسماء واللغات ١/١٥٥،١٥٦ ، وفيات الأعيان ٢/٦٤ ، ٦٥ ، العبر ١/٤٤٠ ، تذكرة الحفاظ ٢/٤٨٦ ، ميزان الاعتدال : ١/٤٧٢ ، ٤٧٣ ، طبقات الشافعية للسبكي ٢/١٢٧،١٣١ ، البداية والنهاية ١٠/٣٤٥ ، تهذيب التهذيب ٢/٢٢٩ ، حسن المحاضرة ١/٣٠٧ ، طبقات الحفاظ : ٢١٠ ، ٢١١ ،

خلاصة تذهيب الكمال : ٧٤ ، طبقات الشافعية (لابن هداية الله) : ٥ .

٤٣ ـ **حسان بن أبي سنان** :

حسان بن أبي سنان البصري ، صدوق ، عابد ، من أتباع التابعين وأحد العباد الورعين .

قال الإمام البخاري : كان من عبّاد أهل البصرة وكان يعمل في التجارة ، ويتصدق بربحه بعد أن يأخذ قوته منه .

انظر ترجمته وأخباره في :

صفة الصفوة ٣/٣٣٦ ـ ٣٤١ ، حلية الأولياء ٣/١١٤ ـ ١٢٠ .

٤٤ ـ **الحسن البصري** (ت ١١٠ هـ) :

هو الحسن بن يسار البصري ، مولى زيد بن ثابت ، وقيل مولى حمل بن قطبة يسار من سبي ميسان أعتقته بنت النضر . ولد الحسن زمن عمر بن الخطاب ، وسمع عثمان بن عفان وشهد الدار ابن إحدى عشرة سنة .

كان كبير الشأن رفيع الذكر ، رأساً في العلم . توفي سنة ١١٠ هـ.

سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٥٦٣

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٧/١٥٦ ، طبقات خليفة ت ١٧٢٦ ، الزهد لابن حنبل ٢٥٨ ، تاريخ البخاري ٢/٢٨٩ ، المعارف ٤٤٠ ، المعرفة والتاريخ ٢/٣٢ ، ٣/٣٣٨ ، أخبار القضاة ٢/٣ ، الحلية ٢/١٣١ ، ذكر أخبار اصبهان ١/٢٥٤ ، فهرست ابن النديم ٢٠٢ ، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٧ ، الحسن البصري لأبي الفرج الجوزي تهذيب الاسماء واللغات١٦١ ، وفيات الأعيان ٢/٦٩ ، تهذيب الكمال ص ٢٥٦ ، تاريخ الإسلام ٤/٩٨ ، تذكرة الحُفّاظ ١/٦٦ ، البداية والنهاية ٩/٢٢٦ ، ٢٦٨ ، غاية النهاية ت ١٠٧٤ وتهذيب التهذيب ٢/٢٦٣ ، النجوز الزاهرة ١/٢٦٧ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٨ ، طبقات المفسرين ١/١٤٧ ، شذرات الذهب ١/١٣٦ .

٤٥ ـ **خالد بن معدان** (ت ١٠٥ هـ) :

هو أبو عبد الله الكلاعي الشامي ثقة ، عابد . شيخ أهل الشام ، حدّث عن خلق من الصحابة ، وهو معدود من أئمة الفقه ، وثّقه ابن سعد والعجلي

والنسائي . مات سنة خمس ومئة للهجرة .

سير أعلام النبلاء ٥٣٦/٤

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٤٤٥/٧ ، طبقات خليفة ت ٢٩٢٨ ، المعارف ٦٢٥ ، المعرفة والتاريخ ٣٣٢/٢ ، الجرح والتعديل ٣٥١ ، الحلية ٢١٠/٥ ، تهذيب الكمال ص ٣٦٥، تاريخ الإسلام ١٠٩/٤ ، تذكرة الحفاظ ٨٧/١ ، العبر ١٢٦/١ ، البداية والنهاية ٢٣٠/٩ ، تهذيب التهذيب ١١٨/٣ ، النجوم الزاهرة ٢٥٢/١ ، شذرات الذهب ١٢٦/١ ، تهذيب ابن عساكر ٨٩/٥ .

ـ **الخوّاص** را . : **سليمان الخواص** .

٤٦ ـ **الداراني** (ت ٢١٥ هـ) :

الإمام الكبير ، زاهد العصر أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد الداراني . أحد رجال الطريقة ، كان من جملة السادات وأرباب الجد في المجاهدات توفي سنة خمس عشرة ومئتين وفي رواية أخرى سنة خمس ومئتين .

سير أعلام النبلاء ١٨٢/١٠

انظر ترجمته واخباره في :

الجرح والتعديل ٢١٤/٥ ، تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : ص ٥١ ، طبقات الصوفية : ٧٥ ـ ٨٢ ، حلية الأولياء ٢٥٤/٩ ـ ٢٨٠ ، تاريخ بغداد ٢٤٨/١ ، نتائج الأفكار القدسية شرح الرسالة القشيرية ١١٣/١ ، الأنساب للسمعاني ٢٤٣/٥ ، صفة الصفوة ٢٢٣/٤ ـ ٢٣٤ ، معجم البلدان ٤٣١/٢ ، اللباب ٤٨٢/١ وفيات الأعيان ١٣١/٣ ، العبر ٣٤٧/١ ، فوات الوفيات ٢٦٥/٢ ، مرآة الجنان ٢٩/٢ ، البداية والنهاية ٢٥٥/١٠ ، طبقات الأولياء : ٣٨٦ ـ ٣٩٧ ، النجوم الزاهرة ١٧٩/٢ ، طبقات الشعراني ٩٢/١ ، شذرات الذهب ١٣/٢ .

٤٧ ـ **داود الطائي** (ت ١٦٢ هـ) :

هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي .

الإمام الفقيه القدوة الزاهد ، أحد الأولياء ، ولد بعد المائة بسنوات . كان من كبار أئمة الفقه والرأي ، برع في العلم بأبي حنيفة ، قم أقبل على شأنه ولزم

الصمت وَفَرّ بدينه . وكان الثوري يُعَظّمه ويقول : أبصر داود أمره . مات سنة اثنتين وستين ومئة ، وقيل سنة خمس وستين .

سير أعلام النبلاء ٧/٤٢٢

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد : ٦/٣٦٧ ، التاريخ الكبير : ٣/٢٤٠ ، التاريخ الصغير ٢/١٣٦ ـ ١٣٧ ، المعارف : ٥١٥ ، مشاهير علماء الأمصار : ١٦٨ ـ ١٦٩ ، حلية الأولياء : ٧/٣٣٥ ـ ٣٦٧ ، تاريخ بغداد ٨/٣٤٧ ـ ٣٥٥ ، الكامل لابن الأثير : ٦/٥٠ ، وفيات الأعيان : ٢/٢٥٩ ـ ٢٦٣ ، عبر الذهبي : ١/٢٣٨ ، طبقات الأولياء : ٢٠٠ ـ ٢٠٣ ، تهذيب التهذيب : ٣/٢٠٣ ، خلاصة تذهيب الكمال : ١١١ ، شذرات الذهب : ١/٢٥٦ .

٤٨ ـ **ذو النون المصري** (ت ٢٤٥ هـ) :

أبو الفيض واسمه ثوبان بن إبراهيم ، وقيل : الفيض بن إبراهيم ، أوْحدُ وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً . كان أبوه نوبياً .

وذو النون وهو من جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك رضي الله عنه .

سير أعلام النبلاء ١١/٥٣٢

انظر ترجمته وأخباره في :

حلية الأولياء ٩/٣٣١ ـ ٣٩١ و١٠/٣، ٤ ، تاريخ بغداد ٨/٣٩٣، الأنساب ١/٣٥ ، اللباب ١/٣٥ ، ٣١٨، العبر ١/٤٤٤ ، البداية والنهاية ٢٠/٣٤٧ ، النجوم الزاهرة ٢/٣٢٠ ، ٣٢١، طبقات الأولياء :٢١٨، ٣٢٣ ، طبقات الصوفية : ١٥ ٢٦ ، طبقات الشعراني ١/٨١، ٨٤، الرسالة القشيرية : ٢١١ ، وفيات الأعيان ١/٣١٥ .

٤٩ ـ **رابعة العدوية** (ت ١٨٠ هـ) :

البصرية ، الزاهدة ، العابدة ، الخاشعة ، أم عمرو رابعة بنت إسماعيل

قيل : عاشت ثمانين سنة ، وتوفيت سنة ثمانين ومئة .

سير أعلام النبلاء ٨/٢١٥

انظر ترجمتها وأخبارها في :

صفة الصفوة ج ٤ /٢٧ ت ٥٨٨ ، وفيات الأعيان : ٣ /٢١٥ ، العبر للذهبي ١ /٢٧٨، الرسالة القشيرية ٨٦، ١٧٣، قوت القلوب ١ /١٠٣، ١٥٦ ، التعرف : للكلاباذي : ٧٣ ١٢١ ، نفحات الأنس : ٧١٦ ، الطبقات الكبرى للشعراني : ٥٦ ، الكواكب الدرية للمناوي : ص : ١٠٨ ، شذرات الذهب ١ /١٩٣ ، تذكرة الأولياء للعطار : ١ /٥٩ ، سير الصالحات ، تاج الدين الحصي : ١٢٦ ، مشاهير النساء للذهبي : ٢٢٥ .

- **الرازي** را . **يحيى بن معاذ** .
- **الزَّجّاجي** را . **محمد بن إبراهيم** .

٥٠ - **زرارة بن أوفى** (ت ١٩٣ هـ) :

العامري القرشي البصري ، من التابعين ، يكنّى أبا الحاجب ، من العباد ، وثّقه النسائي وابن حبّان. قال ابن سعد : مات فجأة في الصلاة سنة ثلاث وتسعين بعد المائة .

سير أعلام النبلاء ٤ /٥١٦

انظر ترجمته وأخباره في :

تهذيب الكمال ص ٤٢٩ ، تاريخ الإسلام ٣ /٣٦٨، العبر١ /١٠٩ ، البداية والنهاية ٩ /٩٣، تهذيب التهذيب ٣ /٣٢٢، طبقات ابن سعد ٧ /١٥٠ ، طبقات خليفة ت ١٥٧١ ، تاريخ البخاري ٣ /٤٣٨ ، أخبار القضاة ١ /٢٩٢ ، الجرح والتعديل ، ٦٠٣ ، الحلية ٢ /٢٥٨ ، شذرات الذهب ١ /١٠٢ .

- **زين العابدين** را . **علي بن الحسين** .

٥١ - **السَّجزي** (ت ٥٢٨ هـ) :

الشيخ أبو محمد السجزي ، (نسبة إلى سجستان على غير قياس) العلامة ، شيخ الحنفية ببلخ ، أبو الحسن علي بن أحمد علي السجزي ثم البلخي الزاهد عمّر العمر الطويل حتى حدّث بالكثير ، وحُمِل عنه ، وكان عفيفاً ، حسن السيرة . قيل : مات سنة ثمان وعشرين وخمس مئة .
سير أعلام النبلاء ١٩ /٦٣٥

انظر ترجمته وأخباره في :
التجبير : ١/٥٦١ ، تاريخ الإسلام : ٤/٢٧٩ ، الجواهر المضية ٢/٥٣٧ ، الطبقات السنيّة : رقم ١٤٤٢ .
- **سعد بن مالك الأنصاري** را . **أبو سعيد الخُدْري** .

٥٢ - **سفيان بن عبد الله :**
سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي الطائفي ، صحابي له سماع ورواية كان عامل عمر الفاروق على الطائف . روى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه .
انظر ترجمته وأخباره في :
الوافي بالوفيات ١٥/٢٨٥ (تر ٤٠٤) طبقات ابن سعد ٥/٥١٤ ، الإستيعاب ٢/٦٣٠ (تر ١٠٠٣).

٥٣ - **سفيان بن عُيَيْنَة** (ت ١٩٨ هـ) :
الإمام الكبير وشيخ الإسلام أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي ثم المكي ، من تابعي التابعين . وقد اتفق العلماء على جلالته وعظم مرتبته . ولد سنة ١٠٧هـ وطلب الحديث وهو حدَث ، ولقي الكبار وحمل عنهم علماً جماً وأتقن وجوّد ، وجمع وصنّف ، وعمّر دهراً وازدحم الخلق عليه ، وانتهى إليه علوّ الإسناد وقد مات سنة ثمان وتسعين ومئة .
سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٠

انظر ترجمته وأخباره في :
طبقات ابن سعد : ٥/٤٩٧ ، التاريخ الكبير : ٤/٩٤ ، التاريخ الصغير : ٢/٢٨٣ ، المعارف : ٥٠٦ - ٥٠٧ ، المعرفة والتاريخ :١/١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، تاريخ الطبري : ١/١٠ - ١٢ ، ذيل المذيل : ١٠٨ ، الجرح والتعديل : ٤/٢٢٥ ، رجال ابن حبان : ١٤٦ ، حلية الأولياء : ٧/٢٧٠ ، الفهرست لابن النديم ١/٢٢٦ ، تاريخ بغداد : ٩/١٧٤ ، صفوة الصفوة : ٢/١٣٠ ، وفيات الأعيان : ٢/٣٩١ - ٣٩٣ ، تهذيب الكمال : ٥١٧ ، تذكرة الحفاظ : ١/٢٦٢ ، ميزان الاعتدال : ٢/١٧٠ ، العبر :١/٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨ ، العقد الثمين : ٤/٥٩١ ، تهذيب

التهذيب : ٤/١١٧ ، خلاصة تذهيب الكمال : ١٤٥ ، الطبقات الكبرى للشعراني : ٤٠ ، شذرات الذهب : ١/٣٥٤ ، إيضاح المكنون للبغدادي : ٢٠٣ ، الرسالة المستطرفة : ٣١ ، خلاصة صفة الصفوة : ١٨٧ ، أعيان الشيعية للعاملي : ٣٥/١٥١ ـ ١٥٤ .

٥٤ ـ **سفيان الثوري** (ت ١٦١ هـ) :

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم ، وهو من تابعي التابعين . أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته ، وهو أحد الأئمة المجتهدين ، ولد سنة ٩٧ هـ، توفي بالبصرة سنة ١٦١ هـ.

سير أعلام النبلاء ٧/٢٢٩ .

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد : ٦/٣٧١ ـ ٣٧٤ ، طبقات خليفة : ١٦٨ ، تاريخ خليفة : ٣١٩ ، ٤٣٧ ، التاريخ الكبير : ٤ : ٩٢ ـ ٩٣ ، التاريخ الصغير : ١٥٤ ، المعارف : ٤٩٧ ـ ٤٩٨ ، المعرفة والتاريخ ١/٧١٣ ـ ٧٢٨ ، تاريخ الطبري : ٨/٥٨ ، الجرح والتعديل ١/٥٥ ـ ١٢٦ ، ٤/٢٢٢ ـ ٢٢٥ ، مشاهير علماء الأمصار : ١٦٩ ـ ١٧٠ ، حلية الأولياء : ٦/٣٥٦ حتى ٧/١٤٤ ، الفهرست : المقالة السادسة الفن السادس ، تاريخ بغداد : ٩/١٥١ ـ ١٧٤ ، الكامل لابن الأثير : ٦/٥٦ ، تهذيب الاسماء واللغات : ١/٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، وفيات الأعيان : ٢/٣٨٦ ـ ٣٩١ ، تذكرة الحفاظ : ١/٢٠٣ ـ ٢٠٧ ، العبر للذهبي : ١/٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، طبقات القراء لابن الجزري : ١/٣٠٨ ، تهذيب التهذيب : ٤/١١١ ـ ١١٥ ، طبقات المدلِّسين : ٩ ، طبقات الحفاظ : ٨٨ ـ ٨٩ ، طبقات المفسرين ١/١٨٦ ـ ١٩٠ ، شذرات الذهب : ١/٢٥٠ ـ ٢٥١ .

٥٥ ـ **سلمان الفارسي** (ت ٣٦ هـ) :

أبو عبد الله سلمان الخير ، مولى رسول الله ﷺ ، سُئِل عن نَسَبِه فقال : أنا سلمان ابن الإسلام . وقد صحب النبي وخدمه وحدّث عنه ، كان من فضلاء الصحابة وزُهّادهم وعلمائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ ، وهو

الذي أشار عليه بحفر الخندق حين جاءت الاحزاب (معركة الخندق أو الاحزاب) . توفي سنة ٣٦ هـ .

سير أعلام النبلاء ١/٥٠٥

انظر ترجمته وأخباره في :

مسند أحمد : ٥/٤٣٧ ـ ٤٤٤ ، طبقات ابن سعد : ٤/٥٤ ، طبقات خليفة : ٧/١٨٩ ، تاريخ خليفة : ٩٠ ، التاريخ الكبير : ٤/١٣٥ ـ ١٣٦ ، المعارف : ٢٧٠ ـ ٢٧١ ، الجرح والتعديل : ٤/٢٩٦ ـ ٢٩٧ ، مشاهير علماء الأمصار : ت ٢٧٤ ، حلية الأولياء ١/١٨٥ ـ ٢٠٨ ، تاريخ اصبهان : ١/٤٨ ـ ٥٧ ، الاستيعاب ٤/٢٢١ ، تاريخ بغداد : ١/١٦٣ ـ ١٧١ ، أُسْد الغابة : ٢/٤١٧ ، تهذيب الاسماء واللغات : ١/٢٢٦ ـ ٢٢٨ ، تهذيب الكمال : ٥٢٣ ، دول الإسلام : ١/٣١ ، مجمع الزوائد : ٩/٣٣٢ ـ ٣٤٤ ، تهذيب التهذيب : ٤/١٣٧ ، الإصابة : ٤/٢٢٣ ، ٥/٣٣ ، كنز العمال : ١٣/٤٢١ ، شذرات الذهب : ١/٤٤ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦/١٩٠ ـ ٢١١ .

٥٦ ـ **سلمة بن دينار (ت ١٣٥ هـ) :**

أبو حازم ، سلمة بن دينار ، التابعي المدني ، مولى بني مخزوم ، شيخ المدينة النبوية ، الزاهد ، الفقيه ، المشهور بالمحاسن .

روى عن سعيد المسيِّب وعبد الله بن أبي قتادة وابن عمر وغيرهم ؛ كما روى عنه ابن شهاب والسفيانان وغيرهم . وثّقه ابن معين وأحمد وأبو حاتم وابن خزيمة توفي سنة ١٣٥ هـ .

سير أعلام النبلاء ٦/٩٦

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات خليفة : ٢٦٤ ، تاريخ البخاري ٢/٧٨ ، التاريخ الصغير ٢/٤٧ ، الجرح والتعديل ٤/١٥٩ ، حلية الأولياء ٣/٢٢٩ ، تهذيب الكمال ٥٢٤ ، تذكرة الحفاظ ١/١٣٣ ، تهذيب التهذيب ٤/١٤٣ ، تهذيب ابن عساكر ٦/٢١٦ ، ٢٢٨ .

٥٧ ـ **سليمان الخواص :**

من زهاد القرن الثاني للهجرة ، كان مشغولاً بالعبادة ، وهو من العابدين

الكبـار بالشـام ، سكن بيروت . وكـان مجلس الإمام الأوزاعي يضمّـه هو ومحمد بن يوسف وسعيد بن عبد العزيز .

سير أعلام النبلاء ٨/١٥٩

انظر ترجمته وأخباره في :
صفـة الصفـوة ٤/٢٧٣ (التـرجمـة رقم ٧٩٨) حليـه الأوليـاء : ٨/٢٧٦ ـ ٢٧٧ : طبقـات الصـوفيـة للسلمي : ٩٨ ، الكـواكب الـدريـة للمناوي : ١١٨ .

٥٨ ـ **سهل التُّسْتُري** (ت ٢٨٣ هـ) .
سهل بن عبد الله التستري ، شيخ العارفين وأحد أئمة القوم . لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع . وكان صاحب كرامات .
لقي في الحج ذا النون المصري وصحبه . وتوفي التستري في سنة ٢٨٣ هـ وهو على أصح الأقوال .

سير أعلام النبلاء ١٣/٣٣٠

انظر ترجمته وأخباره في :
طبقـات الصـوفيـة : ٢٠٦ ـ ٢١١ ، حليـة الأوليـاء : ١٠/١٨٩ ـ ٢١٢ ، الفهرست ؛ المقالة الخامسة : الفن الخامس ، المنتظم : ٥/١٦٢ ، معجم البلدان : « تستر » اللباب : ١/٢١٦ ، وفيات الأعيان : ٢/٤٢٩ ـ ٤٣٠ ، العبر للذهبي ٢/٧٠ ، طبقات الأولياء : ٢٢٢ ـ ٢٢٦ ، النجوم الـزاهرة : ٣/٩٨ ، طبـقـات الـمفسـريـن : ١/٢١٠ ، شـذرات الـذهـب : ٢/١٨٢ ـ ١٨٤ .

٥٩ ـ **الشافعي** (**الإمام**) (ت ٢٠٤ هـ) :
محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطّلبي ، نسب إلى جده شافـع . اجتمع فيه من العلوم بكتاب الله وسنّة نبيّه والعربية والشعر ما لم يجتمع في غيره ، فصنّف التصانيف ودوّن العلم وردّ على الأئمة متّبعاً الأثرة ، وصنّف في أُصول الفقه وفروعه .

سير أعلام النبلاء ١٠/٥

انظر ترجمته وأخباره في :
التـاريخ الكبيـر ١/٤٢ ، التاريخ الصغيـر ٢/٣٠٢ ، الجـرح والتعـديـل

٢٠١/٧ ، حلية الأولياء ٦٣/٩ ـ ١٦١ ، الفهرست ٢٦٣ ، مناقب الشافعي للبيهقي ، تاريخ بغداد ٥٦/٢ ـ ٧٣ ، طبقات الفقهاء للشيرازي : ٤٨ ـ ٥٠ ، طبقات الحنابلة ٢٨٠/١ ، ترتيب المدارك ٣٨٢/٢ ، الأنساب ٢٥١/٧ ، تاريخ ابن عساكر ٣٩٥/١٤ ـ ٤١٨ و١٥/١/١ـ٢٥ ، صفة الصفوة ٩٥/٢ ، مناقب الشافعي للرازي ، معجم الأدباء ٢٨١/١٧ ـ ٣٢٧ ، تهذيب الاسماء واللغات ٤٤/١ ـ ٦٧ ، وفيات الأعيان ١٦٣/٤ ـ ١٦٩ ، المختصر في أخبار البشر ٢٨/٢ ـ ٢٩ ، تذكرة الحُفّاظ ٣٦١/١ ـ ٣٦٣ ، الوافي بالوفيات ١٧١/٢ ـ ١٨١ ، مرآة الجنان ١٣/٢ ـ ٢٨ ، طبقات الشافعية للسُّبكي : انظر الجزء الأول ، البداية والنهاية ٢٥١/١٠ ـ ٢٥٤ ، الديباج المذهب ١٥٦/٢ ـ ١٦١ ، طبقات النحاة لابن قاضي شُهبة ٢١/١ ، تهذيب التهذيب ٢٥/٩ ، توالي التأسيس بمعالي ابن أدريس ، النجوم الزاهرة ١٧٦/٢ ـ ١٧٧ ، طبقات الحفاظ : ١٥٢ ، حُسن المحاضرة ٣٠٣/١ ـ ٣٠٤ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٣٢٦ ، طبقات المفسرين ٩٨/٢ ، مفتاح السعادة ٨٨/٢ ـ ٩٤ ، تاريخ الخميس ٣٣٥/٢ ، طبقات الشافعية لابن هداية الله : ١١ ـ ١٤ ، شذرات الذهب ٩/٢ ـ ١١ .

٦٠ ـ **الشعبي (ت ١٠٥ هـ)** :

هو أبو عمرو عامر بن شراحيل ، كوفي ، تابعي جليل القدر وافر العلم قيل كان مولده في إمرة عمر بن الخطاب لست سنين خلت منها . ويذكر الذهبي أنه ولد بعد سنة اثنين وثلاثين . وقد حدث عن كبراء الصحابة ، وروى عنه كبار العلماء . قال الواقدي : مات سنة خمس ومئة عن سبع وسبعين سنة .

سير أعلام النبلاء ٢٩٤/٤

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٢٤٦/٦ ، طبقات خليفة ت ١١٤٤ ، تاريخ البخاري ٤٥٠/٦ ، المعارف ٤٤٩ ، المعرفة والتاريخ ٥٩٢/٢ ، أخبار القضاة ٤١٣/٢ ، المنتخب من ذيل المذيل للطبري ٦٣٥ ، الإكليل ١٤٥/٨ ، الحلية ٣١٠/٤ ، طبقات الشافعية للعبادي ٥٨ ، تاريخ بغداد ٢٢٧/١٢ ، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨١ ، سمط اللآلي ٧٥١ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٣٧٧ ، طبقات فقهاء اليمن ٧٠ ، اللباب ٢١/٢ ، معجم

البلدان (شعب)، وفيات الأعيان ٣/١٢ ، تهذيب الكمال ص ٦٤٢ ، تاريخ الإسلام ٤/١٣٠ ، تذكرة الحفاظ ١/٧٤ ، العبر ١/١٢٧ ، البداية والنهاية ٩/٢٣٠ ، غاية النهاية ت ١٥٠٠ ، طبقات المعتزلة ١٣٠ ـ ١٣٩ ، تهذيب التهذيب ٥/٦٥ ، النجوم الزاهرة ١/٢٥٣ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٢ ، شذرات الذهب ١/١٢٦ ، تهذيب ابن عساكر ٧/١٤١ .

٦١ ـ **شفيق البلخي** :

أبو علي **شفيق** بن إبراهيم البلخي ، من مشايخ خراسان . كان إماماً في الزهد وهو استاذ حاتم الأصم . وله أقوال وحِكَم ومواعظ جليلة .

سير أعلام النبلاء ٩/٣١٣

انظر ترجمته وأخباره في :

تاريخ ابن معين ٢٥٩ ، الجرح والتعديل ٤/٣٧٣ ، طبقات الصوفية : ٦١ ـ ٦٦ ، حلية الأولياء ٨/٥٨ ، صفة الصفوة ٤/١٥٩ ، وفيات الأعيان ٢/٢٧٥ ، العبر ١/٣١٥، ميزان الاعتدال ٢/٢٧٩ ، دول الإسلام ١/١٢٣ ، فوات الوفيات ٢/١٠٥ ، مرآة الجنان ١/٤٤٥ ، الجواهر المضية ١/٢٥٨ ، شذرات الذهب ١/٣٤١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/٣٢٩ ـ ٣٣٥ .

ـ **ضياء الدين عبد الملك** :

را . **الجويني** .

ـ **طاهر** بن عبد الله :

را . **أبو الطيب الطبري** .

ـ **طيفور بن عيس** :

را . **البسطامي** .

٦٢ ـ **عائشة بنت أبي بكر** :

أم المؤمنين ، بنت الصدِّيق ، خليفة رسول الله أبي بكر ، زوجة النبي ، أفقه نساء الأمة على الاطلاق .

تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة زوجته خديجة بنت خويلد ، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً وقيل بعامين .

روت عن رسول الله علماً كثيراً ، وعن أبيها وعن عمر وفاطمة وسعد وحمزة ابن عمرو الأسلمي . وحدّث عنها خلق كثير .

سير أعلام النبلاء ٢ / ١٣٥

انظر ترجمتها وأخبارها في :

مسند أحمد : ٦/ ٢٩ ، طبقات ابن سعد : ٨/ ٥٨ ـ ٨١ ، التاريخ لابن معين : ٧٣ ، ٧٣٨ ، طبقات خليفة : ٣٣٣ ، تاريخ خليفة : ٢٢٥ ، المعارف ١٣٤ ، ١٧٦ ، ٢٠٨ ، ٥٥٠ ، تاريخ الفسوي : ٣ / ٢٦٨ ، المستدرك : ٤/ ٤ ـ ١٤ ، حلية الأولياء : ٢/ ٤٣ ، الاستيعاب : ٤/ ١٨٨١ ، جامع الأصول : ٩/ ١٣٢ ، أُسد الغابة : ٧/ ١٨٨ ، تهذيب الكمال : ١٦٨٨ ، تاريخ الإسلام : ٢/ ٢٩٤ ، البداية والنهاية :٨/ ٩١، ٩٤ ، مجمع الزوائد : ٩/ ٢٢٥ ـ ٢٤٤ ، تهذيب التهذيب : ١٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٦ ، الإصابة : ١٣/ ٣٨ ، كنز العمال : ١٣/ ٦٩٣ ، شذرات الذهب : ١/ ٩ و ٦١ ـ ٦٣ .

ـ **عامر بن زيد**

را . **أبو الدرداء** .

٦٣ ـ عامر بن قيس (أبو بردة) ت ١٠٤ هـ) :

ابن أبي موسى الأشعري ، **عامر** بن عبد الله بن **قيس** الأشعري ، أبو بردة . من سادات التابعين ، كان أبوه صاحب رسول الله ﷺ . وكان **عامر** قاضياً على الكوفة ، وله مكارم ومآثر مشهورة .

توفي سنة ١٠٤ هـ) :

سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣

ـ انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٨ ، طبقات خليفة ت ١١٥٣ ، تاريخ البخاري ٦/ ٤٤٧ ، التاريخ الصغير ١/ ٢٤٨ ، المعارف ٥٨٩ ، أخبار القضاة ٢/ ٤٠٨ ، الاكليل ١٠/ ٤٦ ، وفيات الأعيان ٣/ ١٠ ، تهذيب الكمال ص ١٥٧٨ ، تاريخ الإسلام ٤/ ٢١٦ ، تذكرة الحُفّاظ ١/ ٨٩ ، العبر ١/ ١٢٨ ، البداية والنهاية ٩/ ٢٣١ ، طبقات الحُفّاظ للسيوطي ص ٣٦ ، النجوم الزاهرة ١/ ٢٥٢ ، شذرات الذهب ١/ ١٢٦ .

٦٤ ـ عبّاد الخوّاص :

عبّاد بن عبّاد الخَوّاص ، أبو عبيدة ، من الزهّاد ، المعروفين بكثرة البكاء

خشية وورعاً . روى عن الأوزاعي حديثاً . كان شديد الحب لله تعالى يتشوق إلى لقائه ويطلب ذلك .

انظر ترجمته وأخباره في :

صفةالصفوة ٤/٢٧٥ (تر ٨٠٠) ، وحلية الأولياء ٨/٢٨٢ .

ـ عبد الرحمن بن أحمد

را . **الداراني** .

ـ عبد الرحمن بن صخر

را . **أبو هريرة** .

ـ عبد الله بن زيد

را . **أبو قُلابة** .

٦٥ ـ **عبد الله بن شُبْرُمَة** (ت ١٤٤ هـ) :

الإمام العلامة، فقيه العراق . أبو شُبْرُمة . قاضي الكوفة . حدّث عن أنس ابن مالك وعامر الشعبي وإبراهيم النخعي والحسن البصري وأبي زُرعة وطائفة . حدّث عنه : الثوري وابن المبارك وسفيان بن عُيَيْنَة وخَلْقٌ سواهم ، وثقه أحمد بن حنبل وأبو حاتم الرازي وغيرهما . وكان من أئمة الفروع ، وأما الحديث فما هو بالمكثر .

وهو عبد الله بن شبرمة ، بن طفيل ، بن حسان الضبي . كان ابن شبرمة عفيفاً، صارماً، عاقلاً، خيّراً، يشبه النُّسّاك. وكان شاعراً، كريماً، جواداً.

وعن ابن شبرمة قال : عجبت للناس يحتمون من الطعام مخافة الداء ولا يحتمون من الذنوب مخافة النار .

سير أعلام النبلاء ٦/٣٤٧

انظر ترجمته واخباره في :

تاريخ خليفة ٣٦١، ٤٢١، طبقات خليفة (١٦٧) ، تاريخ البخاري ٥/١١٧ ، التاريخ الصغير ٢/٧٧ ـ ٧٨ ، الجرح والتعديل ٥/٨٢ ، مشاهير الأمصار ١٦٨ ، الكامل في التاريخ ٥/٢٢٨ ، تهذيب الكمال ٦٩٢ ، ميزان الاعتدال ٢/٤٣٨ ، تهذيب التهذيب ٥/٢٥٠ ـ ٢٥١ ، شذرات الذهب ١/٢١٥ ـ ٢١٦ .

٦٦ ـ **عبد الله بن عباس** (ت ٧٨ هـ).

حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير ، أبو العباس عبد الله ، ابن عم رسول

الله محمد بن عبد الله ﷺ . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وقد صحّ عنه ﷺ أنه دعا له فقال « اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل ». صحب رسول الله ﷺ نحواً من ثلاثين شهراً ، وحدّث عنه وعن عمر وعلي ومعاذ وغيرهم ، وروى عنه خَلْق كثير .

توفي ابن عباس سنة ثمان أوْ سبعٍ وستّين ، وقيل : عاش إحدى وسبعين سنة . .

سير أعلام النبلاء ٣/٣٣١

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٢/٣٦٥ ، نسب قريش : ٢٦ ، طبقات خليفة : ت ٨٢١، الزهد: ١٨٨، المحبر: ١٦، ٢٤، ٩٢، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٧٨، التاريخ الكبير ٥/٣، التاريخ الصغير ١/١٢٦، ١٣٧، أنساب الأشراف٣/٢٧، ٥٥، المعرفة والتاريخ ١/٢٤١ ، ٢٧٠، ٤٩٣، الجرح والتعديل ٥/١١٦ ، المستدرك : ٣/٥٣٣ ، الحلية ١/٣١٤ ، الاستيعاب : ٩٣٣ ، تاريخ بغداد ١/١٧٣ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١/٢٣٩ ، جامع الأصول ٩/٦٣ ، أسد الغابة ٣/٢٩٠ ، الحلة السيراء ١/٢٠ ، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٧٤ ، وفيات الأعيان ٣/٦٢ تهذيب الكمال : ٦٩٨ ، تاريخ الإسلام ٣/٣٠ ، تذكرة الحفاظ ١/٣٧ ، العبر ١/٧٦ ، معرفة القراء : ٤١ ، البداية والنهاية ٨/٢٩٥ ، العقد الثمين ٥/١٩٠ ، غاية النهاية : ت ١٧٩١ ، الإصابة ٢/٣٣٠ ، تهذيب التهذيب ٥/٢٧٦ ، النجوم الزاهرة ١/١٨٢ .

٦٧ ـ عبد الله بن عمر (ت ٧٤ هـ) .

ابن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العزى . . بن كعب بن لؤي بن غالب ، الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي ثم المدني أسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع أبيه وأول غزوة غزاها الخندق ، وهو ممن بايع تحت الشجرة .

روى علماً كثيراً نافعاً عن النبي ﷺ وعن أبيه وأبي بكر وعثمان وعلي وبلال وصهيب وغيرهم ، كما روى عنه خلق كثير .

وقد توفي بمكة سنة أربعٍ وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة .
سير أعلام النبلاء ٣/٢٠٣

انظر ترجمته وأخباره في :
طبقات ابن سعد ٢/٣٧٣/و٤/١٤٢ ـ ١٨٠، نسب قريش : ٣٥٠ وما بعدها ، طبقات خليفة : (ت ١٢٠) ، الزهد : ١٨٩ ، المحبَّر : ٢٤، ٤٤٢ ، التاريخ الكبير ٥/٢ و ١٢٥ ، التاريخ الصغير ١/١٥٤ ـ ١٥٥ ، المعرفة والتاريخ ١/٢٤٩، ٤٩٠، الجرح والتعديل ٥/١٠٧ ، المستدرك ٣/٥٥٦ ، الحلية ١/٢٩٢ و ٢/٧ ، جمهرة أنساب العرب : ١٥٢ الاستيعاب : ٩٥٠ ، تاريخ بغداد ١/١٧١ ، طبقات الفقهاء : ٤٩ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١/٢٣٨ ، جامع الأصول ٩/٦٤ ، أسد الغابة ٣/٢٢٧ ، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٧٨ ، وفيات الأعيان ٣/٢٨ ، تهذيب الكمال : ٧١٣ ، تاريخ الإسلام ٣/١٧٧ ، العبر ١/٨٣ ، مرآة الجنان ١/١٥٤ ، البداية والنهاية ٩/٤ ، مجمع الزوائد ٩/٣٤٦ ، العقد الثمين ٥/٢١٥ ، غاية النهاية (ت : ١٨٢٧) ، الإصابة ٢/٣٤٧ ، تهذيب التهذيب ٥/٣٢٨ ، النجوم الزاهرة ١/١٩٢ ، شذرات الذهب ١/٨١ .

٦٨ ـ **عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٣ هـ)** :
الإمام الحبر العابد صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه أبو محمد ، وقيل أبو عبد الرحمن . وقد أسلم قبل أبيه .
كان كثير العلم، مجتهداً في العبادة وتلاوة القران ، وكان أكثر الناس أخذاً للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ . شهد مع ابيه فتح الشام وتوفي سنة ٦٣ هـ حسب بعض الروايات .
سير أعلام النبلاء ٣/٧٩

انظر ترجمته وأخباره في :
طبقات ابن سعد ٢/٣٧٣ و ٤/٢٦١ و ٧/٤٩٤، نسب قريش ٤١١ ، طبقات خليفة : ت ١٤٩ ، المحبّر : ٢٩٣ ، التاريخ الكبير ٥/٥ ، المعارف : ٢٨٦ ، المعرفة والتاريخ ١/٢٥١ ، الجرح والتعديل ٥/١١٦ ، المستدرك ٣/٥٢٥ ، الحلية ١/٢٨٣ ، جمهرة أنساب العرب : ١٦٣ ، الاستيعاب : ٩٥٦ ، طبقات الشيرازي : ٥٠ ، الجمع

بين رجال الصحيحين ١/ ٢٣٩ ، اسد الغابة ٣/ ٣٤٩ ، ٣٥١ ، الحلّة السيراء ١/ ١٧، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٨١ ، تهذيب الكمال : ٧١٦ ، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٧ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٩ ، مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٤ ، العقد الثمين ٥/ ٢٢٣ ، غاية النهاية : ت ١٨٣٥ ، الإصابة ٢/ ٣٥١ ، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٣٧ ، شذرات الذهب ١/ ٧٣ .

٦٩ ـ **عبد الله بن المبارك** (ت ١٨١ هـ) :

أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن الواضح الحنظلي ، الإمام المجمع على إمامته وجلالته في كل شيء . وهو من تابعي التابعين . كان ثقة ، مأموناً ، حُجّة ، كثير الحديث . توفي عام١٨١ هـ وهو عائد من الغزو وهو ابن ثلاث وستين سنة . وصنّف التصانيف النافعة الكثيرة .

سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣٦

أنظر ترجمته وأخباره في :

طبقات خليفة : ٣٢٣ ، تاريخ خليفة : ١٤٦ ، التاريخ الكبير : ٥/ ٢١٢ ، التاريخ الصغير : ٢/ ٢٢٥ ، المعارف : ٥١١ ، الجرح والتعديل : ٥/ ١٧٩ ، الولاة والقضاة : ٣٦٨ ، حلية الأولياء : ٨/ ١٦٢ ، تاريخ بغداد : ١٠/ ١٥٢ ، ترتيب المدرك : ١/ ٣٠٠ ، خلاصة صفوة الصفوة : ١٩٤ ، وفيات الأعيان : ٣/ ٣٢ ، تهذيب الكمال : ٧٣٠ ، تذكرة الحفاظ : ١/ ١٧٤ ، العبر : ١/ ٢٨٠ ، الديباج المذهب : ١٣٠ ، غاية النهاية : ١/ ٤٤٦ ، تهذيب التهذيب : ٥/ ٣٨٢ ، النجوم الزاهرة : ٢/ ٢٧ ، الطبقات الكبرى للشعراني : ٥٠ ، شذرات الذهب : ١/ ٢٩٥ .

٧٠ ـ **عبد الله بن مسعود** (ت ٣٢ هـ) :

أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن مسعود بن غافل ، من كبار الصحابة وساداتهم وفقائهم ومقدّميهم في القرآن والفقه والفتوى . كان من السابقين الأولين . ومن النجباء العالمين شهد بدراً وهاجر الهجرتين ، ومناقبه غزيرة ، وروى علماً كثيراً . توفي سنة ٣٢ وقيل ٣٣ هـ في الكوفة .

سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١

انظر ترجمته وأخباره في :

مسند أحمد : ١/ ٣٧٤ ـ ٣٨٤ ، طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٤٢ . طبقات

خليفة : ١٦ ، ١٢٦، تاريخ خليفة : ١٠١ ، ١٦٦، التاريخ الصغير : المعارف : ٢٤٩ ، الجرح والتعديل : ٥/ ١٤٩ ، مشاهير علماء الأمصار : ت ٢١ ، حلية الأولياء : ١/ ١٢٤ ـ ١٣٩ ، الاستيعاب : ٢٠/٧ ، تاريخ بغداد : ١/ ١٤٧ ـ ١٥٠ ، طبقات الشيرازي : ٤٣ ، أسد الغابة : ٣/ ٣٨٤ ، تهذيب الأسماء واللغات : ١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠ ، تهذيب الكمال : ٧٤٠ ، دول الإسلام : ١/ ٥٤ ، تاريخ الإسلام : ٢/ ٢٤ ، تذكرة الحفاظ : ١/ ٣١ ، العبر : ١/ ٣٣ ، طبقات القراء للذهبي : ١/ ٣٣ ، مجمع الزوائد : ٩/ ٢٨٦ ـ ٢٩١ ، العقد الثمين : ٥/ ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، طبقات القراء : ١/ ٤٥٨ ، تهذيب التهذيب : ٦/ ٢٧ ـ ٢٨ ، الإصابة : ٧/ ٢٠٩ ، النجوم الزاهرة : ١/ ٨٩ ، طبقات الحفاظ : ٥ ، كنز العمال : ١٣/ ٤٦٠ ، ـ ٤٦٩ ، شذرات الذهب : ١/ ٤٨ .

ـ **عبد الله بن مطيع .**

را . ابن مطيع .

٧١ ـ **عطاء بن أبي رباح** (ت ٢١٥ هـ) :

هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي ، مولاهم ، المكي ، مفتي الحرم ، ولد بمكة في اثناء خلافة عثمان ، روى عن عائشة وأبي هريرة وخلف ، وروى عنه الأوزاعي وابن جريج وأبو حنيفة . توفي سنة ٢١٥ هـ عن ثمان وثمانين سنة .

سير أعلام النبلاء ٥/ ٧٨

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٧ ، طبقات خليفة : ٢٨٠ ، تاريخ البخاري ٦/ ٤٦٣ ، التاريخ الصغير ١/ ٢٧٧ ، تاريخ الفسوي ١/ ٧٠١ ، الجرح والتعديل ٦/ ٣٣٠ ، طبقات الشيرازي : ٦٩ ، وفيات الأعيان ٣/ ٢٦١ ، تهذيب الكمال : ٣٩٨ ، تاريخ الإسلام ٤/ ٢٧٨ ، ميزان الاعتدال ٣/ ٧٠ ، العبر ١/ ١٤١ ، نكت الهميان : ١٩٩ ، البداية ٩/ ٣٠٦ ، العقد الثمين ٦/ ٨٤ ، طبقات القرّاء ١/ ٥١٣ ، تهذيب التهذيب ٧/ ١٩٩ ، النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٣ ، طبقات الحفاظ : ٣٠٩ ، شذرات الذهب ١/ ١٤٧ .

٧٢ ـ **عطاء السلمي** :

وقيل : السليمي ، بفتح السين وكسر اللام ، نسبة إلى سلمة بن مالك ، وهم بطن من الازد ، زاهد مشهور ، ويقال له العبدي وهو من صغار التابعين ، روى عن أنس بن مالك ، وكان يسكن البصرة وسمع من الحسن البصري وجعفر بن زيد ، واشتغل بنفسه عن الرواية . وكان قد أَرْعَبَه فرط الخوف من الله .

سير أعلام النبلاء ٦/٨٦

أنظر ترجمته وأخباره في :

تاريخ البخاري ٣/٤٧٥ ، حلية الأولياء ٦/٢١٥ ـ ٢٦٦ ، تبصير المنتبه ٢/٧٤٦ .

٧٣ ـ **علي بن أبي طالب** (ت ٤٠ هـ) :

أمير المؤمنين ابن عم رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته فاطمة الزهراء ورابع الخلفاء الراشدين .

تولى الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان عام٣٥ هـ/٦٥٦ م ولم يدم حكمه طويلاً ، فقد طعنه ابن ملجم الخارجي طعنة قاتلة عام ٤٠ هـ/٦٦١ م .

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٣/٢٣ ـ ٣٣ ، تاريخ الطبري ، الكامل في التاريخ لابن الأثير تاريخ أبي الفدا ، البداية والنهاية ٧/٢٢٣ .

٧٤ ـ **علي بن الحسين** (**زين العابدين**) :

علي بن الحسين ابن الإمام **علي** بن **أبي** طالب ، السيد الإمام زين العابدين بن يكنى أبا **الحسين** ، وأمه أم ولد ، اسمها سلافة بنت ملك الفرس يزدجرد . ولد في سنة ثمانية وثلاثين .

وكان مع أبيه الحسين الشهيد يوم كربلاء وله ثلاث وعشرون سنة ، كان ثقة ، مأموناً ، كثير الحديث ، ورعاً .

وقد توفي في سنة ٩٤ هـ .

سير أعلام النبلاء ٤/٣٨٦

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٥/٢١١ ، طبقات خليفة ت ٢٠٤٤ ، تاريخ البخاري

٢٦٦/٦ ، المعارف ٢١٤ ، المعرفة والتاريخ ١/٣٦٠ و٥٤٤، الحلية ١٣٣/٣ ، طبقات الفقهاء للشيرازي ٦٣ ، تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٣/١ ، وفيات الأعيان ٢٦٦/٣، تهذيب الكمال ص ٩٦٥ ، تاريخ الإسلام ٣٤/٤ ، تذكرة الحفاظ ٧٠/١ ، العبر ١١١/١ ، البداية والنهاية ١٠٣/٩ ، غاية النهاية ت ٢٢٠٦ ، تهذيب التهذيب ٣٠٤/٧ ، النجوم الزاهرة ٢٢٩/١ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٠ .

٧٥ ـ **عمر بن الخطاب** (ت ٢٣ هـ) :

اتفقوا على تسميته بالفاروق ، وهو أول من سُمِّي أمير المؤمنين . وعمر هو أحد السابقين إلى الإسلام ، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنة . وهو ثاني الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار رسول الله ﷺ .تولّى الخلافة عام ١٣هـ وبقي فيها حتى عام ٢٣ هـ حيث توفي إثر طعنة وهو ابن ثلاث وستين سنة .

انظر ترجمته وأخباره في :

ابن الأثير ١٩/٣، الطبري ١٨٧/١ ـ ٢١٧ ـ و٨٢/٢، اليعقوبي ١١٧/٢، الإصابة ت ٣٨، ٥٧، صفة الصفوة ١٠١/١، حلية الأولياء ٣٨/١، تاريخ الخميس ٢٥٩/١ و٢٣٩/٢، أخبار القضاة لوكيع ١٠٥/١، البدء والتاريخ ٨٨/٥.

ـ **عمر بن شراحيل** انظر : **الشعبي** .

٧٦ ـ **عمر بن عبد العزيز** (ت ١٠١ ه)

هو الخليفة الأموي ، والإمام العادل ، أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . أجمعوا على جلالته وعلمه وصلاحه وزهده وورعه وعدله ، وقد اعتُبر أحد الخلفاء الراشدين . ومناقبه كثيرة . وقد ولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر .

سير أعلام النبلاء ١١٤/٥

انظر ترجمته وأخباره في :

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ، طبقات ابن سعد ٣٣٠/٥ ، تاريخ خليفة٣٢١، ٣٢٢، التاريخ الكبير ١٧٤/٦ ، تاريخ الفسوي ٥٦٨/١ ، الطبري ٥٦٥/٦، ٥٧٣، الجرح والتعديل ١٢٢/٦ ، طبقات

الشيرازي : ٦٤ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، ابن الأثير ٥/٥٨ ، ٦٦، تهذيب الكمال ١٠١٧ ، تاريخ الإسلام ٤/١٦٤ ، تذكرة الحفاظ ١/١١٨ ، العبر ١/١٢٠ ، فوات الوفيات ٣/١٣٣ ، البداية والنهاية ٩/١٩٢، ٢١٩، سيرة عمر بن عبد العزيز للآجري ، العقد الثمين ٦/٣٣١ ، طبقات ابن الجزري ١/٥٩٣ ، تهذيب التهذيب ٧/٤٧٥ ، النجوم الزاهرة ١/٢٤٦ ، تاريخ الخلفاء ٢٢٨ ، شذرات الذهب ١/١١٩ .

٧٧ ـ **عَوْن بن عبد الله** (ت ١١٠ هـ) :

ابن عتبة بن مسعود ، الإمام القدوة العابد أبو عبد الله الهذلي الكوفي أخو فقيه المدينة عبيد الله .

حدّث عن أبيه وأخيه وابن المسيّب وابن عباس وغيرهم . وثّقه أحمد وغيره قال الأصمعي : كان من آدب أهل المدينة وأفقههم ، كان مرجئاً ثم تركه توفي سنة بضع عشرة ومئة .

سير أعلام النبلاء ٥/١٠٣

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٦/٣١٣ ، التاريخ الكبير للبخاري ٧/١٣ ، التاريخ الصغير ١/٢٧٣ ، الجرح والتعديل ٦/٣٨٤ ، حلية الأولياء ٤/٢٤٠ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٤١ ، تهذيب الكمال : ١٠٦٧ ، تاريخ الإسلام ٤/٢٨٧ ، تهذيب التهذيب ٨/١٧١ . شذرات الذهب ١/١٤٠ .

ـ **عويمر بن زيد** انظر : **أبو الدرداء** .

٧٨ ـ **الغزالي** (ت ٥٠٥ هـ) :

حجة الإسلام ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي الغزالي ، تفقّه ببلده أولاً ، ثم تحوّل إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة فلازم إمام الحرمين ، فبرع في الفقه في مدة قريبة ، ومهر في الكلام والجدل ، حتى صار عين المناظرين ، وشرع في التصنيف . ثم أقبل عليه نظام الملك الوزير، فولّاه تدريس نظامية بغداد ، وسِنّه نحو الثلاثين ، وأخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة ، وصحب الفقيه نصر بن إبراهيم بدمشق ، وأقام مدة وألف كتاب « الإحياء » .

ثم بعد سنوات سار إلى وطنه ، ولما وزر فخر الملك قدم إلى نيسابور ، فدرّس بنظاميتها وغلبهُ الحال بعد تبحّره في العلوم وتفكر في العاقبة ، وما يبقى في الآخرة ، فابتدأ بصحبة الشيخ أبي علي الفارمذي ، فأخذ منه استفتاح الطريقة ، وامتثل ما كان يأمره به من العبادات والنوافل والاذكار والاجتهاد طلباً للنجاة . واتخذ في جوار داره مدرسة للطلبة ، وخانقاه للصوفية ، ووزّع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن ، ومجالسة ذوي القلوب ، والقعود للتدريس ، وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث ، ومجالسة أهله ، ومطالعة « الصحيحين ». قال الذهبي : ما زال العلماء يختلفون ، ويتكلم العالم في العالم باجتهاده ، وكل منهم معذور مأجور ومن عاند أو خرق الاجماع ، فهو مأزور ، وإلى الله ترجع الأمور .

سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٢

انظر ترجمته وأخباره في :
تبيين كذب المفتري : ٢٩١ ـ ٣٠٦ ، المنتظم : ٩/١٦٨ ـ ١٧٠ ، اللباب : ٢/٣٧٩، الكامل لابن الأثير ١٠/٤٩١ ، وفيات الأعيان : ٤/٢١٦ ـ ٢١٩ ، المختصر في أخبار البشر : ٢ / ٢٣٧ ، دول الإسلام : ٢/٣٤ ، العبر : ٤/١٠ ، تتمة المختصر : ٢/٣٥ ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : ٣٧ ـ ٣٨ ، الوافي بالوفيات : ١/٢٧٤ ـ ٢٧٧ مرآة الزمان : ٨/٢٥ ـ ٢٦ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٦/١٩١ ـ ٢٨٩ طبقات الاسنوي : ٢/٢٤٢ ـ ٢٤٥ ، البداية والنهاية : ١٢/١٧٣ ـ ١٧٤ ، وفيات ابن قنفذ : ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ، النجوز الزاهرة : ٥/٢٠٣ ، الانس الجليل : ١/٢٦٥ ، مفتاح السعادة : ٢/٣٣٢ ـ ٣٣٦ ٣٤١ ـ٣٤٣، ٣٤٧ ـ ٣٥٠ ، ٥٦٠ ـ ٥٦٢، أسماء الرجال لابن هداية الله : ٦٤ ، كشف الظنون : ١٢ ٢٣ ٢٤ ٣٦ ، شذرات الذهب : ٤/١٠ ـ ١٣ ، اتحاف السادة المتّقين : ١/٦ ـ ٥٣ ، روضات الجنات : ١٨٠ ـ ١٨٥ ، إيضاح المكنون : ٢/١١ ـ ١٧١ ، هدية العارفين : ٢/٧٩ ـ ٨١ ، بروكلمان : ١٤٠٨ ـ ١٤١٦ ، .

٧٩ ـ فرقد السبخي (ت ١٣١ هـ) :

هو أبو يعقوب **السبخي** ، عابد ، صدوق ، ليّن الحديث ، روى له الترمذي وابن ماجه . توفّي سنة ١٣١ هـ . من تلاميذ الحسن البصري .

انظر ترجمته في :
١ ـ حلية الأولياء ٣/ص ٤٤ ـ ٥٠ ترجمة رقم ٢٠٥
٢ ـ صفة الصفـوة ٢٧١/٣ .
٣ ـ طبقات الشعراني ٣٦/١ ترجمة رقم ٥٢ .

٨٠ ـ **الفضيل بن عياض** (ت ١٨٧ هـ) :
أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الزاهد ،ولد بسمرقند ، ونشأ بأبيورد ، وكتب الحديث بالكوفة ، ثم تحوّل إلى مكـة ، فاستوطنهـا ، حتى توفي سنـة ١٨٧ هـ. وقد أجمـع العلماء ، على تـوثيقه والاحتجاج به. وصلاحه وزهده وورعه . وكان الفضيل شاطراً بقطع الطريق ثم تاب .

سير أعلام النبلاء ٣٧٢/٨

انظر ترجمته وأخباره في :
التاريخ الكبير : ١٢٣/٧ ، التاريخ الصغير : ٢٤١/٢ ، المعارف : ٥١١ المعرفة والتاريخ للفسوي : ١٧٩/١ ، الجرح والتعديل : ٧٣/٧ ، طبقات الصـوفيـة للسلمي : ٦، ١٤، حليـة الأوليـاء : ٨٤/٨ ، صفـة الصفـوة : ٢٣٧/٢ ، التوّابـون للمقدسي : ٢٧ ، وفيات الأعيـان : ٤٧/٤ ـ ٥٠ ، تهذيب الكمال : ١١٠٤ ، تذكرة الحفاظ : ٢٤٥/١ ، العبر : ٢٩٨/١ ، ميـزان الاعتدال : ٣٦١/٣ ، روض الـريـاحين لليـافعي : ٤١ ، تهـذيب التهـذيب : ٢٩٤/٨ ، النجـوم الـزاهـرة : ١٢١/٢ ، ١٤٣ ، البصـائـر والذخائر : ١٨٨/٤ ، شذرات الذهب : ٣١٦/١ .

٨١ ـ **قـابيـل** :
ابن آدم عليه السلام ، وقد ذكر القرآن الكريم قصته مع اخيه هابيل في سورة المائدة في الآيات ٢٧ ـ ٣١ .

٨٢ ـ **القاسم بن سلام** (ت ٢٢٢ هـ) :
الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون ، أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله ، وهو معدود فيمن أخذوا الفقه عن الشافعي ، وكان إماماً بارعاً في علوم كثيرة منها التفسير والقراءة والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ . توفّي بمكة سنة ٢٢٢ هـ، وقد عاش ٦٧ سنة .

وقيل عنه : كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وفي علمه ، مفنّناً في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والعربية والأخبار حسن الرواية ، صحيح النقل لم يطعن عليه أحد شيء من أمره ودينه .

سير أعلام النبلاء ١٠/٤٩٠

انظر ترجمته وأخباره في :
طبقات ابن سعد ٧/٣٥٥ ، تاريخ ابن معين : ٤٧٩، ٤٨٠ ، التاريخ الكبير ٧/١٧٢ ، التاريخ الصغير ٢/٣٥٠ ، المعارف لابن قتيبة : ٤٥٩ ، الجرح والتعديل ٧/١١١ ، مراتب النحويين : ٩٣ ، ٩٤ ، طبقات الزبيدي : ٢١٧ ، ٢٢٨ ، الفهرست لابن النديم : ٧٨ ، تاريخ بغداد ١٢/٤٠٣ ـ ٤١٦ ، طبقات الشيرازي : ٢٦ ، طبقات الحنابلة ١/٢٥٩ ، تاريخ ابن عساكر ٣٥/٨٢ ـ ١١٠ ، نزهة الألباء : ١٣٦ ـ ١٤٢ ، صفة الصفوة ٤/١٣٠ ، معجم الادباء ١٦/٢٥٤ ـ ٢٦١ ، الكامل لابن الأثير ٦/٥٠٩ ، إنباه الرواة ٣/١٢ ـ ٢٣ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، وفيات الأعيان ٤/٦٠ ـ ٦٣ ، المختصر في أخبار البشر ٢/٣٤ ، دول الإسلام ١/١٣٦، تذكرة الحُفّاظ ١/٤١٧، العبر ١/٣٩٢ ، ميزان الاعتدال ٣/٣٧١ ، معرفة القراء ١/١٤١ ـ ١٤٣ ، الكاشف ٢/٣٩٠ ، مرآة الجنان ٢/٨٣ ـ ٨٦ ، طبقات الشافعية ٢/١٥٣ ـ ١٦٠ ، البداية والنهاية ١٠/٢٩١، ٢٩٢ ، العقد الثمين ٧/٢٣ ـ ٣٥ ، غاية النهاية ٢/١٧ ، ١٨ ، تهذيب التهذيب ٨/٣١٥ ، النجوم الزاهرة ٢/٢٤١ ، روضات الجنات : ٢٥٦ ، بغية الوعاة ٢/٢٥٣ ، ٢٥٤ ، المزهر ٢/٤١١ ، ٤١٩ ، ٤٦٤ ، طبقات المفسرين ٢/٣٢ ـ ٣٧ ، شذرات الذهب ٢/٥٤ .

٨٣ ـ قتادة السدوسي (ت ١١٨ هـ) :
قتادة بن دعامة السدوسي؛ من التابعين . كان عالماً كبيراً ، سمع أنس بن مالك وابن المسيِّب وابن سيرين وغيرهم من التابعين ، وروى عنه جماعة من التابعين ومن اتباع التابعين وأجمعوا على توثيقه وحفظه وإتقانه وفضله .
توفي سنة ١١٨ هـ وهو ابن ست وخمسين سنة .

سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٢٢٩/٧ ، طبقات خليفة : ٢١٣ ، تاريخ خليفة ٣٣٢ ٣٤٨ ، التاريخ الكبير ١٨٥/٧ ، التاريخ الصغير ٢٨٢/١ ، المعارف : ٤٦٢ ، تاريخ الفسوي ٢٧٧/٢ ، الجرح والتعديل ١٣٣/٧ ، جمهرة الأنساب : ٣١٨ ، طبقات الشيرازي : ٨٩ ، معجم الأدباء ١٧/ ٩، ١٠ تهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ ، وفيات الأعيان ٨٥/٤ ، تهذيب الكمال : ١١٢٢ ، تاريخ الإسلام ٢٩٥/٤، تذكرة الحفاظ ١٢٢/١ ، ميزان الاعتدال ٣٨٥/٣ ، العبر ١٤٦/١ ، نكت الهميان ٢٣٠ ، البداية والنهاية ٣١٣/٩، ٣١٤، طبقات القراء ٥٢/٢ تهذيب التهذيب ٣٥١/٨ ، النجوم الزاهرة ٢٧٦/١ ، طبقات الحفاظ : ٤٧ ، طبقات المفسرين ٤٣/٢ ، شذرات الذهب ١٥٣/١ .

٨٤ ـ **الكروبيون** :هم سادات الملائكة ، وهم الذين حول العرش ، الطائفون به ، لقبوا بذلك لأنهم متصدّعون للدعاء برفع الكرب عن الأمة . وقيل غير ذلك والله أعلم .

٨٥ ـ **كعب الأحبار** (ت ـ ٣٥ هـ) :

هو كعب بن مانع الحميري اليماني ، العلاّمة الحبر ، الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه ، فجالس أصحاب محمد ﷺ فكان يحدّثهم عن الكتب الإسرائيلية ، ويحفظ عجائب ويأخذ السُّنن عن الصحابة . وكان حسن الإسلام متين الديانة من نبلاء العلماء . وكان خبيراً بكتب اليهود له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة . وقد توفي بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه . لقد كان من أوعية العلم .

سير أعلم النبلاء ٤٨٩/٣

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٤٤٥/٧ ، طبقات خليفة : ت ٢٨٩٥ ، المحبر : ١٣١ ، التاريخ الكبير ٢٢٣/٧ ، التاريخ الصغير ٦٢/١ ، المعارف : ٤٣٠ ، الجرح والتعديل ١٦١/٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٤٣٤ ، أسد الغابة

٤/٤٨٧ ، تهـذيب الأسمـاء واللغـات ١/٢/٦٨ ، تهـذيب الكمـال : ١١٤٦ ، تـذكـرة الحفـاظ ١/٤٩ ، العبـر ١/٣٥ ، الإصـابـة ٣/٣١٥ ، تهـذيب التهذيب ٨/٤٣٨ ، النجـوم الـزاهـرة ١/٩٠ ، شـذرات الـذهب ١/٤٠ .

٨٦ ـ **كهمس بن الحسن** (ت ١٤٩هـ) :

هـو كهمس بن الحسن التميمي البصـري ، الحنفي العـابـد ، من كبـار الثقـات . حدّث عن أبي الـطفيـل وعبـد الله بن شقيق والحسن البصـري وجماعة . وحدّث عنه ابن المبارك ووكيع وخلق كثير وذكره أحمد بن حنبل فقال ثقة وزيادة . وقد توفي في سنة تسع واربعين ومئة .

سير أعلام النبلاء ٦/٣١٦ .

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات خليفة ٢٢١ تاريخ البخاري : ٧/٢٣٩ ، التاريخ الصغير ٢/٣١٨ ، الجـرح والتعـديـل ٧/١٧٠ ـ ١٧١ ، تـذكـرة الحفـاظ ١/١٧٤ ، ميـزان الاعتـدال ٣/٤١٥ ـ ٤١٩ ، تهذيب التهـذيب ٨/٥٤٠ ، خلاصـة تذهيب الكمال ٣٢٢ ، شذرات الذهب ١/٢٢٥ .

٨٧ ـ **ماروت** :

ذكر القرآن الكريم قصته مع هاروت في سورة البقرة الآية ١٠٢ .

٨٨ ـ **مالك دينار** ت (١٣٢ هـ) :

هـو أبو يحيى البصـري ، رضي الله عنه ، من مـوالي بني اسامـة بن لؤي القرشي . كان عالماً زاهداً كثير الورع ، قنوعاً لا يأكل إلا من كسبه ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة . روي عنه أنه قال : قرأت في التوراة: إن الذي يعمل بيده طوبى لمحياه ومماتـه. وله مناقب عديدة وأثار شهيرة . وقد توفي سنة ١٣٢هـ في البصرة.

سير أعلام النبلاء ٥/٣٦٢ .

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقـات ابن سعد ٧/٢٤٣ ، طبقـات : ٢١٦ ، تـاريـخ خليفـة : ٣٩٥ ، التاريخ الكبير ٧/ ٣٠٩، ٣١٠، التاريخ الصغير ١/٣١٦ ، تاريخ الفسـوي ٢/٩٦ ، الجرح والتعديل ٨/٢٠٨ ، تهذيب الأسماء ٢/ ٨٠، ٨١، تهذيب

الكمال : ١٢٩٧ ، تاريخ الإسلام ١٢٨/٥ ، ميزان الاعتدال ٤٢٦/٣ ، العبر ٢٣٨/١ ، تهذيب التهذيب ١٤/١٠ ، شذرات الذهب ١٧٣/١ .

٨٩ ـ **مأمون بن أحمد** :

لم نعثر على ترجمته .

٩٠ ـ **المتنبي** (ت ٣٥٤ هـ) :

أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب المتنبي ، الشاعر الحكيم الذي بلغ صيته كل مسمع . ولد بالكوفة وإليها انتسب ونشأ بالشام ثم تنقل في البادية ، وقال الشعر صبياً ، وتنبأ في بادية السماوة بين الكوفة والشام وتبعه قوم ، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص ونائب الاخشيد فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه . ووفد على سيف الدولة أمير حلب فمدحه وحظي عنده . ومضى إلى مصر فمدح كافور الاخشيدي ثم قصد العراق وفارس . وفي طريق عودته إلى بغداد قتله فاتك الأسدي .

سير أعلام النبلاء ١٩٩/١٦ .

٩١ ـ **مجاهد بن جبير** (ت ١٠١ هـ) :

المكّي المخزومي ، وهو تابعي ، إمام ، متفق على جلالته وإمامته . سمع ابن عمر وابن عباس وأبا سعيد وأبا هريرة وعائشة وغيرهم من الصحابة ، وسمع من التابعين طاووساً وابن أبي ليلى وآخرين .

وهو إمام في الفقه والحديث والتفسير . توفي سنة ١٠١ هـ وهو ابن ثلاث وثمانين سنة .

سير أعلام النبلاء ٥٤٩/٤

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٤٦٦/٥ ، طبقات خليفة ت ٢٥٣٥ ، تاريخ البخاري ٤١١/٧ ، المعارف ٤٤٤ ، المعرفة والتاريخ ٧١١/١ ، الحلية ٢٧٩/٣ ، طبقات الفقهاء للشيرازي ٦٩ ، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الثاني ٨٣ ، تهذيب الكمال ص ١٣٠٦ تاريخ الإسلام ١٩٠/٤ ، تذكرة الحُفّاظ ٦٨/١ ، العبر ١٢٥/١ ، البداية والنهاية ٢٢٤/٩ ، العقد الثمين ١٣٢/٧ ، غاية النهاية ت ٢٦٥٩ ، تهذيب التهذيب ٤٢/١٠ ،

طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٥ ، خلاصة تذهيب التهذيب ٣٦٩ ، شذرات الذهب ١/١٢٥ . الإصابة ت ٨٣٦٣ .

٩٢ ـ **المُحاسبي** (ت ٢٤٣ هـ) :

الزاهد العارف ، شيخ الصوفية أبو عبد الله الحارث بن أسد ، البغدادي المحاسبي ، صاحب التصانيف في التصوف ، ولقب المُحاسبي (بضم الميم) لكثرة محاسبته لنفسه .

له كتب كثيرة في الزهد ، وأصول الديانة والردّ على المعتزلة والرافضة .

وقد توفي سنة ثلاث واربعين ومئتين .

سير أعلام النبلاء ١٢/١١٠

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات الصوفية : ٥٦ ، حلية الأولياء ١٠/٧٣ ١٠٩ ، الفهرست : ٢٣٦ ، تاريخ بغداد ٨/٢١١ ، ٢١٦ ، الرسالة القشيرية : ١/٧٨ ، صفة الصفوة ٢/٢٠٧ ، ٢٠٨ ، اللباب ٣/١٧١ ، وفيات الأعيان ٢/٥٧ ، تهذيب الكمال : ٢١٥ ، ميزان الاعتدال ١/٤٣٠ ، العبر ١/٤٤٠ ، مرآة الجنان ٢/١٤٢ ، طبقات الشافعية للسبكي ٢/٢٧٥ ، ٢٨٤ ، تاريخ ابن كثير ١٠/٣٤٥ ، طبقات الأولياء : ١٧٥ ـ ١٧٧ ، تهذيب التهذيب ٢/١٣٤ ـ ١٣٦ ، النجوم الزاهرة ٢/٣١٦ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٦٧ ، طبقات الشعراني ١/٦٤ ، شذرات الذهب ١/١٠٣ ، الكواكب الدرية ١/٢١٨ ـ ٢١٩ .

٩٣ ـ **محمد بن إبراهيم الزجاجي** (ت ٣٤٨ هـ) :

أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري ، جاور بمكة سنين كثيرة ومات بها ، صحب الجنيد والنوري والخَواص ورويماً . مات سنة ٣٤٨هـ .

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات الصوفية ص ٤٣١ ـ ٤٣٣ ، الحلية ١٠/٣٧٦ ، المنتظم لابن الجوزي ٦/٣٩١ .

ـ محمد بن أدريس

را . **الشافعي** .

ـ محمد بن الحسن

را . **ابن فورك** .

محمد بن صابر : من شيوخ الكرامية .

محمد بن صبيح

را . ابن السماك .

٩٤ ـ **محمد بن واسع** :

الإمام الرباني ، القدوة ، أبو بكر الأزدي البصري العابد ، وكان رحمه الله يقول : من زهد في الدنيا فقد ملك الدنيا والآخرة . ويقول أيضاً : من أقبل بقلبه على الله أقبل الله بقلوب العباد إليه . حدّث عن أنس بن مالك ومحمد ابن سيرين وغيرهما . وهو قليل الرواية . مات سنة ثلاث وعشرين ومئة أو سبع وعشرين ومئة كما في رواية أخرى .

سير أعلام النبلاء ٦/١١٩ .

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات خليفة ٢١٥ ، التاريخ الصغير للبخاري ١/٣١٨، ٣١٩، التاريخ الكبير للبخاري ١/٢٥٥ ، الجرح والتعديل ٨/١١٣ ، حلية الأولياء ٢/٣٤٥ ـ ٣٥٧ ، تهذيب الكمال ١٢٨٣ ، ميزان الاعتدال ٤/٢٥٨ تاريخ الإسلام للذهبي ٥/١٥٩ ـ ١٦١ ، الوافي بالوفيات ٥/٢٧٢ تهذيب التهذيب ٩/٤٩٩ ـ ٥٠٠ ، خلاصة تذهيب الكمال ، ٣٦٢ ، شذرات الذهب ١/١٦١ .

٩٥ ـ **محمد بن يوسف الأصبهاني** :

من كبار الزهاد ، كان رجلاً فاضلاً ، لم يذكر الدنيا قط . وكان ابن المبارك معجباً به .

انظر ترجمته في : حلية الأولياء ٨/٢٢٥ ت ٤٠٠ .

٩٦ ـ **المُزَني** (ت ٢٦٤ هـ) :

الإمام العلاّمة ، فقيه الملة علم الزهّاد أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى ، صاحب الشافعي وهو من أهل مصر ، كان زاهداً عالماً مجتهداً غوّاصاً على المعاني الدقيقة ، وهو إمام الشافعيين واعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه . صنّف كتباً كثيرة في مذهب الإمام الشافعي الذي قال عنه : **المُزَني** ناصر مذهبي . توفي سنة ٢٦٤هـ في مصر. والمزني (بضم الميم وفتح الزاي)

نسبة إلى مُزَينة وهي قبيلة مشهورة .

سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩٢ .

انظر ترجمته وأخباره في :
الجرح والتعديل ٢/٢٠٤ ، طبقات الفقهاء للشيرازي : ٧٩ ، طبقات فقهاء الشافعيين للعبادي ٩ ، وفيات الأعيان ١/٢١٧ ، العبر ٢/٢٨ ، طبقات الشافعية للسبكي ٢/٩٣، اللباب ٢/٢٠٥ ، تاريخ ابن كثير ١١/٣٦ ، النجوم الزاهرة ٣/٣٩ ، مرآة الجنان ٢/١٧٧ ، شذرات الذهب ٢/١٤٨ ، طبقات الشافعية لابن هداية الله : ٢٠ .

٩٧ ـ **معاذ بن جبل** (ت ١٨ هـ) :
أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي المدني ، الفقيه الفاضل الصالح ، أسلم وهو ابن ثماني عشرة وشهد بدراً وأُحداً والخندق مع رسول الله ﷺ وآخى الرسول ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود . ومعاذ من الصحابة المشهورين وقد توفي بالطاعون عام ١٨هـ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

سير أعلام النبلاء ١/٤٤٣ .

انظر ترجمته وأخباره في :
مسند أحمد : ٥/٢٢٧ ـ ٢٤٨ ، طبقات ابن سعد : ٢/٣٤٧ ، طبقات خليفة : ١٠٣ ـ ٣٠٣ تاريخ خليفة : ٩٧، ١٣٨، ١٥٥، التاريخ الكبير : ٧/٣٥٩ ـ ٣٦٠، التاريخ الصغير : ١/٤١، ٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٣، المعارف: ٢٥٤ ، الجرح والتعديل : ٨/٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، مشاهير علماء الأمصار : ت : ٣٢١ ، الإستبصار : ١٣٦ ـ ١٤١ ، حلية الأولياء : ١/٢٢٨ ـ ٢٤٤ ، الاستيعاب : ١٠/١٠٤ ، طبقات الشيرازي : ٤٥ ، أسد الغابة : ٥/١٩٤ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢/٩٨ ـ ١٠٠ ، تهذيب الكمال ١٣٣٧ ، دول الإسلام : ١/١٥، تاريخ الإسلام : ٢/٣١٩ ، العبر : ١/٢٢ ، تذكرة الحفاظ : ١/١٩ ، مجمع الزوائد : ٩/٣١١ ، طبقات القراء : ٢/٣٠١ ، تهذيب التهذيب : ١٠/١٨٦ ، الإصابة : ٩/٢١٩ ، طبقات الحفاظ : ٦ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٣٧٩ ، كنز العمال : ١٣/٥٨٣ ، شذرات الذهب : ١/٢٩ .

٩٨ ـ **معاوية بن أبي سفيان** :

القرشي الأموي المكي ، مؤسس خلافة بني أمية . قيل : إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم فتح مكة .

حدّث عن النبي ، وكتب له مرات يسيرة ، وحدّث أيضاً عن اخته أم المؤمنين أم حبيبة وعن أبي بكر وعمر . ولي الخلافة بعد أن تنازل له الحسن ابن علي عنها، وحكم حوالي عشرين سنة من ٤١ هـ حتى ٦٠ هـ.

سير أعلام النبلاء ٣/١١٩

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٣/٣٢ و٧/٤٠٦، نسب قريش : ١٢٤ ، طبقات خليفة : (ت ٥١ و ٩٦٩ و ٢٨٠٩، التاريخ الكبير ٧/٣٢٦ ، المعارف : ٣٤٤ ، المعرفة والتاريخ ١/٣٠٥ ، أنساب الأشراف ٤/٥،١٣٦، الجرح والتعديل ٨/٣٧٧ ، تاريخ الطبري ٥/٣٢٣ وما بعدها ، مروج الذهب ٣/١٨٨ ، ٢٢٠ ، جمهرة أنساب العرب ١١٢، ١١٣، الإستيعاب : ١٤١٦ ، تاريخ بغداد ١/٢٠٧ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٢/٤٨٩ ، شذرات الذهب ١/٦٥ طبقات فقهاء اليمن : ٤٧ ، جامع الأصول ٩/١٠٧ ، أُسْد الغابة ٤/٣٨٥ ، الكامل في التاريخ : ٤/٥ ، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢/١٠٢ ، تهذيب الكمال : ١٣٤٣ ، تاريخ الإسلام ٢/٣١٨ ، مرآة الجنان ١/١٣١ ، البداية والنهاية ٨/٢٠ و١١٧، مجمع الزوائد ٩/٣٥٤، العقد الثمين ٧/٢٢٧ ، غاية النهاية : ت ٣٦٢٥ ، الإصابة ٣/٤٣٣ ، تهذيب التهذيب ١٠/٢٠٧ المطالب العالية ٤/١٠٨ ، تاريخ الخلفاء : ١٩٤ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٣٢٦ .

٩٩ ـ **معروف الكرخي** (ت ٢٠٠ هـ) :

هو أبو محفوظ معروف بن فيروز ، الصالح المشهور ، كان من المشايخ الكبار ، وكان مشهوراً بإجابة الدعاء . وهو أستاذ السري السقطي ، وأخباره ومحاسنه أكثر من أن تحصى . توفي ببغداد سنة ٢٠٠ هـ وقيل ٢٠١ هـ.

سير أعلام النبلاء ٩/٣٣٩ .

انظر ترجمته واخباره في :

طبقات الصوفية ٨٣ ـ ٩٠ ، حلية الأولياء ٨/٣٦٠، ٣٦٨، تاريخ بغداد

١٣/ ١٩٩ ، ٢٠٩ ، الرسالة القشيرية ١/ ٧٩ ، طبقات الحنابلة ١/ ٣٨١ ، ٣٨٩ ، صفة الصفوة ٢/ ٧٩ ـ ٨٣، اللباب ٣/ ٩١ ، وفيات الأعيان ٥/ ٢٣١ ، العبر ١/ ٢٣٥ ، دول الإسلام ١/ ١٢٦ ، مرآة الجنان ١/ ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، طبقات الأولياء :٢٨٠ ، ٢٨٥ ، شذرات الذهب ١/ ٣٦٠ .

١٠٠ ـ **نصر المقدسي** (ت ٤٩٠ هـ) :

الشيخ الامام العلامة القدوة المحدّث شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي ، الإمام الزاهد المجمع على جلالته وفضيلته وله مصنّفات كثيرة في المذهب وغيره . صحبه الغزالي متبرّكاً به حين قدم إلى دمشق . . .

وقد توفي المقدسي سنة ٤٩٠ هـ بدمشق .

سير اعلام النبلاء ١٩/ ١٣٦

انظر ترجمته واخباره في :

تاريخ ابن عساكر ١٧/ ٢٦٩ تبيين كذب المفتري : ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ، معجم ابن الأبار : ١٩٩ تهذيب الاسماء : ٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦ ، دول الإسلام : ٢/ ١٩ ، العبر : ٣/ ٣٢٩ ، مرآة الجنان : ٣/ ١٥٢ ، طبقات السبكي : ٥/ ٣٥١ ـ ٣٥٣ ، طبقات الاسنوي : ٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ، النجوم الزاهدة : ٥/ ١٦٠، الانس الجليل : ٢٦٤ ، طبقات ابن هداية الله : ١٨١ ، كشف الظنون : ٥٨، ٩٨ ، شذرات الذهب : ٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦، هدية العارفين : ٢/ ٤٩٠ .

ـ **النهر جوري** را . **أبو يعقوب** النهر جوري .

١٠١ ـ **نوف البِكالي** :

نوف بن أبي فضالة البِكالي (بالكسر والتخفيف ولام ، نسبة إلى بِكال ككتاب ، بطن من حِمْيَر) وهو المرغّب في المحاسبة والمعالي . كان للكتب قارياً ، وإلى المحامد داعياً، وعن المحاذر ناهياً . تابعي ، شامي ، كان إمام أهل دمشق في عصره ، من رجال الحديث، ورد ذكره في الصحيحين مات في الغزو شهيداً بعد التسعين (نحو ٩٥ هـ)، وكان راوياً للقصص . وهو ابن زوجة كعب الاحبار .

انظر ترجمته واخباره في :
حلية الأولياء ٦/٤٨ ، تهذيب التهذيب ١٠/٤٩٠ ، الأعلام للزركلي .

١٠٢ ـ هابيل :
ابن آدم عليه السلام ، وقد ذكر القرآن الكريم قصته مع اخيه قابيل في سورة المائدة الآيات ٢٧ ـ ٣١ ، راجع كتب التفسير .

١٠٣ ـ هاروت :
ذكر الله تعالى قصته مع ماروت في كتابه العزيز في سورة البقرة الآية ١٠٢ . راجع كتب التفسير .

١٠٤ ـ هَرِم بن حيّان العبدي :
أحد الأولياء المشهورين ، وأحد العابدين ، حدّث عن عمر وروى عنه الحسن البصري وغيره . وليَ بعض الحروب في أيام عمر وعثمان ببلاد فارس . قال ابن سعد : كان عاملاً لعمر ، وكان ثقة ، له فضل وعبادة .
سير أعلام النبلاء ٤/٨٤

انظر ترجمته وأخباره في :
حلية الأولياء ٢/١١٩ ـ ١٢٢ (الترجمة رقم ١٦٧) وفيها أنّه وليَ عملاً لعمر بن الخطاب صفة الصفوة ٣/٢١٣ ، طبقات ابن سعد ٧/١٣١ ، طبقات خليفة ت ١٥٨١ ، تاريخ البخاري ٨/٢٤٣ ، المعارف ص ٤٣٥ ، الحلية ٢/١١٩ ، الإستيعاب ت ٢٦٧٥ ، أسد الغابة ٥/٥٧ ، تاريخ الإسلام ٣/٢١١ ، الإصابة ت ٨٩٤٧ ، النجوم الزاهرة ١/١٣٢ .

١٠٥ ـ هشام بن حسان (ت ١٤٨ هـ) :
قال أبو نعيم في الحلية (٦/٢٦٩) : المترقّب ذو الاحزان المتيقظ ذو الأشجان ، هشام بن حسان ، لزم أستاذه الحسن بن أبي الحسن عشر سنين . وكان يحدّث فيبكي وتجري الدموع على لحيته . وقد أدرك الأئمة الأعلام ، واقتبس عنهم الاقضية والأحكام . سمع محمد بن سيرين وقتادة وعكرمة وهشام بن عروة وحدّث عنهم . مات سنة ثمان واربعين ومئة .
سير أعلام النبلاء ٦/٣٥٥

انظر ترجمته وأخباره في :
تاريخ خليفة ٤٢٤ ، طبقات خليفة ٢١٩ ، تاريخ البخاري : ٨/١٩٧ ،

التاريخ الصغير ٢/٨٥ ، الجرح والتعديل ٩/٥٤ ـ ٥٥، الكامل في التاريخ ٥/٥٨٣ ، تهذيب الكمال ١٤٣٦ ، تاريخ الإسلام ٦/١٤٤ ، تذكرة الحفاظ ١/١٦٣ ، ميزان الاعتدال ٤/٢٩٥ ـ ٢٩٨ ، تهذيب التهذيب ١١/٣٤ ـ ٣٧ ، خلاصة تذهيب الكمال ٤٠٩ ، شذرات الذهب ١/٢١٩ ، حلية الأولياء ٦/٢٦٩ .

١٠٦ ـ **وهب بن منبّه** (ت ١١٠ هـ) :

تابعي جليل ، من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية ، سمع كثيراً من الصحابة ، وروى عنه عمرو بن دينار والمغيرة بن حكيم وآخرون . اتفق العلماء على توثيقه . وقد ولي قضاء صنعاء . وكان زاهداً . توفي عام ١١٦ هـ أو ١١٤ أو ١١٠ على اختلاف الروايات .

سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٤

انظر ترجمته وأخباره في : طبقات ابن سعد ٥/٥٤٣ ، الزهد لأحمد بن حنبل ٣٧١ ، طبقات خليفة ت ٢٦٥٢ تاريخ البخاري ٨/١٦٤ ، المعارف ٤٥٩ ، الحلية ٤/٢٣ ، طبقات الفقهاء للشيرازي ٧٤ ، طبقات فقهاء اليمن ٥٧، معجم الادباء ١٩/٢٥٩ ، وفيات الأعيان ٦/٣٧ ، تهذيب الكمال ص ١٤٨٤ تاريخ الإسلام ٥/١٤ ، تذكرة الحفاظ ١/٩٥ ، العبر ١/١٤٣ ، البداية والنهاية ٩/٢٧٦ ، تهذيب التهذيب ١١/١٦٦ ، طبقات الخَوَاص ١٦١ ، طبقات الحفّاظ للسيوطي ص ٤١ ، خلاصة تذهيب التهذيب ٤١٩ ، شذرات الذهب ١/١٥٠ .

١٠٧ ـ **وهب بن الورد** (ت ١٥٠ هـ) :

ابن أبي الورد المخزومي ، مولاهم ، المكّي ، ويقال اسمه عبد الوهاب ووهيب لقب له ، وكنيته أبو عثمان ويقال أبو أمية . روى عنه عبد الله بن المبارك وعمارة بن القعقاع . قال يحيى بن معين : هو ثقة ، وقال أبو حاتم : كان من العبّاد . وكانت له أحاديث ومواعظ وزهد . وكان سفيان الثوري إذا حدّث الناس وفرغ قال : قوموا بنا إلى الطبيب يعني وهيباً . وقد توفي عام ١٥٠ هـ .

سير أعلام النبلاء ٧/١٩٨ .

انظر ترجمته واخباره في :
طبقات ابن سعد : ٤٨٨/٥ ، التاريخ الكبير ١٧٧/٨ ، المعرفة والتاريخ : ٤٣٤/١ ، الجرح والتعديل : ٣٤/٩ ، مشاهير علماء الأمصار : ١٤٨ ، حلية الأولياء ١٤٠/٨ ـ ١٦١ ، الكامل لابن الأثير : ٦١٣/٥ في أخبار (١٥٤ هـ) تهذيب الأسماء واللغات : ١٤٩/٢ ؛ تاريخ الإسلام : ٣١٥/٦ ، عبر الذهبي : ٢٢٢/١ ، العقد الثمين : ٤١٧/٧ ، تهذيب التهذيب : ١٧٠/١١ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٤١٩ ، شذرات الذهب : ٢٣٦/١ .

١٠٨ ـ **يحيى بن معاذ الرازي** (ت ٢٥٨ هـ) :
هو أبو زكريا الواعظ ، أحد رجال الطريقة . له لسان في الرجاء خصوصاً ، وكلام في المعرفة . خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ، ورجع إلى نيسابور ، ومات بها سنة ٢٥٨ هـ .

سير أعلام النبلاء ١٥/١٣ .

انظر ترجمته في :
طبقات الصوفية : ١٠٧ ـ ١١٤ ، حلية الأولياء : ٥١/١٠ ـ ٧٠ ، الفهرست : المقالة الخامسة : الفن الخامس ، تاريخ بغداد : ٢٠٨/١٤ ـ ٢١٢ ، المنتظم : ١٦/٥ ـ ١٧ ، الكامل لابن الأثير ٢٥٨/٧ ، وفيات الأعيان ١٦٥/٦ ـ ١٦٨ ، عبر الذهبي : ١٧/٢ ، البداية والنهاية : ٣١/١١ ، طبقات الأولياء : ٣٢١ ـ ٣٢٦ . شذرات الذهب : ١٣٨/٢ ـ ١٣٩ .

١٠٩ ـ **يوسف بن اسباط الشيباني** (ت ١٩٠ هـ) :
أحد الزّهاد ، من سادات المشايخ ، له مواعظ وحكم ، وقد روى عن الثوري وغيره . وقد نزل الثغور مرابطاً ، وثقه ابن معين . وقال أبو حاتم : لا يحتجّ به .

سير أعلام النبلاء ١٦٩/٩

انظر ترجمته في :
التاريخ لابن معين : ٦٨٤ ، التاريخ الكبير ٣٨٥/٨ ، التاريخ الصغير ٢٦٥/٢ ، الضعفاء للعقيلي الجرح والتعديل ٢١٨/٩ ، مشاهير علماء

الامصار ت ١٤٩٠ ، حلية الأولياء ٢٣٧/٨ ، ميزان الاعتدال ٤٦٢/٤ .

١١٠ ـ **يونس بن عبيد الله** (ت ١٣٩هـ)

يونس بن عبيد الله ، التابعي الجليل ، اتفقوا على جلالته وتوثيقه . رأى ابن مالك ، وحدّث عن الحسن وابن سيرين وعطاء وعكرمة . وحدَّث عنه شعبة وسفيان وخلق كثير . قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث .

سير أعلام النبلاء ٢٨٨/٦ .

انظر ترجمته وأخباره في :

طبقات ابن سعد ٢٦٠/٧ ، تاريخ خليفة٢٦١، ٤١٨، طبقات خليفة (٢١٨) ، التاريخ الصغير ٩٤/٢ ، الجرح والتعديل ٢٤٢/٩ ، مشاهير علماء الأمصار (٥٠) حلية الأولياء ١٥/٣ ـ ٢٧ ، الكامل في التاريخ ٤٨٧/٥ ، تهذيب الكمال ١٥٦٧ ، تاريخ الإسلام ١٩/٥ ، تذكرة الحفاظ ١٤٥/١ ـ ١٤٦ ، تهذيب التهذيب ٤٤٢/١١ ـ ٤٤٥ ، شذرات الذهب ٢٠٧/١ .

الملحق الثالث

هوامش التحقيق

مرتبة حسب صفحات الكتاب

ص ٤٧ : (وهي الصفحة الأولى من كتاب منهاج العابدين).

(١) زيادة من (د) و (هـ).
(٢) هكذا في (جـ) و (هـ)، وفي الأصل: الأمر.

ص ٤٨ :

(١) في (هـ): وحاصل العبيد الأقوياء ، وبضاعة الأولياء وطريق الأتقياء .
(٢) في الأصل : قسم ، والتصحيح من (ج) و (د) و (هـ) .
(٣) في (ج) : نهاية مقاصدها .
(٤) في (ج): فإذا هي طريق عسر، ومكان وعر ، سبيل صعب ، كثيرة العقبات.
(٥) في (ج) : حفيّة ، بالحاء المهملة ، وفي (هـ) : حقيقة .
(٦) في (ج) و (د) : العزاء، وفي (هـ) : الفراغ.
(٧) ساقطة في الأصل، مثبتة في (ج) و (د) و (هـ).

ص ٤٩ :

(١) سقط شطر البيت هذا من (د) و (هـ) .
(٢) (ج) : وألا يقع .
(٣) زيادة من (ج).
(٤) (ج) : من فهم معانيها.
(٥) (ج) و (هـ) : رضوان الله عليهم أجمعين.

ص ٥١ :

(١) (د) و(هـ) : يتجرد.

(٢) زيادة من (جـ) و (د) و (هـ).

(٣) ساقطة من الأصل، مثبتة في (جـ) و (د) و (هـ). والإرادة إحدى صفات الله تعالى السبعة، لذلك وجب ذكرها .

ص ٥٢ :

(١) في الأصل : فتحتاج، والتصحيح من (هـ)، وفي (ج) فيحتاج.

(٢) زيادة من (ج)، و (د) و (هـ) يقتضيها سياق الكلام .

(٣) في الأصل : العلم اليقين، والتصحيح يقتضيه السياق وما بعد.

(٤) في الأصل : هذا، والتصحيح من باقي النسخ.

(٥) (ج) : توانٍ.

(٦) (هـ) : علم اليقين بالغيب.

(٧) في الأصل : بعثته، والتصحيح من باقي النسخ .

ص ٥٣ :

(١) زيادة من (د) و (هـ)، ساقطة من (أ) و (ج) وهذه الزيادة يقتضيها سياق الكلام حتى يستقيم المعنى.

(٢) زيادة من (د) و (هـ).

(٣) (ج) : التوبة الصادقة.

(٤) (ج) : منع النفس، (د) و (هـ) : قهر للنفس.

(٥) زيادة من (ج).

ص ٥٤ :

(١) سقطت من الأصل وهي مثبتة في باقي النسخ .

(٢) (ج) : حسن توفيقه.

(٣) زيادة من (د) و (هـ). وفي (ج) : كسلانة فاترة.

ص ٥٥ :

(١) في (ج) و (د) و (هـ) : له .

(٢) في الأصل : الذكرين، والتصحيح من (ج) و (د) و (هـ).

(٣) (ج) : الصالحين.

ص ٥٦ :

(١) زيادة من (ج) و (د) و (هـ).

(٢) (ج) : تأمّل.

(٣) في (أ) و (ج) حالة بالمفرد، والتصحيح من (د) و (هـ).

(٤) في (ج) و (د) و (هـ) البريد.

(٥) ساقطة من (ج) و (د) و (هـ).

(٦) في (ج) نعيماً مقيماً وملكاً كبيراً. و (د) و (هـ) نعيماً مقيماً وملكاً كبيراً عظيماً.

ص ٥٧ :

(١) زيادة من (د) و (هـ).

(٢) في الأصل: الخامس، والتصحيح من (ج) و (د) و (هـ).

ص ٦٠ :

(١) ساقطة من الأصل مثبتة من (ج) و (د) و (هـ).

(٢) في (ج) العبارة هي كالتالي: والعبادة بمنزلة ثمرتها والشجرة أشرف إذ هي الأصل.

(٣) عبارة ساقطة من (ج) و (د).

(٤) يضرّ وتضرّ جاء هذان الفعلان في الأصل بصيغة الجمع والتصحيح من (د) و (هـ).

ص ٦١ :

(١) في الأصل: صفات نعته، والتصحيح من (ج) و (د) و (هـ).

(٢) (ج) : وربما يعرض لك أمر مشكل، وأنت لا تجد من تسأله.

(٣) ساقطة من جميع النسخ مثبتة في (ج).

ص ٦٢ :

(١) (ج) : أو نوم وغير ذلك وأنت تبتغي القربة.

(٢) (ج) و (د) و (هـ) أسر الأمل.

(٣) في الأصل: وجه، والتصحيح من (ج) و (د) و (هـ).

ص ٦٣ :

(١) (د) و (هـ) : الكدر.

(٢) (ج) لا يقبل.

(٣) (ج) أنباء، (د) و (هـ) : سائر، ومعنى أفناء كما هي في الأصل الناس الذين فنوا وماتوا.

ص ٦٤ :

(١) زيادة من (د) و (هـ).

(٢) زيادة من (ج).

(٣) في الأصل: الحدث، والتصحيح من النسخ الباقية.

ص ٦٥ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

(٢) ساقطة من الأصل مثبتة في باقي النسخ.

(٣) ساقطة من الأصل: مثبتة في (د) و (هـ).

ص ٦٦ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

(٢) في الأصل: المقصود والمطلوب والتصحيح من باقي النسخ.

ص ٦٧:

(١) سقط هذا الحديث من الأصل ومن (ج) وأثبتته نسختا (د) و (هـ).

ص ٦٨ :

(١) زيادة من (ج).

ص ٧١ :

(١) زيادة من (ج).

(٢) في الأصل ورد هذا الحديث بهذا النص: «إذا كذب العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه». والرواية التي أثبتناها، وردت في (ج) و (د) و (هـ).

ص ٧٣ :

(١) في الأصل: على، والتصحيح تقتضيه اللغة.

(٢) زيادة من (د) و (هـ).

(٣) زيادة من (د) و (هـ) .

(٤) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ٧٥ .

(١) زيادة من (د) و (هـ).

ص ٧٦:

(١) زيادة من (ج) و (د) و (هـ).

ص ٧٧ :

(١) في الأصل: الأمر، والتصحيح من (ج) و (د) و (هـ).

(٢) (ج) و (د) و (هـ) بين يدي.

(٣) زيادة من (ج) و (د) و (هـ).

ص ٧٨ :

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) زيادة من (د) و (هـ) (٢٤) يقتضيها سياق الكلام.

ص ٧٩ :

(١) زيادة من (ج).

(٢) زيادة من (ج) و (د) و (هـ).

ص ٨٠ :

(١) زيادة من (ج) و (د) و (هـ) .

ص ٨١ :

(١) في الأصل: عليها، والتصحيح من (ج) .

ص ٨٢ :

(١) زيادة من (ج) و (د) و (هـ) .

ص ٨٣ :

(١) زيادة من (ج) و (د) و (هـ) .

(٢) زيادة من (ج).

ص ٨٤ :

(١) في الأصل: بالإرادة، والتصحيح من (ج) و (د) و (هـ) .

(٢) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .
(٣) ساقطة من الأصل ومن (ج) مثبتة في (د) و (هـ) وبها يستقيم المعنى .

ص ٨٥ :
(١) في الأصل: كأن، والتصحيح من باقي النسخ .

ص ٨٦ :
(١) في الأصل وفي (ج) أخذه ، والتصحيح من (د) و (هـ) .

ص ٨٨ :
(١) في الأصل: ضمّه، وفي (ج) طبخه والتصحيح من (د) و (هـ) .
(٢) في الأصل بآفته، وفي (ج) لما فيه والتصحيح من (د) و (هـ) .

ص ٨٩ :
(١) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ٩٠ :
(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .
(٢) في الأصل عنه، والتصحيح من باقي النسخ .

ص ٩٢ :
(١) هذا البيت ساقط من الأصل، مثبت في باقي النسخ .
(٢) (ج) (د) و (هـ) : غَيْرٌ .

ص ٩٣ :
(١) هكذا في الأصل، وفي باقي النسخ : التخلّص .

(٢) ورد صدر هذا البيت في (ج) كالتالي : «فما ساء في إلاّ الذين عرفتهم» .

ص ٩٥ :
(١) ساقطة من الأصل، ومن (ج) مثبتة في (د) و (هـ) .
(٢) هذا البيت زيادة من (د) و (هـ) .

ص ٩٦ :
(١) في (ج) : إن الخلق في هذا الزمان .

ص ٩٨ :
(١) في الأصل: ذلك، ولفظة الاعتزال من باقي النسخ.
(٢) في الأصل: المحتاج إليه في باب الدين، والإضافة من (د)، و (هـ).
ص ٩٩ :
(١) في الأصل: قدرهم، وهكذا في (د) و (هـ) و (ج) قدمهم.
(٢) في (د) و (هـ) تنتحيك.
(٣) (د) و (هـ): مانع.
ص ١٠٠ :
(١) في (ج) نعم فالشخص معهم ما أبعده عنهم.
(٢) زيادة من (ج).
ص ١٠١ :
(١) زيادة من (د) و (هـ).
ص ١٠٢ :
(١) هكذا في (أ) و (ب) وفي باقي النسخ: كمال.
(٢) هكذا في الأصل؛ وفي (ب) بركات ونظر من الله بالرحمة و (ج) من بركات ونظر من الله عزّ وجلّ بالرحمة. وهكذا في (د) و (هـ).
(٣) في الأصل: فيسكن، والتصحيح من (ج) و (د) و (هـ).
ص ١٠٣ :
(١) سقط هذا البيت من (ب) و (ج).
ص ١٠٤ :
(١) ساقطة في الأصل مثبتة في باقي النسخ.
ص ١٠٥ :
(١) زيادة من (د) و (هـ).
ص ١٠٧ :
(١) سقطت من الأصل وثبتت في باقي النسخ.
(٢) في الأصل: فاذن متى عانقت العبادة حقها. وفي الحاشية: فأنت إذا أعطيت العبادة. وهكذا ورد في النسخ الأخرى المخطوطة، وقد فضلنا الصيغة التي أثبتناها.
(٣) في الأصل:

اتـخـذ الله صـاحـبـاً ودع الـنـاس جـانـبـاً

وقـد أثبتناهـا مـا ورد في نسخـة (د) و (هـ) لـورود بيتين زيـادة على مـا في الأصل.

(٤) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ١٠٨ :

(١) هكذا في الأصل، وفي (ب) أما في (ج) و (د) و (هـ) : وإبقاء عليك .

(٢) في الأصل: ثنا كده، والتصحيح من الحاشية ومن باقي النسخ .

ص ١١٠ :

(١) زيادة يقتضيها السياق .

ص ١١١ :

(١) زيادة من (ج) يقتضيها سياق الكلام.

ص ١١٢ :

(١) زيادة من (ج) و (د) و (هـ) .

(٢) ساقطة في الأصل مثبتة في باقي النسخ.

ص ١١٣ :

(١) زيادة من (ج) و (د) وهي موضحة لسياق الكلام وتتفق مع ما سبق .

ص ١١٤ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

(٢) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

ص ١١٥ :

(١) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

(٢) عبارة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

ص ١١٧ :

(١) في (ج) في فعل الطاعات .

ص ١١٩ :

(١) في الأصل: أصعب، والتصحيح من باقي النسخ.

(٢) زيادة من (ج) .

(٣) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ١٢٠ :

(١) في الأصل: ولقوا أولادهما، والتصحيح من (د) و (هـ)، وكذلك الأفعال المتعلقة بآدم وحواء وجاءت في الأصل بالمفرد والتصحيح من (د) و (هـ) وهذا يتفق مع منطق اللغة.

(٢) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ١٢١ :

(١) زيادة من (د) و (هـ) وفي (ج): في أمرهما.

(٢) في الأصل: تربية وتقوية، والتصحيح من باقي النسخ.

ص ١٢٤ :

(١) في الأصل: وهكذا كل خير ، والعبارة المثبتة من (د) و (هـ) .

ص ١٢٦ :

(١) زيادة من (ج) و (د) و (هـ) .

(٢) في الأصل: بالحلال، والتصحيح من باقي النسخ.

ص ١٢٧ :

(١) زيادة من المحقق .

(٢) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ١٣٠ :

(١) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ١٣١ :

(١) في الأصل، وهو، والتصحيح من (د) و (هـ).

(٢) ساقطة من الأصل، مثبتة في (ب) و (د) و (هـ) .

(٣) في الأصل: باجتناب والتصحيح من (ب) و (د) و (هـ) .

(٤) في الأصل من ، والتصحيح من باقي النسخ .

(٥) زيادة من (ب) و (ج) .

(٦) في الأصل طويل، والتصحيح من باقي النسخ.

ص ١٣٤ :

(١) سقط هذا البيت من جميع النسخ ما عدا الأصل.

ص ١٣٥ :

(١) سقط هذا البيت من جميع النسخ ما عدا الأصل.

ص ١٣٦ :

(١) في الأصل الوسواس، والتصحيح من باقي النسخ.

(٢) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

ص ١٣٧ :

(١) في الأصل: يقع والتصحيح من باقي النسخ.

(٢) في الأصل: بالمفرد، وفي باقي النسخ بالجمع.

ص ١٣٩ :

(١) عبارة مثبتة من (ج) ساقطة من باقي النسخ.

ص ١٤٣ :

(١) في الأصل: أحدها، والتصويب من (د) و (هـ) وهذا يتفق مع ما سيأتي.

(٥) في الأصل: منظر والتصويب من باقي النسخ.

ص ١٤٤ :

(١) في الأصل: كل جوهر للعبد خطر وكل معني نفيس والتصويب من باقي النسخ.

(٢) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

ص ١٤٥ :

(١) في الأصل: تقطر، والتصويب من باقي النسخ.

ص ١٤٧ :

(١) زيادة من (د) و (هـ).

ص ١٤٩ :

(١) في الأصل: يحسبوا، والتصويب من باقي النسخ.

ص ١٥٠ :

(١) في الأصل: مصيرة، والتصويب من باقي النسخ.

ص ١٥٧ :

(١) زيادة من (د) و (هـ) وفي (ب) بنقص الأمل وفي (ج) : بقصر الأمل

ص ١٥٩ :

(١) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

ص ١٦١ :

(١) في الأصل: بالدنيّ ، والتصويب من باقي النسخ .

ص ١٦٣ :

(١) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ١٦٦ :

(١) عبارة ساقطة من الأصل ومن (ب) مثبتة في (ج) و (د) و (هـ) .

(٢) زيادة من (ج) و (د) و (هـ) .

ص ١٦٨ :

(١) في الأصل: مما، والتصحيح من (ب) و (د) و (هـ) .

(٢) في الأصل: السلطان بالمفرد، والتصحيح من باقي النسخ .

ص ١٦٩ :

(١) الغالب، والتصحيح من باقي النسخ .

(٢) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

ص ١٧٤ :

(١) في الأصل : عن جاره ، والتصحيح في باقي النسخ .

ص ١٧٥ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في جميع النسخ .

ص ١٧٨ :

(١) في الأصل: في زوال، والتصحيح من باقي النسخ .

(٢) زيادة من (د) و (هـ) .

(٣) الأبيات الثلاثة الأخيرة ساقطة من جميع النسخ ، مثبتة في الأصل.

ص ١٨٢ :

(١) في الأصل: العدة، وهكذا في (ب)، والتصحيح من (ج) و (د) و (هـ) .

وهذا يتفق مع الحديث النبوي : «الصلاة عماد الدين» .

ص ١٨٥ :

(١) هكذا في الأصل وفي (ب) وفي باقي النسخ رأس مالك .

(٢) البيتان الأول والثالث ساقطان من جميع النسخ مثبتان في الأصل فقط .

ص ١٨٦ :

(١) في الأصل: صيام، ولعلّ الأصح ما أثبتناه وهو ما ورد في باقي النسخ .

ص ١٨٧ :

(١) زيادة يقتضيها تنسيق الكلام .

ص ١٩٢ :

(١) في الأصل: ويرقون ، وفي (ب) و (جـ) : يفرّون ، وفي (د) و (هـ) : ينفرون .

(٢) في (ب) يفرّون من موارد البلى والردى وفي الحاشية : مرارة الدواء . وكذلك يفرقون أي يخافون.

ص ١٩٣ :

(١) الأبيات: ١ + ٢ وردت في الأصل .
والأبيات: ٣ + ٤ زيادة من (ب) و (جـ) .
والأبيات: ٥ + ٦ زيادة من (د) و (هـ) .

ص ١٩٧ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

ص ١٩٩ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

ص ٢٠٢ :

(١) هكذا في الأصل، وفي باقي النسخ : حكمة .

ص ٢٠٣ :

(١) هكذا في الأصل وفي باقي النسخ : والإياس.

ص ٢٠٤ :

(١) في الأصل: كفى، والتصحيح من باقي النسخ.

ص ٢٠٦ :

(١) في الأصل أنهم، وفي الحاشية أهل القرى والتصويب من باقي النسخ.

(٢) عبارة ساقطة من الأصل، مثبتة في جميع النسخ الأخرى.

ص ٢٠٧ :

(١) في (ج) : مُذَهَّب الرأي.

(٢) في هذا البيت الرابع لم يرد في غير الأصل، وهو مقحم في الحاشية، ولعله سقط أو لعله أُقحم.

وروي: ما الأرزاق، وإضافة الفاء من المحقق للوزن الشعري.

(٣) في (ب) و (ج) : فإن قيل.... فاعلم.

وفي (د) و (هـ) : فإن قلت .... فاعلم.

ص ٢٠٨ :

(١) في الأصل حطامها والتصويب من باقي النسخ.

ص ٢٠٩ :

(١) في الأصل: بميل، والتصويب من باقي النسخ.

(٢) في الأصل: قيل، والتصويب من باقي النسخ.

(٣) في (ب) : مقصودها.

ص ٢١٠ :

(١) في هذه الأبيات زيادة من (د) و (هـ).

(٢) هذا البيت الأول لم يرد في جميع النسخ وقد ورد في هامش الأصل، وكأن من راجع هذا الأصل أضافه.

ص ٢١٣ :

(١) في الأصل: التي، والتصويب من باقي النسخ.

ص ٢١٤ :

(١) في الأصل وفي (ب) و (ج) يصحّ ، والتصويب من (د) و (هـ).

ص ٢١٧ :
(١) في (ب) : : اختلج .
(٢) في (ب) : اختلج .

ص ٢١٨ :
(١) عبارة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ، وفي (د) و (هـ) : وإظهار النعمة عليه، وأظنه خطأ وقع فيه الناسخ .

ص ٢١٩ :
(١) في الأصل: فكذلك ها هنا. وفي (ب) و (ج) وكذلك الرضا بالقضاء. وما أثبتناه هو من (د) و (هـ) ولعله الأصح لأن الكلام ليس على القضاء بل على المقضيّ.
(٢) لفظة ساقطة في الأصل مثبتة في باقي النسخ .
(٣) هكذا في الأصل، وفي باقي النسخ : ألوصول.

ص ٢٢٠ :
(١) في الأصل: والوعد عليه، وما أثبتناه ورد في باقي النسخ ولعله أوضح .
(٢) في (د) و (هـ) العلماء . راجع تخريج هذا الحديث وانظر إلى رواياته المتعددة .

ص ٢٢١ :
(١) هكذا في الأصل وفي (ب)، وفي (ج) و (د) و (هـ): باتقاء، وما أثبتناه هو الأصح كما تبينت من سياق الكلام الآتي .

ص ٢٢٥ :
(١) هكذا في الأصل: وفي الهامش، أعظمها وأغلظها وكذلك في (ب) وفي (ج): أعظمها وأعضلها وكذلك في (و) و (هـ) .

ص ٢٣٠ :
(١) لم يرد هذا البيت في النسختين (ب) و (ج) وورد في هامش الأصل: وروايته تختلف عن رواية (د) و (هـ) ففيهما: لم تقرأ بدل لم تقنع ، ومباينا بدل مزابنا .

ص ٢٣٣ :

(١) في الأصل: على، والتصويب من باقي النسخ .

(٢) البيت الأول ورد في الأصل فقط ، وسقط في باقي النسخ .

(٣) هكذا في الأصل، وفي هامش عقدهم، وهكذا في باقي النسخ .

ص ٢٣٥ :

(١) في الأصل: عن الله تعالى، والتصويب من (د) و (هـ) والعبارة مضطربة في النسخ الأخرى .

ص ٢٣٧ :

(١) هذا البيت الثاني ساقط من الأصل، مثبت في باقي النسخ . وفي (د) و (هـ) : وتتحققني ، وفي (ج) : وتيقّني أن الذي هو كائن .

ص ٢٣٨ :

(١) في الأصل: كريهة مباركة، وفي (ج) شربة كريهة إلا أنها مباركة كريمة، وهذا ما أثبتناه إيضاحاً للمعنى المراد من العبارة .

ص ٢٤٠ :

(١) لفظة ساقطة من الأصل، ومثبتة في باقي النسخ .

(٢) في الأصل: فلا يخفى عليه مكانك بشيء وما أثبتناه ورد في باقي النسخ .

ص ٢٤١ :

(١) زيادة من (ج) و (د) و (هـ) يقتضيها سياق الكلام .

ص ٢٤٢ :

(١) هكذا في الأصل، وفي (ب): وصبرت عن ذكر العلائق، وفي (ج): وأضربت عن ذكر، وكذلك في (د) و(هـ) .

ص ٢٤٣ :

(١) هكذا في الأصل وفي (ج) و (د) و (هـ) وفي (ب) : من لعل ومن عسى .

(٢) هذان البيتان ساقطان من (ج) و (د) و (هـ) .

ص ٢٤٤ :

(١) لفظة ساقطة من الأصل مثبتة في (ب) و (ج) وهي في (د) و (هـ) ألا .

(٢) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في جميع النسخ .

(٣) هذا البيت ساقط من الأصل، ومن (ب) و (ج) ومثبت في (د) و (هـ) .

ص ٢٤٧ :

(١) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ٢٤٨ :

(١) هكذا في الأصل، وفي باقي النسخ (معمل) .

(٢) في الأصل: الزهاد والتصحيح من باقي النسخ .

ص ٢٥٠ :

(١) في الأصل: فنودوا، والتصويب من باقي النسخ .

(٢) هكذا في الأصل: وفي سائر النسخ، مسكنه .

(٣) في الأصل: على النار، وهو كذلك في (ب) و (ج) والتصويب من (د) و (هـ) . وهذا يتفق مع عروض البحر البسيط التي أتت فعِلن ولم تأتِ فعْلن .

(٤) في الأصل: في العبادة، والتصحيح من باقي النسخ .

ص ٢٥١ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

(٢) في الأصل: في، والتصويب من باقي النسخ .

(٣) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

ص ٢٥٧ :

(١) في الأصل: الرحيم والتصويب من باقي النسخ .

(٢) في الأصل: تخاف والتصويب من باقي النسخ .

ص ٢٦١ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

ص ٢٦٣ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

ص ٢٦٩ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

ص ٢٧٠ :

(١) في الأصل: إذ لو كان على حال، والتصويب من باقي النسخ.

ص ٢٧١ :

(١) في الأصل: له والتصويب من باقي النسخ.

ص ٢٧٣ :

(١) سقط هذا البيت من الأصل، ومن (ب) و (ج) وورد في نسخة (د) ونسخة (هـ) فقط.

(٢) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

ص ٢٧٧ :

(١) لفظة ساقطة من الأصل مثبتة في باقي النسخ.

(٢) زيادة من المحقق، يقتضيها حسن ترتيب الكلام.

(٣) لفظة ساقطة من الأصل مثبتة في باقي النسخ.

ص ٢٧٩ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

(٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام، وهي مثبتة في (د) و (هـ) فقط.

(٣) جملة ساقطة من (أ) و (ب) و (ج)، مثبتة في (و) و (هـ)، وهي لازمة لاستكمال الكلام.

(٤) في الأصل: نوسع، والتصويب من باقي النسخ.

(٥) في الأصل: قال، والتصويب من باقي النسخ.

ص ٢٨٠ :

(١) جملة من المحقق، أضيفت لاستقامة ترتيب الكلام.

ص ٢٨٣ :

(١) زيادة يقتضيها سياق الكلام ساقطة من الأصل، مثبتة في (ب) و (ج).

(٢) فإنما زيادة من (د) و (هـ).

ص ٢٨٥ :

(١) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

ص ٢٨٩ :

(١) في الأصل وفي (ب) : الشيء، والتصويب من باقي النسخ. وهذا التصويب يتفق أيضاً مع ما سيأتي من كلام.

(٢) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في ساقي النسخ.

ص ٢٩٠ :

(١) في الأصل: وكذلك مكان، والتصويب من باقي النسخ.

ص ٢٩٢ :

(١) في الأصل عامة والتصويب من باقي النسخ.

ص ٢٩٤ :

(١) في الأصل: استهانك والتصويب من باقي النسخ.

(٢) في الأصل: وقصدت به سعيك، والتصويب من باقي النسخ.

(٣) في الأصل: القلوب، والتصويب من باقي النسخ.

ص ٢٩٨ :

(١) في الأصل: والتصويب من باقي النسخ.

(٢) في الأصل: قرياني، نسبة إلى قرية، ولم نجد هذه النسبة في ما بين أيدينا من كتب اللغة. والتصويب من باقي النسخ.

ص ٢٩٩ :

(١) في الأصل: ضرايبهم، والتصويب من باقي النسخ.

(٢) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

ص ٣٠١ :

(١) جملة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

ص ٣٠٤ :

(١) في الأصل: والآخر، والتصويب من باقي النسخ.

(٢) زيادة في باقي النسخ، وهي ساقطة من الأصل.

ص ٣٠٧ :

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ.

ص ٣٠٨ :
(١) ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

ص ٣١٢ :
(١) في الأصل، بالبكاء، والتصويب من باقي النسخ .

ص ٣١٣ :
(١) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في (ج) و (د) .

ص ٣٢٠ :
(١) في الأصل: ما هو والتصويب يقتضي إضافة الفاء الواقعة في جواب الشرط.
(٢) في الأصل: أحوال، والتصويب من باقي النسخ .

ص ٣٢١ :
(١) في الأصل: بالمفرد (   ) وفي باقي النسخ بالجمع.

ص ٣٢٣ :
(١) في الأصل العبر، والتصويب من باقي النسخ .
(٢) ساقطة من الأصل، مثبتة في (د) و (هـ) وفي (ب) و (ج): لها. ولعلّ الأصح ما أثبتناه.

ص ٣٢٤ :
(١) هكذا في الأصل، وفي (ب) و (د) و (هـ): العنصر.

ص ٣٢٥ :
(١) لفظة ساقطة من الأصل ومن (ب) و (ج) ومثبتة في (د) و (هـ) وأثبتناها لضرورة توافقها مع ما بعدها.
(٢) في الأصل: هدية، والتصويب من باقي النسخ .
(٣) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في (ج) و (د) و (هـ) .

ص ٣٢٧ :
(١) في الأصل: لم تحرم خيراً أنت قط تتمناه.
(٢) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في جميع النسخ .
(٣) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ٣٣٠ :

(١) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

(٢) في الأصل وفي (ب)، موسى عليه السلام وبالإضافة من (د) و(هـ). وهي تتفق مع سياق الكلام .

ص ٣٣١ :

(١) في الأصل بأسرارها، والتصويب من باقي النسخ .

ص ٣٣٢ :

(١) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٢) زيادة من (د) و(هـ) .

ص ٣٣٥ :

(١) جملة ساقطة من الأصل مثبتة في باقي النسخ .

ص ٣٣٨ :

(١) عبارة ساقطة من الأصل، مثبتة في باقي النسخ .

(٢) في الأصل: كان، والتصويب من باقي النسخ .

ص ٣٤٢ :

(١) في الأصل: الخلائق، والتصويب من باقي النسخ .

(٢) لفظة ساقطة من الأصل، مثبتة في (د) و(هـ) .

ص ٣٤٤ :

(١) في الأصل: وظنّ بأنا لاحقين بقيصرا، وهكذا في (ب) وفي النسخ الأخرى كما أثبتنا . وهذا يتفق مع رواية الديوان.

ص ٣٤٥ :

(١) في الأصل بالمفرد، والتصويب من باقي النسخ .

(٢) هكذا في الأصل، وفي (ج) و(د) و(هـ): (وبال) .

ص ٣٤٦ :

(١) هكذا في الأصل وفي (ب) أما في (ج) و(د) و(هـ) فهي الألباء .

ص ٣٤٧ :

(١) زيادة من (د) و (هـ) .

ص ٣٤٨ :

(١) وفي (ج) و (د) و (هـ) الجلوة .

ص ٣٥٠ :

(١) في الأصل بالمفرد والتصويب من باقي النسخ .

(٢) في الأصل : وهمي والتصويب من باقي النسخ .

ص ٣٥٣ :

(١) في الأصل كتاب، والتصويب من باقي النسخ .

(٢) في الأصل : عملناه، والتصويب من باقي النسخ .

فهرس الأحاديث

□ □ □

فهرس الأعلام

الألف

ب - ت - ث

جـ - حـ - خـ

د - ذ - ر - ز

□ □ □

فهرس أسماء الكتب الواردة في منهاج العابدين

فهرس القوافي والأشعار

فهرس أهم مصادر التحقيق

١ ـ ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج ، **صفة الصفوة**، دار المعرفة ـ بيروت ط ٣ ـ ١٩٨٥ م .

٢ ـ ابن الجوزي : **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

٣ ـ ابن الجوزي : **الموضوعات**، المدينة المنورة، ط ١ ، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.

٤ ـ ابن الجزري : شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ط ١ ، ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م .

٥ ـ ابن حجر: العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ، **لسان الميزان**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط ، ١٩٧١ م .

٦ ـ ابن حجر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط ٢ ، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.

٧ ـ ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة ـ بيروت (د ، ت).

٨ ـ ابن حجر: **الإصابة تمييز الصحابة**، مطبعة السعادة ـ القاهرة، ط ١ ، ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٩ م وبهامشه الإستيعاب لابن عبد البر.

٩ ـ ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند (د . ت).

١٠ ـ ابن حجر: **تقريب التهذيب**، ط ٢، ١٩٧٥ م، دار المعرفة.
١١ ـ ابن حِبَّان: محمد بن حبان التميمي البستي: **صحيح ابن حبّان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط بيروت ط ١، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.
١٢ ـ ابن حنبل، أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، دار صادر ـ بيروت (د. ط، د. ت).
١٣ ـ أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف الشهير بأبي حبان الأندلسي. **البحر المحيط**. ط ٢ دار الفكر (د. ت).
١٤ ـ ابن خَلِّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. **وفيات الأعيان** تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت ١٩٦٨ م.
١٥ ـ ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق محمد مصطفى، المكتب ـ بيروت ط ١، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
١٦ ـ أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، **سنن أبي داود**، إعداد وتعليق: عزت الدعاس، نشر وتوزيع: محمد علي السيد ـ حمص ١٩٦٩ م.
١٧ ـ ابن سعد: محمد بن سعد، أبو عبد الله، **الطبقات الكبرى**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م.
١٨ ـ ابن عربي، محي الدين: **محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار** (١ + ٢) دار اليقظة العربية ١٩٦٨ م.
١٩ ـ ابن عساكر، الإمام الحافظة ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي: **تهذيب تاريخ دمشق**، دار المسيرة ـ بيروت ط ٢، ١٩٧٩.
٢٠ ـ ابن العماد، الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت (د، ط، د. ت).
٢١ ـ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية** مكتبة المعارف ـ بيروت ط ٢، ١٩٧٧ م.
٢٢ ـ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٩٥٢ م.

٢٣ ـ ابن الملقِّن، سراج الدين أبـو حفص عمر بن علي بن أحمـد المصري : **طبقات الأولياء**، تحقيق نور الدين شريبة مكتبة الخانجي ـ القاهرة ط ١ ، ١٩٧٣ م .

٢٤ ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الـدين محمد بن مكـرم بن منظور: **لسـان العرب** دار صادر ـ بيروت (د. ت).

٢٥ ـ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني : **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط ١ ، ١٩٣٢ م .

٢٦ ـ ابن الأثير، لعز الدين ابن الأثير الجزري : **اللباب في تهذيب الأنساب** دار صادر ـ بيروت، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

٢٧ ـ الألباني : محمد ناصر الدين : **ضعيف الجامع الصغير وزياداته** : المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .

٢٨ ـ الألباني : **صحيح الجامع الصغير**، المكتب الإسلامي ـ بيروت (د، ت) .

٢٩ ـ البخـاري : محمـد بن إسمـاعيـل بن إبـراهيم بن المغيـرة البخـاري : **الصحيح** ، عالم الكتب ـ بيروت، ط ٢ بيروت ١٩٨٢ م .

٣٠ ـ بدوي ، د. عبد الرحمن، **مؤلفات الغزالي**، الكويت ط ٢ ، ١٩٧٧ م .

٣١ ـ البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب: **تاريخ بغداد**، دار الكتـاب العربي ـ بيروت (د. ت).

٣٢ ـ البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي : **السنن الكبرى**، حيـدر أباد ط ١ ، ١٣٤٤ هـ ـ ١٣٥٥ م .

٣٣ ـ الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سـورة الترمـذي ، **السنن**. **وهو الجامع الصحيح** ، دار الفكر ـ بيروت (د. ت) .

٣٤ ـ الجوهري : إسماعيل بن حماد الجوهري . **الصحاح تـاج اللغة وصحـاح العربية**، دار العلم للملايـين . بيروت (د، ت) .

٣٥ ـ حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة . **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى ، بغداد (د ، ت) .

٣٦ ـ الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، النيسابوري: **المُسْتَدْرَك على الصحيحيْن**، دار الكتب العلمية ـ بيروت، (د. ط، د. ت).
٣٧ ـ الخرائطي: **فضيلة الشكر لله علي نعمه**، دار الفكر، دمشق.
٣٨ ـ الخطابي: حمد بن محمد، أبو سليمان البستي، **معالم السنن**، دار المعرفة ـ بيروت، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
٣٩ ـ الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام: **سُنَن الدارمي**، باعتناء: محمد أحمد دهمان، نشرته: دار إحياء السنّة النبوية (د. ط، د. ت).
٤٠ ـ الدارقطني، علي بن عمر: **سُنَن الدارقطني**، باعتناء ونشر السيد عبد الله هاشم يماني المدني، المدينة المنورة ـ ١٩٦٦ م.
٤١ ـ الذَّهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة ـ بيروت (د. ط، د. ت).
٤٢ ـ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد: **تلخيص المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية ـ بيروت (د. ط، د. ت).
٤٣ ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: **سِيَر أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨١ م.
٤٤ ـ الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م.
٤٥ ـ الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، دمشق ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
٤٦ ـ الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين ـ بيروت الطبعة السادسة ـ ١٩٨٤ م.
٤٧ ـ السبكي: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، دار المعرفة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية.

٤٨ ـ السّخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن: **المقاصد الحسنة**، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٩٧٩ م.

٤٩ ـ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مكتبة الحياة ـ بيروت (د، ت).

٥٠ ـ السُّلَمي، أبو عبد الرحمن: **طبقات الصوفية**، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٩ م.

٥١ ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، بيروت ـ دار المعرفة طبعة ١٩٨٣.

٥٢ ـ السيوطي، جلال الدين: **الجامع الصغير**.

٥٣ ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الجامع الصغير من حديث البشير النذير** (١ + ٢) حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ط ١ ـ المكتبة التجارية ـ مصر ـ ١٣٥٢ هـ.

٥٤ ـ السيوطي، جلال الدين: **تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك**، مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٩٥١ م.

٥٥ ـ الشعراني، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري، **الطبقات الكبرى**، (لواقح الأنوار في طبقات الأخبار) مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٥٤ م.

٥٦ ـ الشهرستاني، **المِلَل والنِّحل**، المطبعة التجارية ـ مصر.

٥٧ ـ الشوكاني، محمد بن علي: **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**، جدة ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٢ هـ.

٥٨ ـ الشيباني: أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحّاك بن أبي مخلّد الشيباني، **كتاب السنة**، المكتب الإسلامي ـ الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

٥٩ ـ شيخ الأرض، تيسير: **الغزالي**، دار الشرق الجديد ـ بيروت سلسلة أعلام الفكر العربي (٦) ط ١ ـ ١٩٦٠ م.

٦٠ ـ الصَّفَدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، نشر: جمعية

المستشرقين الألمانية الجزء الأول ـ الطبعة الثانية ١٩٦٢ م.
٦١ ـ الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد: **المعجم الصغير**، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
٦٢ ـ الطبراني: **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ـ بغداد ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
٦٣ ـ الطيالسي: سليمان بن داود، أبو داود. **مسند أبي داود الطيالسي**، الهند ـ حيدر أباد، ١٣٢١ هـ ـ ١٩٠٣ م.
٦٤ ـ عبد الباقي: محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مطابع الشعب القاهرة.
٦٥ ـ العجلوني، إسماعيل بن محمد: **كشف الخفاء ومُزيل الإلباس**، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٣م.
٦٦ ـ عبد الرزاق: أبو بكر بن همام الصنعاني، **المصنف**، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي الهند ط ١ ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.
٦٧ ـ العَزّوزي، محمد العربي: **الجمع بين الصحيحين**، منشورات مطبعة الإنصاف ـ بيروت ١٩٦٠ م.
٦٨ ـ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة ـ بيروت، (د. ط، د. ت).
٦٩ ـ الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٩٨٦ م.
٧٠ ـ القُضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة: **مُسْنَد الشِّهاب**، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
٧١ ـ كارادُوفُو، البارون: **الغزالي**، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، ١٩٥٩ م.
٧٢ ـ الكُتُبي، محمد بن شاكر: **فوات الوفيات**، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت، ١٩٧٣ م.

٧٣ ـ كحالة، عمر رضا: **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٩٥٧ م.

٧٤ ـ مالك بن أنس، الإمام: **مُوَطَّأ الإمام مالك**، مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة، ١٩٥١ م.

٧٥ ـ مرتضى الزبيدي، السيد محمد بن الحسيني: **إتحاف السادة المتّقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين**.

٧٦ ـ المزي: جمال الدين، أبو الحجاج يوسف بن الزكي، **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، الهند، ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م.

٧٧ ـ مُسْلِم بن الحَجَّاج القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**، باعتناء: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٩٥٦ م.

٧٨ ـ المكي، أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن عباس: **قوت القلوب**، دار صادر ـ بيروت (د. ط، د. ت).

٧٩ ـ المناوي، عبد الرؤوف: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، دار المعرفة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية، ١٩٧٢ م.

٨٠ ـ المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي، **الترغيب والترهيب**، دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

٨١ ـ المنوفي، الحسيني، السيد محمود أبو الفيض: **جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف**، مؤسسة الحلبي وشركاه ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى، ١٩٦٧ م.

٨٢ ـ النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي، **السنن**، المكتبة العلمية، بيروت.

٨٣ ـ الهيثمي: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط ٢ ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م.

٨٤ ـ الهيثمي: **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**، دار الكتب العلمية ـ بيروت. (ب ، ت).

٨٥ ـ وِنْسِنْك، أ. ي : **المهجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، مكتبة بريل ـ ليدن، ١٩٣٦ م .
٨٦ ـ ياقوت، الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله : **معجم البلدان**، دار صادر ـ بيروت ١٩٧٧ م .

فهرس محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة